تاج القراء

تحليل و تعليل و تاويل الروايات النبويه في سمات القرءان و درجات القراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن على العرش استوى
الرحمن علم القرءان
كنتم خير امه اخرجت للناس

(تمهيد)

هل كلام النبي عليه السلام ، من حيث الاصل ، يعبر عن حقائق وجوديه و وقائع خلقيه ، ام انه يهدف الى دفع الناس الى القيام بهذا العمل او ذاك و تنفير الناس عن هذا العمل او ذاك ؟ بتعبير اخر، هل النبي حينما يتحدث من مقام النبوه و الكشف عن الامور و الاشياء و العلاقات السببيه او الاقترانيه بينها ، هل يكون كلامه هذا جدي و مضمونه له دلاله معرفيه، ام انه من قبيل البلاغه و الكنايه و الاستعاره و حسن القافيه و بقيه الزينه اللفظيه و الزخرفه النصيه ؟ الفرق بين الرؤيه المعرفيه لكلام النبي عليه السلام و بين الرؤيه البلاغيه او الشاعريه و السياسيه فرق كبير جدا، و مهم جدا. و ينبغي لكل دارس او مسلم ان يحدد موقفه من هذا الامر مبدئيا حتى يكون سعيه في التبحر في كلام النبوه مؤسس على مبادئ راسخه و بوعي.

و لكن هل يوجد فرق حدي بين الرؤيه المعرفيه و الرؤيه الشاعريه ؟ ألا يمكن الجمع بينهما ؟ الجواب : بالطبع يمكن الجمع بينهما، و لكن هذا الجمع لا يكون الا بتقديم او رفع أحدهما على الاخر. فمثلا : المعرفه هي الاساس و البلاغه هي الصوره. و البلاغه دائما تكون خادمه للمعرفه، و ليس لها قيمه ذاتيه بحيث ان الفكره التي يراد ان يعبر عنها تكون ثانويه بالنسبه لها. فالبلاغه رمز في حد ذاتها ، اي رمز على العوالم العلويه و النظم الالهيه ، و هذا بغض النظر عن محتوى النص البلاغي. و هذا مما يمكن ان نعبر عنه بانه " جمال المظهر و سخافه الجوهر ". و هو صنعه الشعراء في الغالب. فهؤلاء لا يبالون بارسال الكلمات ارسالا ان كانت متسقه من حيث ظاهر الفاظها و اتساق جملها بحسب موازينهم النصيه. و اما مضمون هذه الاشعار، و مدى تعبيره عن الوقائع او المواضيع التي يعبر عنها و يصفها، فهذا في احسن الاحوال له مرتبه ثانويه، و في كثير من الاحيان ان لم يكن معظمها ليس له قيمه تذكر. و لذلك عندما يوجد شاعر عارف، او لنقل عارف شاعر ، فان شعره يصبح من اعظم الاشعار بغض النظر عن اتفاقنا معه في المضامين الفكريه و المعنويه و الروحيه التي يعبر عنها. مثل ذلك جلال الدين الرومي صاحب المثنوي، و حافظ الشيرازي ، و محي الدين ابن عربي و فريد الدين العطار ، و غيرهم. فالاصل في الشعر ان يكون المظهر على حساب الجوهر، و الاستثناء هو ان يتم الاهتمام بجديه بالجوهر.
و اما الرؤيه المعرفيه، فان الغالب عليها هي ان تكون في صوره نص نثري، و ان كان النص مسجعا او فيه مظاهر البلاغه و رونقها، الا ان الاصل فيها هو الجوهر و الاستثناء هو الاهتمام بالمظهر. و بما ان اكثر الناس لا يحسن او لا يستطيع ان يهتم بالتعبير عن الحقائق او الافكار التي يريد تبيينها و يهتم في نفس الوقت بالبلاغه و لوازمها ، فلذلك نجد ان "الكتب العلميه" في معظمها برود و جفاف من حيث المظهر و ان كانت جميله و بديعه من حيث الجوهر. و من هنا كانت الكتب العلميه و الفكريه التي تحوي جمالا في الجوهر و المظهر هي كتب معظمه و نادره و من روائع الكشف الانساني و الاجتهاد العقلي.

و الان، بناءا على ما فات ، اي يمكن ان نصنف الكلام النبوي الكريم ؟ و هذا ليس تصنيفا بلا لوازم و تاثيرات منهجيه في التعاطي معه - كما سنرى لاحقا ان شاء الله . بل ان النمط الذي ينسب اليه الكلام النبوي سيحدد النمط الذي ستنتجه هذه النسبه. و ان كنا لا نريد ان نبدأ البحث من هذه النقطه، و لكن على سبيل المثال المبسط : عندما يقول النبي عليه السلام ان القارئ للقرءان له بكل حرف حسنه. ما معنى "حسنه " ؟ و ما معنى ان يتم تحديد الحسنه بقراءه كل حرف و اصرار النبي على

ان قصده بكل حرف هو "كل" حوف و فألف حرف و لام حرف و ميم حرف ؟ الرؤيه الشاعريه او السياسيه قد تقول : ان هذا من باب ترغيب الناس في قراءه القرءان و من حسن سياسه الناس و الجماهير هو ان تربط لهم بين الاعمال الدينيه و بين ما اعتادوا على التعامل معه في امور حياتهم اليوميه و حسب نفسياتهم التي تتاثر و تتحفز بالاجر و التكاثر فيه. و كما ترى، فان هذه هي الرؤيه السائده. و اما بحسب الرؤيه المعرفيه فان مثل هذا التعليل للكلام النبوي يعتبر في احسن الاحوال مقبولا بحسب مستوى من المستويات، و في اسوا الاحوال يعتبر غفله عظيمه عن حقيقه مرتبه النبوه. ففي الرؤيه المعرفيه على سبيل المثال سيتم النظر و التنظير لماهيه الحروف، و رمزيتها ، و تاثيرها في الوجود ، و حقيقه القرءان و طبيعته الذاتيه و العرضيه . و من حيث الحسنه، سيتم النظر في فكره التحسين و التقبيح و على اي معيار تقوم مثل هذه التفرقه من حيث النسبه الى الله تعالى الذي "بيده الخير" و كثير جدا من التساؤلات و الدلالات و الاستدلالات و الانتقادات. فكلام النبوه في الرؤيه المعرفيه يؤخذ على محمل الجد- ان صح التعبير. يؤخذ على محمل الجد و الدلاله على الحقيقه، و الكشف عن علاقاتها. فهو نقطه بدايه للانطلاق في سماوات المعرفه و العقل، و المطالب العرشيه و الاسمائيه و الالهيه. و اما التفسير بحث الناس على كذا او نهيهم عن كذا فهو يعتبر في حد النظر الطفولي لكلام الشيوخ العلماء.
و مثال اخر و اخير على اهميه الفرق، فان النبي عليه السلام اذا قال ان البيت الذي يقرأ فيه القرءآن يتسع على اهله و تحضره الملائكه، و البيت الذي لا يقرأ فيه القرءان يضيق على اهله و تحضره الشياطين. فان الرؤيه الشاعريه لا ترى في ذلك اكثر من كنايات او استعارات لفظيه او تشبيهات ماديه لحث الناس على ان يقرأوا القرءان في بيوتهم و نحو ذلك. و اما الرؤيه المعرفيه فتبحث في العلاقه السببيه بين قراءه القرءآن و بين احداث تاثيرات في مختلف مراتب العوالم و المخلوقات و الذوات الكائنه فيها، و تسال اسئله من قبيل : ما معنى ان تحضر الملائكه ان كنا لا نراها باعين اجسامنا ؟ و ما ضرر ان تاتي الشياطين ان لم يكن لها تاثير جسماني محسوس علينا ؟ و ما معنى اتساع البيت و ضيقه ؟ و الكثير من هذا القبيل من التساؤلات الجاده و العميقه و التي يتولد عنها امور متعدده في شتى المجالات.

فعندما نقول : هل نحن نرى كلام النبوه كتعبيرات معرفيه ام تعبيرات شاعريه ، اي من حيث الاصل و بالدرجه الاولى ، فنحن في الواقع نسأل : هل نحن ناخذ كلام النبوه على محمل الجد ؟ هل نحن ممن يبحث عن البناء المعرفي و التصوري و العقلي وراء كلام النبوه، فلكل كلام بناء او ابنيه ، و له مقدمات و مسلمات و مفترضات ، و له لوازم ضروريه و لوازم محتمله، و له علاقه او يفترض ان له علاقه ما بالحقيقه الموضوعيه و الافاقيه و النفسيه . "محمل الجد" تعني ان نبحث و نغوص في بحار عقل النبي عن طريق الغوص في كلامه. النبي له قيمه ذاتيه، و ليس فقط قيمه انتاجيه. بمعنى ان النبي ليس فقط "اذن" اي يسمع من وحيا او يتلقى الحقائق من العالم العلوي ثم يترجمها لنا بلساننا و كفى. النبي هو بحد ذاته حقيقه علويه. اي ان معرفه ذات النبي و عقله و مشاعره و دوافعه و تصوراته و انفعالاته و تراكيب تعبيراته، باختصار المعرفه الكليه له عليه السلام، هذا من صميم و لب العلم الديني و الحياتي بل و الوجودي ككل. فمثلا : اذا بعث لك ابوك لك رساله فيها امر و نهي، و جاء بهذه الرساله فلان من الناس، فانك لا تحتاج ان تتعاطى مع هذا الرسول الفلاني، و لا ان تعرف عنه اي شئ حتى تفهم مضمون هذه الرساله الابويه. فهذا الرسول الفلاني ليس له اي قيمه ذاتيه بل قيمته عرضيه، و العرض هو انه اوصل لك الرساله لسبب ما او بالصدفه التي جعلته يكون حاضرا في مكتب البريد في الوقت الذي وصلت فيه هذه الرساله. فقيمه هذا الرسول تنتهي بايصال

الرساله، و ليس له اي قيمه وراء ذلك، لا من قبل و لا من بعد. و اما مثلا اذا بعث ابوك هذه الرساله مع احد اخوانك، و قال لك في الرساله " انظر الى اخيك هذا فاني اشهد له بانه قد اقام كل اوامر و نواهي رسالتي لك و عرف كل اسرارها و ترقى في كل مقاماتها " فان الرساله و الرسول لهما قيمه ذاتيه. فالرسول يصبح رساله قائمه بنفسها بالاضافه الى الرساله الاخرى. و لذلك قال الله تعالى " حتى تاتيهم البينه : رسولا من الله ، يتلو صحفا مطهره ". فالبينه ليس فقط الصحف. و لكن الرسول هو من البينه. اي البينه لها ركنين او عنصرين : الرسول و الصحف. و لاحظ انه لم يقل " البينتان " بالمثنى. و لكنه قال "البينه". و هذا يدل على ان الرسول و الصحف في علاقه تكامليه بنحو من الانحاء. و هذا كله من مقام الرساله. و اما من مقام النبوه فان شخص سيدنا محمد عليه السلام يعتبر نور محض. و للتفريق بين المقامين وسمه ربه تعالى بانه " سراجا منيرا ". و السراج سمه الشمس، كقوله " و جعل الشمس سراجا ". و المنير سمه القمر ، كقوله " و قمرا منيرا ". فالنبي شمس و قمر. و هذه من اهم امثلته و رموزه في عالم المعرفه الدينيه العاليه. فلو كان سيدنا محمد عليه السلام له مهمه توصيل هذا القرءان للناس و كفى، لكان رمزه هو "منيرا " فقط، اي يعكس ضوء الوحي الالهي على اهل الارض و الظلمات. و اما انه وسمه بانه "سراجا" كالشمس، فهذا يدل على ان لنفس النبي عليه الصلاه و السلام شعاع ضوئي خاص بغض النظر عن الوحي الالهي الذي تنزل عليه، بل كما يرى بعض اهل العلم ان كمال نفس النبي و نورانيته النفسيه و طهارته القلبيه هي التي جعلته- بالاضافه الى عوامل غيبيه و ظاهريه اخرى في علم الله تعالى اذ "الله اعلم حيث يجعل رسالته" و علم من يعلمه الله من الراسخين - مستعدا لتلقي هذا القرءآن. فالنبي نور نزل عليه نور. و هذا المضمون كثير في الايات القرءانيه و الروايات النبويه من قبيل ان الله تعالى اطلع على اهل الارض فاختار منها سيدنا محمد عليه السلام. فالارض كانت مظلمه، الا قلب النبي كان يشع بالمعرفه و العشق لله تعالى حتى ان عشقه لله ظهر لاعين عميان الجاهليه فقالوا " ان محمدا عشق ربه ". و يا لعظمه عشق يجعل قلوب العمي تبصر !

فنحن لا نقبل بان نعتبر النبي مجرد "اذن" و ان كان اذن خير لنا. فاختزال النبي في صفه تلقي الوحي المحدود و افاضته على اهل هذا العالم هو من التفريط بسعه نفس النبي عليه السلام و مقاماته العاليه. فبحسب ما يكشفه القرءان و يؤيده البرهان و العيان، فان فضل نور قلب النبي و شخصيته، على نور ما ظهر عنه من ايات و روايات ، هو كفضل الشمس على القمر. بل ان قبوله لكلام الله تعالى، الذي هو الكلام الاعظم و النور الاجل الافضل، اي قبول قلبه لسعه هذا الكلام الالهي ذو الجلال و الاكرام ، انما يدل فيما يدل على سعه و عظمه و جلال قلب النبي و ذاته الشريفه. القرءان يقرر و يقول " انزل من السماء ماءا فسالت اوديه بقدرها ". و معلوم ان الوادي يحمل من الماء بقدر سعه الوادي و ليس بقدر كميه الماء. و الوعاء انما يسع بحسب سعته الخاصه، لا اكثر و لا اقل. فما ظنك بسعه قلب كائن وعى و حوى كلام الله رب العرش العظيم ، هذا الكلام الذي هو سمه للذات الالهيه، سواء كان من حيثيته المتعاليه او من حيثياته المخلوقه . فلولا ان النبي كان قرءانا لما استطاع ان يتحمل تنزل القرءان عليه. و هذا احد اهم معاني قول السيده عائشه - رحمها الله- في وصف النبي " كان خلقه القرءان". ان التعاطي مع هذه العباره ايضا محدود بحسب حدود الرؤيه التي ينظر بها الدارس الى كلام هؤلاء العظماء و الاولياء و العلماء. فالبعض ينظر فيقول ان معنى عباره السيده عائشه هو : اخلاق النبي في تعامله مع الغير ، اي من حيث الافعال و السلوكيات الارضيه و الاجتماعيه ، كان بحسب ما امره به ربه في هذا القرءآن. و هذا و ان كان حقا ، الا انه حق في مرتبه متدنيه نسبيا اي بالنسبه لما فوقه من معاني و اسرار. الروايه في حرفيتها و دقتها لم

تقل كل ما فهمه اصحاب هذه المرتبه. و انما هذا فهمهم لها. و الفهم لا يحد موضوع الفهم. الفهم يحد صاحب الفهم في علاقته مع موضوع الفهم. الروايه عن السيده عائشه ، " كان خلقه القرءآن ". و لم تقل : كانت اخلاقه مستمده من القرءان او كانت اخلاقه بحسب ما امره ربه في القرءآن. العباره تحتمل ذلك، و لكنها لا تتحد في ذلك. كلمه "خلقه" تحتمل الاخلاق و تحتمل الخلقه. الخلقه بمعنى السمات الذاتيه للكائن ، كان يقال ان خلقه الملاك الفلاني عظيمه و واسعه. و كان نقول : فلان خلقته جميله. نعم ان المعاني العاليه تشير اليها النصوص، و ان كانت احيانا تشير اليها بحسب قرائتها الحرفيه و احتمالاتها من حيث الدلاله او من حيث التداعيات و اللوازم عليها. و من هذا القبيل الاشاري الذي تؤيده نصوص و براهين شتى، تقول السيده عائشه عن النبي " كان خلقه القرءآن ". فنفس تكوين النبي قرءان. قرءان متمثل في صوره انسان، كما ان هذا القرءان العربي هو قرءان متمثل في صوره حروف و رموز صوتيه و مكتوبه. ما هو هذا القرءان ؟ هو صور. " الم. تلك ايات الكتاب المبين ". هذه صور جسمانيه معينه، لها شكل معين، و لها دلالات معينه و غير معينه. فظهور كلام الله ياخذ هيئه صور. هذا القرءان من حيث كتابته. و اما من حيث تلاوته، فانه هواء متذبذب بموجات معينه. نعم ان روح القرءان الذي هو معانيه و مضامينه و قوته و مقاماته، هذا كله يكمن في لب هذا القشر الصوري و الصوتي. و الصوره الانسانيه هي اعظم صوره خلقها الله تعالى. فان الله تعالى " خلق ءادم على صورته ". و اهل المعرفه يفهمون معنى مثل هذا الكلام النبوي. و ليست صوره الانسان محصوره بهذا الجسم، و انما المقصود صورته الكليه ، او صورته الذاتيه من حيث الاساس. فالانسان هو الجامع لكل مقامات و مراتب العوالم كلها من أعلاها الى ادناها. فمن الأعلى فيه من روح الله " و نفخت فيه روحي " و من الاسفل فيه تراب الارض " اني خلق بشرا من طين ". و هذه الجامعيه لقطبي الوجود الاعلي و الاسفل هي سر خلافه الانسان. و الجامع للقطبين جامع لما بينهما، و انما "يتنزل الامر بينهن" فلا شئ يصعد من الاسفل الى الاعلى، او ينزل من الاعلي الى الاسفل ، الا بعد المرور بكل ما بين ذلك. فان كانت الصوره الانسانيه هي روح و تراب ، فهذا يعني انها جامعه لكل ما بين هذا الروح و التراب، اي لكل ما دون الله و ما فوق الثرى. وهذا معنى ان " الله خلق ءادم على صورته " لان الله تعالى هو "الاول و الاخر و الظهر و الباطن ".

النبي هو الصوره الكامله المفعله للانسان. و ان كان كل انسان خليفه الله، فانه خليفه الله بالقوه و الاستعداد، و ليس كل انسان يرتقي و يفعل كل القوى التي فيه و تتم نشأته في كل درجه في العوالم و الوجود. و لذلك يقال ان البعض " كالانعم " فلولا ان الانسان يستطيع ان يكون كالانعام لما وجد انسان يوصف بانه كالانعام. و لولا ان الانسان ليس صاحب مقام محدود في الوجود، لما استطاع ان يخرج من بين بني الانسان من يقال له "كالانعام" و "القرده و الخنازير" و "كالحمار"، و في نفس الوقت يقال للبعض الاخر " و سراجا منيرا" و "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى". مشكله الانسان هي ان يحد نفسه. و الانسان الكامل هو الذي يفعل كل نواحي نفسه. و هذا هو سر المه الابراهيميه التي لا يحيد عنها الا من "سفه نفسه". و تسفيه النفسه يعني حجبها عن كل قوتها و سعتها الممكنه. فالبهيمه مثلا لا يقال فيها على سبيل اللوم و العتاب انها "بهيمه". و كذلك مثل النجوم لا يقال فيها على سبيل اللوم و العتاب انها "نجوم". لان لكل كائن و مخلوق غير الانسان "مقام معلوم". و اما اهل يثرب الانسانيه ف " لا مقام لهم ". و لذلك يعاتب الحق تعالى من يحصر نفسه في مقام البهيميه كما يعاتب من يحصر نفسه في مقام النجوم السماويه كعباد الشمس و القمر. لان الانسان في ذاته أعلى من البهائم و القرده، و أعلى من الشمس و القمر. و ان كان حاويا لهذه المقامات بنحو من الانحاء في ذاته الكليه و على تاويل معين.

فماذا نسمي الانسان الذي تفعلت فيه كل هذه المقامات الكامنه في كل انسان ؟ هذا الانسان هو محمد. النبي عليه الصلاه و السلام. و ماذا نسمي الوسيله الكبرى لتذكير الانسان بحقيقته و مقامات و درجاته ؟ هذه الوسيله هي القرءان. فعندما ياتي النبي و معه القرءان يستنير الوجود، و تحيا قلوب المخلوقات ، و تنبعث الروح في البر و البحر و جو السماء. هذا هو النبي الذي نؤمن به، و هذا هو القرءان الذي نسبح و نغوص في محيطه. و بهذه العين نتعاطى مع كل ما يصدر عن النبي عليه السلام.

من اجمل و اعظم و امتع المواضيع في عوالم الدين : علاقه النبي بالقرءآن. فان نرى كيف كان النبي ينظر الى هذا القرءآن ، و كيف كان يتعاطى معه ، و كيف كان يصفه للناس ، هذا من احسن ما يمكن ان يتبحر فيه الانسان. و هو جميل من باب انه يكشف لنا عن تفاعل قرءان انساني مع قرءان لساني او لغوي. و ان كان النبي هو شمس العوالم، و القرءآن هو شمس العرش، فان اجتماع الشمس مع الشمس ينتج فيض لانهائي من النور الالهي.

في ظل موضوع شديد الاهميه و التعقيد و العلو كهذا ، لا اجد قلبي الا مرتعشا من الخوف و القلق. روحي تريد ان تفر من جسمي بسبب عزمي على القيام بهذه الدراسه التي اجد نفسي مدفوعا لها و متشوقا اليها. كيف اجرؤ على الدخول في حرم المعرفه المقدسه للنبي الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم ؟ و اي فقر معنوي انا متلبس به ، و اي غرور عقلي استولى علي حتى اجد عندي من القوه ما يمكنني من حمل مسؤوليه هذا الكشف على عاتقي ؟ سبحان الله، في هذا العصر المظلم ، و المحيط الاظلم ، و القلب الغارق في ظلمات بعضها فوق بعض، حتى كاني يونس الذي ابتلعه الحوت و هوى به في اعماق بحار الوحشه و الندم و المعصيه. اني استميح اخواني من القراء مقدما عن كل ما يمكن ان يزل به قلم هذا العبد المفتقر. و اما ان قلتم : و لماذا لا تكف عن الكتابه و تضع الموضوع جانبا ؟ فجوابي هو : ان كلب اهل الكهف نال شرف ان يخلد اسمه في كتاب الله تعالى فقط لانه صاحب فتيه من اهل الايمان المستنيرين، و لم يمنعه ان يقول " انى لي و انا كلب بيني و بين هؤلاء الفتيه مراتب لا تحصى، ان اتجرأ و اصاحبهم و الازمهم ". و ان الفقير لا يمنعه ان يمد يده الى الملوك ان يقول "انى لي و انا فقير معدم ان اتجرأ و اطمع في صله هؤلاء الملوك و بيني و بينهم مراتب لا تحصى". فان كان هذا حال كلب اهل الكهف، و هذا حال الفقراء، و كما يقول الحق تعالى "انما الصدقات للفقراء " ، فاني لارجوا ان يفتح علينا الله تعالى و يتصدق علينا و ان يمن علينا بشرف ملازمه نبيه الاكرم و حجابه الاعظم و ترجمانه الاكمل، و ان كان بيننا و بينه مراتب لا تحصى. و على كل حال، فان يونس خرج بسر " لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين" و نحن لا نجد بدا من القيام بهذا الامر خدمه لهذا النبي و خدمه لهذا القرءان و حبا في امته. و ليس امامي الا ان اقدم هذا الكتاب لسيدي رسول الله و اقول له " يا ايها العزيز، مسنا و اهلنا الضر و جئنا ببضاعه مزجاه، فاوف لنا الكيل و تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ".

......

(منهج الدراسه)

يوجد اكثر من طريقه يمكن ان ندرس بها هذا الموضوع. فقد نبدأ بدراسه كل روايه منفرده، و بعد ان نفرغ من كل المرويات التي اخترناها نبدأ في تركيب النتائج و رسم الانماط و تحديد الحقائق ، ثم ننظر في النتائج بعد التركيب. هذه طريقه من الكثره الى الوحده، و قد نقارب الموضوع من الوحده الى الكثره، بمعنى ان ننظر في كل الروايات مجتمعه بنظره ستكون بالضروره اقرب الى السطحيه ، فناخذ ما نراه في سطوح الكلام النبوي و نشكل منه مواضيع و درجات في البحث، ثم نغوص في كل موضوع استنتجناه من النظره الشموليه للمرويات. و يوجد طريقه ثالثه و هي ان نجعل الكتاب على مراحل و اطوار. من البساطه الى التعقيد. فنبدأ بذكر المعاني السطحيه للمرويات في المرحله الاولي، و هي المعاني التي تتبادر للعقل في بادئ الرأي. ثم ناخذ الروايات كلها مره اخرى في المرحله الثانيه و نحللها و نفككها فننقدها و نعللها و نستخرج اهم ما فيها و نتاوله بحسب المستويات العاليه للتاويل. و هكذا يوجد اكثر من طريقه و كلها خير و نور. فايها نريد ان نسير عليه في هذا الكتاب ؟

بالنسبه لي، لطالما اغفلت الامور التي تستحق المعرفه في الكلام الالهي و النبوي و العرفاني بسبب النظره السطحيه لهذا الكلام. فنظن ان المقصود و الجوهر هو عين القشر و المظهر. و ان كان الكلام الالهي و النبوي يحوي جواهر في سطوحه كما يحويها في بطونه و لوازمه و مفترضاته. الا ان العلم الحق للراسخين انما هو في ما وراء طبيعه السطور. هو في الهيكل الداخلي للمحتوى النصي و في العلاقات بين المضامين و الكلمات و الافكار. بالاضافه الى الروح العامه التي تحيط بالنص. و من طول معاشره هذا الكلام المتعالي نكتشف اننا لن نستوعب المقصود الا بعد تحليل و تعليل و تاويل النص الموجود المحدود. و ان كان "المقصود" ليس معنى واحدا، و انما هو مستويات من المعاني، بل ان السعي و الدراسه مقصوده لذاتها بغض النظر عن نتيجتها و ثمرتها- على احد الاعتبارات. و لهذا لست اجد ثقه بالمعنى الذي يتبادر للذهن من قراءه النصوص عموما و النصوص النبويه خصوصا. ان النص الذي يتم استهلاكه بمجرد قرائته لهو نص في اسفل سلم الكشوفات و الابداعات الانسانيه.

و لهذا سنتخذ الطريق التالي- بعون الله و مشيئته : سننظر في كل روايه على حده. حتى نمر على كل الروايات. و هذه هي المرحله الاولى. و في المرحله الثانيه سننظر في ما يمكن استنباطه و تركيبه من ما عرفناه في المرحله الاولى. و في المرحله الثالثه نريد ان نحدد اعمالا فرديه او اجتماعيه يجب على الامه المحمديه ان تقوم بها او تحسنها او تزيلها و تمحوها من واقعها الحالي و ما سوى ذلك من امور و لوازم تقتضيها الافكار التي تم استخراجها من مضامين الكلام النبوي.

اما الروايات فلن نعلق عليها من حيث السند و ما اشبه. و انما سناخذها على ما هي عليه. لاسباب كثيره لسنا بحاجه الى تعدادها لان مضمون الروايه سيتبين من درسها في ذاتها و لاهل القرءآن و العقل المسلم قوه تكشف عن نسبه الكلام و مقامه بدون الحاجه الضروريه الى البحوث الشكليه، و لهذه البحوث اهلها و لسنا منهم ، فمن شاء ان يراجع فليراجع الامر عند اهله و في مظانه.

و تسلسل ذكر الروايات ليس لنا فيه نيه خاصه ، و انما سنذكرها على ترتيب تدوينها حين جمعناها من مصادر شتى. اذ الترتيب ينبغي ان يكون بناءا على معرفه مضامين الروايات، فيتم الترتيب مثلا بناءا على العامل المشترك بين مجموعه من الروايات، و اني شخصيا لا اقبل مثل هذه الترتيبات الاختزاليه او لا استحسنها في مثل هذا المقام. و ذلك لامرين: نحن نفترض اننا لا نعرف ما هو مضمون الروايه الا بعد دراستها و هو ما سنقوم به هنا، و بالتالي لن نستطيع ان نرتبهم قبل درسهم. و ايضا لاننا لا نحب ان نختزل المعاني الواسعه التي يشتمل عليها الكلام النبوي فنفترض ان المعنى هو كذا و المقصود هو كذا، و نجمع بناءا على اساس هذا الكذا. لا يوجد "مقصود" واحد في الكلام النبوي، و في كل كلام من هذا المستوى او قريب منه. الروايات محمله بالكثير جدا من المواضيع و التفاصيل و المفترضات و اللوازم، و نحن لا نعرفها كلها و قد لا نستطيع ان نحيط بها. هذا كمن يريد مثلا ان يجمع الايات القرءآنيه التي تحتوي على "موضوع" واحد. و كأن للايه القرءآنيه موضوع واحد ! نعم ان هذا الجمع اختزالي و قد يكون ضروري من حيثيه معينه و في ظرف معين. و لكن ينبغي للعالم و المفكر ان يتذكر و يقر بانه يختزل الامور، فلا يقع في محظورات معرفيه بسبب ذلك. فمثل بسيط: ما هو موضوع الايه القرءانيه " قل هو الله احد " ؟ النظر السطحي سيقول : ان موضوعها هو اثبات احديه الله. و لكن النظر الادق قليلا سيقول : ان موضوعها التذكير باحديه الله و اثبات وساطه الفيض المطلقه للنبي لانه بدأ ب " قل " فحتى احديه الله يتم كشفها و اثباتها للناس بوساطه ذات النبي و قلبه الاشرف. و لم يقل "بسم الله الرحمن الرحيم. هو الله احد". فياتي صاحب نظر اشد دقه و اعمق و يقول: ان موضوعها فتح باب البحث عن ماهيه الوجود، و مستويات العلاقات بين الكائنات و المخلوقات ، و اعطاء فرضيه عن وجود طبقيه وجوديه تبدأ بعين الوحده الجامعه و تنتهي عندها و تمر بتنزل المخلوقات و ابتعادها من المبدأ الاعلى الاول. و هذا مجرد تمثيل بسيط ل "موضوع" كلمه الهيه. و من هنا قيل " لو كان البحر مدادا لكلمت ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمت ربي و لو جئنا بمثله مددا ". و اما ظاهر كلمت الله و كتابه فها هو محدود معدود فلا يحتاج حتى الى بحيره من المداد لنفاده و كتابته من اوله الى اخره !

نعم، انه لا كلام مثل كلام الله، و لكن كلام النبي و العلماء العرفاء الاولياء لهم صله خاصه بهذا المصدر اللانهائي في البسط، و لذلك لا نستطيع ان نحدد مواضيع كلماتهم الا بعد القيام بعمليه اختزاليه ، و الاختزال احدى صور "الكفر" عند اهل المعرفه. ليس كفر الايمان و المله، و انما كفر الادراك و المعرفه. اذ الكفر هو الستر و التغطيه. و المستور جزء من الغير مستور، و انما هو جزء غير معترف به لسبب او لاخر. و احدى هذه الاسباب هو الاختزال في سبيل تحديد موضوع لمضمون الروايات مع الغفله عن باقي المضامين. و كما ذكرنا و نعيد: يجب ان نقوم بستر معين في كل دراسه لها موضوع معين. فها نحن سننقل هذه الروايات على اعتبار ان موضوعها متعلق بالقرءآن و شؤونه حصرا. و هذا من الضرورات الوجوديه، اذ لا يستطيع الانسان ان يسكن في جنه الا بعد ان يختار ان لا يسكن في جنه اخرى. فعندما يقول الحق تعالى ان الذين ءامنوا و عملوا الصالحات " في روضات الجنات ". كيف يكون الفرد الواحد في "روضات" متعدده ؟ احدى النظرات تقول : لانه يترك جنه و يذهب الى جنه اخرى، مع اقراره و معرفته بوجود الجنه التي تركها. و كذلك في دراسه الكلام الالهي و النبوي، فنحن نعترف بوجود باقي الابعاد و الاعماق في نفس الكلمه، و لكننا لسبب السعي في ادراك احد هذه الابعاد و الاعماق نضطر الى ترك باقي الابعاد، مؤقتا. فلتبق هذه الملاحظه في وعي القراء الاعزه.
و الان بعد هذه المقدمات، لندخل في صلب الدراسه، فتعالوا ننظر...

١- " فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ".

ما هو فضل الله على خلقه ؟ التمثيل يكون بتمثيل او تشبيه الابعد عن الفهم بالاقرب للفهم، اي بالنسبه لفهم السامع او القارئ. فان اراد شخص ان يقرب لك صوره سيدنا محمد، فقال لك ان سيدنا محمد يشبه سيدنا ابراهيم ، فان هذا لا ينفعك في شئ ان لك تكن ممن يعرف ما هي صوره سيدنا ابراهيم. فتشبيه المجهول بالمجهول لا نفع فيه. و تشبيه المجهول كليا بالمعروف جزئيا يقرب شئ من حقيقه المجهول. و لكن كل تمثيل و تشبيه يحجب. لانه تعريف شئ بغيره و ليس تعريفه بذاته. الكلمه تريد ان تكشف عن " فضل كلام الله على سائر الكلام ". و بدل ان تحدد هذا الفضل فتقول هو في كذا و كذا. فانها اختارت ان تستعمل لسان التشبيه فتقول " كفضل الله على خلقه". فقارنت ذات بذوات. فمن اجل ان تبين عن نسبه الكلام للكلام استعملت نسبه الذات للذوات. و بناءا على قاعده : التمثيل ليكون نافعا يجب ان يكون بتمثيل الابعده عن الفهم بالاقرب للفهم. يكون المعنى هو التالي : معرفه الانسان لذات الله اقرب اليه من معرفه كلام الله. و هذا من العجائب. فان المفترض بحسب الوعي العادي ان تكون ذات الله اعز منالا و ابعد عن الفهم من كلام الله. و لكن هذه الكلمه النبويه تبين العكس. فتقرر بان معرفه الانسان بذات الله اقرب اليه من معرفته بكلام الله. و على هذا يتاسس ادراك الانسان ان هذا او ذاك الكلام هو كلام الله ام ليس بكلامه جل و علا. لان الذي يعرف الذات يعرف التجليات. و من هنا قيل "اعرف الحق تعرف اهله". و بناءا على ذلك ، من لا يعرف الله لا يعرف كلام الله. فالامر ليس من الكلام الى المتكلم، بل من المتكلم الى الكلام. من الأعلى الى الادنى.

نعود، فنتسائل: ما هو فضل الله على خلقه - اي من حيث الذات ؟ فالكلمه النبويه تقول "كفضل الله على خلقه " و لم تقل : كفضل قوه الله او كفضل علم الله او كفضل اي حيثيه اخرى من حيثيات الله تعالى كالاسماء و الافعال. و كلمه "فضل" توحي بوجود تشابه بين الفاضل و المفضول، و توحى كذلك بوجود افتراق بين الفاضل و المفضول. و يشهد لهذا الفهم العقل المحض الذي يقرر بان الوجود من حيث هو مفهوم واحد و كل ما يصدر عن الوجود الحق سبحانه انما هو صدور "عنه" سواء كان هذا الصدور خلقا اراديا ام فيضا ضروريا، على كلا الاحتمالين يكون صدور عنه و فيه ، و بهذا يكون نوع امتداد له او تجلي له و فيه من اثار ذات ربه. و يشهد القرءآن لهذا في كثير من اياته و من اهمها " هو الاول و الاخر و الظهر و الباطن" و كذلك " و لم يكن له كفوا احد" و الكفؤ يشير الى كلا المعنيين المتلازمين ، اي حيثيات الاشتراك و الافتراق بين الله تعالى و بين خلقه. و تجد لهذا شاهد من نفس الكلمه النبويه محل الدراسه. لان "كلام الله" و "سائر الكلام" بينهما امور مشتركه كما ان بينهما امور مختلفه. فمن الامور المشتركه: صوره الكلام و الاحرف العربيه او اللغويه بغض النظر عن اللغه ، لان عباره "سائر الكلام" تعني كل كلام على الاطلاق و ليس كلام الناس فقط و بالتاكيد ليس كلام العرب فقط، فيدخل في ذلك كلام الملائكه و الجن و كل من يدخل تحت مسمى "خلقه" و الذي هو كل من سواه ، لان كل ما سواه فهو من خلقه تبارك و تعالى. فكل الصفات الذاتيه للكلام من حيث هو كلام، اي سمات الكلام، مشتركه بين كلام الله و كلام خلقه. فالكلام حقيقه واحده من حيث الجوهر، و ان اختلفت او فقدت احدى هذه السمات فان الموضوع لا يصبح "كلام" و انما يصبح امر اخر. و اما الاختلاف في الحيثيات العرضيه فهنا محل الافتراق بين كلام و كلام. كقولنا : كلام فلان بليغ و اما كلام علان غير بليغ. او كلام فلان عربي و كلام علان اعجمي. او كلام فلان مفيد و كلام علان مضر. و نحو ذلك. فما الفرق بين قول الله تعالى " و

الشمس و ضحاها " و بين قول انسان " الشمس لها ضحى " ؟ الحروف العربيه المستعمله في كلا الكلامين هي هي، فهذه حيثيه مشتركه. و قل مثل ذلك في باقي السمات.
و مثل ذلك يقال في وجود الحق و وجود الخلق. و السؤال الان : ما هو الفرق بين الله و خلقه ؟
الفرق الاول : الخلق مظهر تعينات اسماء الحق. فاسماء الله الحسنى هي التي عنها نشأ و ينشأ الخلق كله. فالله هو المصدر، و الخلق هو الصادر.
الفرق الثاني: الله محيط بكل الخلق. اي الله هو الكلي و اما الفرد من الخلق دائما جزئي. هذا من حيث الوجود كما انه من حيث القدره. فوجود كل مخلوق محدود بحدود معينه اي من حيث هو مخلوق. و قدرته ايضا محدوده الفاعليه في نطاق معين و في امور معينه، تزيد و تنقص من مخلوق لاخر، و لكن في كل الاحوال هو محدود القدره. فحتى ان تحقق قوله تعالى في الانسان في الاخره " لهم ما يشاؤون فيها " فان هذه المشيئه و ان بدت مطلقه في النص، الا انها محدوده بنصوص اخرى و من حيث الواقع، فان مجرد نسبته هذه المشيئه الحره ظاهرا الى "لهم" ، اي "لهم ما يشاؤون" ، فان هذه ال "لهم" تحد، لان مدلول "لهم" محدود. و لا يستطيع الانسان ان يشاء مثلا ان يدخل احد اهل الجنه الى النار ، لان المشيئه الحره للذي يريده الاول ان يدخله الى النار ستشاء في الاتجاه المعاكس و تتضارب المشيئه، و لو نظريا. و كذلك لا يستطيع الانسان ان يشاء ان يتغير واقع الله مثلا، كان تبطل فاعليه اسم او اسماء من اسماء الله تعالى. و غير ذلك من حدود. فالانسان- كباقي المخلوقات- مهما فعلت و في اي مقام ارتقت، فانهم كلهم في نهايه المطاف، بل و اوله، عبيد و عباد لله تعالى. و لا يوجد اي مشيئه او رغبه او امنيه او فلسفه يمكن ان تغير من واقع عبوديه الانسان و كل الخهلق لله- لله الحق الذي هو الواقع كما هو و الواقع كما سيكون و يمكن ان يكون و هو ممد الكل. فهذه الاحاطه الذاتيه لله، " و الله بكل شئ محيط " ، تعني ان كل شئ مفتقر و عبد ذاتي لله. و الذاتيات لا تزول و لا يمكن ان تزول. و من هذه الحيثيه نفهم لماذا جمعت الكلمه النبويه بين كل الخلق بغض النظر عن مستواه في العوالم او درجته و سعته او كونه حاضر او ماضي او مستقبل ، فكل ما سوى الله داخل في مسمى "خلقه "و له نفس الاعتبار بالذات. و ان كان الاعتبار مختلفا بالصفات و الفاعليات و المستويات. فمن يعلم ليس كمن لا يعلم، و من يقدر ليس كمن لا يقدر. و ان كان الكل عباد الله و خلقه. و من هنا العلاقات و الوسائط. فالذي يطعن في اصل الوساطه بين اسماء الله و المخلوقات التي تتدرج في القرب منه نزولا الى اسفل سافلين، بحجه استواء الكل في الخلقه - اي من حيث الذات- يشبه من يسوى بين كلام الله و سائر الكلام بحجه ان كلاهما حروف عربيه لها دوال و مدلولات و لوازم و مستدعيات و مفترضات. بل كمن يساوى بين قوه علي بن ابي طالب و قوه طفل رضيع بحجه ان كلاهما عبد لله و بالتالي لا تجوز الاستعانه بعلي في الحروب و تفضيله في الاستعانه و الاستمداد على الطفل الرضيع اذ كلاهما عبد لله مفتقر اليه ! لا تخلط بين المقامات و الاعتبارات، و لا تخلط بين وجهات النظر حتى لا يقع اختلاف لا محل له اصلا. كمن ينظر الى وجه الفيل، و اخر ينظر الى رجل الفيل، هذا يصف الوجه، و هذا يصف الرجل، كلاهما على حق ، الاختلاف يبدأ عندما يقول احدهما ان وصفه لبعض الفيل هو وصف لكل الفيل. علينا ان نقف في نفس الموقف حتى لا نختلف. فالكل عباد الله على قدم سواء من حيث الذات، و اما الكل مختلف عن بعض من حيث الصفات و الفاعليات. فاذن، الفرق الثاني هو في ما يمكن ان نسميه : السعه. اي سعه الله تختلف عن سعه المخلوق. الاولى اعظم من الثانيه.
الفرق الثالث: بقاء الله- من حيث هو- دائم و بقاء الخلق- من حيث مخلوقيته- منقطع. اذ " كل شئ هالك الا وجهه ". فالخلق هالك الان و يهلك في كل لحظه، و سيهلك كليا ان اراد الحق تعالى.
فالثبوت لله تعالى لا يعتمد على شئ، اي هو ليس بمستفاد من غيره. و اما ثبوت الخلق فيعتمد على

غيره، و في التحليل النهائي يعتمد على الله، و اما من حيث المظهر و الاسباب فانه يعتمد على الغير دائما، فالانسان مثلا يعتمد في بقائه الجسماني على عوامل كثيره كالاكل و الشرب و النوم و نبض القلب و جريان الدم و التنفس و هذا يلزم منه النقاء الكافي للجو و الهواء، و هذا يعتمد على عوامل كثيره منها عوامل طبيعيه و منها عوامل بشريه ، الى اخر هذه العوامل. و قل مثل ذلك في باقي مستويات وجود الانسان. فالله يثبت بنفسه، و الخلق يثبت بغيره سواء كان الغير خلقا ام حقا. و هذا من العبوديه الذاتيه للانسان المخلوق، اي افتقاره الى غيره في ثبوته و نمائه.
الفرق الرابع: علم الله مطابق للواقع، و علم الخلق قد يخالف الواقع. و هذا ظاهر بنفسه. اذ الواقع كله انما هو عين علم الله او تعين علم الله، و اما بالنسبه للخلق و الانسان خصوصا فان الواقع- اي جزء منه- دائما يكون موضوعا للفهم و مقاربه ادراكه بوسائل التفكير و الحدس و التجربه و التخمين و المكاشفه و نحو ذلك. فالواقع ككل ذاتي لله، و موضوعي للانسان. لذلك يقول القرءان " العلم عند الله " لان المعلوم من الله. و لهذا يكون وصف الله لامر مطابق لهذا الامر في عينه. و اما وصف الانسان المخلوق لهذا الامر قد يطابق و قد يخالف، و قد يطابق من جهه و يخالف من جهه، و قد يخترل و قد يحيط بما يتناسب مع مستواه و حدوده. فوصف الله مطابق للموصوف حتما، و وصف المخلوق لا حتميه فيه.

فلنكتف بهذه الفروق الاربعه فهي اهم الفروق. اي المصدريه و الاحاطيه و الثبوتيه و العلميه. فالاشياء تصدر عن الله، و هو محيط بها، و ثبوته في نفسه لا يعتمد على شئ غيره، و علمه ووصفه مطابق للموصوف مطابقه حتميه.
و الان، ما محل هذا في هذا القرءان ؟ تنزيل هذه المعاني على المقارنه بين هذا القرءان و سائر كلام الناس يقتضي امرين: اولا ان ندرك ان كل ما ينتمي الى هذا المستوى من العوالم لا يكون مطلقا بنفس اطلاق الحقائق في المستويات الاعلى. و هذا يعني ان ندرك ان للقرءان مستويات متعدده في الوجود. و هذا القرءان العربي هو مظهره في هذا العالم الانساني بحدوده. و لذلك تجد بعض الايات تقول " هذا القرآن " كقوله " ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم ". و ايات اخرى تقول " القرءان" فقط كقوله " الرحمن. علم القرءان " . و ايات اخرى تقول " ذلك الكتاب " كقوله " ذلك الكتاب لا ريب فيه ". "هذا القرءان " تعني وجود اكثر من قرءآن في هذا المستوى، بدليل " هذا " ، فلو لم يكن الا واحد لما وجد معنى في عباره "هذا". فمثلا : ان لم يوجد الا كاس واحد على المائده ، و اراد شخص ان يطلب منك ان تاتيه بالكاس، فانه سيقول لك " اعطني الكاس ". و لكن لو وجدت عده كؤوس على المائده، فانه ان قال لك " اعطني الكاس " غير بليغ ، لانك سترد " اي كاس منهم ؟ ". نعم اذا قال لك "اعطني كاسا " فان اي كاس منهم سيؤدي الغرض. فالايه حين تقول " ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم " فهي تصف شئ يمكن ان يوجد غيره من نفس جنسه او من نفس نوعه و كتعدد الكؤوس على المائده. و المقصود ب "هذا القرءآن " هو هذا القرءان العربي. و اما قوله "القرءآن" فهو الحقيقه العليا للقرءآن، " و انه لفي ام الكتب لدينا لعلي حكيم" و " و انه لقرءآن مجيد في لوح محفوظ" و " و انه لقرءان كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون". و هذه الايه الاخيره ايه خبريه و ليست ايه تشريعيه من حيث الاصل ، و بديهي ان هذا القرءان العربي يمسه و يمكن ان يمسه حتى انجس البشر . و اما "ذلك" فتشير الى مستوى اخر، و هو المستوى الذي تتنزل منه كل الكتب كالزبور و الانجيل و القرءآن و ما سواهم. و هو مستوى "ام الكتب". هو الام لانه منه تبرز الكتب كبروز الاولاد من رحم الام. و ابو الكتب هو رب الكتب كلها اي الله تعالى من حيث اسمائه المختصه بهذا الشأن. فبعض الاسماء تنتج كتب غير بعض الاسماء الاخرى. و لذلك القرءان

و هذا القرءان من حضره الرحمن و الرحيم. و من هنا ابتدأ كتابنا العزيز ب "بسم الله الرحمن الرحيم". و من هنا قال "الرحمن علم القرءآن" و لم يقل "المنتقم علم القرءآن" او "الملك علم القرءآن" و ما سوى ذلك من اسماء حسنى، و ان كان كل اسم يحتوى على كل الاسماء لان الله تعالى حقيقه واحده باعتبار النفس الواحده. "و يحذركم الله نفسه " و لم يقل : انفسه. و لكن كل اسم هو سيطره او سلطان سمه على باقي السمات بحيث تكون تحتها و محكومه بها. فاسم "الرحمن" يتضمن اسم القهار و الجبار و المنتقم، و لكن كل هؤلاء محكومين بالرحمه و الغايه منهم هي الرحمه ، فالرحمه مبطنه فيهم. و من هنا قال " كتب على نفسه الرحمه " و "كان بالمؤمنين رحيما ".
فاذن ، عندما نقول ان كلام الله يفضل كلام خلقه كما ان نفس الله تفضل نفوس خلقه، اي من حيث الفروقات، و خصوصا الفروقات الاربعه التي ذكرناها، فانه يجب ان يتم تحديد اي مستوى هو الذي ننزل عليه هذه المعاني. "كلام الله " في العباره النبويه لا تختص بالقرءآن فضلا عن هذا القرءآن. النبي لم يقل " فضل القرءآن على سائر الكلام " او "فضل هذا القرءآن على سائر الكلام ". و لا يوجد سياق في الروايه يحد و يشير الى هذا المعنى. فالروايه تبين امر كلام الله بالمطلق، و تبين ان كلامه تعالى يحتوى على سمات من نفسه، خصوصا السمات التي تفرقه عن خلقه ، والتي من اهمها الفروق الاربعه التي ذكرناها.
و الامر الثاني هو انه يجب ان نتذكر ان تاويل المثل يعني اخذ لبعضه و نبذ لبعضه. فالتمثيل عموما و بالضروره يحوي سمات من الممثل به لا تتطابق كليا مع الممثل له. و لا يوجد شيئين مختلفين متطابقين من كل الجهات، هذا بديهي، اذ لو كانا متطابقين من كل الجهات لكانا شئ واحد، و لما احتجنا الى التمثيل لاحدهم بالاخر لتقريبه الى الافهام او لمعرفته اصلا. فعندما يمثل النبي ل "كلام الله" ب "الله"، فان هذا التمثيل بالضروره سيحمل بعض الجوانب التي لا يمكن ان يتحملها تاويل هذا التمثيل. لا يوجد تمثيل كامل. التمثيل يختزل و يحرف و يزيد بالضروره. فمثلا، اذا نظرنا الى قول القرءان " و الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفاه حسابه ". فهنا يتم التمثيل للاعمال المنسوبه الى كفار، بانها كالسراب. لا يمكن بحال من الاحوال ان تتطابق كل صفات السراب مع كل صفات اعمال الكفار. كان يقال ان السراب يتكون لاسباب طبيعيه خلقها الله لا يد للسراب فيها، و بالتالي اعمال الكفار ايضا تكونت لاسباب طبيعيه خلقها الله لا يد للكفار فيها، و بالتالي لا يكون من العدل ابدا ان يحاسب الله الكفار و يجازيهم على اعمالهم لان الله هو الذين خلقها فيهم و لا يد لهم فيها كما اشار اليه ابليس " رب بما اغويتني " بحسب نظره معينه لقول ابليس هذا. فالمثل ضرب ليقرب بعض المفاهيم دون بعض. و تحميل المثل فوق طاقته هو من تحريفه عن غايته. كان يقول اب لابنه : احضر لي الشئ الفلاني باسرع ما تستطيع. فيركب الابن السياره و يقود باسرع ما تستطيعه السياره، فيقع له حادث و يموت. العبارات و التشبيهات يجب ان تفهم في سياقها الخاص و سياقها العام و بحسبب الحدود التي ترسمها و توحي بها الكثير من الامور كشخصيه المتحدث و غايته من الحديث و عادته في التعبير و نحو ذلك و غيره.
فالخواص المصدريه و الاحاطيه و الثبوتيه و العلميه لكلام الله عندما يتم يتنزيلها على "هذا" المظهر من كلام الله او ذاك، يجب ان نتذكر ان التنزل عمليه تحد المتنزل.

فمثلا، ان قلنا ان هذا القرءآن العربي محيط بكل شئ، فهل هذا يعني ان نطلب منه مواضيع و تفاصيل الطب و علوم الفيزياء و الكيمياء و غيوب المستقبل لهذا الفرد او ذاك على التعيين ؟ فعباره "كل شئ" تحتمل "كل شئ". و هنا يجب ان نتذكر ان التنزيل يحد المتنزل، و السياق العام و الخاص

يحد العباره المطلقه ظاهرا. فعندما يقال ان " القرءآن فيه كل شئ". يمكن ان تفهم هذه العباره على المستوى العرشي او تحت عرشي، فنفهم ان المقصود هو القرءآن الالهي، و ليس هذا القرءان العربي. و يمكن ايضا ان نفهم منها ان "كل شئ" تعني كل ما يحتاج ان يعرفه الانسان ليكون انسانا كاملا، فتكون "كل شئ" محدوده بالمتلقي للخطاب، و غايه كل مخلوق في نهايه المطاف هي تحصيل كماله الشخصي. و قد نفهم "كل شئ" على انها تعني بوابه كل شئ، فنهم في هذا القرءآن كل شئ لانه لم يدع موضوعا الا و طرقه او اشار اليه، سواء فصل فيه ظاهرا او باطنا او اشار اليه او شرع امرا يتضمن شرحه او يتضمن لزومه.

و كذلك في الخاصيه المصدريه، فكلام الله هو اصل العلوم و المعارف كلها، و بالتالي يكون هذا القرءآن حاويا للامثال و الانماط و الحقائق الاساسيه و المبادئ المقدسه التي يسير عليها الوجود كله من اعلاه الذي هو الله تعالى الى اسفل سافلين بحر الظلمات.

و الخاصيه الثبوتيه، اي ان كلام الله ثابت بذاته مقيم لغيره، يكون تاويلا في هذا القرءآن ان هذا القرءان و ان كان القارئ له يحتاج الى غيره من باب تعلم اللسان العربي، فان هذا القرءآن ثابت بذاته بمعنى ان دليل اثباته موجود فيه و مضامينه و اياته و روحه هي التي تكشف عن حقيقه قيمته و رتبته، و هو غير مفتقر الى كتب غيره و لا اي شخص لان يضيف اليه ما يكمله او يمده بسبب بقائه. و من صور ثبوته الغير مفتقر الى شخص او اشخاص بعينهم، هو ان هذا القرءان لم "ينقله" الينا احد سوى رسول الله صلى الله عليه و سلم. و من سوى الرسول الاول عليه السلام، فانه لا يوجد اي فرد من الناس اليوم و لا في السابق يستطيع ان يقول انه هو او هو و فرقته هم الذين حفظوا القرءآن لهذه الامه. القرءآن كالكعبه : موجود و ليس منقول. فلا يوجد افراد معينين يستطيعوا ان يدعوا انهم حفظه هذا القرءآن و ان لهم المنه على بقيه الناس بانهم حفظوه لهم. و ما يقال بهذا الخصوص من قبل البعض في حق عصر ما من العصور الغابره لا وزن له. و لهذا لا نجد اليوم بيننا نسخه النبي عليه السلام من القرءآن. لانه لو كانت للنبي نسخه لاضطر ان يستودعها عند فرد او جماعه، و لكان الحفظ موكولا اليهم، و لوقع الشك في كل ما بيد باقي الامه من كتب او محفوظات من القرءآن، اذ ما ادرانا لعل هؤلاء غيروا او نسوا او حرفوا لسبب او لاخر، عن عمد او عن سهو. هذا القرءآن نزل على النبي ثم نشره النبي في كل القوم، و بقي الى يومنا هذا محفوظا كاملا من قبل المجموع الذي لا تعد افراده باعيانهم، و انما هو ثابت بالله تعالى. " انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون ".

و الخاصيه العلميه الوصفيه، فانها تتمثل اشد ما تتمثل في قول القرءان " سنريهم ءاياتنا في الافاق و في انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ". و هذا القرءآن امثال و كشف عن علاقه امور ببعضها و ذكر للخواص الذاتيه لبعض المخلوقات او الكائنات و ما يصدر او يمكن ان يصدر منها و عنها و بها. و كل هذا وصف يفترض انه يطابق الواقع الموصوف. و بالتالي تزداد قيمه القرءان عند الانسان عندما يتبين له صدقيه هذه الاوصاف و دقتها اي مطابقتها للواقع الذي تصفه بحسب الواقع الذي تصفه و ما يناسبه من وسيله اثبات التطابق بين الكلام و المتكلم عنه.

و يوجد خاصيه خامسه و هي الوحده الجامعه. فالايه تقول " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ". ما معنى الاختلاف هنا ؟ هل هو اختلاف من حيث المظهر او من حيث الجوهر ؟

اما من حيث المظهر فيوجد اختلاف، و هو اختلاف حتمي، فالقرءان مواضيع مختلفه و عبارات مختلفه، و احكام مختلفه لامور مختلفه. ثم ان عوالم الخلق مختلفه بطبيعتها، فاي حرج في ان يكون كلام الله الذي يصف و يتعامل مع هذه العوالم ايضا مختلف بطبيعته ؟ الجواب: المختلف بسبب تعدد الغايات شئ، و المختلف بسبب تعدد المظاهر شئ اخر. فالخلق كله مختلف، و هو من سماته الذاتيه. اذ خالقه تعالى متعدد الاسماء الحسنى، و هذا يلزم عنه الاختلاف في التعينات. فالماء الذي ينزل من السماء يخرج ثمرات مختلف الوانها. فمن ينظر الى الثمرات المختلفه لونا و طعما و تركيبا قد يستنبط بناءا على قياس غير سليم ان خالق هذه الثمار ايضا مختلف في ذاته. و لكن "الماء" الذي هو سبب ظهور كل هذه الثمار المختلفه هو ماء واحد، "يسقى بماء واحد" و هذا لا يعني بطلان "نفضل بعضه على بعض في الاكل". فالوحده عين الكثره. الوحده الجامعه لكل الكثره و المسببه لظهورها. و كذلك الله تعالى في علاقته بالخلق. فالله واحد ، و لكن ليس واحد بمعنى انعدام الكثره فيه جل و علا، حاشا، و من اين جاءت الكثره اذن ! و هل الاسماء الحسنى الا كثره . الفرق هو في الجامع بين هذه الكثره. الجامع الباطني لها. و كذلك في تقرير الحق تعالى " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " فهي تكشف عن علاقه وجوديه. اي كل ما سوى الله في ذاته، اي "غير" الله، فالكثره لازمه عنه لزوما ضروريا. و من هنا نعرف الوجه الاول للوجود، و هو الطبقيه التي يمكن ان نمثل لها بمثلث، راسه واحد، و قاعدته كثره. و كلما ازداد بعد الطبقه عن الواحد الاعلى ازدادت الكثره. و لكن هذا هو الوجه من اعتبار. و الوجه الثاني للوجود نفسه، هو ايضا يمكن ان نرمز له بمثلث، الا انه مثلث مقلوب، فراسه الكثره و قاعدته الوحده. و على هذا الاعتبار يكون الراس هو الكثره المتوحده، و السعه المطلقه ، و البسط الالهي. و كلما تنزل الامر من عنده سبحانه ازداد ضيقا و ضيقا و انحصارا حتى يصل الى اسفل سافلين "و ضاقت عليهم الارض ". فعلى اعتبار المثلث الذي راسه واحد و قاعدته كثره، يكون الواحد رمز على ذات الله من حيث هو، و القاعده الخلق من حيث هو. و على اعتبار المثلث الذي راسه كثره و قاعدته وحده، تكون الكثره رمز على الاسماء الحسنى، و القاعده اسفل مخلوق ممكن و هو الخالي من الصفات و السمات كاكثر ما يمكن - اذ لا يمكن ان يخلو مخلوق عن سمه ما، و هذا هو العدد المحض. فالايه حينما تقول " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" عن اي الوجهين تتحدث ؟ ظاهر انها تتحدث عن الله باعتبار الوحده، و غيره باعتبار الكثره، و بالتالي تتحدث من موقف الوحده الباطنه لله تعالى.

قد يكون الكلام من عند غير الله ، اي من عند انسان ما ، و مع ذلك يكون وحده موضوعيه واحده لا تناقض فيها (على اعتبار ان الاختلاف هنا يعني التناقض في اغراض الكتاب). فما اكثر الكتب التي يكتبها بعض الناس و تكون وحدتها الموضوعيه و دعوتها واحده. فهل هذا يعني ان هذه الكتب من عند الله ؟ و قد يختلق انسان كتابا و ينسبه الى الوحي الالهي و مع ذلك يكون ذو وحده موضوعيه غير متناقضه و لا يكون فيها تناقض ظاهري ليس قابلا للحل عن طريق نسبه بعضه الى ظرف دون ظرف او نسخ بعضه لبعض و ما اشبه من وسائل يتم بها اثبات الوحده الموضوعيه للنصوص المختلفه في مضامينها ؟ ثم ان كان الكتاب متوجه لكل الناس، و للناس اغراض متعدده، و كمال انسان ليس ككمال انسان اخر من كل الجهات الصافتيه ، و ان كان كذلك من حيث اللب، لان كمال الانسان من حيث هو انسان هو كمال واحد. فاي حرج في تعدد اغراض مثل هذا الكتاب تبعا للتعدد المظهري لغرض المخاطبين بهذا الكتاب ؟ و من زاويه اخرى: فان تعدد فهم القراء للقرءان سيؤدي و قد ادى الى تعدد فهمهم لاياته ، فيختلفون في فهم اياته، و لكل منهم حجه جيده في اثبات موقفه ، فهذا ايضا اختلاف.

ثم ان كان كل من هو غير الله انما هو تعين لاسماء الله، و من فعل الله، فما معنى التفريق بين ما هو من "عند الله" و ما هو من "عند غير الله" ؟

الجواب يبدو انه التالي: بما ان للوجود و عوالم الخلق طبقات و درجات، و الله تعالى هو "رفيع الدرجات" و ليس : رفيع الدرجه. و يوجد سموات سبع و اراضين سبع، و مستويات فوق سماويه و التي هي الدرجات العرشيه. فان كلام الله يعني الكلام الغير محصور في رتبه معينه من رتب الوجود، بل هو يتحدث عن رتبه الله تعالى من حيث المبدأ. فمثلا، عندما تاخد كتابا في الطب كتبه احد علماء الغرب، لن تجد في هذا الكتاب كلاما عن الله تعالى و شؤونه الذاتيه و الاسمائيه من حيث النص، و لن تجد كلاما عن العوالم العرشيه و العوالم السماويه، بل و قد لا تجد حتى كلاما عن النفس البشريه، فترى الكتاب محصور في معظمه او كله في شان معين و هو الجسم البشري، و باعتبار معين ، و داخل نمط فلسفي معين في رؤيه الوجود و علاقاته. فالكتاب محصور حصرا رهيبا في عالم الكثره ، او عالم " اختلافا كثيرا "الذي هو في القطب المقابل او الجهه السفليه المقابله للمبدأ الاعلى سبحانه. و قل مثل ذلك في باقي الكتب من هذا القبيل، اي الكتب المحصوره في مرتبه وجوده دون اخرى من حيث النص او من حيث مستوى الكشف. من حيث مستوى الكشف، قد تجد كتابا يتحدث عن الله تعالى، و لكن مستوى كشفه عن الله تعالى يكون قاصرا بنحو من الانحاء. ثم قد يكون مستوى كشفه عظيما، ككتب العرفان العاليه، و لكن يكون ناشئ من قلب انسان، و ليس مستمدا من تنزل الرحمن، فروح القرءآن اهم من مضامين القرءآن، اي الروح الذاتيه للقرءان، القيمه الخاصه لهذا القرءآن و التي يعرفها من يحيا في القرءآن و به و معه و يكون له قلب الى حد ما طاهر و نقي، الحضور الالهي في هذا القرءآن ليس له مثيل في كتاب عرفان او كتاب غير عرفان. فمهما علا العارف بالله فان حضوره الذاتي في كلامه لا مفر منه. فعندما تقرأ له تشعر بحضور انسان او عقل انسان في هذا الكلام. حتى لو كان الكلام كله عن الله تعالى. اما في هذا القرءان فيوجد سر لا ندري ما هو على التفصيل و ان كان اهل القرءآن يحيون فيه و يشعرون به. ف "اختلافا كثيرا" تشير الى تعدد الذوات في الكتاب، او تعدد المشاعر الشخصيه للكاتب، او التعدد عموما. "لوجدوا فيه" هذا الوجدان "فيه" اي في عمق اعماقه. و هذا هو الفرق الجوهري في هذا القرءآن و في كل كلام لله تعالى. اي غياب الكثره الذاتيه و الشخصيه و الشعوريه فيه، و نشوء حس وحدوي و غلبه هذا الحضور حتى ان القارئ نفسه يغيب عن نفسه اثناء هذه القراءه و يسلم القياد لهذا الواحد الذي يكون له السلطان كله في قلب بل في وجود القارئ للقرءآن. و هذا ما لا يستطيع ان يختلقه انسان، و لا ان يتكلفه صادق مع نفسه اثناء قراءه اي كتاب. و هذا هو السر الاعظم لهذا القرءآن. و هو ما لا يوجد في اي كتاب اخر في هذه الارض كلها، و في الامم كلها. نعم يوجد كتب عظيمه، يوجد كتب دينيه تنسب الى مقام النبوه ايضا لها وزن عالي عند اهلها، و لكن لا يوجد كتاب لا يحضر فيه الا حس الله تعالى. كلها كتب من ناس و فيها نفس ناس، و تستمع فيها الى ناس، و مهما غصت فيها فان حضورك الشخصي و الحضور الشخصي للكاتب او المؤلف الانساني متوفر و لا يمكن دفعه مهما تكلف الانسان ذلك. هذا القرءان هو الكتاب الوحيد الموجود على هذه الارض، و الذي ليس في اعماقه الا الله من اوله الى اخره، بنفس النفس الواحد، و الحضور الواحد، و الجذب الواحد، و الفناء الواحد. "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ". لا يفقه هذا المعنى الا من يدمن على قراءه شتى الكتب، و يغوص في شتى الكتب، و يكون له حظ من الخلوه و التزكيه القلبيه و المكاشفات الروحيه و التنزلات العقليه. و ان كان المسلم عموما يشعر بهذا في اعماقه و ان لم يحسن شقشقه اللسان اثناء التعبير عنه. و هل قامت هذه الامه الا بهذه الروح الالهيه الحاضره في

هذا القرءآن. و هل سكينه الرب لها موضع غير هذا التابوت الموسوي ذو الرحمه الهارونيه. " و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ".

فقول النبي عليه السلام " فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " يتضمن موازنه قويه بين كلام الله و ذات الله. فالكلام الذي يحضر فيه الله هو كلام الله. الخلق يمكن ان يكذبوا على الله بنسبه مقوله اليه او بنسبه حكم اليه. و لكن لا يمكن على الاطلاق ان يختلق احد كتابا و يجعل الله تعالى يتنزل فيه او يتجلى عن طريقه. و من هنا قدم النبي و قدم العرفاء من ورثته معرفه الله على دراسه كتاب الله. بل القرءان هو الذي علم النبي هذا المعنى في ايات شتى خصوصا حين قال " لتنذر من كان حيا ". فالحي وحده هو الذي يمكن ان يتم انذاره. اذ من لم يعرف الله فهو ميت، و "انك لا تسمع الموتى".

فمن اهم ما نتعلمه من هذه الجوله في ساحه الكلام النبوي هو التالي: اولا اسع الى معرفه الله معرفه ذاتيه حضوريه. و ثانيا تعمق في هذا القرءآن و انظر اليه على انه محل او جنه للقاء الله تعالى فيه. و اعلم ان لكلام الله نفس الخصائص التي لنفس الله، و لكن تاويلها في الكلام غير تحقيقها في النفس، هذا اذا نظرت الى الكلام من حيث هو كلام له مضامين و مدلولات متكثره. و اما اذا نظرت الى الكلام من حيث هو مشهد حضور المتكلم فان سمات الله الذاتيه من وحده جامعه و بسط مطلق ستكون حاضره في اعماق الكتاب، ان كان كتاب الله تعالى حقا و هو كذلك. " و انا على ذلكم من الشاهدين ".

...

" فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه " و معلوم ان الانسان فيه حق و فيه خلق. فمن حيث هو حق يفتقر الى كلام الله. و من حيث هو خلق يفتقر الى سائر الكلام. و الكلمه النبويه هنا تثبت فضل معين للخلق، و ان كان من حيث وجوده فعلا. و لهذا يرتاح الناس الى كلام سائر الخلق احيانا ، و منه كلام النبوه و الولايه بل حتى ما دون ذلك من كلام العلماء و المفكرين عموما. فكون الانسان جامعا لمقام الحق و الخلق يعني ان الانسان يحب و يرتاح الى كلام الحق و الخلق- اي الانسان الكامل و ليس الانسان الحيوان او الانسان المتعالي. الحيوان هو الذي انحصر في الخلق، و المتعالي هو الذي انحصر في الحق. و الكامل هو الذين ينبسط وجوده في كل الدرجات و الدركات، الدرجات بالتحقق و الدركات بالوعي بها و فهم سرها و التاثير في اهلها جذبا للاعلى او تعاطيا ما معهم كتعاطي اهل الجنه و التفاتهم لاهل النار " ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين". فهذا هو اعتبار بقاء الحق و بقاء الخلق.

و لكن باعتبار ان الله اذا ظهر افنى ما سواه، " و خشعت الاصوات للرحمن " و "عنت الوجوه للحي القيوم ". فان الاستغراق في كلام الله يذهل الانسان عن سائر الكلام. و ان كان لسائر الكلام حضور ما اذ " فلا تسمع الا همسا ". فهذا الهمس باق حتى مع ظهور الرحمن تبارك اسمه. و ان كان همس الفرد لنفسه اثناء دراسته او استغراقه في القرءان. و من هذه الحيثيه، يكون القرءآن مفنيا لكل الكتب الاخرى، "كفضل الله على خلقه " و ان انبسط ضوء شمس الله انمحت انوار الاقمار و الكواكب و

النجوم و المصابيح و الشموع، اذ طلوع الصباح يوحي للعاقل باطفاء المصباح. و لا تاثير لضوء الشمع في حضور ضوء الشمس. و عند اشراق وجه يوسف ، لا تلتفت الى الدم الذي تسببه العداوات و الافتراقات و التحزبات.

فيوجد مقامات في هذا الشان، و لكل مقام عقل. و لكل عقل روح. و لكل روح مبدأ حق. و مبادئ الحق هي سننه التي لن تجد لها تبديلا و لن تجد لها تحويلا.

...

من اين نشأ سائر الكلام ؟ ان كان كل الكلام يرجع في المحصله الى الله، فما الفرق بين كلام الله و سائر الكلام ؟ الجواب : كلام الله اقرب السبل الى الحق، و اما سائر الكلام فيكون في الغالب يسلك طريقا معوجا. لان الكلام يصدر عن متكلم، و المتكلم له مستوى وجودي معين يتكلم منه، او اكثر من مستوى ان كان ممن يتنقل اثناء الكتابه او التحدث. فالحاله النفسانيه التي يكون عليها الشخص حين يتكلم تؤثر على نوعيه بل تصوغ نوعيه كلامه و كتابته، الصياغه الباطنيه للكلام قبل الظاهريه. و قد علمنا ان الوجود اعلاه وحده عدديه ذات كثافه اسمائيه، و ادناه كثره عدديه ذات هشاشه اسمائيه. و بين القطب الاعلي الواحد في الذات الاكثف من حيث الصفات، و القطب الادنى المتكثر في الذوات الاهش من حيث الصفات، تتدرج مستويات العوالم كلها. و كل هذه المستويات هي مستويات للحق. فالحق في الاعلى يكون الاكثف من حيث الاحتواء على الحقائق كلها باحسن و اجمع طريقه ممكنه، و هكذا يتدج حتى يصل الى اخر سلم ممكن في هذا الشان الى الكلام الذي قرائته تستهلكه فورا. و مثل ذلك الفرق بين المتون المشحونه و المتون المستهلكه. المتون المشحونه كمثل الايات القرءآنيه و الكلمات النبويه و قصص العرفاء. فهذه مشحونه بالمعاني و الدلالات و يمكن توليد المعانى منها و اسقاط المعاني عليها (و لا يمكن اسقاط معنى على نص الا ان كان النص نفسه يملك القابليه لهذا الاسقاط بدرجه او باخرى). و اما المتون المستهلكه فمثل الجرائد و المجلات و حديث سفله البشر او اللغو و اللهو بالتعبير القرءاني. كلما كان منبع الكلام أعلى، كان المتن اكثف من حيث الشحنه، بغض النظر عن البسط العددي للكلام (كعدد الكلمات او الصفحات او المجلدات). و كلما كان منبع الكلام أدنى كان المتن اهش و اسخف حتى لو ملأ عشرات المجلدات. " و قدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا ". و لذلك نجد ان بعض الايات القرءآنيه تحوي من المعارف و الاسرار و القوى المعنويه ما يحتاج الانسان ان يتعمق في عشرات المجلدات و المجادلات حتى يصل الى نفس المعنى او قريب منه- ليس فقط وصول من حيث المعلومه و انما من حيث تحقق المعنى في وجود الفرد اي العرفان. فكم من انسان يقرأ " و هو معكم اينما كنتم " و يحيا في اعماق بحار هذه العباره الالهيه بمجرد المكاشفه الحضوريه لمضامين هذه العباره المباركه. و لكن كم من جماعات من الناس تحوم حوله و تغوص في مسائل الماهيه الالهيه و علاقتها بالكون و الانسان ، و لكن على نحو تفكيري دماغي محض كالبحوث الفلسفيه التي لا شك انها قيمه و عظيمه ان صاحبها رياضات روحيه و سلوكيه، و لكنها من الحجب ان لم يصاحبها ذلك بل اقتصر الفرد فيها على عمليات دماغيه رياضيه محضه، و مع ذلك، يكون هذا الباحث الفيلسوف لا يداني او لا يطابق حاله حال ذاك القرءآني المكاشف. الكل على خير، و "كلا وعد الله الحسنى" و لكن الفرق بينهما في الدرجه، لان المقام و المستوى الذي يطير اليه المكاشف ليس كالمقام و المستوى الذي يفكر فيه الفيلسوف. و مقام القرءآن من حيث الدرجه الوجوديه، الذي هو المظهر الاعظم للمستوي

الوحدوي " الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى" ، يختلف عن الدرجه التي برز منها معظم كتب الفلسفه الالهيه و الكلاميه الصوريه. فالكلام تابع لمستوى المتكلم. و بالتالي، "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " اي بالدرجه و المستوى، بالضروره. فكثافه القوى المعنويه و المعاني العرفانيه في هذا القرءآن تفضل على سائر القوى المعنويه و المعاني العرفانيه التي في اي كتاب اخر مهما علا و عظم، اللهم الا ان كان ذلك الكتاب الاخر ممن يتكلم و يكتب من نفس المستوى القرءآني-هذا على سبيل الفرض طبعا. و بالتاكيد، الذي يقرا "و هو معكم اينما كنتم " و يقرا الفلسفه العقليه لمضمونها الالهي، يعلو على الذي يقرا " و هو معكم اينما كنتم " بدون التبحر في هذه الفلسفه- ان استويا في كل ما عدا ذلك. فالفرق بينهما كالفرق بين ابراهيم بعد ان راى ايه الطير فاطمئن قلبه، و بين ابراهيم قبل ان يطمئن قلبه، و ان كان مؤمنا من قبل و من بعد. كلاهما نور، فالمكاشف نور، و لكن المكاشف المحقق نور على نور. " قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ".

.....

و لنكتف بهذا. و الحمد لله.

٢- " من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى ، فله به حسنه، و الحسنه بعشر امثالها. لا اقول: الم حرف، و لكن الف حرف و لام حرف و ميم حرف ".

نلاحظ في هذه الكلمه النبويه ثلاثه افكار: الاشاره الى قيمه الحروف القرانيه و العربيه. الاشاره الى مفهوم تضاعف الحسنات. و العلاقه بين القراءه و الحسنات.

لنبدأ بالحروف العربيه و القرءآنيه. ما هو الحرف ؟ الحرف هو اللبنه الاساسيه التي يتكون و يتشكل بها اللسان. و لكن الحرف العربي له قيمه بمفرده، بغض النظر عن تركيبه مع غيره. له قيمه من حيث محض اللسان، و له قيمه من حيث التاثير في الوجود، و له قيمه من حيث تحرر وعي الانسان. فحرف (ا) هو الف. اي هو حرف و لكن تكوينه الشخصي يساوي كلمه (الف). و حرف (ب) هو (باء). و النبي يثبت هنا ان لكل حرف تكوين شخصي يساوي كلمه. فكون (ا) تنطق (الف) ، و ليس (الق) او (اتد) او غير ذلك من احتمالات، يدل ان هذا التكوين له قيمه ماهويه معينه، باعتراف حضره النبي الاكرم عليه السلام به. و لو كان باطلا لما اقره، و لو كان عشوائيا لتخير الافضل منه بناءا على معاييره النبويه. و قل مثل ذلك في باقي الحروف. و الملاحظ ان كلمه (الف) لها معنيان اساسيان: الرقم ١٠٠٠، و المعنى اي التاليف و المؤالفه كقوله تعالى " فالف بين قلوبكم ". و كذلك في باقي الحروف او معظمها. (و ينبغي التامل في الحرف الذي لا معنى للكلمه التي تكونه). فهذه هي القيمه من حيث محض اللسان. و لكن يوجد طريقه اخرى يمكن بها معرفه التكوين المعنوي للحرف و تاثيره. و هو بالاستقراء المفصل و التحليل. و اقصد بذلك ان نقوم بجمع كل الكلمات التي ورد فيها حرف الالف، سواء في القرءآن فقط او في كل لسان العرب. فننظر في الكلمات التي بدأت بحرف الالف، ثم التي حرف الالف هو ثاني حرف فيها ، و هكذا حتى يتم استقصاء اللسان المعروف كله. و يتم الترتيب بناءا على الكلمه المكونه من حرفين مثل اب، ات، اث...الخ، ثم المكونه من ثلاثه احرف الى نهايه الموجود. و نقوم بذلك لكل الحروف. و هذا هو المعجم العربي المرتل. و علوم كثيره يمكن استنباطها من مثل هذا المعجم. و لكن الفكره الاساسيه في هذا المقام هو ان ننظر و نحلل ما هو العامل المشترك بين الكلمات التي يدخل حرف الالف في تكوينها او يساهم في تكوينها. و هكذا في البقيه. و المعروف عندنا ان الحرف اذا تواجد في كلمتين فان هذا يدل على وجود صله معينه بين هاتين الكلمتين. بل صلات. و يمكن ان يستوحي العاقل المعاني التي تدل عليها كلمه او يمكن ان تدل عليها او يستلهم المعانى عموما من كلمه عن طريق تامل حروفها و اين توجد مثل هذه الحروف في كلمات اخرى. ففي سوره الفاتحه المباركه مثلا : حرف الغين ذكر مرتين ، في كلمه (غير) و كلمه (المغضوب). و من المعاني المستلهمه من هذا الاشتراك ان المغضوب عليهم هم الذين ينظرون الى الاغيار. اي بدل الاخلاص و الاستغراق في الواحد القهار. فعندما تضيف الى ذلك السمات الاساسيه لاهل السوء من قبيل "الاغلال في اعناقهم" و " لا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا " فان احدى سمات حرف الغين تتكشف. كل شئ في الوجود يمكن ان يعرف بذاته و بعلاقاته. فقط لا غير. اما ان تنظر اليه في ذاته، او في علاقاته. و النظر الى الشى في علاقاته يكشف ابعاد من ذاته قد لا تستطيع ان تعرفها بالنظر المجرد الى ذاته. مثال ذلك ان تحلل شخصيه صديقك عن طريق اوصافه من قبيل ماذا يحب و ماذا يكره، و فيم يشغل به نفسه، و ماذا يلبس و لماذا يختار هذا النوع من الملابس و نحو ذلك. و ستعرف عنه امور. و لكن ستعرف عنه امور اكثر اذا وضعت صديقك في دوله غريبه او في مجتمع مغاير لمجتمعه ثم راقبته هناك، او اذا اعطيته مالا كثيرا ثم راقبت كيفيه تعامله معه. و نحو ذلك من علاقات. فالقرءآن في ذاته نور، و لكنه في بعض علاقاته

يولد الظلمات و يضاعفها، كما انه في البعض الاخر يولد الانوار و يضاعفها، و في البعض الثالث لا تاثير له. و من هنا يقول الحق تعالى " و ننزل من القرءآن ما هو شفاء و رحمه للمؤمنين، و لا يزيد الظالمين الا خسارا " ففي علاقه القرءآن بالمؤمن (و هنا علاقه للشئ بغيره) تكون النتيجه شفاء و رحمه، و في علاقته بالظالم تكون النتيجه زياده ظلمه و خساره. و هذا يكشف عن ابعاد في هذا القرءآن لا تكشفها النظره او قد لا تكشفها النظره المجرده لذاته و سماته. و على هذا المنوال، الحرف يمكن ان نعرفه بذاته، كالنظر في تكوينه الشخصي ، و قد نعرفه بعلاقاته كالنظر في تاثيره في الكلمات التي يحل فيها. و لست احسب ان عاقلا من اهل العلم يظن ان اسم الله تعالى مكون من هذه الحروف الثلاثه (ا- ل- ه) على سبيل الصدفه او الاتفاق الاعتباطي.

ملاحظه اخرى في الحروف العربيه، ان منها ما هو حرف ثابت، و منها ما هو حرف متغير. حرف ثابت كحرف الهاء و الواو و الالف و الميم. حرف متغير كحرف الباء اي صوره الباء، فان نفس هذه الصوره تحتمل ان تكون باء و تاء و ثاء.و كذلك صوره الحاء، تحتمل ان تكون حاء و خاء و جيم. و الفرق هو في التنقيط. و هذه سمه اخرى توازي مستويات الوجود.و الكلمه التي فيها ثبوت اكثر تختلف عن الكلمه التي تحتمل تغير اكثر. و الحرف الثابت له قيمه و تاثير مختلف عن الحرف المتغير- من هذه الحيثيه.

و ملاحظه اخرى ان الهمزه (ء) هي الحرف المحض، اي الذي لا ينطق بذاته و لا تكوين له. فحرف (ج) مكون من (ج-ي-م) ، و لكن حرف (ء) لا تكوين له. و كذلك عند تفصيل تكوين كل حرف و تفريعه كشجره، فان ظهور الهمزه يوقف التفريع. فمثلا (ا) اول فروعها (ا-ل-ف) و ثاني فروعها (ا-ل-ف/ل-ا-م/ف-ا-ء) و ثالث فروعها سيكون ممكنا في كل الحروف ما عدى حرف الهمزه. فالهمزه هي الحرف الوحيد الذي لم يلد و لم يولد. و هو احدي التكوين. فاذن للحروف ثلاث طبقات اساسيه : الحرف المحض، الحروف الثابته، الحروف المتغيره. و الحروف المتغيره فيها درجات، اعلاها الاقل تغيرا، و ادناها الاكثر تغيرا. فمثلا (ق-ف) اعلا من (ب-ت-ث). اي الصوره الاصليه للفاء و القاف، و هكذا في الباقي.

اما من حيث تاثير الحروف في الوجود. فهذا يرجع الى التاثير المحسوس و التاثير المعلوم. المحسوس كالكلام مع الناس. فها انت تقرأ هذا الكتاب و تاثيره فيك واضح، فانت تفكر و تستقبل و تشعر و تتخيل و غير ذلك من تاثيرات. و اما المعلوم، فهو كنحو التاثير الذي يقول عنه النبي " فله به حسنه و الحسنه بعشره امثالها ". فهذه الحسنه التي تتخلق بسبب قراءه الحرف، اين هي ؟ و ما هي ؟ لابد ان لها حقيقه و مستوى او مستويات تتجلى فيها هذه الحقيقه. اذ لكل حقيقه تحقق. و لكل تحقق مستوى او مستويات. و هذا التاثير الوجودي لقراءه الحرف هو احدى تاثيرات هذا الحرف او مجموعه حروف. فظاهر لاهل العلم ان قراءه ايه الكرسي لها تاثيرات وجوديه تختلف عن قراءه سوره المسد. فاين " الله لا اله الا هو الحي القيوم" من "تبت يدا ابي لهب ". فالحرف في علاقته مع غيره من الحروف يحدث تاثيرا يختلف عن نفس تاثير الحرف اذا كان له تشكيل اخر. فكلمه " الله " و كلمه " هلال " لهم نفس الحروف بنفس الاعداد، و لكن الترتيب مختلف، و اين تاثير ذكر كلمه "الله" من تاثير ذكر كلمه " هلال ".

و اما من حيث تحرير وعي الانسان. فان الوعي حر بطبعه، و لكنه مسجون بظلم صاحبه. و هو من معاني " و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه " لان الله لا حدود ذاتيه له، كالوعي، فمن يتعد اطلاقيه الله فانه يكون قد هبط الى درجه او دركه متدنيه و لا بد، اذ كل ما غير الله فهو دون الله، و بالتالي يكون قد ظلم نفسه، لانها حره مطلقه في الاصل. فالظلم الاول الناشئ بسبب الهبوط الى اسفل سافلين، هو ان يحصر الانسان وعيه في عالم الافق الادني، او ما يعرف بين الناس بعالم الطبيعه، و المجتمع كذلك كاحدى صور الطبيعه الخارجيه. ثم ان ارتقى، يحصر نفسه في الجسم السفلي. ثم ان ارتقى، يحصر نفسه في مشاعره، فيظن ان مشاعره هي عينه و هي هو. ثم ان ارتقى يحصر نفسه في خيالاته، فيعتقد ان خيالاته عين حقيقته الذاتيه. ثم ان ارتقى يحصر نفسه في افكاره، و الافكار هي اخر حجب الوعي. فيظن انه افكاره ، و ان افكاره هو، و انه عقله و ان عقله هو. و هو مضمون قول الغافل " انا افكر اذن انا موجود ". و ان كانت غفله هذا غفله راقيه، و يا ليت يغفل معظم الناس مثله بدل ان ينحصروا في الطبيعه و المجتمع او الجسم و المشاعر. و لكن بالنسبه للحق الاعلى فان "انا افكر اذن انا موجود" تعني : اذا لم افكر فانا غير موجود. و تعني : انا محصور في افكاري، و الافكار كلها حدود مهما اتسعت مفاهيمها. فالسماوات مخلوقه، على عظمها. و الانسان الابراهيمي الذات، أعلى من ان يعبد الكواكب مهما كان علوها، او يتماهى مع القمر مهما جمل نوره، او يحصر نفسه في الشمس مهما عظم ضوؤها. فكيف السبيل الى الخروج من اسر الافكار ؟ احدى هذه السبل : طريقه الحروف. و ذلك لان الافكار كلمات ، و نحن نفكر بكلمات و نصوغ افكارنا بكلمات. و الكلمات هي السجن و الحجاب. و هي دوال لها مدلولات ، سواء مدلولات مباشره او غير مباشره، او لا اقل دوال قابله لتحمل مدلولات. و الكلمات حروف مرتبه بترتيب معين ينتج المدلول. و طريقه الحروف هي ان تقوم بذكر حروف "ليس لها معنى". فتعود نفسك ان تذكر و تقبل بذكر حروف ليس لها معنى. و "ليس لها معنى" يعني انها مطلقه من حيث الوعي. فانت عندما تقول "كلب" او "فيل" فان وعيك ينحصر بسبب الذكر و التركيز في معنى الكلب و الفيل، و لكن عندما تذكر " الم " او "كهيعص" فان عقلك يختفي، و بالتالي يبقى الوعي حرا. و هذا هو السر. من هذا السر تنشأ الاسرار. و لما لم يحتمل الناس هذا قاموا بنسبه المعاني لهذه الكلمات او حالوا ان ينسبوا لها و يقيدوها في حدود معاني معينه. كقولهم ان السين سناء الله و العين علو الله و نحو ذلك. اتركوا القرءان على ما هو عليه حتى تبسط عليكم بركته. هذه الحروف محررات للوعي. هذا هو احد اهم اسرارها. العقل بالنسبه للوعي، سجن. و ان كان ربا محترما بالنسبه لما دونه. فبالعقل يتم تطهير الخيال، و بالخيال الطاهر المشحون بامثله الخير و الجمال، تتم رفعه المشاعر، و بحسن المشاعر تتهذب النفوس، و بتهذيب النفوس تنضبط الاجسام، و بانضباط الاجسام ترتقي المجتمعات و تتم الاستفاده من الطبيعه و ما فيها. و لكن الانسان ان لم يكن متحررا في أعلى مستوياته، الذي هو مستواه الجوهري، اي محض الوعي، فان ما دون ذلك يكاد لا يستقيم، بل لا يستقيم بدرجه او باخرى. فمن لا يعرف اطلاقيه الوعي، سيطلب العلو بالعقل اي العلو على الاخرين، و هكذا في بقيه المستويات تنزلا، حتى نصل الى اسفل سافلين البشر الذين يريدون ان يتعالوا بامتلاك المظاهر الطبيعيه و المناصب الاجتماعيه. " ان فرعون علا في الارض ". و ليس علا في السماء او في ما فوق السماء. تامل كيف انه طلب العلو و اين طلبه، "انا ربكم الاعلى" فاناه، التي سرها هو الوعي، هي في الواقع في اعلى الاعالي و مرتبه الاطلاق الذاتي، " انني انا الله لا اله الا انا". فالانا واقعا هي لله فقط، و لا انا الا انا الله الاول الاخر الظاهر الباطن. و لكن من يغفل عن هذا التحقيق فانه سيطلبه من مستوى ادنى، بدايه من العقل نزولا الى الطبيعه و المجتمع. العقل عبد الكلمه. و الكلمه بحروفها المربوطه بمعنى معين. فاذا فككنا الرابطه بين الكلمه و حروفها، و علقنا الحروف في

الخلاء، فان العقل سيتوه و يكتشف افول الكواكب و الشموس التي يتعبد لها، فينطلق في جو الخلوه الالهيه لا يحده حد، و لا يقيده قيد. و القرءان الذي هو كلمه، يعلم قرائه ان يتحرروا من الكلمه اولا، و لذلك تاتي الحروف - التي اسميها حروف الحريه- في بدايات السور فقط. فالاحرار حقا هم الذين يمكن ان يقرأوا القرءآن حقا.

.....

عن تضاعف الحسنات. يقول الحق تعالى عن اثر من اثار اقامه الصلوه ، التي هي في الواقع قراءه القرءآن و بعض الاذكار الوارده فيه و التي تعتبر قراءه له بالتبعيه ، " ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين " فالله يذكر الذاكرين في قوله " اذكروني اذكركم " ، و ذكره لهم هو ان يبدل سيئاتهم حسنات ، هذا احد اكبر مصاديق ذكر الله للمصلي لذكره . "و أقم الصلوه لذكري ". فما هي السيئات ؟ يقول " أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الارض " ، فاذا عرفنا ان خليفه الله هو الانسان المبسوط وجوده في الطبقات النورانيه و القدسيه ، فهو الذي استع فأصبح محيطا بالحقائق بذات عقله و لب روحه ، فهذا يعني ان السيئات هي الحجب على سعه الذات الانسانيه . و بالتالي تكون الحسنات هي التحقق في الطبقات النورانيه و القدسيه ، كرؤيه الملكوت و التعبد للعرش و التأله المحض و فقه الافاق و الانفس . و تضاعف الحسنات يعني أن كل حرف قرءآني ، فضلا عن كل كلمه و ايه ، يوجد لها مستويات في كل تلك الطبقات الملكيه و الملكوتيه و العرشيه و الاسمائيه و الالهيه. فالمستويات الاساسيه عشره : الذات الاحديه ، و الاسماء الحسنى ، و العرش ، و السموات السبع ، و البعد الحادي عشر هو الارض ، و هو الذي يتلو فيه الانسان هذا القرءآن المتمثل جسمانيا عنده . فقول النبي " الحسنه بعشر امثالها " يقصد الحسنه في الارض ، و هي تلاوتك لهذه الاحرف العربيه ، تفتح عشره مستويات من الوجود ، و هي السبع سموات و الثلاث قدسيات، " تلك عشره كامله ". و أما المضاعفه فيما بين هذه العشره مستويات ، فقول القرءآن "حبه انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائه حبه ، و الله يضعف لمن يشاء " و اشباه هذا في المأثورات ، فالمقصود هو التضعيف العرضي ، و ليس الامثال الطوليه . بمعنى ، انه في السماء الخامسه مثلا ، يضعف الله لعبد من العباد اثناء قراءته حسنته الواحده الى الف ضعف ، فيكشف له بها عن الف أمر في هذه السماء الخامسه ، و قل مثل ذلك في بقيه المستويات . فقد يقرأ انسان " تبت يدا ابي لهب " فيرى مستوى او مستويين ، و لكن قد يقرأ اخر فيرى العشره مستويات ، و قد يرى العشر مستويات اثنان و لكن احدهما يرى في كل مستوى عشره معانيو أسرار ، بينما لا يرى الاخر الا ثلاث معاني و أسرار . فالأجر على قراءه القرءان ، له ابعاد طوليه ، و ابعاد عرضيه . الطوليه تعتبر عن مستويات الوجود من اسفل سافلين الى رب العالمين، و العرضيه تعبر عن المعاني في كل مستوى من هذه المستويات . فحظك من الأجر حظك من السعه في فهم القرءآن .

و هذه هي العلاقه بين القراءه و الحسنات . فالحسنات هي المكاشفات. الحسنه معرفه . "و من يؤت الحكمه فقد أوتي خيرا كثيرا ". و قيمه الانسان في المعرفه التي فيه و عنده . و سلم المعارف هو القرءآن العظيم . و من الحسنات كذلك البركات التي تفيض في نفس و حول القارئ. فللاقوال شخصيات وجوديه ، و للافعال كذلك ، و للافكار كذلك . و هذه الشخصيه تنعكس و تؤثر و تفعل و تنتشر رائحتها و تبرز الوانها في نفس صاحبها و ما حوله ، بل و تبقى في الجو كذلك . ألا ترى أنك تدخل أحيانا الى بيت جميل المظهر و لكن تشعر بكآبه لا تدرك لها سببا و تشعر بضيق في المحل ، و لكن تدخل بيت عادي المظهر و لكن تشعر ببسط و راحه و طمأنينه . أو تقابل شخصا فتشعر بضيق منه بالرغم من عدم وجود سبب ظاهري لذلك و لا يوجد رابط بينه و بين شئ مكروه بالتعيين

، و تقابل اخر فتشعر بالانبساط . و كذلك في التعامل مع الافكار و المذاهب البشريه في الحياه بمختلف مجالاتها ، و في الكتب و الرائحه الفكريه و الشعوريه التي تفوح منها ، كل ذلك و أكثر منه يعتبر من الاثار الوجوديه للافكار و الكلام و الافعال و الاعتقادات و الظنون و بقيه الامور التجريديه . و هي في الواقع ليست تجريديه ، بل لها شخصيه حقيقيه تؤثر في شتى المستويات من الوعي و الاحساس. فكذلك قراءه القرءآن ، تفعل فعلها من حيث التأثير الحسن بالنسبه للقلب الطاهر و الساعي للتطهر بالترقى و التفكر .

يقول النبي " من قرأ حرفا من كتاب الله " ، ان هذا التعليم النبوي خصوصا و تدبر القرءآن عموما و التدقيق في كل حرف حرف منه ، هو الذي يخلق في عقل المسلم عشق القراءه و عشق الكتب و عشق الدراسه ، و عشق التفكر و التحقيق و التدقيق . فالتعامل مع كتاب الله يصبح منهجا و أسلوبا يتعامل به المسلم مع بقيه الكتب . و لهذا كان تاريخ أمتنا في اجزاء كبيره منه هو تاريخ الكتب و حبها . و فقط كمقارنه بسيطه لاعطاء فكره عن هذا المعنى ، تستطيع ان تراجع كتاب " شمس العرب تشرق على الغرب " لزيغريد هونكه ، خصوصا في باب "سلاح المعرفه" . لترى مدى ما يمكن ان نسميه هوس المسلمين بالكتب . و في بغداد وحدها قبل اكثر من الف سنه ، كان يوجد نحو مائه دار كتب ، و المكتبات التي تحوي ملايين و مئات الالاف من المجلدات كان امورا مشهورا. في الشرق الاسلامي و غربه . و لو دققنا في سر هذه الظاهره فلن نجد تفسيره الا في القرءآن ، فهو الكتاب الذي شكل النمط الاساسي لتعامل المسلمين مع الكتب ، مع وجود استثناءات و تطرفات هنا و هناك في الغالب الاعم اسبابها سياسيه ، فهذه معضله أمتنا اي سوء تعامل الساسه مع العلماء و الشعوب ، فلا تكاد تجد عالما بارزا لم يضطهد او يفتتن او يسجن او يقتل او يهدد بالقتل في عمره ، و مع كل هذه المحن التي مر بها علماء الاسلام على مختلف مستوياتهم و مواضيع بحثهم ، فان شمس الاسلام اشرقت اشراقا عظيما حتى انارت الارض او اجزاء كبيره منها . و مع حسن كتاب "شمس العرب" لهونكه- رحمها الله - الا أن تشديدها على ذكر "العرب" بدل ذكر "المسلمين" غير موفق بالمره . فهذا يوهم و كأن العرب من حيث هم كانوا يملكون هذه القدرات او هذه الانماط ، و نحن نعلم العرب من حيث هم في ذلك الزمان ، اي قبل القرءآن ، لم يكونوا في الغالب الاعم ممن يحسنون شيئا من شؤون العلم و المعرفه و الاهتمام بالكتب . القرءآن هو الذي خلق المسلمين ، و المسلمين هم الذي اهتموا بالمعرفه و الكتب و التحقيق في شتى مجالات الحياه . و هذه نقطه مهمه جدا يجب التركيز عليها . و ان كان من عادتنا التي استقيناها من القرءآن أن لا نستعجل بالسيئه قبل الحسنه ، و بالتالي لا نركز على جانب السوء بل جانب الحسن و الجمال و نذهب به جانب السوء و نصلحه قد الوسع و الا نقبله كما هو ، فلا يخلص الحسن الا نادرا ، إلا أننا نخرج على هذه العاده بخصوص تركيز البعض على ذكر "العرب" ، "انجازات العرب" ، في التاريخ الاسلامي ، و الواقع أن الذي انجز هذه الامور هم في الغالب الاعم "مسلمين" يتحدثون باللسان العربي ، فالعربيه لسان ، و هي ليست حكمه حياتيه و لا رؤيه وجوديه و لا نظريه كونيه. القرءآن هو هذه الحكمه و الرؤيه و النظريه. و تعليم النبي المتعلق بالقرءان و آداب التعاطي معه ، و كيفيه الكشف عن أسراره و معانيه ، كل هذا التعليم هو الذي خلق نمطا و يخلق نمطا عقديا سلوكيا يؤدي بالانسان الذي تشرب قلبه هذا التعليم النبوي أن يحب الكتب و المعرفه بمختلف درجاتها و مستوياتها ، و يدمن عليها و يدوام على تعاهدها و يعين في جمعها و حفظها و تكبيرها بالبحث و الكتابه و الشرح و التعليق و النقد و النقض و الحل و ما سوى ذلك من مواضيع معرفيه . " من قرأ حرفا " الى هذا المدى يصل التدقيق و التحقيق . و الذي يقرأ القرءآن و لا يصبح من عشاق المعرفه و مدمني القراءه و محبي الكتب، فأنا

لا أدري ما الذي يقرأه هذا الشخص و لكن أغلب الظن انه ليس القرءآن . القرءآن يخلق عرفاء ، سعاه للعلم كما يسعى فرعون للسلطه و قارون للكنوز. فمن لم يستطع أن يتعلم هذا السعي من الأنبياء، فلا أقل أن يتعلمه بطريقه غير مباشره من الأشقياء . " و علم ءادم الأسماء كلها " فكان العلم و سيظل العلم هو مدار الخلافه . و من هنا اعتبارنا للديانات و مذاهب الحياه العصريه التي تعلم أن الحكمه و العلوم و الفنون تعتبر إما أداه في يد الشيطان و أن الدخول الى الملكوت لمن لهم نفوس الاطفال و ما اشبه (كالرؤيه الصليبيه التي جعلت شعوبها في ظلمات العرفان و العلم و الحكمه لاكثر من ١٥٠٠ سنه ، حتى اوصل المسلمين نور المعرفه اليهم و اخذوه عنهم) و اعتبار الناس المؤ منين كالغنم الذين يرعاهم الرب و ما اشبه من امثال لا نسمح حتى بضربها لاصغر مسلم كما يقرر القرءآن ذلك ، " أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام " فالانعام لا يسمعون و لا يعقلون ، و بالتالي ليسوا من المسلمين المؤمنين بما نزل على محمد حتما ، مهما تلقبوا و زعموا . فهذه الرؤى الجاهليه ، المبنيه على الوعظ الاجوف و المغالطات الفكريه و الروحيه ، و عدم فقه لمستويات الوجود و طبقات الاكوان فيلخطون بينها و يحكمون على احدها بما هو مختص بمحل غيره ، و هذا كثير و لا نريد ان ندخل في تفاصيله هنا اذ ليس محله . و كذلك الديانات و طرق الحياه الاجتماعيه التي ترى ان "طبقه العوام " يجب ان تظل فقيره جاهله ، بزعم أن هذا يجعلها افضل عند الرب ، او ان هذا سيدعوها للاجتهاد في العمل الاجتماعي و نحو ذلك من أمور قائمه الى يومنا هذا مع الأسف ، كل هذه لا محل لها في دين القرءآن و طريقه انبياءنا . و كذلك الرؤي العصريه التي تدعو معظم الناس، خصوصا الشباب منهم الى ان يكونوا مستهترين سخفاء يبيعون حياتهم و انفسهم لامور لا هي خير لهم في الدنيا و لا العليا ، و لا هي سبب فرحه واسعه في الدنيا فضلا عن التعاسه المحيطه بها نفسا و عقلا . فالانخراط في المجون و الاعتزال المحض للمعرفه و الفنون كلاهما تطرف لا يقبله القرءان الذي نؤمن به . و قد كان النمط أيضا هو الجمع بين خير ما في الامرين ، و من أمثله ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا - رضوان الله عليه . فمن ينظر في سيرته (و سنكتب كتابا في التعليق عليها ان شاء الله) يرى انه جامع بين الفنون و المجون . المجون بمعنى الفرحه البدنيه و النفسيه و اللذه و الشهوه الجنسيه ، و كذلك في الفنون و العلوم فحدث و لا حرج . فقد كان الرئيس ابن سينا يشرب الشراب الذي تجيزه بعض المذاهب بالحد الذي تجيزه و يكثر من النكاح حتى كان سببا في موته كما يقول تمليذه و راوي سيرته، في نفس الوقت الذي كان اذا استغلقت عليه مسأله ذهب الى الجامع ليصلي و يسأل الله أن يفتح له ، و يحيط بعلوم كامله في فترات قياسيه و يؤلف في شتى الفنون كتبا لا تزال محل تقدير و تدريس في بعض البلاد الى يومنا هذا. فالقرءآن ، بحكم كونه الكتاب الجامع لحقائق الوجود من حيث الأسرار و المفاتح ، فانه كذلك جامع من حيث عطائه لشتى مستويات الانسان ، بلا تناقض عرضي، و انما هو تنزل طولي ، فالوعي بالأعلى يؤدي الى تنوير الأدنى . و الحكمه القرءانيه هي كنز الكنوز ، و تاج الخلافه في جميع الأحوال . و عليها مدار الانسانيه .

و الحمد لله رب النبي.

.....

٣ - " الماهر بالقرءان مع السفره الكرام البرره . و الذي يقرأ القرءان و يتتعتع به و هو عليه شاق، له أجران " .

للقرءان بعدين ، و في كل الايات و الروايات التي تتحدث عن القرءآن يجب ان نعرف عن أي البعدين تتحدث الايه او الروايه . البعد الاول هو الظاهري ، و الثاني هو الباطني . الظاهري هو هذه الحروف العربيه فقط ، و الباطني يبدأ من أول مستوى لفهم هذه الحروف و الكلمات العربيه مرورا بكل البطون اللامتناهيه و معانيه المتعدده . فعندما تقول الروايه " الماهر بالقرءان" فعن أي مهاره تتحدث ؟ أهي المهاره الظاهريه ام الباطنيه ام كلاهما ؟ يبدو أن الجواب هو : كلاهما. لان قوله " و يتتعتع به " قرينه قويه على البعد الظاهري. و لكن قوله "مع السفره الكرام البرره" قرينه قويه على البعد الباطني بالاضافه الى البعد الظاهري. و واضح أن قول النبي " مع السفره الكرام البرره " مأخوذ من سوره عبس ، " كلاّ إنها تذكره. فمن شاء ذكره. في صحف مكرمه. مرفوعه مطهره. بأيدي سفره . كرام برره ". فهذه اشاره نبويه للعوده الى هذه السوره لفهم المقصود. و هكذا كل روايه نبويه صحيحه ، لابد ان تكون مبنيه على القرءآن و تعمل في ظلاله و تستنبط قيمتها و رؤيتها منه . فهو منبع العلم النبوي. "فتعالى الله الملك الحق و لا تعجل بالقرءآن من قبل أن يقضى اليك وحيه و قل رب زدني علما" و من أهم العلاقات بين صدر الايه و نصفها و خاتمتها، هو أن الله الملك الحق دستور مملكته و نظام عرشه مبين في القرءآن الذي اوحي الى النبي ، و التعبد لله هو بهذا العلم خصوصا و العلم عموما . فالعلم بالقرءان هو العهد الذي بين العبد و ملكه الحق تعالى اسمه. و هذه الايه من أكبر الايات الجامعه في القرءآن . و هي الايه رقم ١١٤ من سوره طه. و قد قضي الوحي القرءآني ب ١١٤ سوره فتأمل . فالعلم بظاهر القرءآن يتم بالقدره على تلاوته ظاهريا ، و قال "رب زدني علما " فهذا يعني أنه قد حصل له علم من قبل ، و هو يريد الزياده ، و هذا العلم القبلي هو المقصود بانقضاء الوحي ، اي الوحي الظاهري الحروفي . و أما الازدياد فهو العلم ببطون هذا القرءآن ، و هذا ما لا ينقضي أبدا ، و لذلك يشبه قلب العالم جهنم ، من حيث أنه دائما يطلب المزيد . فقلب العالم هو كالنار التي كلم الله موسى منها ، و نار السعير تفرق عن نار " و انك لتلقى القرءآن من لدن حكيم خبير ". و هو العلم اللدني الذي يجعل صاحبه كالخضر يعلم موسى العلم الظاهري الخبري. فظاهر القرءآن علم اخبار ، و بواطن القرءآن علم اعتبار. الاول ينقضي، و الثاني لا ينقضي. و المطلق فوق المقيد ، و لهذا كان موسى هو الذي سعى للخضر و انسلك في طريقته ، و ليس العكس .

" الماهر بالقرءان ". يحتاج الانسان الى المهاره الظاهريه و لكنه يحتاج أكثر الى المهاره الباطنيه. و اذا نظرنا في كتاب الله سنجد أن تسعه اعشاره علوم ، و عشره احكام. كذلك قلب المسلم و اهتماماته التلقائيه التي يشكلها النمط الالهي و التربيه النبويه بهذا الكتاب العزيز. أي تسعه اعشار اهتماماته علوم و فنون ، و عشر او اقل من عشر اهتاماته بالاحكام المظهريه و الاخلاقيه و نحو ذلك، و هذه الاخيره تنبع تلقائيا و عفويا من الأولى ، ان تمت الاولى . فالاخلاق الراقيه تتفرع عن المعرفه الراقيه . و على ذلك ، السعي للمهاره القرءآنيه ، ينبغي ان يكون مقسما الى تسعه اعشار و عشر. أي في كل ساعه يقضيها الانسان لتعلم مهاره التلاوه ينبغي عليه ان يقضي تسعه ساعات لتعلم مهاره الفقه و التدبر . و كل ساعه يقضيها الانسان في دراسه الاخبار ، ينبغي عليه ان يقضي تسعه ساعات في دراسه علوم الاعتبار . و بهذا يصبح ممن ينطبق عليه قول " الماهر بالقرءآن " و ليس الماهر بترديد القرءآن و التشدق به. فمثل هذا - و العياذ بالله - في أحسن الاحوال يعتبر في حكم الغافل،

كان تعطي كتابا عربيا لرجل فرنسي ، فأي منفعه له به ، و ان كان تحصل له البركه بوجوده و لكن البركه الاكبر و القصد الاعظم قد فات . و لهذا ضرب الله مثل " الحمار يحمل اسفارا " ثم حكم بان هؤلاء في حكم " بئس مثل الذين كذبوا بايات الله ". فالذي يحمل القرءآن تلاوه و لا يحمل تدبرا ، في حكم المكذب بالقرءآن . فهو يشقى بحمل ظاهره و حفظه و ترديده ، و لكنه لا يصل منه شئ يذكر الى بواطنه و عقله و وجوده.

و تعبير " سفره " له على الاقل دلالتين : من الاسفار الذي هو الكشف و الاظهار. و من السفاره التي هي بعث ممثل للملكه او دوله او جماعه ما ، كقولنا : فلان سفير المملكه المتحده في دوله كذا . و المعنيان مترابطان ، إلا أنه يوجد معنى خاص لعباره سفره. و هو أن حامل القرءآن هو سفير الله في الارض . و مدارس القرءآن هي سفارات المملكه الالهيه . هي ادركت شيئا من تقديم ذكر " فتعالى الله الملك الحق " قبل ذكر القرءآن و الازدياد من العلم . و التعبير عن أسرار "الله " و أحكام "الملك" و علوم "الحق" ، انما يكون بالكشف عن بواطن معاني القرءآن كما انه يكون بحسن تلاوه و جمال صوت السفير. و لكن الأول أكبر بعشر مرات او أكثر. و كلاهما نور مطلوب. فجمال المعنى من الخير لو ناسبه جمال المبنى . فيتجلى المعنى الراقي في صوره راقيه ، فيكون نور على نور . و هذا الوعي بالسفاره عن الله الملك الحق، و تعقل هذا المعنى و التحقق به ، أمر أساسي و جذري في قلب المسلم . و هو من أكبر الانماط التي توجه فكره و شعوره و سلوكه تلقائيا و بدون تكلفات . و من معنى السفاره هذا تولدت الاحكام التي تقول للنبي " لست عليهم بوكيل " و "لست عليهم بحفيظ" و "لست عليهم بجبار" و "لست عليهم بمصيطر". انما أنت من السفره ، فتكشف عن اسمي و ملكي و حقائق خلقي و تكويني ، و حسبك هذا ، اذ "ليس عليك هداهم " و "ليس لك من الأمر شئ" و "لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي "و " انما عليك البلاغ و علينا الحساب ". فالمؤمن سفير الله ، الكاشف عن حقيقه الله و شرعه المرضي عنده و علمه و سننه في تكوينه. و منشور سفارتك هو الايه المباركه " فتعالى الله الملك الحق ، و لا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى اليك وحيه ، و قل رب زدني علما ". فان وجدت نفسك في هذه الايه ، و صدرت في فكرك و شعورك و سلوكك عن مقتضيات هذه الايه ، فأنت سفير من سفراء الله . و من معاني "سفره" ما يدل على مائده الطعام ، و هذا القرءآن "مأدبه الله" كما ورد في روايه اخرى. و هذا ظاهر و داخل في المعنى الاول . فالذي يكشف عن المعاني القرءآنيه، يعتبر ممن يضع مائده طعام انساني - اي عقلي و روحي و معنوي - و يقدمها للناس . و في معانيها ايضا السفر، اي من المسافر كالذاهب في رحله ، و خير الاعمال " الحال المرتحل" اي الذي يضرب بالقرءآن من اوله الى اخره بالقراءه ، كما ورد في روايه اخرى. و المعاني مترابطه و يلزم بعضها عن بعض .

" كرام برره " فقدم ذكر السفاره ، ثم ذكر الكرم و البر . لماذا ؟ هو ما ذكرناه قبل قليل، من أن فقه القرءآن و الكشف عن معانيه و آسراره هو الذي يهئ الانسان ليكون من الكرام البرره، و هي سمات نفسيه خلقيه .

" و الذي يقرأ القرءآن و يتتعتع به و هو عليه شاق ، له أجران " ، أجر على القراءه و أجر على الرغبه في القراءه . و ليس أجر على التعتعه و لا على المشقه من حيث هي ، اذ لو كان الاجر على المشقه لما كان ينبغي ان يضيع هذا الاجر بتجاوز مرحله التعتعه . فالأجر على الرغبه في القراءه . و هكذا نجد أن الرغبه في القلب تخلق أثرا في الوجود و تكون واديا يستمد من الحق تعالى . الرغبه

من حيث هي . فالرغبه من أفعال القلب ، فلها أجر خاص . و أما التعتعه و المشقه فكالمرض ، ينبغي السعي في علاجه كالذي لا يحسن السير على قدميه بسبب كسر اصابعهما ، فان سيره الى المسجد بمشقه لا يعتبر اجرا من حيث المشقه ، و انما من حيث الرغبه على الرغم من المشقه و الظروف الخارجيه . مما يثبت وجود الرغبه - و بالتالي أسسها الروحيه - و انها متجذره في القلب و قائمه في العقل . فالرغبه المستقله عن امكانيه تحقيقها كامله لظروف خارجيه لا مدخليه للانسان فيها ، لها قيمه و وزن . و لهذا من رغب في أن ينفق من ماله او يعين اخوانه ، و لكنه لا يجد وسيله لذلك و هو يفعل ما بوسعه و لكنه لا يستطيع ان يتمم كل رغبته ، فان الحق تعالى يعطيه اجرا خاصا لهذا المعنى الذي في قلبه . و كون الله يرتب عليه اجرا ، فان هذا دليل على ان لهذا الامر اثر ما في الوجود و أن له مدخليه في الحاله المعنويه للوجود . فالذي يتتعتع فيجاهد حتى تستوي قراءته ،لا ينقطع عنه الأجر الذي كان يجري عليه ، لان الرغبه التي دفعته للمجاهده قد اصبحت كالشجره التي أصلها ثابت و فرعها في السماء و تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . فالجهاد المعرفي صعب في البدايه ، و لكن أجره أبدي باذن الله تعالى .

في هذه الروايه شاهد على حقيقه أن كل مسلم يعتبر قائم مقام النبي من حيث الاصل، بحسب مستواه و درجته . و ذلك لان النبي طالب كل احد بان يكون هذا "الماهر بالقرءآن". و لم يقل أن العلم مخصوص بفئه دون فئه ، او انه على عموم الشعب ان يكون جاهلا يتبع احدا على عمى، او نحو ذلك من جرائم بحق الانسانيه تكثر او تقل في مختلف الامم . بل كل أحد هو هذا "الماهر بالقرءآن " هذا هو الاصل، و على الاصل ينبغي أن تسير قواعد الحياه و المعيشه. و ذلك لأن هذه الامه هي أمه هذا العلم ، و سفيره لهذا العلم ، و قائمه بهذا العلم ، فان اجتث الاصل سقطت الشجره ، و الشجره الساقطه ليس لها وظيفه الا ان تكون حطبا للهب او نحو ذلك من استهلاك مؤقت . فمن يقرأ القرءآن و لا يجد مشقه ، فهو السفير ، و من يقرأ القرءآن و يجد مشقه فعليه ان يثابر ، و هو آيضا سفير و لكن بالقوه ، و ذاك سفير بالفعل . اي الاول سفير ناضج ، و الثاني سفير تحت التدريب . و آيه هلاك هذه الامه و انقضاء دورتها هي هدم هذا الأصل الأعظم. لا قدر الله.

لا تستطيع ان تحكم انسان يرى ان مهمه وجوده اعلان حاكميه الملك الأكبر للوجود كله . و لا تستطيع ان تفتن انسان قد لبس نعال الدنيا في رجليه و وضع تاج العزه الالهيه فوق رأسه. و لا تستطيع ان تسترق انسان قد حطم اقفاص الكونين فطار فوق حجب الظلمات و النور و شاهد معدن العظمه و صارت روحه معلقه بالوجه الاكرم للجميل المطلق سبحانه. باختصار، لا تستطيع ان تسيطر على أمه عندها هذا القرءآن ان كان هذا القرءآن كعبتها و أصلها و مدار انماطها و فكرها و سلوكها. و تأثير هذه الامه في كل من تحل بينهم ، هو تأثير مخيف بالنسبه لارباب هذه الامم. و ليس من العجب ان يقول احدهم من قبل " لن نستطيع ان نحكم المسلمين الا اذا ابعدنا المسلمين عن القرءآن، او القرءآن عن المسلمين ". و هذا الابعاد يكون أحسن ما يكون بخلق مذاهب اسلاميه تفرغ القرءآن من روحه ، و تقتل المعنى الجوهري الذي فيه ، و تقلب معادله تسعه اعشار علم و عشر حكم ، لتصبح ٩٩٪ احكام شرعيه مظهريه و ١٪ عقيده جامده غايتها تثبيت هذه ال٩٩٪ من الاحكام الشرعيه. (و ليست من الشرع الحق في شئ يذكر اللهم الا كحظ اليهود من الايمان المذكور في قوله تعالى " بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا"). مضى زمن محاولات العدو في أن يحاول ابعاد الناس عن هذا الدين الاعظم عن طريق مهاترات بعض الصليبين الذي هم في موازيننا كلها يعتبروا صبيه لم ينضجوا في احسن الاحوال، و برابره في ادقها ، او محاولات الملحدين المباشره في نقد الروايه الفلانيه او القصه الفلانيه. هذه المحاولات المباشره لم تنجح كما كان المتوقع لها . منذ

زمن عرف العدو ذلك، فلاغلاق السفاره القرءآنيه ، يجب أن يتم اتخاذ مسلك اخر. و هذا المسلك يتمثل احسن ما يتمثل في مذاهب اسلاميه و "مفكرين" اسلاميين، و لكن بلا روح محمد، بل روحهم روح الرؤيه الغربيه النمليه للوجود ، و هم يشعرون او لا يشعرون. و يتمثل ايضا في الحروب و الهزات الاقتصاديه و السياسيه التي تجذب انتباه الناس و تصعقهم و تزلزل رؤيتهم للوجود و تشغلهم عن ما سواها ، بالاضافه الى العاب القرود الاخرى و التسويق لحياه بل حيوه احسن ما يقال فيها انها خنزيريه . و كل هذا يؤدي الى خلق هوه عميقه بين روح محمد القرءآنيه، و نفوس الغرب السفليه (الغرب كرؤيه وجوديه تنحصر في مستويات متدنيه من الوجود كالنمل، و ليس افراد يعيشون هنا او هناك).

و مع الاسف، فان السعي لقتل السفاره القرءآنيه قد بدأ منذ زمن ، و الذين جاؤوا بالافك عصبه منا . و هذا الافك هو خلق بحار متراكمه من كتب الروايات و الشرعيات و الحكايات و نحو ذلك ثم زعموا أن كل هذا ضروره لفهم القرءآن و التعاطي معه . فانقسمت الأمه الى طبقه تكرس كل وقتها حتى تستطيع ان تعالج كل هذا الركام من الكتب الكثيره المعقده ، و طبقه اخرى لا تعرف من القرءآن الا رسمه و لا من الاسلام الا اسمه - هذا في أسوأ الحالات ، و الا فإن الحاله العامه كانت غير ذلك . الا ان هذا تأسس منذ زمن و تم اجتراره الى هذا العصر ، الا انه خف كثيرا في الاونه الاخيره و بدأت تباشير و ارهاصات اشراق شمس قرءانيه من جديد . و الحق أن كل هذه الكتب الاخرى ، و كل ألفه العلماء و أهل الذكر و الفكر على مر القرون ، هو ميراث عظيم لا نبخسه حق بل نجله و نحبه و نغوص فيه . و لكن المشكله مشكله أولويات . و مشكله عقبات . الأصل أن تكون للقرءآن الاولويه المطلقه ، و لا توضع اي عقبه امامه ، و إنما يقرأه الكل و يدرسه الكل ، و هو محور حياه الكل ، ثم بعد ذلك ان وجد مشقه في ناحيه كان هذا استثناءا و يسعى صاحبه الى اصلاحه ، و ان وجد اعوجاجا في نفسه راح يقومه . و لكن في كل الاحوال المحوريه المطلقه هي للقرءآن العظيم . فكل ما سواه يدور في فلكه . و الذين كان يأمرهم النبي بأن يكونوا ممن ينطبق عليه " الماهر بالقرءآن " لم يكونوا في معظمهم الا اعرابا و أناس لا يحسنون القراءه و الكتابه ، فضلا عن أن يكونوا يملكون ميسرات و وسائل و مكتبات و مدارس و مساجد و اساطيل من العلماء و اهل الذكر و الفكر ، ممن سخروا حياتهم لخدمه القرءآن و أهله ، و الكشف عن معانيه و مقاصده و اسراره . نعم ، ان هذه الشروط الخارجيه تعتبر مساعده ، اذ فقه القرءآن و الحياه به لها بالاساس شروط قلبيه عقليه ، فدراسه القرءآن ليست مجرد جمع للمعلومات ، و انما هي علم و عرفان بالدرجه الأولى . و وسائل التفرغ للعلم و وسائل الراحه من الامور البدنيه في هذا العصر هي أكبر و أكثر مما توفر للناس في ما سلف من الازمان الى حد كبير. فضلا عن بقيه الوسائل الأخرى المساعده . فان كان النبي قد وضع القرءآن في يد كل مسلم في ذلك الزمان ، فوضع القرءآن في يد كل مسلم في هذا الزمان أولى و أولى . و القرءان في يد كل مسلم في هذا الزمان ، و انما الحديث عن كشف الحياه القرآنيه و التي تدور في فلكه و تستمد منه و تتشكل على أساسه حياه الفرد و الاسره و المجتمع و الامه عموما. و للقيام بذلك نرى أن من الشروط الاساسيه هي أن تتم تنحيه ما سوى القرءآن مؤقتا ، الا ما كان متعلقا بالقرءآن مباشره . و إني لا أدعو الى أمر اخالفه. فأنا لا أكتب الا في ثلاث مواضيع أساسيه : اما دراسات محضه لكتاب الله، و هي خير كتبي عندي لأنها تعبر عن عبادتي المباشره لله تعالى و خلافتي عنه و سفارتي له. و إما دراسات لكتب العرفاء مثل الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي ، التي هي دراسات قرءآنيه من الطراز الارفع . و إما دراسات لروايات تنسب للنبي و غيره مما يتعلق بالقرءان و يدور في فلكه و يمكن اتخاذه كمنطلق لمزيد تفقه

في الكتاب العزيز ، كمثل هذا الكتاب . و الموضوع الرابع و لا أحب أن أكتب فيه الا اني مضطر الى ذلك ، و هي مجادله الاخوه من الذين يخالفونا في توجهنا القرءآني المحض ، و الايمان بان له الاولويه على كل ما سواه من سنه او اجماع او قياس او تاريخ...الخ. و هذا من القتال الذي نكرهه إلا أننا لا نبرزه الا في الحالات الضروريه جدا و التي لا نجد وسيله اخرى لرد الحاله الا بها . و في كل الحالات و المواضيع ، فان المحوريه هي للكتاب العزيز ، و من لم ينظر في كتب من نحب ان نتعلم منهم و نستفيد من كشوفاتهم ، فان هذا ان اخذ بكتاب الله و لم يأخذ بأي شئ مما سواه ، فانه عندنا مقبول بالقدر الذي يأخذ بالكتاب العزيز. و لا نملك اي حجه ضد مثل هذا الاخ. و لكن في تجربتي و رؤيتي ، فان مثل هذا المسلك يكون ضعيفا ان لم تتوفر له شروط اخرى ، ليس هنا محل ذكرها.

الفكره الاساسيه من هذه الدعوه التي ذكرتها هي أن اعاده بناء الأمه و ترميم ما انهدم فيها، يكون عن طريق اعاده الاستمداد من روح الامه و أصل نشأتها. و ليس هذا الا هذا القرءآن. و ما سوى ذلك من أمور ، أيا كانت ، يجب أن يتم اخضاعها له ، طوعا ، فان لم نجد وسيله لاخضاعها طوعا اعرضنا عنها و وكلنا امرها الى الله. و أما استعمال ما سوى ذلك ، فعدم فلاحه ثابت بشتى الطرق ، و أحسب أن تجربتنا الأمميه آتت أكلها و ظهر حالها . فقد مررنا بالاطوار التي وصفها الله لشجره الدنيا التي تقوم على غير أسس محض الهيه ، " كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج ، فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ". و النظر الى فتره الهيجان و استعمالها كحجه لاثبات ان هذه الشجره كانت عين الشجره المباركه ، يعتبر احتجاج يستحق ان يوصف بأنه : غريب . لنلطف العباره قدر الامكان مع الاخوه . ان الامور ينظر اليها بكليه، و في مختلف المراحل . و الطرف الاخر لهذا الاحتجاج الغريب ، أن يتم النظر الى فتره الاصفرار و الحطام للقول بان هذه لم تكن شجره و لم تثمر شيئآ و لم تظلل احدا . فكلا الموقفين متطرف و مختزل . و هو من اسلوب المختزله . و انما الحكمه أن ننظر في ما تعلمناه من هذه التجربه و هذه الدوره كلها ، حتى نعرف موقعنا اليوم بالنسبه اليها ، و ان كنا نستمد قيمتها و رؤيتها من "فوق" رؤوسنا ، و ليس من "خلف" ظهورنا. و لكن مع ذلك فان النظر الى الخلف يكشف اشياء تنفع .
و مجمل القول : سفاره كل مسلم و مسلمه ، و المحوريه المطلقه للقرءآن ، و تنظيم المعيشه الاجتماعيه بعيدا عن الفرعنه و التشريع لها ، هذا هو الاساس الذي على الأمه أن تقوم به أن أرادت أن تبعث من جديد و تشرق من جديد. و انظروا في كل تجربتنا و ستجدوا أن غياب هذه الاركان الثلاثه او احدها كان هو السبب الاعظم لكل انحدار. و وجودها هو السبب الاعظم للرفعه و الجمال .

و هذه الاركان الثلاثه تشهد لها فكره " الماهر بالقرءآن "، سواء الماهر بالفعل او الماهر بالقوه. فتأمل. و على الله قصد السبيل .

.....

٤- " إنما هلك من كان قبلكم ، باختلافهم في الكتاب " .

يروى أن النبي قال هذا حين سمع صوت رجلين اختلفا في آيه ، فخرج عليهم و يعرف في وجهه الغضب ، فقال ما قال عليه السلام . فالاختلاف في الكتاب هو سبب "هلاك الأمم" . و لاحظ كلمه "إنما" في بدايه الكلام الشريف . و هذه الروايه يشهد لمضمونها القرءآن الكريم، في أكثر من موضع ، كقوله تعالى " و ما اختلف فيه الا الذين أتوه من بعد ما جاءهم العلم : بغيا بينهم " . و في ايه اخرى " إن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ". و هذا مستفيض في كتاب الله تعالى . فما هي أنواع الاختلاف في الكتاب ؟ فبدون فهم هذا ، لا يمكن أن نفهم مقصود النبي من نهيه عن الاختلاف الوارد في هذه الايه ، و تفسير غضبه عليه السلام حين سمع اختلافا في "آيه" ، فضلا عن اختلاف في ما هو اكثر من ايه . و حيث إن النبي عليه السلام يعلم حتما أن الاختلاف في الكتاب هو سبب هلاك الأمه ، يعلم ذلك من القرءآن ، و يعلم ذلك من العقل العام الذي يثبت أن الأساس الذي أقيم عليه شئ إذا انهدم او اختل انهدم الشئ او اختل و كتاب الله هو أساس قيام هذه الأمه ففي الاختلاف فيه هلاكها . و يشهد لهذا العلم هذه الروايه و أشباهها كثير .

أول صوره من صور الاختلاف في الكتاب هي الاختلاف في كون هذه الايه او تلك من الكتاب. أو هذه الكلمه او تلك من الكتاب . أو هذا الحرف او ذاك الحرف من الكتاب . أي بعباره واحده: الاختلاف في نص الكتاب.

الصوره الثانيه للاختلاف في الكتاب هي الاختلاف في فهم النص . و هذه الصوره تتشعب الى شعب كثيره ، منها مثلا : ترتيب الأولويات القرءآنيه ، فما هي أهم أصول الدعوه القرءآنيه، فهذا يقول انها عقيده معينه و ذاك يقول انها عمل جسماني معين و ثالث يقول انها عقيده و عمل، و رابع يقول انها عقيده أ ، و خامس يقول ليس أ و لكن العقيده ب ، و هكذا الى ما لا يتناهى من امكانات من الناحيه النظريه و التي تنعكس في الناحيه العمليه ، و لا نريد ان نضرب امثله من واقع حال الأمه بهذا الصدد فهو معروف للجميع . و منها تفسير هذه الاولويات القرءآنيه ، فاذا فرضنا أن الأولويات ثابته ، فان تفسير هذه الاولويات يمكن ان يقع فيه الاختلاف ، فمثلا " وحده الله " تعالى ، ما هي و كيف هي و ماذا يترتب عليها و نحو ذلك من أمور كلها مما يمكن - بل وقع - فيه الاختلاف . و مثلا " خاتم النبيين " ، ما معناها و ما حدودها و ما هو حل تعارض فهم معين لها مع سنن الهيه و ايات قرءانيه اخرى و بقيه المباحث. و مثلا " أولي الأمر منكم " هل هي مسأله سياسيه دنيويه ام روحيه ملكوتيه ام كلاهما ، و ان كانت الاولى فما هي شروطها و ما هي طريقتها ، و هكذا في بقيه الاحتمالات . فالاختلاف في فهم النص القرءآني يرجع الى أمرين : ترتيب الأولويات ، و تفسير الأولويات . من أعلاها الى أدناها.

فاذن نخرج بصورتين للاختلاف في الكتاب : ذات الكتاب ، و فقه الكتاب .

و لما أن النبي عليه السلام يعلم قطعا أن الاختلاف في الكتاب سبب لهلاك الأمه ، فهذا يعني أنه يوجد احتمالين في سلوكه عليه السلام : الاحتمال الأول أنه اتخذ طريقا يقطع أصل أسباب الاختلاف في كلا وصورتيه . الاحتمال الثاني أنه لم يقم بمقتضى الاحتمال الأول ، أي إما انه ترك الأمر هرجا و مرجا بنحو كلي ، فكان همه أن يعيش هو في حدود حياته بطريقه تضمن السلام و الوئام و لكنه لا

يبالي بما يحدث بعد وفاته في الأمه ، أو أنه سلك طريقا يؤدي بنفسه الى وقوع اختلاف بسبب "ذات النص" او "فقه النص" ، أي أنه - بعباره صريحه - لم يتقن و لم يحسن القيام بما من شأنه أن يحل هذا الاختلاف بصورتيه . كيف يمكن أن نعرف أي هذه الاحتمالات الثلاثه هو الذي وقع ؟ يوجد طرق .
فقد ننظر الى واقع حال الأمه من بعده ، فنرى إن كانوا قد اختلفوا و تنازعوا ، فنعتقد بالاحتمال الثاني او الثالث ، أي باختصار ان النبي لم يبالي بأمته من بعده . و لكن هذا الطريق غير سليم . فالنبي قد يكون قد اتخذ السبيل الاقوم الذي يستطيع ان يتخذه لحل الاختلاف في الكتاب ، و لكن ليس في القرءآن و لا في العيان و لا في البرهان ما يثبت أن الناس و اقوام الانبياء هم ممن يسبحون الليل و النهار لا يفترون و اذا أمرهم بأمر يأتمرون. بل ان دراسه القرءآن تعطي أن الاقرب الى الواقع هو أن سنه أقوام الأنبياء هي الجحود و التغيير و التبديل و البغي على بعضهم بعضا بعد اذ جاءهم العلم . و لكن يوجد ايات اخرى تثبت قيمه لاتباع هذا النبي عليه السلام ، و ان لم يكن كلهم فمنهم من يريد الدنيا و منهم من يريد الاخره، و منهم مذبذب لا الى هؤلاء و لا إلى هؤلاء . فالنظر الى واقع الأمه لا يكفي للجزم بأن النبي عليه السلام قد سلك هذا الاحتمال أو ذاك .
وقد نستقرئ القرءآن و المرويات ، و نتأمل في الحوادث التي وقعت مباشره بعد عهد النبي عليه السلام ، لنرى مدى اهتمام النبي بحفظ نص القرءآن و مدى اهتمامه بعدم اختلاف أتباعه . فنرى من هنا ما يثبته النبي بنفسه ، ثم نحاكم ما يقوم به هذا الفرد او تلك الجماعه الى هذه المقاييس النبويه . و يبدو أن هذا هو الطريق الاسلم و الاقوم . فلنسير فيه ثم نرى أين ينتهي بنا المسير ، ثم ننظر . و لنبدأ بتدابير النبي لحفظ ذات الكتاب ، ثم بمنع الأمه من الاختلاف . و قبل أن ندخل في هذا ، يجب أن ندرك أن الاختلاف في فقه الكتاب ليس كله باطل بل بعضه ضروري الوقوع - بمعنى أنه واقع و سيقع لا محاله - لأن مستويات العلماء تختلف في الفهم فيكون الاختلاف واقع حتما ، و القرءآن طافح بهذا المعنى ، و انما الاختلاف المقصود هو الذي يؤدي الى هلاك الأمه ، و الهلاك يعني الهلاك ، معناه ظاهر بنفسه ، و الأمه تهلك أول ما تهلك بأن تنشق الى أمتين فما فوق ، و هذا لا يعني وحده الفهم و الاعتقاد المطلق لكل الأمه فهذا مستحيل عضويا و ثابته استحالته قرءآنيا ، اذ " هم درجات عند الله " ، و انما يسيل الوادي بقدره لا بقدر ماء السماء ، و البحث المفصل في هذا المعنى ليس هنا محله . فتعالوا ننظر.

..

حفظ ذات الكتاب .
هل حفظ القرءآن في الصدور ام في السطور ، و أيهما هو الأصل ؟ ان الاجابه عن هذا السؤال تقوم على أمرين : الأمر الأول هو مسأله نزول القرءآن ، أي هل نزل دفعه واحده أم هل نزل على دفعات متتاليه أم أمر بين الأمرين ؟ فنزوله على النبي دفعه واحده ، في ليله القدر ، لا يعني أنه على النبي أن يكشفه للناس دفعه واحده او يقرأه عليهم مره واحده ، فقد يكون الكتاب كله عنده و لكنه يقرأه على الناس على مكث . الايات القرءآنيه التي تثبت نزول القرءآن دفعه واحده على النبي عليه السلام هي الاصل في ذلك ، مثل قوله " شهر رمضان الذي انزل فيه القرءآن " و " انا انزلناه في ليله القدر " ، و لم يقل : انزل فيه "بعض" القرءان ، أو انزلنا منه او بعضه في ليله القدر . و لكن يوجد ايات اخرى تدل على ان النبي كان يقرأه على الناس على مكث ، و الله كان يعلمه النبي على دفعات ليثبت به فؤاده و رتله ترتيلا . و يوجد نظريات مختلفه في هذه المسأله ، و الذي نذهب اليه هو أن القرءآن

نزله كله على النبي عليه السلام في ليله واحده ، و في لمح البصر وجد القرءآن كله في قلبه . و لكن الخلاف في هذه المسأله لا يضر كثيرا بالنسبه لمسأله حفظ ذات الكتاب ، كما سنرى بعد قليل ان شاء الله ، و إنما الأهم هو الأمر الثاني ، و هو هل كان القرءآن كله مكتوبا على عهد النبي أم أن هذا أمر استحدث لاحقا على يد فلان او علان من الناس كما يروي ارباب الفرق و كل ينسب الى أرباب فرقته أنهم الذين جمعوا القرءآن و كتبوه و بالتالي حفظوه ؟

أما حفظ القرءآن في الصدور ، فإنه يكون سبب للاختلاف في ذات الكتاب حتما . لأن نسبه الايه الى القرءآن ستكون عندها مسأله ذاتيه و ليست مسأله موضوعيه . فان قال حزب " هذه الايه من القرءآن " و قال حزب اخر " بل هذه الايه ليست من القرءآن " ، بعد وفاه النبي ، لم يكن لاحدهم حجه على الاخر ، فهذا يقول حفظت كذا ، و ذاك يقول لم احفظ كذا ، و تهلك الأمه بالاختلاف في أصل الكتاب . فإن كانت جماعه معينه لها كثره و شوكه أكثر من غيرها ، كانت النتيجه هي قهر الجماعه الاقل و تغيير نص الكتاب بالصوره التي تراها الجماعه النافذه . و يوجد ايات قرءانيه كثيره و روايات تثبت هذا المعنى و تدل عليه ، بالرغم من أنه ثابت بنفسه .

أما من القرءآن ، فأولا، فيقول الله في مسأله كتابه الدين و الاشهاد عليه " و لا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله و أقوم للشهاده و أدنى ألا ترتابوا " . و قال في الشهاده " أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى " . و هذا في مسأله مال دنيوي . أي الله تعالى فرض الكتابه و شدد فيها في مسأله دينار او دراهم معدوده ، صغيره او كبيره، و فرض لها الكتابه و الاشهاد بكل التفاصيل المذكوره في الايه المباركه ، ثم علل ذلك بأن الكتابه أقسط و أقوم و أقرب لليقين . و لم يكتف بالكتابه فالحقها بالشهاده على المكتوب . فان كان هذا في أمر دنيوي ، فكيف يكون تشديد الله في أمر كتابه العزيز الذي بهلاكه تهلك أمه و ليس فقط تهلك بضعه دريهمات لفلان و علان من الناس . فالكتابه هي العمل الأساسي لحفظ الأمر. ثم تأتي الشهاده على المكتوب ليزداد الأمر ثبوتا على ثبوته .

ثانيا ان ذكر القرءآن للمنافقين و الكذابين ، بدون ان يعين أسمائهم ، و قد ذكر أنهم من أهل المدينه و من حولها ، " و من أهل المدينه مردوا على النفاق لا تعلمهم " ، فان كان القرءآن في الصدور فقط او كأصل في عهد النبي ، فبعد وفاته يأتي منافق و يقول أن ايات معينه كانت في القرءآن و هي الان ليست فيه ، أو منافقه تدعي انها سمعت او كتبت عن النبي ايات معينه

ثالثا تلفت او ضاعت هذه الايات ، و ياتي غيره ممن يدعي ان سوره كذا كان طولها كذا و لم يبق الا نصفها او ربعها في هذا القرءآن ، او يأتي غيره ممن يدعي ان في القرءآن كان يوجد أسماء فلان و علان من الناس و لكنها تبدلت بعد ذلك ، و كل واحد من هؤلاء يزعم أنه سمع من النبي او كتب عن النبي او نحو ذلك ، و لا مجال للاحتجاج لقول او لرده ، اذ هو زعم صاحبه. و لا مجال للرد عليهم حيث اننا لا نعلم بالقرءآن أسماء المنافقين لنعلم من هم فنجتنب دعاواهم. و الله يقول " ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " و لا مجال للتبين في هذا المجال ، اذ لا حجه موضوعيه . فيقع الاختلاف حتما في ذات الكتاب .

رابعا ، إن مفرده " الكتاب " و الاشاره الى القرءآن بأنه كتاب هي مما ورد في عشرات المواضع منه بل عشرات العشرات . و الكتاب معروف ما هو . بل انه ذكر انه في صحف . " رسول من الله يتلو صحفا مطهره " كما في سوره البينه . و ليس بعد ذكر الكتاب و الصحف من بيان في اللسان العربي ليدل على أن المذكور مكتوب في كتاب و مجموع في صحف .
ثم إن سنه الله مع الأنبياء الذين اتاهم كتابا أن يكون كتابا مكتوبا ، كما هو الحال مع موسى و كتابه . و لا نعلم سببا للتفريق بين الكتاب الذي نزل على موسى و الذي نزل على محمد من هذه الحيثيه ، خصوصا و أن كون الكتاب مكتوبا هو الافضل و الاسلم من كل النواحي بلا استثناء ، و لا يوجد اي سبب من اي نوع يجعل عدم كتاب كلام الله هو التوجه الافضل بل انه توجه فاضل حتى نقول بغير ذلك ، و بالاخص بعد رؤيتنا لاهتمام الله تعالى بمسأله كتابه دين مالي دنيوي "صغيرا او كبيرا" و كتابته بالتفاصيل و الاشهاد عليه حتي يكون ذلك "أقوم عند الله و أقربهم للشهده و أدنى ألا ترتابوا ". و يكفي هذا من القرءآن .

أما من المرويات.
فنبدأ أولا ، من قول النبي في روايه شهيره رواها أصحاب الصحاح، و هي قوله "بئس ما لاحدكم يقول :نسيت ايه كيت و كيت ، بل هو نسي ، استذكروا القرءآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها . و كذلك قوله " انما مثل صاحب القرءآن كمثل الإبل المعقله : ان عاهد عليها أمسكها و إن أطلقها ذهبت ". و هذه الروايات و إن كانت تثبت حفظ القرءآن في الصدور ، و هذا ثابت غير منكر ، و إنما نتحدث عن الأصل و عن الجمع و أنه لا يمكن أن يكون النبي بحال من الاحوال تركه لغيره لا في زمنه فضلا عن بعد وفاته . فهذه الروايات تثبت ان القرءآن يتفصى و يذهب من صدور الرجال ، هذا هو الاصل كما ان الاصل هو ذهاب الأبل في حال سبيلها و الاستثناء ان يتم عقلها جيدا و ربطها . فإن كان الأصل هو نسيان القرءآن و ذهابه من الصدور ، و الاستثناء هو ثابته بكثره استذكاره و تعاهده ، فأنى لعاقل من صغار العقلاء أن يعول على قيام أمه بكاملها و عدم اختلافها في أصل كتابها عن طريق حفظ الكتاب في صدور الرجال . فإن كان هذا هو حال الكتاب في صدور الرجال الذي يجتهدون في حفظ القرءان و تعاهده ، فماذا يكون حال غيرهم من افراد المسلمين ، فضلا عن المنافقين و الروايات تثبت ان من المنافقين من يقرأ القرءآن ، و ضرب له النبي مثلا " مثل المنافق الذي يقرأ القرءآن مثل الريحانه ، ريحها طيب و طعمها مر " ، و هذا شاهد اخر على المعنى الذي ذكرناه قبل قليل من أنه ان لم يكن القرءآن مكتوبا عند النبي و منشورا و مشهودا عليه من قبل الناس ، و ترك النبي الامر لبعد وفاته ، فقد يخرج مثل هذا المنافق الذي يعلم النبي انه ممن يقرأ القرءان ، فيدعي ان كذا من القرءآن و كذا ليس منه . و لات حين مناص .

ثانيا ، الاشاره الى القرءآن بانه "كتاب الله" في روايات متعدده في مختلف المواطن نذكر منها ما ورد لفظ الكتاب في نصه و ما يمكن استنباط اصل الكتابه من مضمونه و لوازمه. "من قرأ حرفا من كتاب الله" و هي روايه مشهوره جدا ، و كذلك بنحو ادق روايه " الماهر بالقرءآن مع السفره الكرام البرره " و السفره جاؤوا بصحف مطهره فتأمل ، و كذلك قوله عن القرءآن " لا يزيغ فيستعتب و لا يعوج فيقوم " و الكلام المنقول شفهيا هو مما يمكن ان يزيغ و يعوج ، كما هو الحال في الروايات الشفهيه على اختلافها ، و هذا معلوم حتى في التعاملات العاديه للناس، و قد تحرج بعض الصحابه لاحقا عن روايه الاحاديث عن النبي خشيه من الخطأ في الروايه فكيف يكون الحال مع كلام الله

تعالى إن كان منقولا شفهيا . و كذلك الروايه العظيمه الجامعه التي سنفردها بباب ان شاء الله ، حين سئل النبي عن المخرج من الفتنه القادمه كقطع الليل المظلم فقال " كتاب الله " و يعلم كل دارس للروايه مدقق فيها غير متحيز الى فئه ، أن السمات التي وسم بها النبي القرءآن يستحيل أن تثبت إن لم يكن الكلام "كتاب" مكتوبا مجموعا في وحده ثابته ، و إلا لكان مثله مثل هذه المرويات و الحكايات التي يختلف الناس فيها و يتفاضل الناس فيها بحسب معاييرهم الخاصه ، و لاحظ انه قال "كتاب الله" بالمفرد و لا نعرف في اللسان العربي عباره اوضح من هذه. و كذلك قوله " إن سوره من القرءان ثلاثون ايه " مما يعني ان القرءآن كان مقسما الى سور و الايت مقسمه الى اعداد معروفه ، و يوجد اكثر من روايه بهذا المضمون كقوله "من قرأ عشر ايات من اول - او اخر - سوره الكهف عصم من الدجال " ، و كذلك قوله عن سوره البقره و ال عمران ، و سور يس ، و كل ما ورد في الصحيح من روايات ما يسمى بفضائل القرءآن و سوره و اياته . و كذلك قوله " من قرأ بفاتحه الكتاب " فواضح انه "كتاب" و ان له "فاتحه " و بالتالي كان مرتبا معلوما على عهد النبي و معلوما لمن يخاطبهم النبي. و كذلك الروايه القاطعه " قراءه الرجل في غير المصحف ألف درجه، و قراءته في المصحف تضعف على ذلك الى ألفي درجه " و كذلك الروايات التي تثبت ان "النظر في المصحف عباده" و هو معنى ورد عن النبي و غيره . و كذلك قول النبي لأبي بن كعب " أتدري أي ايه من كتاب الله عز و جل معك أعظم " . و كذلك " من قرأ هاتين الايتين من خواتيم سوره البقره في ليله كفتاه ". و من أشق المشاق بل يكاد يكون من المستحيلات عمليا الا بجهد عظيم أن يعرف الانسان عدد ايات السوره و من اين تبدأ الايه و تنتهي في كل سوره إن لم يكن ممن يقرأ في مصحف او ينظر في كتاب و لو حين تعلمه في الاصل ، و لا اقل ان تحمل مثل هذه المشقه و عدم تدوين القرءان في كتاب جامع لا مبرر لها و لا داعي اليها ، بل الدواعي و المبررات كلها للتوجه الثاني. و هل بعد قول الله " ان علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي و لا ينسي " من حجه في هذا المجال ! و بهذا احتج بعض التابعين على حجيه كتابه العلم ، فان كان الله يكتب في كتاب ، فلا يضل و لا ينسى ، و ان كان الكتاب عند الله له معنى خاص ، و لكن الفكره واضحه و مشهوده و محسوسه للناس في كل مكان و زمان ، و عدم الكتابه سبب للضلال و النسيان او مساعده عليه . و كذلك روايه " أفلا يغدو احدكم الى المسجد فيعلم او يقرأ آيتيت من كتاب الله " . و عن عائشه في صحيح مسلم روايه غريبه و لكن ننقلها لمن يصدقها ، " أن النبي سمع رجلا يقرآ من الليل ، فقال : يرحمه الله ، لقد ذكرني كذا و كذا ايه كنت اسقطتها من سوره كذا و كذا " فإن كان النبي يمكن ان تسقط من حفظه ايات، فكيف يأمن بعد ذلك ان لا يسقط غيره ايات فيعتمد على حفظ صدورهم ! و الاختلاف في القراءه ورد في عهد النبي نفسه كما في روايه عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم عن الاختلاف في قراءه سوره الفرقان فقال النبي انها نزلت بكلا الوجهين . فهذا اختلاف في القراءه في عهد النبي ، و لولا وجود النبي لما وجد فاصل للخلاف بينهما ، فكيف يترك الأمر سدى من بعده و هو قد شاهد و جرب و عاين الاختلاف في عهده و أما عينيه و حسه.

و من الروايات المهمه في هذا المجال قصه اسلام عمر بن الخطاب . حين دخل على اخته و عندها "صحيفه" ، "صحيفه" ، "صحيفه " ، و ليس عظما و لا شحما و لا تيسا و لا بغلا مكتوب عليه كلام الله الاعز الاكرم ، انما "صحيفه " ، و ان كان النبي يجد "صحيفه" ليكتب عليها كلام الله و يتدارسها المسلمون و يقرأون بوساطتها ، و فيها سوره طه ، فلم لم يحفظها خباب بن الارت عن ظهر قلب و يذهب خصوصا و هم في فتره اضطهاد و فتنه ، و ان كان النبي يملك صحيفه في هذه الظروف الحرجه فكم بالاحرى ان يملك صحائف حين أصبح يملك ان يجيش جيشا من عشره الاف مقاتل و يحكم الجزيره العربيه او اجزاء كبيره منها. و في بعض الروايات في اسلام عمر، كما يكتب بعض

اهل التاريخ ، أن في الصحيفه كان يوجد " طه و سور أخرى " (الصلابي ص٢٢ من كتابه عن عمر) ، و آخر يكتب أن عمر قال لاخته "أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه " فاغتسل ثم قرأ " الكتاب" (الرحيق المختوم ص١٠٥). و روايه اسلام عمر مشهوره . مره أخرى نفس الكلمتين العربيتين الذين لا يوجد غيرهما للدلاله على كون الشئ مكتوبا كتابه محترمه أي على صحف مخصصه للكتابه (وليس على عظم و ما أشبه ، و لا نعرف روايه واحده صحيحه او مكذوبه أن النبي قال " اتوني بعظمه اكتب لكم كتابا " او " اتوني بتلك العظمه التي كتبتم عليها سوره كذا " او ان صاحبيا قال "ان عندني عظمه مكتوب فيها ايات الرضاع فعضها الكلاب " بل دائما تذكر الصحف و الكتب. او ما اشبه فتأمل) .

و من الروايات التي يمكن ايرادها في هذا المجال كل الروايات التي تتضمن ارسال النبي احد اصحابه للدول المجاوره بخطابات للملوك . و هذه تدل على أمرين : ان النبي كان يملك صحفا ليكتب عليها ما كتب من رسائل للملوك ، و لو كان يوجد قحطا فيما يتعلق بوجود الصحف لاستعمل النبي هذه الصحف لكتابه القرءآن فهو أولى ، فتثبيت أساس الدين أولى من الدعوه الى الدين . و الامر الثاني انه من المعلوم ان تلك الدول المجاوره تملك صحفا كثيره للبيع ، و مؤلفات أصحاب الديانات المختلفه و الفلسفات المتعدده موجوده و مكتوبه منذ قبل بعثه النبي بألف سنه او اكثر ، فان كان يوجد قحط صحفي في جزيره العرب ، التي هل المحطه الوسطى لتوقف تجار الشمال و الجنوب بالمناسبه ! ، فانه حتما غير موجود في تلك الدول ، فلا اقل ان يقول النبي لرسله : بلغو رسالتي للملك ثم اشتروا لنا صحفا كثيرا لنكتب عليها كتاب الله . و ليس في هذا شطط بل هو اقل من اضعف الايمان .

و من الروايات كذلك كل ما ورد في كتب الصحاح عن كتابه العلم . كصحيح البخاري ، في كتاب العلم ، باب ٣٩ : كتابه العلم . يورد البخاري - رحمه الله - أربع روايات في هذا الباب.

ففي الأولى عن علي حين سئل : هل عندكم من كتاب ؟ فقال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفه . انظر مره اخرى : كتاب ، صحيفه .
و في الثانيه أن رسول الله خطب خطبه ، فطلب أحد الناس من الرسول أن يكتب الخطبه له، فقال الرسول " اكتبوا لابي فلان " . و هنا نجد أن الرسول كان يرضى بكتابه خطبه من خطبه حتى يحفظها السامع ، فإن كان الأمر كذلك في خطبه عارضه ، فكيف بخطاب الله تعالى .
و في الثالثه عن أبي هريره انه قال : ما من أصحاب النبي - صلى الله عليه و سلم - أحد أكثر حديثا عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو (اي بن العاص) فإنه كان يكتب و لا أكتب . و معلومه الروايه عن عمرو أنه كان يكتب ما يخرج من فم النبي بلا تمييز بين حالات الغضب و الرضا ، فقال له النبي " اكتب فوالله ما خرج منه الا حق " ، و أقل ما يؤخذ من هذه الروايه أنه كان بعض الصحابه يكتبون كلام النبي ، في كتب و في صحف ، مما يعني وفره مواد الكتابه و الاتها ، و هذا أمر نعرفه من القرءآن حين أمر الله بكتابه الدين صغيرا او كبيرا ، و الله لا يكلف نفسا الا وسعها . فأسطوره قحط مواد الكتابه ليست الا اسطوره بالمعنى السلبي للاساطير .

و في الرابعه الحادثه المسماه برزيه الخميس، حين قال النبي قبل وفاته ، " اتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا " فانشق من في بيت النبي فريقين منهم يريد ان ينفذ الامر النبوي و منهم من يرى رأي عمر ، و قال عمر " عندنا كتاب الله حسبنا " فأخرجهم النبي من بيته و قال " قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع " ثم قال ابن عباس : ان الرزيه كل الرزيه ما حال بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم - و كتابه .

و لننظر في هذه الروايه فان فيها شأن عجيب. و هي حادثه مشهوره و هي من أهم أسس انشقاق الامه من بعد ذلك الوقت كما يراه الشيعه ، و هي رزيه ما بعدها رزيه كما يراها ابن عباس .

اختلف الناس في تفسير هذه الروايه ، و استنباط الامور منها ، و اختلافهم معلوم فلا نعيده ، المهم في مقامنا هذا هو مسأله كتابه القرءآن و جمعه في عهد النبي عليه السلام .

لاحظ قول النبي " ائتوني بكتاب " ثم رد عمر " عندنا كتاب الله حسبنا " . فهذه واحده . مره اخرى كلمه كتاب .

ثم لاحظ ان الخلاف وقع بالرغم من "قول" النبي الحي الحاضر. و بعباره النبي " التنازع ". و بعباره ابن عباس " فاختلفوا و كثر اللغط ". فهذا في "قول" النبي الحي الحاضر المباشر الذي لا نعرف كيف كان سببا للاختلاف و كثر اللغط بل التنازع. لو كان أحد أفراد العلماء على سرير الموت ، فقال لمن حوله : ائتوني بكتاب . لكان من حوله من اتباعه أسرع الناس الى تلبيه طلبه بلا نقاش و بلا فلسفه . ما شأنك أنت و ما يريد النبي ان يكتبه ! النبي يأمر فتستجيب فورا. إن كانت الروايات الاخرى تظهر ان النبي اذا أمر شخص أن يأتيه و هو في الصلاه، فعلى المدعو أن يقطع صلاته و يأتي النبي ، و احتج النبي بقول الله " يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم ". فكيف و النبي علي سرير الموت ، و يريد ان يكتب كتابا " لن تضلوا بعده أبدا " . لا نريد ان ندخل في تفاصيل ذلك ، و لكن الاشاره اليه ضروريه لبيان ما نريد ان نبين . فإن كان أصحاب النبي يمكن ان يختلفوا و يكثر اللغط بينهم بل يتنازعوا في تنفيذ أمر النبي الحي الحاضر المباشر ، فما اكثر اللغط و الاختلاف بل التنازع اذا كان كلام الله مجرد قول يتناقله القوم .

ثم لاحظ ان ابن عباس يقول عن ما كان النبي سيكتبه " كتابه " ، فكتابه يعني كتابه ! اي المكتوب في كتاب . فليعذري القراء الاعزه في الاطاله فيما يبدو انه بديهي ، و لكن هذا يحصل حين يختلف الناس في البديهي فيختلقوا ما يكون سببا لهدم الامه و هلاكها من حيث شعروا او من حيث لا يشعرون . و لنكتف بهذا القدر فيما يخص هذه الروايات التي اوردها البخاري.

و مما يمكن أن يورد ايضا روايه اخرجها الترمذي و احمد و ابن حبان و ابن ابي شيبه و الطبراني في الكبير و البيهقي في الشعب و الحاكم النيسابوري في المستدرك (كما هو في حاشيه البرهان في علوم القران للزركشي تحقيق الدمياطي) و هي عن زيد بن ثابت قال : كما عند رسول الله - صلى الله عليه و سلم - نؤلف القران من الرقاع الحديث . و هذا شاهد على ما ذكرنا الى الان عشرات الشواهد عليه. ففي حضره الرسول كان يتم تأليف القران و باشرافه و عنده و على عينه .

و كذلك ما روي عن نهي النبي أن يسافر بالقرءآن إلى أرض العدو "مخافه أن يناله" فواضح أنه كان مكتوبا إذن .

و كذلك ما روي في مسند أحمد و الدارمي من قول عبد الله بن عمرو بن العاص " بينما نحن حول رسول الله نكتب " . و كذلك ما ورد في البخاري عن ابن عباس و محمد بن الحنفيه ، حين سئلا هل

ترك النبي شئ فقالا " ما ترك الا ما بين الدفتين " . و هو صريح جدا في كون القرءآن مجموعا كله " ما بين الدفتين " . (و أما الخروج عن ذلك بناءا على الاعتقاد المسبق بجمع فلان و علان من الناس فنتركه لاهله لا يهمنا في شئ).

و كذلك في حديث الثقلين المشهور. سواء بنسخته الصحيحه المتواتره عن كلا الفريقين الشيعه و السنه ، او بنسخته المرسله التي وردت في بعض الكتب ، في كلاهما يوجد "تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي : كتاب الله " ثم في نسخه قويه " و عترتي أهل بيتي" و في النسخه الأخرى " و سنتي " ، و لا ضير في هذا المقام ، اذ في كلاهما أن النبي ترك فيهم "كتاب الله" و لا يوجد كلمه يمكن أن تدل على المطلوب أوضح من هذه ، بل لا يوجد غيرهما في الامكان اصلا. إلا أن يقول أفصح العرب عليه الصلاه و السلام : تركت فيكم كتاب الله، اي هو كتاب مكتوب في صحف مجموعه نشرتها بينكم ، و ليس كتاب غير مكتوب في كتاب بالمعنى المعروف لكلمه كتاب ، بل هو كتاب افهموا يا أهل الاسلام ، هو كتاب مكتوب ، و ليس كتاب مكتوب في عظام و رقاع و جلود مفرقه و مشتته ، بل هو "كتاب" واحد ، "كتاب" . لاندري ان كان هذا سيفي بالغرض مع من في قلبه ... غرض .

و في اختلاف بعض الناس بعد وفاه النبي في جواز كتابه ما سوى القرءآن في كتب ، و هو اختلاف حصل بعد وفاه النبي ، و يبدو أن رآسه كان عمر بن الخطاب ، و تابعه عليه بعض اصحابه ، و فريق اخر كان فيه علي و غيره ، و قد نقل الخلاف بالروايات المنقوله عن انصار كل فرقه البغدادي في كتابه (تقييد العلم) و قد فصلنا في هذا المبحث و دققنا فيه في كتابنا (بسط نظريه حسبنا كتاب الله) ، و لكن نشير هنا اشاره هذا موضعها ، و هو أن كلاهما كان يتناقش حوله " كتابه ما سوى القرءآن " ، و الفريق المعارض للكتابه كانت حجته الاساسيه :أكتابا غير كتاب الله تريدون ؟! وواضح ان المكتوب يسمى كتابا عند هؤلاء، كما عند بقيه من سلمت قلوبهم بل سلمت لغتهم العربيه ، و كانوا يعارضون كتابه ما سوى القرءآن ، و يشيرون الى أن هذا يعني وجود "كتب" غير "كتاب الله" . فواضح أن كتاب الله مكتوب و معروف و مشهور . حتى أن بعض الناس أرادوا أن يكتبوا "كتب" غير "كتاب الله". وواضح من توجه عمر في رزيه الخميس ، أن "كتاب الله" كان موجودا في عهد النبي ، و مع الاسف اننا نحتاج أن نردد هذا كثيرا و لكن للضروره احكام ، و لهذا قال عمر "عندنا كتاب الله حسبنا". ثم من قبل عمر و غير عمر ، النبي نفسه كرر و كثر من قول "كتاب الله" و ضروره تمسك الناس بكتاب الله مما يعني انه عند الناس . و في روايات تقييد العلم للبغدادي ينقل عن أن بعض انصار كتابه ما سوى القرءآن من اصحاب النبي، أنهم كانوا يقولون أن كل ما يروونه عن النبي هو موجود عندهم في "كتاب". ثم في نهايه المطاف ، انتصر فريق كتابه ما سوى القرءآن ، و جواز ذلك ، و استدل بعض انصار الكتابه بقول الله تعالى " عملها عند ربي في كتب ، لا يضل ربي و لا ينسى ".

و مما يشهد لكون القرءآن قد خطه النبي بيمينه ، و لم ينطق به و يكتبه الكتبه ، هو أن نطق القرءآن يختلف عن خطه . فلو كان الخط مأخوذا عن النطق ، لوجب أن يطابقه . و لو كان الخط مأخوذا عن النطق ، لوجب أن تكتب الكلمات التي لها نطق واحد بخط واحد . و هذا من أكبر الشواهد الذاتيه لهذه الحقيقه . جرب أن تجلس مع أكبر لغوي و فحطل في اللسان العربي على الأرض ، ممن يعلم الاملاء و النحو و ما تشاء من ظواهر و آسرار العربيه ، ثم اقرأ عليه تقريبا أي سوره من

القرءان ، أنت انطق ، و دعه هو يخط ، بشرط أن لا يكون عالما بصوره الخط القرءآني ، بل اجعله يكتب ما تنطقه آنت ، و جزما سيخطئ كثيرا جدا . و أضرب بعض الامثله . ففي القرءآن خط كلمه " سلطن " و نطقها يعطي : سلطان . و لذلك اذا رأيت العلماء يكتبون في كتبهم حين لا يقتبسون من القرءآن ، بل حتى حين يقتبسون منه في احيان كثيره جدا ، يكتبونها هكذا : سلطان . و كذلك مثلا " أقيموا الصلوه " ، الغالبيه العظمي تكتبها: الصلاه ، و تنطقها نطق " الصلاه ". فهل يعقل أن ينطق النبي " أقيموا الصلاه" ثم يكتبها الكتبه " أقيموا الصلوه" بالواو بدل الألف ، و هل كلمه "الصلاه" إلا ككلمه "السماء" فلم لم يكتب الكتبه " السموه ". و كذلك مثلا " نعمت " و " نعمه " بل و "كلمت" و "كلمه" . فأحيانا تخط بالتاء المفتوحه و أحيانا بالتاء المربوطه ، مع أن نطقها واحد في كلا الحالتين. و كذلك " الكتب " و " الكتاب ". ففي بعض المواضع الخط " الكتب " مثل قوله في أول سوره البقره " ذلك الكتب لا ريب فيه ". و لكن الكل ينطق " ذلك الكتاب لا ريب فيه ". و ذلك لضمير "فيه" العائد على واحد . و "الكتب" جمع . فهي مكتوبه كتابه جمع، و لكن نطقها نطق فرد. و يوجد في القرءآن في أكثر من موضع ، كسوره الكهف " و اتل ما أوحي اليك من كتاب ربك ". و هي مخطوطه " كتاب " بالألف ، فنطقها مفرد و خطها مفرد . و في مواضع أخرى النطق مفرد و الخط جمع ، بل السياق يعطي الجمع ، كوجود ضمير يرجع على مفرد كمثال أول سوره البقره ، و لكن الكلامه مخطوطه بالجمع . فكيف نطق النبي " ذلك الكتاب " في البقره فأعطى صوره خط "ذلك الكتب" بدون ألف ، ثم نطق " اتل ما اوحي اليك من كتاب " في سوره الكهف فأعطى صوره خط " الكتاب " بالألف . و كذلك في قوله " الم " و قوله في سوره الفيل "الم تر كيف فعل ربك ". فالحروف نفسها ، فلو قطع النبي في قراءه سور آلم ، كسوره البقره، لوجب ان تكتب : ا ل م . مقطعه كذلك . و لو قطع في نطق "كهيعص" لوجب ان تكتب مقطه. فكيف فرق الكتبه كلهم ، باجماع ! ، في كتابه النطق الواحد ذو الصور المخطوطه المختلفه !؟ فهل كان النبي ينطق ثم يقول لهم : اكتبوا الحرف هذا كذا و ليس كما نطقته ؟! ثم كيف استطاع النبي أن يتأكد أن الكتبه لم يخونوا او لم يسهوا ؟! . و من ذلك أيضا كلمه "العلماء". فإنها في آيه الخشيه المشهوره "إنما يخشى الله من عباده" مكتبوه مخطوطه هكذا "العلموا" و على نفس وزن كلمه علماء ، كلمه خلفاء ، فهل كتبت " الخلفوا" ؟ لا ، في سوره النمل " و يجعلكم خلفاء الارض ". و نطق علماء و خلفاء واحد ، و اذا نظرت في ما كتبه كل من كتب في هذه الايه في القديم و الحديث ستجد انهم كتبوا " العلماء " لانهم يكتبون كما ينطقون في العاده، و لكن خط القرءآن ليس كذلك ، فهنا وردت " العلموا " و هناك وردت " خلفاء " مع أن النطق واحد ، فالنبي يفترض انه نطق " انما يخشى الله من عباده العلماء" ثم لسبب لا يعلمه احد كتب الكتبه " من عباده العلموا" ، ثم في وقت اخر نطق النبي " و يجعلكم خلفاء الارض" فكتب نفس الكتبه " خلفاء " و ليس " خلفوا" و ما اشبه . و كذلك مثلا قوله " المسجد الأقصا" فهي مكتوبه مخطوطه هكذا " الأقصا" ، كما وردت في سوره الاسراء . و وردت كذلك في يس و القصص " أقصا المدينه " بالألف الممدوده . و لكن سوره طه كلها تقريبا بالالف المقصوره " يموسى" و " فاستمع لما يوحى " و نحو ذلك. مع أن نطق الألف الممدوده لا يكاد يختلف عن الألف المقصوره، بل اننا نرى الناس يكتبون " المسجد الأقصى " بالالف المقصوره، و لا يكاد يتنبه الناس على الفرق بينهما. و الأمثله على ذلك كثيره جدا في القرءآن يدركها من يدقق في الخط مجردا عن التشاكيل و التنقيط و الزخرفه الوارده حوله .

الايه الكريمه تقول " ما كنت تتلوا **من قبله** من كتاب و لا تخطه بيمينك " كما قال في بدايه سوره يوسف " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرءآن و إن كنت **من قبله** لمن

الغافلين " فاذن : كما أن النبي أصبح (من بعده) من الذاكرين الغير غافلين، كذلك اصبح من (من بعده) من الذين يتلون الكتاب " و اتلك ما أوحي اليك من كتاب ربك " و "رسولا من الله يتلو صحفا " ، كذلك أصبح يخط بيمينه . فالنبي هو الذي خط القرءآن بيمينه ، و هو الذي علم أتباعه كيف يكتبوا القرءآن و يخطوه ، و على أساس خطه الشريف أخذوا الخط القرءآني، و هو ما عليه هذا القرءآن الى يومنا هذا بحفظ الله تعالى و لله الحمد . و قد قال بعلم النبي بالكتابه و القرءآه علماء من كلا الفريقين في السابق ، بل ألف بعضهم كتابا في اثبات ذلك. بل روايه كروايه صلح الحديبيه تثبت في نصها ان النبي اخذ الكتاب فمحا فكتب حين امتنع علي عن القيام بأمر ما ، و لكن الراوي (المؤدلج مسبقا فيما يبدو) علق و قال أن النبي لم يكن يعرف الكتابه ! أبعد القرءان الذي يصدقه العيان برهان !؟

و إن قيل : أين ما خطه النبي اذن ؟ فجوابنا : مع العظام و الرقاع التي تزعمون ان الصحابه كانوا يكتبون عليها . و هذا جواب النقض . و أما جواب الحل فخلاصته: النبي اتلف نسخته حتى لا يحتكرها أحد ، اذ لو بقيت لوجب ان تبقى عند احد او جماعه مخصوصه، و لو بقيت عند غير معصوم و مشهود له بالعصمه و التبليغ السليم ، فما ادرانا ان هؤلاء لا يغيرون شيئا فيه ، و لا محيص من اثبات ذلك و لو غيروا لدنيا او لهوى او لغرض ما لبطل القرءآن كله اذ لا ندري اي جزء غيروا فيه او لم يغيروا ، و لهلكت الأمه بهلاك أساسها و لفسدت الرساله كلها. و هذا هو الحل الذي لا حل غيره ، و قد أخذناه بالمكاشفه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم . و آهل العلم بالحق يعلمون صحه هذا المعنى ، و ليأتوا بخير منه إن كانوا صادقين.

آخر ما ننقله هنا هو مسأله حرف الواو ، حرف واحد في القرءان كان سببا لمسأله عظيمه ، و لو كان يمكن لاحد من السلطات او غيرهم ان يزيدوا في كتاب الله تعالى حرفا واحدا او ينقصوا حرفا واحدا، اي كتاب الله المكتوب المعروف المنشور ، لكان أول ما سيحذفونه بل ارادوا حذفه ، هو حرف الواو هذا ، و هو الوارد في آيه الكنز من سوره التوبه الايه 34 . يقول الله تعالى "يأيها الذين ءامنوا ، إن كثيرا من الأحبار و الرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله **<u>و</u>** الذين يكنزون الذهب و الفضه و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم" . فأراد بعض الناس أن يحذفوا هذه الواو لانها تثبت انه ان وجد احد من المسلمين من الذين يكنزون ايضا فهو من اصحاب العذاب الاليم . و لكن بدون واو تصبح الايه تتحدث فقط عن الاحبار و الرهبان و لا علاقه لها بالمسلمين ، فليكنز المسلمون كما يشاؤون طالما انهم يدفعون ما يسمى بالزكاه بشروطها المعروفه . و ارباب الفريق الثاني هم من أهل السلطه و النفوذ كمعاويه بن ابي سفيان ، و يقال أن عثمان أراد حذف الواو فقال له ابي بن كعب أنه ان حذفها سيضع سيفه على عاتقه حتى تكتب الواو . و إن كانت هذه هي قوه حرف الواو في كتاب الله ، و إن كانت مصالح السلطه و التجار الكبار مبنيه على الفهم الآخذ بالواو ، و مع ذلك بقيت الواو ، فتستطيع ان تتصور ما هي قوه غير الواو . مع ملاحظه أن المذهب الذي ساد هو مذهب الذي يريدون حذف الواو ، فبقيت الواو في الكتاب متلوه ، و لكنها من مذاهب السلطات و التجار و عقول الناس محذوفه . و هكذا في كل ما سوى هذه الواو مما هو في كتاب الله تعالى . فلم يتستطيع بل لم يحتج أحد أن يحذف حروف القرءآن المكتوبه او يبدلها ، طالما انهم يستطيعوا ان يحذفوها من قلوب الناس و حياتهم بل يمحقوها . فما الفائده من تغيير أسفار كتاب موسى إن كنت تستطيع ان تجعل اليهود كالحمير ! فاجعلهم كالحمير و ليحملوا بعد ذلك سبعون ألفا من الكتب المنزله ، فلا فرق . و الله المستعان .

و حسبنا هذا . و قد نظرنا في ما يزعم من روايات جمع القرءآن في عهد فلان و علان في كتاب " باب السفراء الى القرءآن " فليراجعه من يحب نظرتنا في ذلك . و لسنا هنا بصدد النظر في اختلاق كل مختلق و الاجابه عنه.

و كلمه واحده نقولها في ما يدعى بعد ذلك من جمع القران بعد عهد النبي. و هي أن كل هذه التكلفات و الاختلافات التي قيلت في هذه المسأله نشأت عن محاوله القوم أن يجمعوا بين ما ثبت من جمع النبي و كتابه القرءآن في عهده و نشره له ، و بين ما ادعاه من قام بالسلطه بعد ذلك او ادعي لهم ممن بعدهم و الله العالم . و لو تمسك الناس بالأصل و أعرضوا عما يخالفه لما وقع شئ من هذه التكلفات التي لا تسمن و لا تغني من جوع و لا مرجع لحلها و يحكم فيها. و نحن على الاصل ، و أما من يدعي ما سوى ذلك فنذكرهم بانه " ستكتب شهادتهم و يسألون" و "سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

و أما ما يقوله البعض من أن علي بن ابي طالب عليه السلام قد الف القرءآن او كان عنده القرءآن الكامل الغير محرف و نحو ذلك و أن استضعافه من قبل من سبقه هو الذي أدى به أن يسكت عن تحريف القرءان . ففضلا عن السخف الاساسي الذي يقوم عليه هذا القول ، و هو عدم كتاب النبي للقرءآن و جمعه بين دفتين معلومه و مشهوده و منشوره في الأمه ، بالاضافه الى أنه من أحفاد علي عليه السلام كالشيخ المرتضى كان يرى أن القرءآن جمع في عهد النبي عليه السلام ، و أخوه الشيخ الرضي جامع نهج البلاغه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حتما يؤمن بذلك أيضا ، لأن نهج البلاغه طافح بالخطب و الكلمات التي قالها علي في أيام دولته و سلطانه الذي ملأ العالم الاسلامي (باستثناء أتباع فلان) ، و أدنى نظره في نهج البلاغه بالاضافه لكلمات علي لابنائه و أتباعه فيما يخص القرءآن كتاب الله ، يشهد أنه هو هو عين هذا الكتاب الذي لطالما كان بين الناس و هو هو هذا الكتاب الذي عند المسلمين كلهم من شرقهم الى غربهم . و لو كان قد زيد او انتقص حرف من القرءآن الذي جاء به الرسول ، لما انشغل علي اول ما انشغل الا باصلاح هذا الخلل ، و ليس أسهل من هذا الاصلاح . فمن يقوم بثلاثه حروب من أجل إصلاح ما فسد ، لا يكثر عليه ان يخط كلمه او يمحو كلمه لاصلاح كتاب الله عز وجل . و قد تكلم علي في عشرات بل مئات بل الاف من الكلمات و الخطب و الحكم في شتى المواضيع ، و كتب رسائل و أدعيه ، و لو كان أصل هذه الأمه قد أصابه خلل لما تكلم إلا عنه و لما كتب الا فيه . و كلمات الإمام في هذا المجال فوق الحصر ، فاذهب و اقرأ ان شئت لتتأكد. و حسبك من كل وصف الامام للقرءآن قوله - كما في نهج البلاغه - " و تجلى لهم في كتابه ". أي أن الله تجلى للناس في كتابه . و لو كان ثمه خلل في "كتابه" لفسد التجلي، و لما قال ما قال . و لا نعرف و لا يدعي عالم أن علي قد كتب قرءآنا جديدا و وزعه على أتباعه و على المسلمين و أمرهم أن يتلفوا القرءآن الذي عندهم . و حين رفع أعداءه المصاحف في الحادثه المشهوره لم يقال لهم " ان هذه المصاحف محرفه او ناقصه " بل أجابهم لذلك بدون أن ذكر لخلل او نقص في كتاب الله تعالى الذي عندهم و بين أيديهم . و قد بقي حضره علي عليه السلام نحو خمس سنوات في دولته ، و هذه مده كافيه لاصلاح سبعمائه كتابا منزلا و ليس واحد فقط فتأمل.
فحتى على فرض صحه روايات جمع فلان و علان للقرءآن ، فإن امضاء علي لهذا الجمع ، بالرغم من كونه من حزب معارض في الأصل ، بل اعترف له بعض القوم بمقامه كمعلم المسلمين في شؤون الدين و ليس أكبر من القرءآن في شؤون الدين ، فلو كان في ما عملوه او يزعم أتباعهم أنهم

عملوه (لتحصينهم كما يبدو) أي خلل، لأصلحه علي في دولته ، و حيث لم يفعل و بقي يعلم القرءآن و يحث على الرجوع اليه ، هو و أحفاده من بعده بالرغم من أن احفاده هؤلاء كانوا ضد الدول التي عاشوا فيها او لا اقل يعتبروا خطرا عليها ، و مع ذلك ظلوا يعلموا أتباعهم القرءآن و الرجوع الى القرءآن و قراءه القرءآن ، و ليس الا القرءآن الذي كان عند النبي ثم القرءآن الذي دعا اليه علي ، ثم تتابع علماء احفاده بالدعوه اليه ، و هو هو هذا القرءآن الذي تجده في بيتك الآن . فلله الحجه البالغه .

...

خلاصه المبحث السابق : النبي استطاع أن يضمن حفظ ذات الكتاب ، و بقي بين جماهير الامه و علماءها محفوظا الى يومنا هذا ، و الحمد لله .

...

و أما عن فقه الكتاب . فالأمر أعقد و يحتاج الى تدبر . و هو مبثوث في ثنايا كتبنا ، و محاوله جمعه في هذا الباب سيطول . و لكن نذكر بعض النقاط المحوريه .

أولا ، ما هي الاحتمالات الوارده ؟ الجواب : إما أن النبي لم يبالي بفض تنازع الأمه من بعده، أو أنه اهتم بذلك . و إن كان اهتم بذلك ، فإما أنه اتخذ تدابير معينه تكفل تحقيق هذا الأمر بقدر الوسع الانساني ، و إما أنه لم يتخذ مثل هذه التدابير. و إن كان اتخذ التدابير اللازمه ، فإما أن الأمه اطاعته في ذلك ، أو إنهم عصوه اذ في نهايه المطاف "لست عليهم بوكيل".

لتأسيس الأمر قرءآنيا و لو بنحو الإجمال ، ننظر في قصه موسى حين استخلف هارون قبل أن يذهب الى ميعاد ربه ، جاء في القرءآن " و قال لموسى لاخيه هرون : اخلفني في قومي و أصلح و لا تتبع سبيل المفسدين " ثم عندما فسد ما فسد ، و افتتن القوم ، رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، فقال لهارون " ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري" . و قد درسنا هذا المشهد من المشاهد الموسويه في كتابنا (عقل قرءآني الجزء م) ، و نذكر هنا خلاصه ما توصلنا له هناك ، و ادرس القصه بنفسك لترى ، اذ هذا ما أرى فانظر ماذا ترى. الخلاصه : موسى استعجل بعدم تعيين هارون خليفه له علنا و على مرأى من القوم ، و لذلك قال له الله " و ما أعجلك عن قومك...فإنا قد فتنا قومك من بعدك و أضلهم السامري" ، و لذلك لم يحتج هارون على القوم بأن موسى استخلفه عليهم ، و لذلك لم يطع القوم هارون اصلا و لم يعارضوه في كونه خليفه موسى عليهم ، و لهذا لم يقل موسى لقومه بعد ان رجع اليهم : الم استخلف عليكم هارون فلم عصيتموه و اتبعتم السامري ، أو نحو ذلك بل لم يشر الى اي شئ من هذا القبيل. و اذا نظرنا الى نص استخلاف موسى لهارون " و قال موسى لاخيه هارون: اخلفني " سنجد كما هو ظاهر في الايه ، أن موسى قال لاخيه هارون، و لا يوجد أن موسى قال لقومه " هارون خليفتي عليكم فاسمعوا له و اطيعوا "او نحو ذلك. بل هو فيما يبدو أمر بين موسى و هارون . و قد ذكر القرءآن نص الاستخلاف كجزء من ايه ذكر الله لميعاده مع موسى، ثم تلاها فورا بايه تكليم الله لموسى ، و الذي استنبطناه من هنا أن أصل استعجال موسى كان شوقه الى الله و استعداده للميعاد . على أيه حال ، فإن قصه موسى تثبت أن عدم تعيين خليفه

على القوم "قد" يكون سببا لضلال القوم ، و قد لا يكون ، و لكن في حاله بني اسرئيل كان. فالأسلم من هذه الحيثيه أن يوجد خليفه يحل النزاع و يقوم مقام النبي الأول . و استخلاف هذا الخليفه لابد أن يكون علنيا و على مرأى من الناس الذين استخلفه عليهم ، و إلا لوقع مثل ما وقع لهارون مع موسى . هذا أساس .

الأساس الثاني هو أنه في القرءان اثبات لوجود " أئمه يهدون بأمرنا " و " آئمه يدعون الى النار ". فإن كان من الممكن تعيين من هم أهل الهدى على العموم ، مثلا بشروط من قبيل "اتبعوا من لا يسألكم أجرا و هم مهتدون " فهذا أصل عظيم في اثبات الهداه بشروط خارجيه. فإن كانوا يسألون الناس مالا او شكورا أو أي صوره من صور الأجر ، فهذا مسقط لهم من الخارج قبل أن ندخل الى ما هو آعمق من ذلك . و قد ورد نفي اتخاذ رسل الحق تعالى للأجر في أكثر من عشرين موضعا في كتاب الله. و الاستثناء الوحيد هو في آيتين "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا الموده في القربى " و كذلك قوله " قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا " . وواضح من كلا الايتين أنه لا يوجد أجر بمعنى المال، كما ورد صريحا في بعض ايات الرسل و اقوالهم " لا أسألكم عليه مالا ". و الجمع بين الايتين المثبته للأجر يظهر أن الموده في القربى هي ل "من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا " . و احفظ هذا فلعلنا نأتي عليه بعد قليل ان شاء الله. و كذلك قوله تعالى في الشرط الثاني " و هم مهتدون" فكيف يمكن أن نعين من هو المهتدي إن كان من يدعي انه رسول او إمام هو الذي يبين - حسب الفرض- ما هو الهدى و ما هو الضلال ؟ الجواب الممكن هو أنه يوجد مستوى من الهدى يمكن تحققه و معرفته من قبل الجميع ، فمثلا اذا قلنا : من يأخذ بأصل و مرجع غير كتاب الله لتعليم الدين جمله و تفصيلا ، فهذا إمام ضلاله او لا أقل أنه ليس ممن أمرنا باتباعهم . فهذا أصل واضح يمكن أن يسير عليه و يتحقق منه كل مسلم و مسلمه مهما اختلف مسترى فقههم في كتاب الله . فيقول المسلم لمدعي الإمامه : أريد أن تعلمني كتاب الله و تشرح لي كتاب الله ، و لا تخرج عنه لغيره مما لا يوجد فيه . و لهذا المعنى برهان واضح في قوله تعالى " و جعلناهم أئمه يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون ". فالهدايه " بأمرنا " . و لهذا سموا "أولى الأمر" و لا يقال هذا في الرسل ، لأن الرسل و الأنبياء تتنزل عليهم الأمر ، و هم ورثوه بعد ذلك لمن بعدهم ، " ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا " ، فيعرف إمام الهدى بكون مرجعيته المطلقه هي لكتاب الله تعالى . و هذا شرط واضح و يمكن أن يقوم به كل مسلم و مسلمه شرقا و غربا ، و هو المصداق الاكبر و الاظهر لقوله " و هم مهتدون " أي في كيف نعرف أنهم "مهتدون".

و لكن ماذا لو كان النزاع في نفس فقه كتاب الله ؟ فإما أن نقول : مسؤوليه كل مسلم و مسلمه أن يحققوا في الاقوال التي تتنازع في نفس كتاب الله ، و يختاروا الأقوى منها ، و هو طريقتي. لأن دراسه كتاب الله هي الركن الأعظم و سبب الايمان و قيام الاسلام المحمدي كله، و هي فرض عين على كل مسلم و مسلمه ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا. لأنه بعد كتاب الله لا يمكن أن توجد سلطه او حجه أكبر ، اذ هذا يعني ايجاد سلطه و حجه لشخص او اشخاص ليس لكونهم اتباع لكتاب الله ، و إنما لذواتهم ، و إن كانت سلطته من ذاته فهذا يعني أن لذاته و اقواله الشخصيه حجيه قرءآنيه بل فوق القرءآن ، و هذا ينقض القرءآن من أساسه الذي يعني أن كتاب الله هو الحاكم الذي ليس فوق حاكم في الناس ، " يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم" فالكتاب هو الحاكم ، و أي طريق ينتهي بنا الى جعل الحاكم الاول و الاخر في دين الله غير نفس كتاب الله ، هو طريق ضلاله و هوى . فضلا عن إن كتاب الله لم يعين أحد باسمه و شخصه. و إنما ذكرت الاوصاف الاساسيه ، فإن تبينت هذه

الاوصاف في فرد او مجموعه افراد ، فلمن تبينت له الحجه في اتباع هؤلاء كمعلمين لكتاب الله ، و قد ذكر الله أن من مهما الرسول " و يعلمكم الكتب و الحكمه " . فكتاب الله لا يعلم نفسه بنفسه ، بل لابد من قراءته و دراسته ، و بهذه القراءه و الدراسه يعلم نفسه بنفسه ، و أما من كان سفيها او ضعيفا او لا يقدر على أصل القراءه و فقه اللساني العربي و أسس العقل ، فضلا عن التزكيه التي هي مقدمه لتعلم الكتب و الحكمه كما ورد في بعض الايات " و يزكيكم و يعلمكم الكتب و الحكمه"، فمن لم تكن عنده هذه المقدمات فكتاب الله سيكون له كما يكون بالنسبه لدابه من الدواب ، فاذا وضعنا الكتاب أمام دابه من الدواب فأنها لن تفقه منه شيئا و لن تستطيع أن تدرسه و تقرأه و تتدبره . فأصل التعلم من انسان هو ضروره ، و إن كانت سلسله التعليم ترجع الى تعليم الهي، بل ان عين التعليم السليم هو تعليم الهي و لكن في مظهر سببي انساني او كتابي معين .

و الاحتمال الاخر أن نقول : إن النبي عين فردا او افراد يجب آن يرجع المؤمن اليه او اليهم لفض النزاع . فإن عين النبي ، فإما أنه عين بالتصريح باسم الشخص و رسمه او الاشخاص، أو أنه عين بالتوصيف العام من قبيل ارجعوا الى العلماء الحلماء الفقهاء و نحو ذلك . فاذن التعيين اما بالتصريح او التوصيف . و يمكن الجمع بين الاثنين، فيكون النبي قد عين بالتصريح و التوصيف ، فيكون التوصيف مثبتا للأصل و يكون التصريح مثبتا لمصداق من مصاديق هذا الأصل . كمن يقول : اتبعوا أصحابي العلماء ، و هذا فلان فاتبعوه . فالأصل هو " أصحابي العلماء " و " فلان " هو مصداق من هذه الجماعه التي ثبت وصفها في التوصيف الأول . و بناءا على ذلك ، نلاحظ أن التوصيف موجود كله في كتاب الله ، لا مزيد و لا يمكن المزيد عليه بحال . فأوصاف المهتدين في القرءآن هي من الكثره بمكان أن القرءان شرحها بذاتها ثم شرحها باضدادها ففصل لنا أهل الضلال و الكفر و النفاق ايضا. يقول القرءآن " كذلك نفصل الايات ، و لتستبين سبيل المجرمين " . و يقول في سبيل المؤمنين المهتدين بعد أن ذكر نحو ١٨ عشر اسما ، "أولئك الذين هدى الله ، فبهديهم اقتده " . و قصص القرءآن كما وسمها الحق تعالى " لقد كان في قصصهم عبره لأولي الآلباب ...و تفصيل كل شئ ، و هدى و رحمه " . فالتوصيف في القرءآن لا مزيد عليه . فإن كان للنبي أن يقوم بأمر فهو ليس التوصيف ، و إنما تعيين مصداق لهذه الاوصاف او اكثر من مصداق .

ثم ان هذا التعيين لخليفه او خلفاء للرسول للقيام مقامه في المرجعيه لفض النزاع و الحكم في حال الاختلاف و الاشتجار بين الناس ضروري ، و ما كان ضروره في عهد النبي هو ضروره فيما بعد عهد النبي ، و لا فرق ، بل لعل الضروره بعد عهد النبي أشد و ألزم بناءا على أن غياب الشمس يأتي بالليل ، و " لا يأتي زمان الا الذي بعده شر منه " . فلا أقل ان ضرورات عهد النبي هي ضرورات ما بعد عهده ، أو انها أكثر ضروره ، و لكنها لا تكون أقل بحال من الاحوال ، فغياب النبي لا يكون خير من حضور النبي في الناس ، و هذا معلوم و ثابت بنفسه . و يكفي لاثباته أن الاختلاف يقع في "فهم" ما جاء به النبي ، و لو افترضنا وجوده ، لتبين المحق من المبطل ، و المهتدي من الباغي ، بل مثنويه . فلو افترضنا وجود النبي في زمن حرب علي و فلان ، فخرج النبي على جيش فلان و قال لهم " اتركوا فلان فان الحق مع علي " فأغلب الظن أنهم إما كلهم او كثير منهم كان سيتركه ، و إنما ساسهم على أساس انه ممثل لأمر الله و رسوله . و خذ من هذا بقدر ما تشاء . و هو واضح فلا نطيل فيه . فهل تعيين خليفه يعني أنه خليفه سياسي أم علمي أم كلاهما ؟ فقد يكون النبي قد عين شخصا او اشخاصا ليخلفوه ، و لكن كان للنبي مقامات متعدده ، كالحكم بين الناس فيما يشتجرون فيه ، و باختصار ما يسمى : مقامات سياسيه دوليه . و كذلك مقامات متعدده

في ما يمكن أن يسمى : مقامات روحيه علميه . فإما أن ننفي المقامات السياسيه للنبي ، و لا نعتقد بها اصلا، او انها مرتبه ثانويه لا قيمه اصليه لها من حيثيه دينيه ، فتكون الخلافه عن النبي هي الخلافه العلميه. و لا مجال لنفي المقام العلمي التعليمي الروحي للنبي ، اذ هو الأصل في الرساله و النبوه . و إنما النزاع ممكن في المقام السياسي. و المقام العلمي الروحي مأخوذ حتما من الله، اذ " ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيره سبحان الله عما يشركون". فكما أن هذا المقام باختيار الله ، و " ما كان لهم الخيره " ، فبالتالي الاستخلاف في هذا المقام لا يكون الا باختيار الله كذلك . و أما المقام السياسي المعيشي ، فإن الله يقول " و أمرهم شورى بينهم" فلهم الخيره في هذا المقام . فهو "أمرهم" و لذلك يكون "شورى بينهم". و أما في الإمامه و النبوه و الرساله ، فالله يقول " لا ينال عهدي الظالمين " فهو عهد الله و ميثاق بين الله و رسوله ، و هو اختيار الله و الله ينفي وجد اي خيره للناس في ذلك ، فليس لهم الا القبول بهم ان ارادوا ان يتخذوا الى الله سبيلا . فأمر الله شئ ، و أمر الناس شئ . أمر الله الخيره المطلقه فيه لله ، و أمر الناس للناس فيه خيره حيث إنه شورى بينهم و في هذا المقام قال لنبيه "و شاورهم في الأمر " و لو كان المقصود هنا أمر الله تعالى، لما وجد فيه أي مدخليه للشورى بحال من الأحوال ، يشاورهم في ماذا ؟ بل النبي نفسه ليس له مدخليه في أمر الله تعالى، "ليس لك من الأمر شئ" و " يسألونك...قل" و " ثم جعلناك على شريعه من الأمر فاتبعها" و "إنما أتبع ما يوحى الي " . فخلافه النبي تكون بحسب مقامات النبي. أي المقامات التي يوجد فيها خلافه ، و عمن تكون هذه الخلافه. فالنظر في مسأله خلافه النبي، علميه او سياسيه، هو فرع على اثبات و فهم مقام النبي العلمي او السياسي او غيره . و كون النبي استخلف في مقام لا يعني أنه استخلف في كل المقامات . ليس بالضروره بل يجب ان ينضاف الى ذلك أمر اخر .

و أساس اخر هو قيمه الانسان الفرد . فهل الأصل أن كل انسان موصول بالله و يمكن ان يوصل بالله ، أم أن الاصل هو قصور الانسان عن ذلك ؟ فلو قلنا بأن كل انسان خليفه الله بالأصل و بالذات ، فهذا يعني أن ضلال الانسان و جهله و تسفله هو أمر عرضي، و بالتالي ازاله هذا العرض هي المهمه التي يقوم بها الرسول او الامام المعلم ، ثم يرجع الانسان إلى أصل فطرته و خلافته . و على هذا الأصل تكون مهمه النبي و الرسول و الامام و المعلم هي ازاله العوارض التي تسبب جهل الانسان و تبعيته الانعاميه لغيره . فيكون نفس نصب الله لنبي او رسول من اي نوع هو أمر عرضي كما هو الأمر الذي نصب لأجله ابتداءا. فلو كان كل انسان يستطيع من حيث الاصل أن يرى ملكوت السموات و الارض ، و يأخذ عن الله تعالى بحسب مستواه و درجته عنده ، فهذا يعني أن كل ما يقيمه الله تعالى لهدايه الانسان و تعليمه إنما يكون أمر عرضي (و عرضي لا تعين غير مهم ، فتأمل) أي أنه ان افترضنا وجود انسان واعي مستنير موصول بالحق تعالى من قبل أن يأتي النبي و الرسول ، فهذا يعني أن مثل هذا الشخص مستغن من حيث الأصل عن اتباع النبي و الرسول ، و إن كان اتباعه للنبي هو أمر يزيده نورا و هدى ، و لكن من حيث الأصل هو مستغن عن ذلك . فالنبي يأتي للضلال ، "لتخرج الناس من الظلمات الى النور " فمن كان في النور ، فليس هو ممن بعث النبي اليهم. "إنا كنا من قبله مسلمين " و " و يعلم الذين أتوا العلم أن ما أنزل اليك من ربك هو الحق و يهدي" فهذا يعني أنه يوجد طريق للاسلام و العلم بدون رسول مخصوص من البشر ، بل يمكن أن يعرج الانسان الى المقامات العاليه - التي هو فيها و هي فيه بالذات و إن غطتها الحجب العرضيه و الجواذب السفليه بالنسبه لبعض الناس . فهذه رؤيه خاصه للوجود و محل الانسان فيه . فأصاله خلافه الانسان عن الله، رؤيه وجوديه. و هي طريقتنا . و أما عرضيه خلافه الانسان عن الله ، أي عرضيه امكانيه اهتداء الانسان و كونه بوسيله خارجيه كأصل، كوجود رسول و نبي

مبعوث ليهديه . و لهذه الرؤيه الثانيه سبعين ثغره ، أدناها عدم وجود رسول و نبي في أزمنه الفترات ، و عدم وجودهم في هذا الزمان - بالمعنى المشهور. و لسنا هنا بصدد شرح ذلك و لكن نشير اليه لاهميته في هذا الباب . لأنه ان قلنا أن الاصاله هي لبسط ذات الانسان في الوجود ، فهذا يعني أن الانسان يستطيع أن يتصل بكل المقامات الوجوديه ذاتيا ، فتبقى الاعراض الحاجبه كالامراض التي تحتاج الى طبيب ليعالجها ثم ينتهي دور الطبيب و الدواء. و لكن لو قلنا أن الأصاله لضيق ذات الانسان ، كأن يكون مجرد كائن بحسب ذاته قابع في طبقه أسفل سافلين الجسمانيات ، و إن كانت له روح فإنها روح بمعنى الحياه البدنيه و شئ من التفكير و الشعور بالمعنى المشهور، و كفى. ففهم و استيعاب بل الصله بما وراء عالم الجسم و فوقه، كالملكوت و العرش و الأسماء الحسنى و الهويه الأحديه ، كل هذا لا يكون إلا بوساطه بشر مرسول و نبي مبعوث أو إمام قائم.
(لاحظ أننا لا نتكلم عن الوساطه في العوالم الغيبيه ، و إنما الحديث عن الوساطه في الأرض و الصوره البشريه) .
لنضرب مثلا على ذلك.

تخيل أنك ساكن في بيت معلق في الهواء له أربع نوافذ . نافذه باتجاه السماء من فوق ، و نافذه باتجاه حديقه من جانبه الأيمن ، و نافذه باتجاه فرن ناري من جانبه الأيسر ، و نافذه من تحت باتجاه التراب و الحجر . الأصل أن تكون مطلعا على مل هذه النوافذ الأربعه و لك قدره على ذلك . فلا تحتاج الى أحد ليصف لك ذات السماء أو الحديقه او الفرن او التراب. فأنت تستطيع أن تطلع عليهم و تنظر فيهم . و لكن قد يصيبك رمد في عينك ، فتحتاج إلى طبيب ليعالج بصرك ، ثم تعود الى استقلالك في النظر الى النوافذ الأربعه ، فأنت لست عبدا للطبيب و إنما أنت مفتقر اليه في العلاج لعدم علمك بالطب و التطبيب ، فإذا عالجك انتهى دوره ، و أنت لست بحاجه لأن تعرف أي شئ عن الطبيب ليعالج لك عينك ، و إنما البرهان الموضوعي على نجاحه في علاجك هو أن تستطيع أن ترى كما كنت ترى من قبل . و قد يكون لك أبوين من المجرمين الذي يسيئون التربيه ، فيغلقوا كل هذه النوافذ ، و يضعوا عليها حجبا كثيرا و يلصقونها بالنوافذ ، فتتربى و أنت لا تجد الا ظلاما حولك ، و لكنك تسمع بوجود سماء و تراب و حديقه و فرن ، و لكنك لا ترى ، ليس لوجود خلل في أصل عينك و بيتك ، و لكن لوجود الحجب التي وضعها من قام بتربيتك ، و جعلوك تعتقد بأن بيتك ليس فيه نوافذ تطل على هذه الجهات الأربعه ، بل إن آردت أن تعرف شيئا عن السماء و الارض و الجنه و النار ، فأنت مفتقر اليهم افتقارا مطلقا ، فيأتي بعض أولياء الرحمه و الرأفه ، و يقول لك : أنت تملك أن تطلع من بيتك على هذه الأمور ، و لكن من رباك قد أعماك . فتأتي أنت و تقول له : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا. فقد يرأف بحالك و يقبلك في سلك اتباعه الى حين، فيدخل بيتك بعد أن دعوته اليه ، و يعمل على ازاله هذه الستائر و الحجب العرضيه ، ثم بعد أن يفرغ من عمله يقول لك: هذا فراق بيني و بينك اذ قد تم عملي معك . ففي كل الاحوال، طالما أن الاصاله هي للرؤيه الشموليه لوجود ، فإن كل ما سوى ذلك عرضي بالنسبه لها . فهذا مثل رؤيه بسط الذات الانسانيه.

و أما مثل ضيق الذات الانسانيه ، فتخيل أنك ساكن في مغاره تحت الارض ، مغلقه من كل الجهات. اللهم عندك شئ من الماء و النبات الذي تعيش عليه. و أنت لم ترى و لا تستطيع أن ترى ما سوى ذلك الظلام . فأنت كالخفافيش لا ترى الا في الظلام و لا تعقل الا بناءا على ما تراه حولك و اعتادته نفسك في هذه المغاره . فيأتي شخص من فوق المغاره و يوحي الى أحد اخوانك او يتواصل معه بنحو ما و يقول له بأنه يوجد فوقكم كذا و كذا من الخلق و الكائنات ، و يقرب لكم ذلك بما تحسونه و

تتعاطونه. فأنت في كل حال لا تستطيع أن تخرج من هذه المغاره لترى ما فوقها. فأنت تحتاج الى نبأ ممن فوقها لكي يخبرك عن ذلك . و لا مجال لك لأن تتأكد أصلا من صدق قوله ، لأنك لا تستطيع أن تطلع على مدلول قوله . فيستطيع أن يقول لك : يوجد ضفادع تحكم مملكه مكونه من الخنازير، و يستطيع ان يقول لك : يوجد ملائكه يمشون على الارض ، كلاهما سيان عندك لأنك لا تعرف و لا تستطيع أن تعرف لا الضفادع و لا الملائكه ، فالأمر كله كلام لا مدلول له عندك و لا يمكن أن يكون له مدلول عندك لأن وجود المدلول فرع شهوده ، و شهوده فرع التواجد في طبقته او مرتبته او الصله بنحو ما به . فالكلام عما فوق هذه المغاره المظلمه بالنسبه لأهل المغاره يعتبر لغوا بالنسبه لأهل المغاره ، و إن تظاهروا بتصديقه و الايمان به و العمل على أساسه ، و إذا وجدنا التهديد بالقتل و العذاب المهين من قبل المتسلط على رقاب هؤلاء، او وجود امتيازات معينه تعطى لمن يصدق بكلام هذا الشخص الموحي ، فإن تفسير هذا التصديق من قبل هؤلاء الذي يشهدون بما لا يعلمون يصبح أمرا سهلا. فهؤلاء لا يصدقون بالكلام الموحى ، و إنما يصدقون بالعذاب السلطاني الذي سيصيبهم، او يؤمنون بالمال و النعمه التي ستنصب عليهم ، او يسلمون لغريزه القطيع الذي حولهم و نحو ذلك. و إن سموا ما يتعاطونه ما سوى ذلك . و يمكن تبيان ذلك بمثال بسيط: فانه اذا جاء احد هؤلاء و شهد في المحكمه في قضيه موضوعها درهمين ، ثم قال له القاضي: على أي أساس تشهد ؟ فقال : إني أشهد بناءا على أني أحس بأن هذا هو الحق او أني رأيت في المنام أن هذا هو الحق ، لصرفه القاضي و لم يقبل قوله . و هؤلاء هم أنفسهم الذين يقولون بأن الشهاده على الحقائق العاليه و الكائنات الغيبيه ممكن بقال و قيل ، و ليس بالمكاشفه والشهود. فمثل هذا التناقض يمكن أن يحل بسهوله اذا تأملت في أصل الرؤيه الوجوديه .

و قد يقال: ان الشخص الذي ادعى الحديث عن ما فوق المغاره قد قام بمعجزات لا يستطيع أن يقوم بمثلها كل من في المغاره ، فلهذا صدقناه و سلمنا له . أقول :أولا أنت لم تشهد و تقيس قدرات كل من ولد في هذه المغاره في الماضي ، و لا في الحاضر ، و لا في المستقبل، فما أدراك - بعلم و يقين بل شبه يقين- أن هذا من الأمور "المعجزه" . ثانيا، إن الذي قام بهذه "المعجزه" هو من سكان المغاره ، و بالتالي يكون قيامه بها نقض لاصل دعواك بانه لم يقم احد من سكان المغاره بمثلها ! . ثالثا، فوق المغاره الاف الكائنات ، فما ادراك أن الذي أمده بهذه القوه هو شخص واحد دون غيره من هذه الكائنات ؟ و لو فرضت أنه لا يوجد الا كائن واحد لكان الامر أقرب ، و لكن صاحبك نفسه يقر بوجود الاف الكائنات القويه العظيمه فوق المغاره، فها هو قد اقر على نفسه ، فما ادراك خصوصا و أنت لا تستطيع آن تطلع على حقيقه ما يقوله لك صاحبك. و تكفي هذه الثلاثه لمن كان له قلب .

فالحاصل من هذا ، أنه بدون حقيقه بسط الذات الانسانيه ، لا قيمه لنبوه و لا رساله و لا ولايه و لا امامه و لا هدايه و لا كتاب و لا شئ من كل هذا. و يجب أن يقرر القرءآن أي النظرتين هو الحق و الواقع من حيث الذات و الإمكان ، ثم يمكن أن يتفرع عن ذلك ما يتفرع من أمور الاستخلاف. و الذي انتهينا اليه من دراسه القرءآن هو نظره و رؤيه بسط الذات الانسانيه. و أصاله هذا البسط . و على هذا الأساس قام أصلنا الاخر الذي هو أن كتاب الله هو لكل مسلم و مسلمه ، بل لكل انسان على الاطلاق ، و أنه على كل مسلم أن يدرس القرءآن في خاصه نفسه ليتمم ايمانه و نوره من هذا الطريق ، و هو طريق تنوير و تطهير و رفع للحجب نزل رحمه للناس . ليخرج من في الظلمات الى النور ، و ليزيد اهل النور نورا على نورهم و يزيد الذين اهتدوا هدى ، و الذي علموا علما ، و الذين عرفوا عرفانا .

و أما في خلافه النبي ، فإن التوصيف القرءآني كافي ، و كل المصاديق الشخصيه الممكنه التي تبنى على مباني السنه و الشيعه لا تكفي . فالسنه يقولون ان مصداق الهدايه هم الصحابه ، و لا صحابه اليوم . و الشيعه يقولون العتره و أهل البيت ، فمنهم من يعمم كل العتره ، اي آل عباس و آل عقيل و آل علي و ما اشبه ، و منهم من يخصص في علي و آله و من هؤلاء من يسوقها في الحسن و الحسين و اولادهما ، و منهم من يسوقها في ابناء الحسين خاصه ، و من ساقها في ابناء الحسين خاصه اختلفوا ، و بقي منهم كأصل ثلاث فرق: الزيديه و الاسماعيليه و الاماميه. و هؤلاء الثلاثه ينفي بعضهم بعضا ، و الاسماعيليه انشقوا الى بهره و اغاخانيه، و هؤلاء بدأوا نشر شئ من تراثهم في هذا القرن ، اذ هم "سريون" جدا. و الاماميه ليس لهم امام مشهود في الارض . و على كل حال ، لا نعلم و لا نقدر ان نعلم شئ عن صحه تسلسل كل واحد من هؤلاء حتى اذا قبلنا صحه خلافه علي عليه السلام ، فنحن لا نعلم بعده شيئا على اليقين او التعيين ، و لا شاهد من قرءآن او غيره .

و ما لا يمكن بالقرءآن حله ، فالقرءآن ليس أصله ، و يمكن الاستغناء عنه . هذه قاعده مطلقه عندنا. و هي أهم قواعدنا على الاطلاق في هذا الطريق.

و ما يشهده الانسان في خاصه ذاته ، فهو حجه له و عليه ، و ليس حجه على غيره إلا إن شهد خاصه ذاته فاطلع عليه . و هذه القاعده مكمله للقاعده الأولى ، و هي أصل بنفسها ، أي أصل انساني عام . و القاعده الأولى أصل في هذا الدين و الطريقه القرءآنيه المحمديه .

و نحن لا يمكن أن نتبين أن إمام الاسماعيليه الاغاخانيه مثلا هو فعلا الامام الذي تسلسل بعد علي الى يومنا هذا . فأقل ما يقال هو : ما أدرانا و نحن لم نشهد هذا التسلسل و لا يمكن أن نشهده ، و ما ادرانا لعل أحد الأمهات في هذه السلسله قد زنت فانجبت من الذي زنى بها فتسلسل الأمر في هذا المولود من زنا و اب من "عرق غير علوي " . و هذا أقل ما يقال. و هو على سبيل العجاله ، و أما نقد نفس الأسس الفكريه الدينيه للاسماعيليه ، خصوصا فيما يتعلق بالقرءآن الكريم ، فبعد أن يخرجوا لنا كتبهم القرءآنيه - ان كان عندهم فيها كتب - و ندرسها نتبين ، و أما أن الأمر عندهم هو "دور الستر" ، فليبقوا في سترهم و الله يستر عليهم. و قد درسنا بعض كتبهم ، ككتاب الرساله الجامعه المنسوبه لأحد أئمتهم ، و اذا حذفنا الوعظ السطحي بالايات القرءآنيه من قبيل " ان هم الا كالانعام " و ما اشبه من ذم للمخالفين لهم، فإنه لا يبقى من التحقيقات القرءآنيه الا النزر اليسير ، و الباقي اقرب الى ان يكون تلخيصا للمباحث الفلسفيه اليونانيه أقرب . فعندما يخرج هؤلاء الاخوه من دور الستر الى دور الكشف، و يكشفوا الحقائق ، سيتبين الأمر أفضلا فلا نحكم الآن ، و لكن ما نقوله هو أن الاعتماد على النسب الدموي ، هو من الأمور التي لا مجال لمعرفتها و لا لتبينها ، لا في خطي الاسماعيليه و لا في الزيديه و لا في الاماميه و لا في غيرهم . و أما من يريد أن يأتي بشجره نسبه ، فأستطيع أن أخرج لك شجره نسب الآن ارتجالا ترجع نسبك الى واحد من قوم لوط ان شئت ! و الله المستعان على ما تصفون ، و على ما اهبطتم اليه هذا الكتاب العزيز في رؤيه الناس.

حتى الحديث المشهور بحديث الثقلين " كتاب الله و عترتي اهل بيتي " و مع اضافه حديث الغدير " من كنت وليه فهذا علي وليه " او " من كنت مولاه فهذا علي مولاه " ، فهذا تعيين لمصداق من

مصاديق أهل البيت، و هو علي . و ليس فيه نفي لبقيه المصاديق ، من غير آل علي، كما أن ليس فيه اثبات لما يليه من مصاديق بأعيانهم . و حتى حديث الكساء ، علي و فاطمه و الحسن و الحسين، عليهم السلام ، فليس فيه اثبات لخط الحسن دون خط الحسين، و لا خط الحسين دون خط الحسن ، و إنما فيه قيمه الأربعه عليهم السلام . فلا يحل شيئا فيما بعد ذلك . فاذا رأينا بعد ذلك أن أبناء الحسن و الحسين اختلفوا ، و نصب بعضهم نفسه اماما، بل منهم كمحمد بن عبد الله الحسني قد ادعى المهدويه و بايعه طوائف من العلويين و العباسيين ، ثم زيد بن علي الحسيني آخو الباقر إمام الاسماعيليه و الاثنا عشريه، قد اختلف مع اخوه في شروط الامامه ، فنصب زيد نفسه اماما ، و معروف عند الجميع أن زيد لم يكن من الجهله و العوام و لم يكن من أصحاب الهوى و الرقاعه و طلب الدنيا لذاتها ، ثم اختلف الناس في ما سوى ذلك ، حتى كان الأمر في مسأله المهدي الاثنا عشري . ثم خرج مهدي الاسماعيليه فأقام الدوله الفاطميه ، و كانوا يرون أنه المهدي الذي سيفلح و لعلهم رأوا أن قيامه بالدوله و فلاحه و انتصاره حجه خارجيه على صدقه في دعوى المهدويه ، و ليتهم نظروا في الدوله التي أقامها مدعي المهدويه ابن تومرت و كان سببا في اقامه دوله عظيمه في الأندلس ، بل كان ابن تومرت من ازهد الناس و أعبدهم قبل سلطانه و بعده ، بل بقي حتى مات يأكل خبزا و زيتا من الأموال القليله التي كانت اخته تكسبها من بيع ما تغزله بيدها ، و لم يأخذ خمس اموال اتباعه و يسكن في القصور و يملأها بالجواري بالالاف المؤلفه ، ثم انتهى الأمر بسقوط الدوله الفاطميه شر سقوط بعد نحو ٢٦٠ سنه فقط ، و دوله ابن تومرت بقيت نحو ١٥٠ سنه.
فانتصار احد في مسائل عسكريه سياسيه ليس حجه دينيه بحال من الاحوال، و إلا يجب علينا جميعا أن نصدق نبوءه جنكيز خان ، الذي ادعى أن ربه الأعلى بعثه ليحكم العالم، فأقام جنكيز خان و سلالته امبراطوريه اعظم من الدوله الفاطميه . و دامت امبراطوريه المغول نحو ١٦٠ سنه ، و مساحه امبراطوريتهم كانت ٣٣ مليون كيلومتر مربع ، بينما حكم الفاطميون نحو ٤ مليون كيلومتر مربع.
فإن كان الأمر بالمساحه الارضيه فلنتبع مله جنكيز اذن . بل أين تذهبون من أعظم امبراطوريه من شتى الجهات، أي الامبراطوريه العثمانيه ، حكمت نحو ٦٢٠ سنه ، ثلاث قارات ، و أقامت العجب في شتى نواحي الحياه ، و العرفان و العلم و الدين و القانون بقدر لم يتيسر لدوله اخرى مثله اذا قورنت من كل هذه الجهات . و لكن لا يعترف عموم الشيعه بقيمه هذه الدوله من حيث الدين . فلا أقل أن يقروا بأن المسأله السياسيه المعيشيه ليس لها مدخليه و لا حجيه فيما نحن بصدده . فاذن ، حتى ان ءامنا بولايه علي ، الملكوتيه او الملكيه او كلاهما ، فإن على عليه السلام قد ولى إلى ربه ، فلم يبق من ولايته الملكيه شئ بهذا الاعتبار، و أما ولايته الملكوتيه فليؤمن بها من يريد أن يستمد من أسبابه و يفاض عليه من مواده ، و ليس لها أساس فيما نحن بصدده . و أما ما سوى علي ، فكما قلنا الروايات لا تعينهم ، و حتى روايه " الأئمه من بعدي اثنا عشر " ان صدقناها ، و قبلناها ، فإنها لا تثبت أي اثنا عشر و من أين ، و هل هم اثنا عشر متوازيين فيكونوا في نفس الزمن ، كنقباء بني اسرائيل الاثنا عشر ، أم أنهم يتوالون ، ثم يوجد روايات عند الشيعه الاماميه أن الأئمه " ثلاثه عشر" كما قرأته مره في كتبهم ، ثم فلنفرض أنهم اثنا عشر، فهذا يثبت انقطاع الإمامه من حيث صورتها الارضيه ، و بالتالي نرجع الى اصل مبحثنا و لكن بعد لف و دوران ، فنقول من هو الإمام القاطع للخلاف في هذا العصر و في كل عصر بعد الإمام الثاني عشر ، اختفى أو غاب أو قتل أو مات بعد ظهوره ، فالسؤال يبقى على حاله ، اللهم أننا نأخذ لفه معوجه ثم نرجع إلى أصل السؤال الذي بقي بلا اجابه ، و لذلك تجد الاماميه في ما بعد عصر الغيبه الكبرى عندهم قد اختلفوا اختلافا من حيث المنهج و من حيث الرؤيه المتعلقه بمسائل العقيده كما في مسائل الشريعه البدنيه ، بل أذكر أني قرأت للطوسي شيخ طائفتهم - رحمه الله - أنه ذكر أن اختلافات الاماميه كاختلافات السنه ، فكل روايه

عندهم يوجد روايه تضادها و كل رأي في مسأله يوجد رأي يخالفه ، و لا نحتاج أن نرجع كثيرا في سلسله الزمن و ما كتبه القدماء لنثبت ذلك ، بل يكفي أن تنظر الى حالهم اليوم في شتى المسائل، كمسأله ولايه الفقيه ما حدودها و من هو الفقيه ، و هل العرفان حق أم باطل و ما حدوده و ما طرقه و من هم شيوخه ، و ما هو الضابط في كون الشخص مرجعا دينيا ، و أما في مسائل تفاصيل الفقه البدني و الطقوس عندهم ، فحدث و لا حرج ، و على ما اذكر أني رأيت كتابا في الطهاره و الصلاه يصل الى نحو عشرين مجلدا ! و الله أكبر . و أما الزيديه فلا أتحدث إلا بما أعلم ، و لا أعلم لهم علما قرءآنيا او عرفانيا له وزن يذكر و يلتفت اليه ، خصوصا و نحن نعيش في حدائق القرءان و حدائق مكاشفات محي الدين بن عربي و مواقف و مخاطبات النفري و حكم ابن عطاء الله السكندري و ارواح عشق و علم مولانا جلال الدين الرومي ، فيصعب على من كان هؤلاء حدائقه و أرواحهم متنزهه أن يلفته ما سواهم ممن يتحدث في السطوح و رأس ماله الأعراق الدمويه لفلان و علان .

فالذي أصل إليه من هذا التطواف المختصر هو التالي : النبي خلف تركه ، و هذه التركه هي كتاب الله و هو موجود بين المسلم و الكافر و لله الحمد.
و على القرءآن حجابين على الاقل من حيث ذات القرءآن : حجاب اللسان العربي، و حجاب الامثال و الرموز . و رفع حجاب اللسان العربي بفقه اللسان العربي و التفقه فيه و التبحر فيه قدر الوسع . و هذا ميسور و لله الحمد في هذا العصر الذي يملك عامي من عوام الناس أن يحصل على كتب في اللسان العربي لعله لم يكن يملكها إلا الملوك في العصور الغابره ، ثم ليجد له اساتذه يعينوه على ذلك . و رفع حجاب الامثال فيكون بتزكيه النفس و التخفف من الدنيا و الاقتصار على المعيشه الطيبه المقتصده ، و التفرغ للعلم و التفكر و التدبر ، و ادمان دراسه القرءآن ليل نهار ، و حضور مجالس تدارس القرءآن و ذكر الله و مصاحبه من له اهتمام و حب للعلم و الفكر و البحث في القرءآن و شؤونه ، و كذلك يعينك أن تحصل على كتب العلماء و العرفاء و صحبه من تجده من هؤلاء ممن لا يطلب منك أجرا ماليا و لا شكورا ، بل يصاحبك حبا في افادتك و الاستفاده منك في أمور الكتاب العزيز و الذكر و الفكر عموما . و أصل كل ذلك أن تستمد من الله تعالى و تستفحه ، و عليك بدعاء الملائكه و ذكرهم " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " و عليك ان استغلقت عليك الأمور بدعاء يونس " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ". و غير ذلك من أدعيه مباركه في القرءان العظيم .
ثم ما يعرضه الناس فيما يخص شؤون القرءآن ، فالأصل هو " كل امرئ بما كسب رهين" و لن يغني أحد عنك شيئا ، لا سيدا و لا كبيرا و لا حبرا و لا راهبا ، فانظر لنفسك ، و عليك بنفسك ، و عليك بالأصل الاكبر " لا تقف ما ليس لك به علم " ، و احفظ بشاره " لا يكلف الله نفسا الا وسعها ". فاعمل كل ما عندك في الأمر ، و الزم ما تعلم ، و أوكل ما لا تعلم الى وقت اخر و استفتح الله ليبينه لك ، " ثم ان علينا بيانه " ، و العلم بالتعلم و بالتدرج ، إلا أن يشاء الله شيئا فهو ذو فضل عظيم . و اطلب العلم القرءآني حبا في العلم ، و ليس خوفا من شئ و لا رغبه في شئ ، فالخوف يقلق و القلق يشوه الصوره ، و الرغبه تعمي و العمى يمحي الصوره. اطلب العلم للعلم ، و لأن كمال ذاتك بالعلم ، و بسط ذاتك يتفعل بالعلم . و أما شؤون دنياك و معيشتك فالكفار و الضلال و الجهله و الفسقه يدبرون شؤون معيشتهم دون حاجه لا الى علم الانبياء و لا الى دراسه القرءآن و غير القرءآن ، فأنت بالقرءآن أولى منهم بحسن تدبير معيشتك ، و لا أقل أن تكون معهم على قدم سواء. فدبر معيشتك باحسان ثم تفرغ للقرءآن بعد ذلك ، تعش في الدنيا و الاخره سعيدا طيبا ان شاء الله تعالى .

و المعلم و الإمام عندنا هو الذي يعلم كتاب الله ، و يرجع الناس الى كتاب الله ، و يفقههم في كتاب الله ، ويعلم الناس الاستقلال بكتاب الله، و يقيم لهم رؤيتهم على أساس بسط الذات الإنسانيه و ما يفعلها . و أما ما سوى ذلك من وصف للأئمه في الأرض فنتركه لأهله .

و الواقع في هذا الزمان أن النبي ترك كتاب الله ، و لا نعرف أحدا بعينه اليوم يعتبر هو خليفه رسول الله بالمعنى التعييني الشخصي . و كل ما يوجد هو دعاوى بناء على مكاشفات هي حجه لصاحبها و عليه إن صدق ، و لا تلزم الغير ، فإن صدق فليأتنا بعلم خاص و عظيم في فقه كتاب الله ، فإن أقدار الناس عندنا تتبين في مستواهم في التعامل مع القرءآن و دراسته. و إني أشهد بأن الله لا يفتح هذا القرءآن لغير من اصطفاهم لذلك . و ما رأينا أحد ممن يدعي الاصلاح و الإمامه في الأمه ، ممن له أصول مخالفه لأصول القرءآن المهمه ، إلا ووجدناه مخذولا هابطا حين يشرع في التفقه في القرءآن و "تفسيره" على ما يزعم . فلأهل القرءآن أقول: إن أردتم أن تتبينوا قدر عالم ، قولوا له : اكتب لنا دراسه تخرج و تنبع من عقلك و قلبك في ايات قرءآنيه ، لا تقتبس بها من غيرك ، و لا تنقل اقوال من قبلك ، بل أنت ادخل القرءان و اخرج لنا بما يخرج معك و يفتح لك . و عندها يتبين لكم قدره و درجته عند الله تعالى . قد يخوض مدعي الإمامه في عشره آلاف فن من فنون العلوم و الفلسفات ، و يعرف اقوال عشره الاف عالم ، و لكن إن لم يكن له مقام عال عند الله ، و مقبول للقيام بأمر الله ، فإن الله يغلق القرءآن في وجهه و مهما حاول لا يفتح له ، " سأصرف عن ءاياتي الذي يتكبرون في الارض بغير الحق ". و هذا هو تفسير اعتماد هؤلاء على قال و قيل و حدثني و حدثنا ، لأنه لولا هذه النقول و التعليقات البسيطه الساذجه عليها ، لظهر إفلاسهم للخلق أو لا أقل لظهر رصيدهم الحقيقي من مال الله الذي استخلفنا فيه . فإن كان و لابد من تمييز مراتب العلماء، فأصل ذلك هو دراساتهم القرءانيه المعلنه للناس او مكاشفاتهم القرءآنيه المعلنه للناس . و من كتم او أخفى علما فهو و ما أخفى . و من كان له كتاب مسطور في رق منشور ، فاستفيدوا منه و ادخلوا بيته برحابه صدر و سلام ، ثم ستتبين لكم مرتبته بعد ذلك ان شاء الله و لم يكن على أعين قلوبكم غشاوه .

و من الادله القرءآنيه الذاتيه الداله على مشروعيه وجود معلم من المسلمين للمسلمين، نذكر نص و استنباط. أما النص فقوله " إنا أنزلنا التوريه فيها هدى و نور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، و الربانيون و الاحبار بما استحفظوا من كتب الله " . فالآيه تثبت وجود أربع مراتب في المسلمين : النبي و الرباني و الحبر و الذين هادوا . و كذلك ايه "يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم ".
و أما الاستنباط، فنضرب مثلا بظاهر ثم بباطن و الباطن أهم في هذا المجال . فالظاهر : تصور لو أن رجلا من المسلمين قرأ " لا يعلم الغيب..إلا الله". فتوصل الى أن الوحيد الذي يعلم الغيب هو الله. فراح ينفي وجود أي عالم للغيب في الوجود كله على أي مستوى كان ما عدا الله تعالى. فاذا سمع بوجود احد يدعي علم الغيب او يدعى له علم الغيب ، حكم بكذبه بناءا على الايه التي تمسك بها و التي تنفي علم الغيب عن كل من سوى الله. و لكن غاب عن هذا أنه يوجد ايه اخرى تثبت علم غير الله بالغيب ، عن طريق الله كقوله " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا " و لو علم بوجود هذه الايه لما قال ما قال، و لما حكم بما حكم ، و لما عمل بما عمل. فهذا على مستوى عدم الوعي بنص ظاهر. كذلك مثلا قول القرءآن " العزه لله جميعا ". فيحكم بأن كل من سوى الله اذله حتما و دائما على كل المستويات، فاذا سمع بأن

أحد من المسلمين يدعوا الناس الى العزه و طريق العزه ، استسخف دعوته و كذبه و حكم عليه بالشرك ! و لو علم بوجود ايه اخرى تقول "فلله العزه و لرسوله و للمؤمنين ".
و كذلك مثلا لو قرأ " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ثم ينظر في قوله تعالى " الله يتوفى الانفس" و في قوله تعالى "قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم" فيقول :الله غير ملك الموت ، و ملك الموت غير الله ، فاذن يوجد في القرءان تناقض و هو من انواع الاختلاف ، فاذن القرءان ليس من عند الله ! و هذا على المستوى الباطني. أي مستوى الفهم و العقل . و كذلك مثلا في بقيه الافكار القرءآنيه التي تخرج من التأليف بين الايات الوارده في مواضع شتى ، فإن هذه الافكار لا تظهر بغير هذا التأليف او ما يشابهه ، و إن ظهرت فلعلها لا تظهر بنفس ظهورها بهذا التأليف المخصوص ، كجمع الايات التي تتحدث في موضوع واحد ، او كلمه واحده كالصلوه او الدعاء او التسبيح او القسط و العدل او الخير او الانفاق او الروح ، ثم النظر في كل هذه الايات و الخروج منها بنظريه عامه تؤلف بين كل هذه الايات ، فإنه لا يستطيع أحد أن يصل الى نفس هذه النظريه بدون هذا التأليف أو ما يشاكله، و النظريه كامنه في القرءآن ، و لكن ظهورها يحتاج الى تدبر و دراسه و عقل بين مختلف الايات، و هذه من أعمال الخير العظيم التي يقوم بها البعض فيعرضها على الاخرين فينتفعون بها ان شاء الله . فالقرءان يؤيد وجود مرتبه من أهل الذكر و الفكر تدرسه و تعرض ثمار دراستها و كشوفاتها على الناس ، و لا تكتم البينات و الهدى بعد ما بينها الله للناس في الكتاب، و لا يقولون كما جاء في يس " أنطعم من لو يشاء الله أطعمه " بل ينفقون مما رزقهم الله سرا و علانيه ، و بالليل و النهار . و فيما يخص علوم الباطن و الظاهر ، و الغيب و الشهاده. " و فوق كل ذي علم عليم " فمن كان دون في علم يأخذ مما هو فوقه في العلم ليصل الى درجته ، و يزيد الله الذي ءامنوا ايمانا و على ربهم يتوكلون .

و أخيرا ، إن كان و لابد أن نأتي بتفسير للحوادث التاريخيه و فهم سبب وصولنا الى هذا الحال الذي نحن عليه اليوم من حيث المظهر او الجوهر، فإنه علينا ان نقوم ببحث اخر. و قد ذكرنا طرف من هذا البحث في عده من كتبنا، منها (هل القرءآن يؤسس لدوله ؟) فليراجعه من يشاء . و لنكتف بهذا القدر ، و الله المستعان و عليه توكلنا و اليه المصير.

.....

٥- " أهل القرءآن أهل الله و خاصته "

ما هو موقع الانسان في الوجود ؟ لننظر من الحيثيه البشريه ، أي هذا الجسم البشري. فما هي مرتبه هذا الجسم البشري في هذه الارض ؟ يوجد في الارض أربع مقامات أساسيه للكائنات: المعادن و النبات و الدواب و البشر . المعادن في غنى عن النبات ، و النبات في غنى عن الدواب ، و الدواب في غنى عن البشر ، و أما البشر فيفتقرون للدواب و النبات و المعادن و لا يمكن أن يقوموا في هذه الارض (التي هي من المعادن أصلا) فضلا عن العيش فيها بدون هذه المعادن و النبات و الدواب على العموم . فمعيار العلو في المقام في الأصل هو : الفقر و الغنى . فالفقير الى الشئ أقل مرتبه من الغني عن هذا المفتقر . " يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله و الله هو الغني الحميد ، إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد ". فالأفقر أحقر ، و الأغنى أعلى . فالبشر هم " أسفل سافلين " على التحقيق المطلق ، لأن البشر في افتقار الى كل شئ في هذا المستوى من الكون ، و كل شئ في هذا الكون في غنى عن البشر ، بل لعل حال هذا الكون أفضل بدون البشر الذين يظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيديهم. فإذن وهم "التطور" الذي يزعمه من عمي بغروره ، هو ليس الا وهم و عمى و غرور لا أكثر . هو "خرافه" بالمعنى السلبي لذلك . الجسم البشري بكل ما فيه من قوى ، يعتبر أحقر ما في هذا الوجود السفلي . و لهذا قال "أسفل سافلين" لأن ل "سافلين" دركات ، فيوجد منها ما هو أسفل و ما هو أعلى و ما هو بين ذلك . و البشر هم دون الدواب و النبات و المعادن ، فهم في أسفل سافلين . و العلو التام في هذه الارض ، أي العالم الجسماني ، هو للمعادن ، أي ان اقتصرنا على النظر فيه من حيث هو . لأن المعادن، في غنى عن ما سواها ، و ما سواها مفتقر اليها و الى غيرها . و لهذا ورد في الكتاب العزيز "قل كونوا حجاره او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم " . فكلما كان المعدن أقسى و أشد غنى ، علت رتبته في طبقه المعادن . و لهذا كان سقف و سماء سكان العالم السفلي هو المعدن المحض ، أي بحسب لسان الرمز : الحجر و الحديد و ما اشبه من رمز للقسوه و الصلابه و الجمود المظهري . و هو تأويل القاء الحجاره من السماء على الأقوام الكافره و تدميرهم بها (اي تدمير صورتهم الانسانيه المعبره عن روحهم) ، بل هو ظاهر الايه لمن كان له قلب يفقه به . و عند من علت مرتبته في المعرفه ، فإن نصوص القرءآن بظاهرها الحرفي تعطي العلم الباطني العرفاني الخالص ، و هذا من أعجب ما شهدناه في هذا الطريق حتى هذا اليوم . فإن ظاهر القرءآن هو عين باطنه ، و سبحان الله رب العالمين . فالحاصل ، الخلقه البشريه هي أسفل سافلين ، و ربها الأعلى هو الحجر و الحديد و ما شاكل ذلك من معادن . و هذه هي عباده الاصنام . فرؤيتهم الوجوديه القاصره على خلقتهم البشريه هي عين عبادتهم للاصنام ، " أتعبدون ما تنحتون " .

و لكن أليس الفاعليه تدل على العلو في الرتبه ، فيكون الفاعل أعلى من المنفعل ، و حيث ان البشر يفعلون و يؤثرون في الطبيعه السفليه ، فهذا يعني أنهم أعلى منها أليس كذلك ؟ الجواب: إن فاعليه البشر في العالم السفلي هي من صلب افتقارهم اليه ، و لا تدل على علوهم الا من حيثيات ضعيفه و قليله ، و الأكثر الغالب هو انفعالهم لهذا العالم السفلي و افتقارهم اليهم في عين فعلهم فيه . فحتى " السيطره " على هذا العالم ، على فرض امكان ذلك ، لا تدل على غنى البشر و علوهم ، إنما تدل على شديد فقرهم بحيث أنهم مفتقرون الى السيطره عليها لسد حاجتهم . و إن مجرد امكان وجود شئ من هذه السيطره لآيه على أن في البشر ، بل في العالم السفلي ، شئ غير محض الجسمانيه . اذ محض الجسمانيه تعطي العلو للغني ، فلا يكون امكان وجود شئ من الذي يسميه البشر "سيطره على الطبيعه " إلا بعامل او عوامل أخرى. سواء كانت عوامل متعلقه بالبشر أو متعلقه بالطبيعه

السفليه . و لكن جذب الأعلى للأدنى، و هو جذب ذاتي لا محيص عنه ، يدل على أن الأدنى مهما تمادى في غيه و بعده فإنه سيعود الى أصله و أمه و ربه . و حيث أن هذا الجسم البشري عبد و مستعبد و خاضع لسلطان الدواب و النبات و المعادن ، مباشره او غير مباشره ، خصوصا "التراب" الذي هو أصله ، الذي هو أعلى منه ، فإن قوه جذب التراب للجسم ليرجع اليه و يفنى فيه تدل بذاتها على مربوبيه البشر للتراب فهو مولاهم و هو أحق بهم ، " منها خلقناكم و فيها نعيدكم" . و الموت البشري هو النهايه الحتميه لكل جسم بشري. فإن كان هذا النزر اليسير من وهم و خرفه "السيطره" الذي يحلو للبشر أن يقولوه في حق أنفسهم و يطروا به ذواتهم ، من حيث أنهم يرون أنفسهم في سنين القوه و البسط النسبي ، فيعتقدون بناءا على خرافاتهم أنهم أعلى من في هذه الارض ، و الجنس "الأكثر تطورا" بين كائنات الارض و الطبيعه ، فإن الموت كفيل بتبديد هذا الوهم عما قريب . فيعلموا حينها مقامهم الحقيقي في هذا العالم .

الآيه القرءانيه تقول " و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكه اسجدوا لآدم ". سؤال: ما الفرق بين الخلقه و الصوره ؟ الجواب : يقول في ايه أخري " فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ". و في آيه ثانيه " اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ". فالخلقه هي البدن الترابي ، و الصوره هي الروح الإلهي. "ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم: خلقه من تراب" فالخلقه من تراب، فالصوره من روح.و هذا معنى الأثر الذي صححه العرفاء كالشيخ الاكبر " إن الله خلق ءادم على صورته ". و صوره الله روحه التي عبر عنها في قوله تعالى " و نفخت فيه من روحي " ، تدبر جيدا في قوله "روحي". فهي مثل "لا ينال عهدي الظالمين" ، فهي من أمر الله أي نفسه تعالى ، و النفخ ظاهر في ضرب المثل بالافاضه الذاتيه على المفاض عليه ، كمثل نفخ الهواء من صدر النافخ. و هذا من الامثال التي لا يعقلها الا العالمون . و من أهميه موضوع الروح ، و هو الذي نسيناه لغفلتنا حين هبطنا و رددنا الى اسفل سافلين ، أي ما لقبناه " الزهايمر الانساني" ، ورد سؤال " يسألونك عن الروح . قل : الروح من أمر ربي . و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ". "أمر ربي" أي شؤونه النفسيه العليه تقدس اسمه . و هي الروح التي عبر عنها القرءآن بقوله "و علم ءادم الأسماء كلها ". و بهذا التعليم و الانباء سجدت له الملائكه . فصوره الله روحه، و روحه الأسماء كلها. و الأسماء هي الأسماء الحسنى بكل درجاتها و دركاتها أي تعيناتها في العالمين . فصوره الانسان هي آعلى عليين ، و خلقه الانسان هي أسفل سافلين. صوره الانسان روح الله ، و خلقه الانسان تراب الأرض . و دقق في قوله تعالى بلسان الجمع "و لقد خلقناكم ثم صورناكم " ثم قوله بلسان الفرد " ثم قلنا للملائكه : اسجدوا لآدم". فخلق و تصوير كل الناس تم في عين آدم . فآدم هو الجامع ، و هو المثال و الأنموذج الأكبر الحاوي لكل الإمكانات الإنسانيه ، التفصيلات الأسمائيه ، ثم الناس بعد ذلك على مراتب في المقام الآدمي ، و هو بحسب مستواهم في علم الأسماء. و صور الأسماء الكامنه في آدم تفصلت في الانبياء و الرسل و المصطفين ، من قبيل نوح و ابراهيم و موسى ، ثم اكتمل الظهور بالمسيح عيسى ابن مريم " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم " ، و محمد هو آدم الذي يمد بني آدم لبلوغ مقام آدم ، و لهذا أوتي القرءآن العظيم الذي هو الجامع لعلم الأسماء كلها . "قل لو كان البحر مدادا لكلمت ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمت ربي و لو جئنا به مددا ".

فما يجده الانسان في نفسه من أنه كائن عال المرتبه ، عظيم القدر ، لا مثل له ، مستحق لكل مقام رفيع ، باختصار كل ما يسميه بعض الغرب بداء " جنون العظمه " إنما هو في حقيقته شرارات من

هذه الروح الالهيه. نعم إن المجنون فعلا هو الذي يطبق لوازم هذه الروح و يسعى الى تحصيل هذه المقامات في دنيا الطبيعه السفليه ، و بين من هم أسفل سافلين. و هذا هو الخسران المبين ، بل هو غباء و تفاهه من كل الجهات . فأي عظمه في أن تسيطر على شرذمه من البشر الذين هم دون الدواب و النبات و المعادن في المرتبه ! قال بعض الناس في الامثال : الإماره و لو على الحجاره . على أساس أن الحجاره هي أسفل ما يمكن أن يتحكم فيه ، و لو دقق هذا القائل لقال : الإماره و لو على البشر . و لكن هكذا يحصل لمن لا يفقه لا في الدنيا و لا في الاخره . بل لا يشعرون بهذا الفرق، و يرونه غريبا ، و يرون أنه من "البديهي" أن يكون البشر أعلى الكائنات على الارض . بل إن نفس هذا الاعتقاد المغلوط، هو من شرارات عقيده الروح الالهيه و حقيقتها الذاتيه في الانسان و إن دسها في التراب فإنها تصرخ من تحت التراب و يصل صوتها الى وعيه و تقرع أبواب ما تبقى من قلبه فتزعجه و تبعثه على مراعاتها و لو أقل رعايه ، فتخرج عقائد و رؤى للوجود و قيم و أخلاق لا مبرر حقيقي لها في ما يخص الطبيعه السفليه من حيث هي ، و لكن تتبين حقيقتها حين يتذكر الانسان حقيقته العلويه و من هو في الواقع .

فالانسان بصورته الروحيه ، و من هنا يظهر تأويل قوله في البعض "كونوا قرده خاسئين" و "جعل منهم القرده و الخنازير و عبد الطاغوت " و " كمثل الحمار يحمل اسفارا " و "كمثل الكلب " و بقيه الدواب ، أو كالنبات " شجره خبيثه اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار". أو كالمعادن " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره او اشد قسوه ". فكلا علا البشر في الأرض ، كلما ابتعد عن السماء . " تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض و لا فسادا و العاقبه للمتقين ". فلا علو و لا فساد. ففمن يعلو في الارض من ينكر طبقته العليا أي صورته الروحيه الالهيه ، و ممن يفسد في الارض من يحتقر الدنيا لكونها اسفل سافلين و لا يعلم أن هذا وصف لواقع حقيقي ، و لا يترتب عليه من حيث ذاته عمل ما ، فالملائكه سجدت للتراب و الروح ، و ليس للروح فقط . و هذا العالم مسخر للناس ، للناس و ليس للبشر ، لأن هذا العالم يلعن البشر ليل نهار ، و لكن تبكي السماء و الارض على موت انسان واحد . الانسان روح هذا العالم ، و وجه رحمه الله لهذا الكون ، فهو نور ظلمه الطبيعه السفليه و سبب اضاءه قبر الاجسام . و هذا معنى " خليفه في الأرض ". و الخليفه هو الذي يقوم مقام المستخلف فيما استخلفه فيه ، و إنما استخلف آدم بعلم الأسماء كلها و تعليمها ، فالعلم الالهي هو سر الانسان و نور الانسان و شمس الانسان و الاكوان . و هو المجموع في هذا القرءآن العظيم .

و هنا نصل الى معنى قول الروايه الشريفه " أهل القرءآن ، أهل الله و خاصته ". يوجد أمرين هنا : الأهل ، و الخاصه .

ما معنى الأهل ؟ أصل الأهل في الكتاب تعني الزوج و الابناء يدخلون بالتبعيه و الاقارب كذلك . و لكن نفي الله لكون ابن نوح من أهله ، " إنه ليس من أهلك" بعد أن قال له نوح " إن ابني من أهلي " يدل على أن الأهل على الحقيقه هم الذين يتصلون بسبب و نسب حقيقي أي روحي قلبي ملكوتي . و ليس عند الله أهل بالمعنى الفاسد للبشر . " إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ". و من هنا كان "المؤمنون إخوه" بالحقيقه القلبيه و النسب المعرفي الذي يجمعهم . هذه ليست تعبيرات شعريه او اعتباريه ، هذه هي الحقيقه ، و ما يزعمه عبيد الجاهليه من أنساب سيعرفون قيمته يوم يقوم الاشهاد ، "فلا أنساب بينهم يومئذ ". و إنما هذه الأنساب البشريه أمثال ليقرب فهم الانساب الانسانيه للذين لم يخرجوا بعد من ظلمه أسفل سافلين . و حسبك قول الله "إنه ليس من أهلك" و هو نفي لأصل

دعوى نوح " إن ابني من أهلي ". و هذا تعليم أساسي من بدايه الأمر لحقيقه النسب و الانتساب بين بني الانسان ، و أما بني البشر فدعهم في ريبهم يتخبطون . فاذن ، قوله "أهل الله " تعني من ينتسبون لله و تربطهم به رابطه نسب و سبب حيه . و ما هو هذا النسب ؟ هو الوعي بحقيقه " و نفخت فيه من روحي ". و القرءآن هو روح الله " كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ". بالقرءآن يحيا انتساب الانسان الى الله ، و بحسب علاقاته بالقرءان تكون عدد الروابط النسبيه التي تربطه بالله تعالى .
فرابطه الابوه مثلا تختلف عن رابطه الامومه ، الابوه فيها معنى التربيه و الرعايه ، و الامومه فيها معنى الولاده و الرضاعه ، فمن رباه القرءآن فالقرءآن ابوه ، و من ولد عقله من القرءآن فالقرءآن أمه ، و قس على كذلك . و قل مثل ذلك في بقيه الروابط النسبيه الرمزيه الوارده في ايات الميراث و الوصيه ، و تأمل أن الله يقول " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " فميراث الكتاب يقسم على قسمه ميراث الاموال، و هو مال الله ، فاعقل أيها العزيز . فمن تجلى فيه القرءآن فهو من أهل القرءان ، فهو بالتالي من أهل الله.
فما معنى الخاصه ؟ الخاصه عكس العامه ، و خاصه الانسان يدلون على من يطلعون على شؤونه الداخليه و السريه ، و لهم معه علاقه و تبسط ليس لغيرهم . و هكذا كشف الله تعالى عن شؤون نفسه العليه و ما دونها في القرءان ، بالبيان الاعظم و التبيان الاكبر ، و التفصيل المطلق ، بالاضافه الى أن نفس وجود القرءآن و مقامات العلويه في الكون ، و وجوده في النشآت المتعدده الحاضره و الاتيه ، يدل على شئ من معنى " و خاصته ". فإن كان أهل القرءان هم الخاصه بالنسبه لله ، فإن أهل غير القرءآن هم العامه . و بالتالي لا ينال مقام الخصوصيه إلا بالقرءآن ، و من سوى ذلك فعوام فيتفاوتون في العاميه ، فمنهم في أعلى السلم و منهم همج رعاع ، و منهم من قيل فيهم " إن شر الدواب عند الله : الصم البكم الذين لا يعقلون ".

فمن أراد أن يكون من أهل الله ، فليكن من أهل القرءآن ، و من أراد أن يكون من خاصه الله ، فليكن من أهل القرءآن . و حسبك هذا إن فقهت .

....

٦- " عليك بتلاوه القرءآن على كل حال "

يبين الشيخ الأكبر دائره الوجود و الكون ، و يبين أن " اختلاف الأشخاص لاختلاف الأحوال، و اختلاف الأحوال لاختلاف الحركات العلويه ، و اختلاف الحركات العلويه لاختلاف التنزلات ، و اختلاف التنزلات لاختلاف التجليات " . فهذه خمس حضرات - من الأعلى للأسفل : التجليات و التنزلات و الحركات العلويه و الأحوال و الأشخاص . فعندما تقول الروايه الشريفه " عليك بتلاوه القرءآن على كل حال " فهذا يعني أن حقيقه القرءآن هي الحقيقه المطلقه . و لهذا لا تتخصص بحال دون حال . فلها كل الأحوال ، و بالتالي كل الحركات العلويه ، و بالتالي كل التنزلات ، و بالتالي كل التجليات . فمن أخذ القرءآن فقد أخذ الوجود كله بلبه و عينه و حقيقته. و لهذا قيل في روايه أخرى " القرءآن غنى لا غنى دونه ، و لا فقر بعده " .

و هذا المقام الأعظم للقرءان يفهمه كل قابل بحسب سعته و مستواه . فلنضرب مثالا لمستوى متدني و لمستوى متعالي لنقرب هذه الحقيقه .

أما المستوى المتدني، فإذا سأل الراغب في التسلط على البشر نفسه ، : لماذا اريد التسلط؟ قد يقول : لاني اريدهم ان يخدموني. و لماذا تريدهم أن يخدموك؟ لكي اكون مرتاحا. و هل تحتاج الى أن تشقي نفسك بالسعي الدؤوب للسيطره و حفظ السيطره من أجل أن ترتاح هذه الراحه ؟ بالطبع لا فقد تحصل هذه الراحه بل اكثر منها بكثير بمجرد أن يكون عند شئ من المال المتوسط و خادمه و ستنال راحه لا ينالها من يشقى ليل نهار من أجل أن يسهر على احتمال خيانه فلان و احتمال جاسوسيه علان و ظهور مذهب سياسي معين في دوله كذا و موت رفيق الدرب فلان ، و ما اشبه من سعي دؤوب لتحصيل السيطره اولا ثم حفظها ثانيا، فعين أي راحه تتحدث أنت ، لعلك لم تخبر شئ من ذلك و ترى الخدم و الحشم حول المتسلط فتظن أنه في راحه مطلقه ، و لو عاشرتهم بل لو تفكرت في أمرهم قليلا لتبين لك أنه لا يوجد الا شبه راحه ، فلا أنت لا تريد الراحه ، أنت تريد أمر آخر ، فهل تعرف ما هو أم نذكرك به؟ سيفكر صاحبنا قليلا ثم لعله يقول: نعم لعلي لا اريد الراحه ، و لكني اريد الكبرياء ، أريد أن أشعر أني كائن عظيم . نقول : هذا أفضل و أقرب للواقع ، أنت تريد أن تشعر بالعظمه ، فلماذا تشعر بالعظمه حين ترى من حولك يطيعونك ؟ لأني اشعر بامتداد ذاتي و فعلها في ذواتهم و تحكمها فيهم . إذن أنت تريد أن تشعر بامتداد ذاتك و فعاليتها في الوجود . هذه هي الحقيقه الجوهريه ، و لكنك ترى صوره هذه الحقيقه في التسلط ، سواء كان تسلطا على زوج في المنزل او خادمه او ابن او شعب باكمله ، أنت تريد بسط الذات ، و لكنك تتوسل لتحصيل هذا البسط عن طريق هذا العمل او ذاك المسعى ، أليس كذلك ؟ نعم . فماذا لو هديناك الى طريق تحصل به بسط الذات هذا بل بسط أعظم بمراحل لا تحصى مما قد يحصل لك بالتسلط ؟ ثم ماذا لو كشفنا لك عن أن من تظن أن ذاتك ممدوده فيهم و فاعله فيهم لا هي ممدوه فيهم و لا هي فاعله فيهم و إنما تتوهم أنت ذلك و لا محل لتسلطك عليهم إلا في وهمك و عقلك و ليس في الخارج حيث تظن أنم ممتد ؟ ثم ماذا لو دللناك على طريقه في الراحه بالاضافه الى كل ما سبق أن ذكرناه لك من البسط الذاتي الحقيقي ؟ الجواب : لو كان هذا الانسان ممن سبقت له من الله الحسنى ، فإنه سيرى أن طريق العرفان هو الاعظم و الاقوم ، و أما طريق الطغيان بمختلف درجاته بل دركاته فإنه ليس إلا كقطره ماء بالمقارنه مع بحار ماء العرفان . لأن المعرفه هي التي تبسط الذات في حقيقه المعروف ، و العقل هو الذي يبسط الذات في حقيقه المعقول ، و الكشف هو الذي يمد الذات للتصل بحقيقه

المكشوف . فيكون كأنه هو في العارف العاقل المكاشف . فعرش ملكه سبأ الدنيا عند سليمان ، بل أعظم منه ، و لكن يصد الانسان عن رؤيته ما سبق من غفلته التي سببها انحصاره في قبر أسفل سافلين . فالذاكر موصول بعين المذكور ، فإن كان المذكور هو الأول و الاخر و الظاهر و الباطن ، فالذاكر كذلك ، " فاذكروني اذكركم ". و أما عن الراحه ، فحسبك منها معنى " ما أنزلنا عليك القرءآن لتشقى " . و جهاد المعرفه ليس كشقاء الذين يصدق عليهم قول الحق " عامله ناصبه تصلى نارا حاميه " من عبيد شجره زقوم الدنيا التي ما تلبث بعد أن تهيج فتره زهيده حتى تراها مصفره ثم تكون حطاما. المعرفه تزيد البسط و ترفع القدر كلما ارتفع الانسان في درجاتها و عرج في سماواتها ، فلا يسقط ان استمر بعد أن يرتفع ، فهو في تحليق بعد تحليق ، و كل تحليق لاحق يكون اعظم من التحليق السابق . فخط الصعود طولي على امتداد الخط . و أما خط عبيد شجره الزقوم ، فإنها مما يصدق عليه - مهما كان حال صاحبها في دركات اسفل سافلين ، سواء كان فرعون مصر أم كان من عبيد مصر - فإنه يصدق عليه " فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا " و هو ما يناسب اطوار الشجره التي بايعوا قلوبهم تحتها ، فهذه الشجره تمر بأربعه اطوار : "كمثل غيث أعجب الكفار نباته " و هذه البدايه في كل عمل جديد او رغبه جديده او تحصيل مال جديد او زوج جديد او لعب جديد او قل ما شئت من مظاهر ، و هي مرحله الاعجاب ، ثم " يهيج " و هي مرحله الشعور بالفرح و الضحك و الانتصار و العزه و الفوز بالسعاده التي قيل فيها " الدنيا جنه الكافر " و المقصود هذه المرحله حصرا او ما قبلها بنحو ما ، ثم تأتي المرحله الثالثه "فتراه مصفرا " و هي الذبول و ذهاب البهجه و الاعتياد و خمول الاحساس تجاه هذا الشئ لكثره تعاطيه و كما قيل " كثره المساس تذهب الاحساس " فيما يخص هذه الأمور و ليس في الأمور العرفانيه كقراءه القرءآن الذي " لا يخلق على كثره الرد " فكثره مساس القرءآن تعظم الاحساس ، ثم اخيرا تأتي المرحله الرابعه " ثم يكون حطاما " عاجلا ام اجلا . و بعد كل تحطيم لصنم من رؤوس شياطين هذه النشأه السفليه ، يزداد هبوط قلب البشر في عمق الظلمات و الكآبه و الغم ، و بتعبير القرءان " الضنك " و هي كلمه يتجلى معناها في صلابه نطقها . فيدخل في الدوره الثانيه ، فيبحث عن بذره رغبه أخرى أو أمل جديد يتعلق به ، لعله وظيفه لعله زوج جديد لعله لعبه آخرى او منافسه بمظهر اخر ، كالقرد يقفز من شجره لشجره ليتسلى قليلا بلا روح و لا عزه عقل و لا فرحه شهود ، مجرد قفز على أمل أن تكون الشجره التي قفز اليها خير من الشجره التي اضطر أن يقفز منها لكونها تحطمت او زالت من وجوده ، و لكن السنه السنه ، فيعود نفس الأمر في هذه الشجره الجديده ، ثم تكون حطاما ، فيقع قلبه في مستوى أهبط من السابق ، و الان يدخل في شجره جديده و الغم من تجاربه السابقه قابع فيه مما يؤثر على مستوى ضحكه و فرحه الجديد ، و هكذا " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذقوا العذاب " . فخط البسط و الفرحه بالنسبه لهؤلاء البشر هو خط أساسه هابط الى أسفل ، و لكن فيه شئ من الصعود بعد كل مرحله و مرحله .

نستطيع أن نشبه خط بسط العارف و الجاهل ، أي من كان على طريقه القرءآن و من كان على طريقه أصحاب الرؤيه الحداثيه للوجود عموما كالنمل و أكله الزقوم ، بالرسم البياني لقيمه أسهم شركه تجاريه . فالعرفان يعطي خط صعودي ، فيه هبوط قليل نسبيا أحيانا ، و لكن ال "ترند " الأساسي صاعد ، و الهبوط الذي يطرأ عليه لا يؤثر كثيرا في الصعود الأساسي. فالقيمه تصعد من ١٠ الى ٢٠ الى ٣٠ ثم تتراجع الى ٢٥ ثم تصعد الى ٤٠ ثم الى ٥٠ ثم تتراجع الى ٣٥ ثم تصعد الى ٧٠ و هكذا . و لكن بالنسبه للذي يعيش برؤيه وجوديه من الصنف الاخر ، فإن الخط البياني يكون أساسه هابط ، و العوامل الاقتصاديه الاصوليه كلها تدل على أن قيمه هذه الشركه أقل مما قد

يظهر عليها أحيانا بسبب الفقاعات و الفورات التي قد تنشأ لسبب او لاخر ، و لكن كل مستمثر واعي حصيف يعلم أنه لا يجب أن يقرب مثل هذه الاسهم الفقاعيه ، و إن دخل فيها فيجب أن يكون بجزء صغير من رأسماله حتى اذا انفجرت الفقاعه لا يخسر رأسماله و يرجع الى حاله الافلاس ، مع فارق طبعا أنه في مسائل الحياه الانسانيه و الرؤيه الوجوديه الاستثمار الجزئي شبه مستحيل ، فالانسان يدخل في رؤيته الوجوديه برأسه و قدمه ، و لهذا ما أن تنفجر الفقاعه - و كل فقاعه تنفجر كما يعلم المتتبع لتاريخ الفقاعات المتعلقه بسوق الاسهم على مستوى العالم و التاريخ - حتى يفلس الخلق و يصير " حطاما " ، ثم يبدأ الدوره من جديد . لو يضع الناس في استثمار حياتهم و أنفسهم نفس الجهد الذي يضعونه في استثمار اموالهم ، بل نصف الجهد و الحذر و العقل ، لعل العالم كان سيكون على صوره أخرى . شركه الفرعنه و الهامانيه و القارونيه و السامريه شركه مفلسه جوهريا يتم التسويق لها اعلاميا لترتفع قيمتها ، و دائما يوجد "هوامير" قله يحصدون شئ من فوائد دخول الجماهير في هذه الفقاعات ، و هامور دنيا الناس هو ابليس ، و ما سوى ذلك فالكل مفلس عاجلا ام اجلا . من أراد أن يستمثر آموال وجوده فليضعها في الشركه الموسويه ، فإنها مدعومه حكوميا من قبل حكومه مواظبه على رفع قيمتها مهما كلف الأمر ، و هي حكومه الله الرحمن الرحيم لا إله الا هو . و ليس للمستثمر الموسوي إلا إحدى الحسنيين : فوز في الاخره الابديه او فوز في الاخره و الدنيا و هو الغالب الاعم . فانظر لنفسك فكل امرئ بما كسب في رؤيته الوجوديه و فكره و نفسه و عمله رهين . "رهين" لأنك محدود بحسب حدود رؤيتك للوجود . فأطلق تنطلق.

و أما المثال المتعالي ، فالشيخ الأكبر يذكر في شرحه لإحدى التجليات الالهيه أن هذا التجلي يعطي نتيجه معينه ، و بعبارته " هذا التجلي هو الذي أدى ببعض المخذولين المعدول بهم عن طريق الحق أن يقولوا بنفي عين الغير و السوى في توحيدهم ، ثم يجعلون له لسانا و كلمات، فتناقضت دعائمهم ، اذ كانوا لا يدرون و لا يدرون أنهم لا يدرون " . المعنى أن هذا التجلي المذكور يؤدي بالبعض الى نفي وجود غير ذات الله تعالى باطلاق . و يصف الشيخ هؤلاء بالمخذولين و الضالين و المتناقضين و الجاهلين . و تناقضهم ينشأ من كونهم يؤمنون بأن لله كلاما و كلمات ، كايمانهم بهذا القرءآن . فإن كان من حيث العين لا يوجد الا الله ، فمن الذين يكلمهم الله ، و ما الذي يتكلم الله عنه في كلامه و كتابه . و هذا هو جهلهم حيث لم يدركوا مقام السوى و الغير ، و لم يفقهوا حقيقه معنى اطلاق الذات الالهيه ، فيظنوا أن هذا الاطلاق يقتضي عدم وجود السوى و الغير باي مستوى و اي نحو كان . و هذا يقتضي وحده من كل الجهات ، بل لا جهات ، و لا كميات و لا كيفيات ، بأي نحو من الانحاء و باي مستوى من المستويات ، بل هذا يقتضي نفي الانحاء و نفي المستويات ، نفيا تاما مطلقا . و هذا جهل و سكر عظيم . و يكفي لنقضه وجود نفس النافي ! و القلم - اي العقل الذي يميز- مرفوع عن السكران و النائم حتى يفيق . و هولاء في سكرتهم يعمهون . و هنا يأتي سر القرءآن و مقامه الذي يقي الانسان شر هذه السكره ، و إن كان في القرءآن نهر خمر ، اذ نهر الخمر أحد الأنهار الأربعه . فدراسه القرءآن و ذكره تعطي كل ذي حق حقه ، و لكل مرتبه حقها ، و لا تذهب بالانسان يمنه قبل المشرق فيتيه قلبه في صحراء التجريد و البداوه ، كما أنها لا تذهب به يسره قبل المغرب فتسجن صوره روحه في غابه الكثره و الحضاره ، بل القرءآن يوقف الانسان من حيث هويته في موقف " هو الله أحد " ، ثم يمده بالتجليات السماويه و التنزلات الارضيه ، و لكن مع بقاء العين مستقره في مقرها ، الذي هو "قرت أعين" عينها، أي " هو " و إن كان يسبح في بحار " كل يوم هو في شأن " . فالكمال في المعرفه ، و الكمال في الحال ، و الكمال في البسط و القبض ، كل هذه الكمالات كامنه في القرءآن و القرءآن يمد أهله بأسبابها . فالحقيقه تعشق لذاتها ، و عين الله هي الحق و ما سوى الله

حقائق متفرعه عن الحق ، و في مشرب الكمال الحق لا يقتل الحقائق ، كما أن الحقائق لا تنقض الحق ، بل لكل مقام ، " و لمن خاف مقام ربه جنتان " فمقامه هو الوحده ، و الجنتان هما جنه شرق السماوات العقليه و جنه غرب الاراضين الجسمانيه . فمن خاف من انحباس روحه في الشرق او الغرب ، ففر الى مستقر أصل ذاته و منشأ هويه الوجود و الكون ، فأن الله تعالى يطلق ذاته في الشرق و الغرب بحيث يكونا جنه له ، و سبب بسط و فرحه بقدر ، و سبب بلاء و قبض رافع بقدر ، و لكن كماله الذاتي مستقر في عرش الوحده الالهيه . و كل هذه الاحوال تستمد ببركه القرءآن و شموسه و اقماره و نجومه .

" عليك بتلاوه القرءآن على كل حال " لأن القرءآن معك في كل حال ، فاتله حتى يتناغم وجودك مع نورك ، و نورك مع وجودك . و في كل حال تكون عليه ، فإن للقرءآن عطاء يمكن أن يمدك به أيا كان هذا الحال . و من هنا نقول أن القرءآن للمؤمن و للكافر ، فالمؤمن يستطيع أن ينتفع بالقرءآن ، كما أن الكافر يستطيع أن ينتفع بالقرءآن ، و هذا من أكبر عجائب القرءان. الكافر يستطيع أن ينتفع به في عين كفره ، و ليتعلم كيف يزداد في حاله الخاص و في افكاره و في تثبيت رؤيته و في نشرها و في كل ما يقوم به الكفار مهما كان حالهم و صورتهم . و لهذا كان بعض الناس يرى أنه لا يجوز أن يسافر المؤمن بالقرءآن لبلاد الكفار . وجه هذا الحكم ليس خوفا من أن يؤمنوا ، كيف و الدعوه لهم ، و ليس خوفا من استعمال ما فيه ضد المؤمنين ، كيف و هو منشور بينهم و يمكن لو شاؤوا أن يبعثوا أحدا ليدعي الايمان و يأخذه ثم يسافر به ، و لكن وجه هذا الحكم هو اشاره الى معنى أعمق ، و هو رحمه بالكفار ، أي حتى لا يستعملوا ما فيه فيزدادوا شرا على شرهم ، فالله يقول " و ننزل من القرءان ما هو شفاء و رحمه للمؤمنين ، و لا يزيد الظالمين الا خسارا " . و من يدرس قصه فرعون مثلا ، يستطيع أن يعرف أسرار الفرعنه و أساليبها و كيفيه القيام بها و تنظيمها ، و انظر مثلا في قوله " استخف قومه فأطاعوه" . هذه وحدها تكفي كبدايه لمن كان له عقل ثاقب . فإن كنت تريد أن يطيعوك ، فاستخفهم. ما معنى استخفهم ؟ اجعلهم سخفاء خفاف تافهين ، اجعل رغباتهم سخيفه ، اجعل عقولهم سخيفه ، اجعل توجهاتهم في الحياه سخيفه ، اجعل اهتماماتهم سخيفه ، اجهل السخف و الخفه هي "نمط الحياه اليوميه " و بعد ذلك ستستطيع أن تجعلهم مستعدين لطاعتك . فانظر مثلا في كثير من بلاد الغرب اليوم خصوصا فيما بين الفئات العمريه الشبابيه ، و ما يتم تصديره للشرق ، ستجد أن أساسه و صورته أمر واحد ، هو تطبيق معنى " استخف قومه " . و من يدرس مثلا قصه قارون ، الذي " خرج على قومه في زينته " ثم أدى هذا الخروج و عرض الزينه العظيمه (عند من يقبل هذا) على الجماهير ، فيؤدي الى أن يعيشوا معنى " ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم" ، و سترى أن هذا أساس من أسس الرؤيه الغربيه للوجود ، فإذا علمت أن القوم قد تابوا و محيت هذه الرؤيه من قلوبهم بعد أن رأوا خسف قارون و بيته ، تستطيع أن تقيم منهجا لسياسه الجماهير الحمير بأن لا تنشر او تقلل من نشر اي ضيق او ابتلاء او مصيبه تحل بالرموز القارونيه التي تخرجها لهم ، او تبرر مصائبهم بتبريرات لا تذهب هيبتهم من القلوب ، و من ذلك من أمور لا نريد أن ندخل في تفاصيلها . و لكن المهم أن تعلم بأن دراسه هذا القرءآن تنفع الملائكه و الشياطين على حد سواء، فسبحان الله ، " كل نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظورا ". و هذا من تلاوه القرءآن على كل حال ، فكن مع الله سواء كنت تريد الجنه ام تريد جهنم ، فإنك إن كنت معه في طريق الجنه لرغبتك في النعيم ستجد أن النعيم يتسارع الى الوصول اليك ، و إن كنت ممن يلتذ بالعذاب و الجحيم و السياط و الخسف و الغرق ، فكن مع الله أيضا و اقرأ القرءآن ، فإنه سيدلك على أحسن الطرق لتكون من المجرمين لأنه يفصل لك الايات لتسبين سبيل

المجرمين ، فقلدهم و قل مثل قولهم و افهم نمط فكرهم و رؤيتهم للوجود و سر عليها ، ستصل الى الدرك الأسفل من النار و ستتسارع اليك جهنم حتى تستهلكك و تشبعك من حرها بقدر ما تحب . فالله رب العالمين ، عالم الجنه و عالم النار ، و القرءان هو " تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين " ، فإن كانت تريد طريق الجنه و أحوالها الدنيويه و الاخرويه فعليك بتلاوه القرءآن ، و إن كنت تريد طريق النار و أحوالها الدنيويه و الاخرويه فعليك بتلاوه القرءآن . و هو سيعلمك أن تكون محسنا في طريق الجنه و طريق النار ، "انا هديناه السبيل اما شاكرا و اما كفورا ". فاختر احب الطريقين اليك ، و اعلم أن القرءآن هو الهادي الاكمل لكلا الطريقين .

و لا قوه الا بالله .

.....

٧- " اقرؤوا القرءان ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا "

مالذي يربط بين الانسان و الانسان من حيث العلاقه الاجتماعيه - السياسيه ؟ هذا يختلف بحسب الرؤيه الوجوديه . أي بحسب القيم و الافكار الاساسيه و المحور او الكعبه التي يطوف حولها كل واحد من الناس . فمثلا ، في الرؤيه الرأسماليه للوجود الانساني ، خصوصا المتطرفه منها ، و هي التي ترى المال و كسبه رب الناس و ملك الناس و اله الناس ، و خساره المال هي الوسواس الخناس ، الذي يجب أن يكدح الانسان ليل نهار ليتقي شره ، فالمال ليس وسيله و لكنه غايه في ذاته ، و الربح هو غايه الغايات . ففي مثل هذه الرؤيه يكون الحديث بين الناس غالبا ما يدور حول محورين - من حيث يشعر او لا يشعر المتحدث : محور " ماذا تشتغل ؟ " و محور " هل نستطيع أن نشتغل معا ؟ " . "ماذا تشتغل ؟" أي وظيفتك التي تكسب منها مالك. " هل نستطيع أن نشتغل معا ؟ " أي هل يمكن أن نوجد شراكه بيننا بحيث نصنع أمرا ما - سواء كان تجاريا بحتا او سياسيا او احتياليا نصبيا او دينيا احتياليا او ما سوى ذلك من امكانات - و يدر علينا هذا الأمر ربح مالي معين . و عاده ما تكون الكعبه الأولى ، أي المحور الأول " ماذا تشتغل ؟ " إما وسيله لقتل الوقت و التعارف العام بلا اي غايه معينه و "اجندا " او منهجيه معينه ، و لكنه قد يكون وسيله لبلوغ المحور الثاني الأهم ، و قد يكون وسيله لقتل الوقت مع استبطان الكشف عن امكانيه حصول شراكه معينه . فإذا كان الانسان له وظيفه "عاديه" او ليس من ورائها طائل كبير ذو بال عند السامع المحاور ، فإن الحديث يفقد جاذبيته و أهميته ، بل المتحدث يفقد جاذبيته و أهميته و قيمته . فالوظيفه هي القيمه ، و حقيقه الوظيفه القدره الماليه التي تستبطنها ، و كما يقول بعض الأعراب في بلادنا " عندك قرش تسوى قرش ". و بالعكس اذا كانت وظيفتك مهمه و القدره الماليه فيها جيده او ممتازه ، فإن قيمتك عند المحاور الرأسمالي تزداد ، كن ما تكون بعد ذلك ، فلو كنت أسفل الخلق و جاهل و غبي محض و متعجرف بغيض ، فلا بأس ، سيتحملك على الاغلب الرأسمالي المخلص لدينه، المتحمل للشدائد في سبيل ارضاء ربه ، حتى يحصل على بغيته منك و يستوفيها ثم لن ترى منه شعره بعد ذلك إن فرغ منك و عصرك تماما . فالعلاقه الاجتماعيه بين أصحاب أمثال هذه الرؤيه الماليه السفليه (و هذا ليس كلام زهد و دروشه بل هو تحقيق و وصف فتأمل) كاسده زهيده سطحيه لا تتجاوز حدود هذه الغايات الخارجيه التي تربط بينهم . و إن وجدت رابطه راقيه او من نوع اخر فإن الرابط يكون عامل اخر و ليس عامل المال ، فهذا يمكن أن نسميه "رأسمالي مشرك" إن شئت . و لكن كلامنا عن المخلصين ، فهم الذين يستحقون الاحترام و التقدير مهما كان موضوع اخلاصهم بعد ذلك . أي الاحترام للاخلاص و التفاني في العمل المنظم المنهجي ، و أما المشرك من أي صنف كان فهو أقل درجه من المخلص من أي صنف كان. على الأقل نستطيع أن نتعلم من المخلص اخلاصه ، و نستلهم العبره و القيم التنظيميه منه . على أيه حال ، فالرأسمالي الموحد و المجتمع الذي تغلب عليه السمه الرأسماليه ، العلاقه بين أهله سطحيه كسطحيه الاله الذي يعبدونه . و لهذا مثلا اذا وجدت رأسمالي من أمريكا و رأسمالي من بلاد الخليج ، فإنه لا يمكن أن تربط بينهم الرأسماليه من حيث هي ، أي كون الاثنين يعبدون المال الحجري ، و لهم عقليه حجريه خارجيه من هذا النوع او ذاك ، اللهم الا اذا استطاعا أن يقيما شركه معينه و هذا أمر طارئ عرضي ، فتكون العلاقه بينهما بقدر القيمه الماليه التي يتوقع كل منهما ان يضيفها الى حسابه ، بحسبه نسبه الربح المتوقع إلى الرصيد المالي قبل علاقه الشراكه ، أو النكاح ، و عقده النكاح بينهما هي هذا الأمر المعين الذي تشاركا على القيام به . و أما إن لم تقم علاقه تجاريه من هذا القبيل ، فإن العلاقه بين الرأسمالي الأمريكي و الرأسمالي الخليجي ستكون أحد احتمالين : إما لن تقوم أي علاقه أصلا فلا اهتمام لاحدهما فيما عند

الاخر ، أو ان كان منافسا له ستنشأ علاقه كراهيه او تحاسد او بغضاء. هذا على اعتبار أنهما لن يتعارفا على أمل أن يصدر من أحدهما خدمه مستقبليه مباشره او غير مباشره ، فعندها ستكون العلاقه أشد سطحيه ، و لن يكون الأمر أكثر من تبادل ارقام او بطاقات عمل و نحو ذلك .

فالتفكك الذاتي و المعنوي بين الرأسماليين هو أمر بديهي و منطقي . و الرابطه بينهما لا تعدو أن تكون في أحسن الأحوال و أندرها رابطه سطحيه خارجيه ، و حدود هذه العلاقه لا تتجاوز أصل العلاقه الذي هو تحصيل هذا الربح او ذاك المكسب مباشره او غيره مباشره . و قيمه الانسان الرأسمالي عند الرأسمالي الاخر لا تعدو أن تكون بحسب ما يمكن أن يوفره الأول للثاني من ربح مالي مباشر او غير مباشر . و ما وراء ذلك فهو و العدم سواء ، بل إن كان من الممكن لانسان أن يسبب خساره ماليه لصاحب عمل معين ، فصاحب العمل سيرى أن يكون هذا الانسان عدما من الافضل بالنسبه له

و تستطيع أن تنظر ما تفعله الشركات التجاريه الكبرى في دول العالم و شعوبها ، و ما فعلته في الخمسين او المائه سنه السابقه لترى صوره حقيقيه لمعنى هذا الكلام الدقيق. ليس فقط ما فعلته مباشره ، بل ما فعلته غير مباشره عن طريق تمويلها و دعمها لحكومات ديكتاتوريه ارتكبت من الفظائع ما يجعل قول عمر بن العزيز في الحجاج بن يوسف قولا عفا عليه الزمن و نسخته الاحداث اللاحقه، أي حين قال أن الحجاج أخبث خبثاء الأمم ، و لو رأى عمر بن عبد العزيز ما فعلته هذه الشركات التجاريه الكبرى و الحكومات التي دعمتها من أجل تثبيت الرؤيه الرأسماليه في بعض الشعوب بالجبر و القهر - أمريكا الجنوبيه كتشيلي و الارجنتين مثلا - فأغلب الظن أنه كان سيقول أن الحجاج كان من المبعوثين رحمه للعالمين .

الرؤيه الماليه للوجود، و كون الربح هو اله الانسان ، هي الرؤيه التي يدعمها و يؤسس لها بالفكر و القهر من يكمن كسبهم و قيمتهم في مثل هذه الرؤيه . و الفرديه و التفرق بين الناس هي من الاسس التي يقوم عليها هذا الفكر . فالتفريق بين الناس ضروري حتى تقوم قائمه دين السوق الحر كما يسمونه .فمثلا ، الاجتماعات العماليه كالنقابات العماليه المنظمه هي مما يكرهه أرباب هذه الرؤيه . لأن النقابات المنظمه أقوى من أفرادها . فالفرد ضعيف من الحيثيه الخارجيه ، و لكن الجماعه أقوى . و أرباب الرأسماليه و عموم ال فرعون مهما اختلفت صورتهم، يعرفون هذا جيدا . و لهذا هم دائما يعملون على أن يكونوا جماعه موحده ، و فرعون حين قال لهم " ما علمت لكن من اله غيري " كان يقول : لو تفرقنا فذهب بعضنا مع موسى و بعضنا ضده موسى ، فإن النتيجه هي أننا سنغلب ، فسلموا لي اموركم ، اذ لا يوجد غيري ليوحدكم ، و إلا فسنزول كلنا . فمهما كانت خلافات آل فرعون فيما بينهم ، فإنهم يعملون على أن لا يظهروا هذا الخلاف للناس ، حتى تثبت الوهيه و ربوبيه فرعون للناس . و لكن قد نبئنا الله عن باطن أحوال آل فرعون ، فهم من أشد الناس تباغضا و تحاسدا و لكنهم يكتمون ذلك من أجل المصالح الخارجيه التي توحدهم . فالعلاقه الموحده بينهم أيضا سطحيه ، و لكنها ضروريه حتى تكون جماعتهم أقوى من الشيع و الأحزاب التي أقاموها بين الناس ، "إن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعا يستضعف طائفه منهم " . و منه المقوله الشهيره "فرق تسد". أي تسود ان كنت جماعه غير مفرقه . بالاضافه الى عوامل اخرى لسنا بصددها. و أرباب الشركات التجاريه يعلمون ذلك ، و لهذا يكرهون النقابات العماليه المنظمه او الغير منظمه التي تحتج لتحصيل حقوق معينه تراها من صالحها و حقها ، كاجازه اسبوعيه و وقت

الراحه في الظهيره و تحسين بيئه العمل و نحو ذلك من أمور كلها مكلفه لرب العمل الذي هو غالبا من الرأسماليين المخلصين ، و بالتالي يرى قيمه الانسان بقيمه رصيده و ما يمكن أن يدره عليه من أرباح او يقيه من الخسائر ، و حيث إن هذه الاعمال التي تطالب بها النقابات و العمال هي مما يكلفه مالا او يحرمه من ربح معين ، فالنتيجه أن هذه الأمور مرفوضه عنده و محرمه في شريعته تحريما لا رخصه فيه . و ماذا عن الانسان ؟ لا انسان و لا يحزنون ، ندع الاهتمام بالانسان و معنوياته و حالاته لارباب التصوف و الشعراء و كتاب روايات البؤساء ! أما نحن ف "واقعيون" و لا تهمنا الا "الحقيقه الواقعيه". فلما تجمع العمال و طالبوا بهذه الحقوق ، بعد أخذ و رد و خشيه من ثورات حمراء كما حدث في بلاد اخرى ، قرروا التنازل و التضحيه و اعاده النظر في شريعتهم و العمل بمقتضى مقاصدها الكليه التي اس اسسها هي البقاء و عدم الزوال . و لكن بقيت هذه الحقوق التي اعطوها للعمال تغص في حلقهم ، و لو وجدوا طريقه لرفعها لرفعوها . و من امثله محاولات رفعها المثال الذي ذكرناه في امريكا الجنوبيه قبل نحو خمسين سنه. و هذا مثال قاسي ، و لكنه يبرز أصل المسأله الرأسماليه حين تستطيع أن تصل الى نتيجتها المنطقيه .
فعدو الرأسماليه الأول ، سواء كانت تجاريه او سياسيه او أي صوره اخرى من صورها هو كلمه واحده : الجماعه . أي وجود روابط بين الناس ، بين طوائف كبيره من الناس . أيا كانت هذه الروابط . فالأفضل دائما هو أن يكون الناس في فرقه ، و العلاقات بينهم لا تعدو أن تكون علاقات سطحيه خارجيه ، و يا حبذا او كانوا مهوسيين بفكره الربح أيضا فإن هذا يساعد القضيه أكثر . لأننا كما علمنا ، الرؤيه الوجوديه للرأسماليه تولد هذه السطحيه و تجذر الفرقه المعنويه و العقليه و الروحيه و الاخلاقيه و الاجتماعيه و السياسيه بين الناس . الرؤيه تسبب كل هذا ، فمن تبناها و تجذرت فيه فعلت فعلها فيه ، و لا يهم بعد ذلك لو جاءها تسعه عشر ألف نبي يعظونه و يخوفونه و يعلمونه و يفقهونه . فهذا كله كلام لا يعدو أن يدخل من أذن و يخرج من أذن ، دون المرور من القلب اللهم إلا في حالات شاذه يمر في القلب كنسمه هواء طيبه تمر على مزبله فيها جيف كثيره و مغزوه بالكلاب و الذئاب . ثم تولي هذه النسمه إلى ربها غير مذكوره و لا محبوبه . فالرؤيه الوجوديه هي أهم عامل على الاطلاق ، و ما سوى ذلك ففرع عنها و يعمل في اطارها . و لا أقول " الرؤيه الفكريه " فالفكر ليس الا عامل في ميدان الوجود ، عامل عظيم بلا شك و لكن ليس السلطان الأوحد ، و حسبك قول الله في متبع الهوى " و أضله الله على علم ". الهوى هو السلطان الأعظم في الانسان ، و ما يسميه الله "هوى" هو عين ما نعبر عنه بلون اخر باسم " الرؤيه الوجوديه ". فهي التي تستهلك الوجود الانساني كله ، بحيث تكون مقتضياتها له كالتنفس للسليم او كشرب الماء. فالهوى هو الهويه و ما ينتج عنها من توجهات و افكار و مشاعر و اعمال بدنيه و تنظيمات اجتماعيه- سياسيه و نحو ذلك . فالهوى و الشهوه لهما معنى حقيقي ذاتي ، و ليس بالمعنى السلبي الوعظي الذي تقرن به في العاده عند من لم يتأمل فيهما . و من كلام التحقيق ورد في الروايه الشريفه ما معناه " من لم يكن هواه فيما جئت به " بل قبل ذلك - و الذي منه أخذ النبي - قول الله تعالى " اتبع هواه بغير هدى من الله" فهذا يعني أنه يمكن أن يتبع الانسان هواه بهدى من الله . و يشهد لمفعوم المخالفه هذا الايات الاخر و المعنى العقلي و المشاهد و التعينات الواقعيه المختلفه . و كذلك في الشهوه ، فكما في الروايه التي طلب فيها النبي من ابن مسعود أن يقرأ عليه القرءآن ، فقال ابن مسعود : اقرأ و عليك أنزل . فقال النبي " إني أشتهي أن أسمعه من غيري ". فالهوى قد يكون للحق ، و الشهوه قد تكون للموضوع الروحاني . فالهوى و الشهوه يشبه الأكل و الشرب :قد يكون المأكول و المشروب طبيا و قد يكون خبيثا . و هو هو من حيث أصل العمليه.

و هنا نصل الى معنى " يستضعف طائفه منهم " . لماذا قال الله أن فرعون يستشعف طائفه و ليس
كل البشر ؟ القرءآن يثبت آن فرعون " جعل أهلها شيعا " . هذا مفهوم . و قد بينا شئ من سر هذا
التفرق بين الناس ، اي حتى يكون هو و جماعته أقوى من في المصر و الارض ، و حتى تخلو
للقوى القارونيه الرأسماليه الساحه فتعمل ما تشاء في عقول الناس و أبدانهم . هذا كله مفهوم . و لكن
ألم يكن من المفترض أن يقول القرءان : يستضعفهم كلهم ، و ليس كما ورد "يستضعف طائفه منهم "
؟ فلماذا تخصيص هذه الطائفه بالاستضعاف دون البقيه ؟ الجواب هو هذا : لأن هذه الطائفه هي التي
تملك ما يمكن أن يدمر هذا التشيع و التشتت و التفرق، و يمكن أن يخرج منها من يدمر ما بناه آل
فرعون و هامان و قارون . و هي الطائفه التي لا تستجيب و لا يمكن أن تستجيب كلها لدين فرعون
و هامان و قارون ، مهما انحرفت و ضلت و غفلت ، يوجد عندها شئ و أساس يجعلها عصيه على
التطويع لقيم فرعون و قارون ، و رؤيتهم الوجوديه . هذه الطائفه هي " المسلمين المؤمنين " الذين
عندهم كتاب الله ، و أمثالهم و قيمتم مستمده من أنبياء الله . أي رؤيتهم الوجوديه هي في اللب رؤيه
الأنبياء الالهيين ، مهما شابها ما شابها و كدرها ما كدرها من مكر و ارهاب فرعون و جنده ، و
مهما حاول أن يحرفها و يجعلها تهوي في جهنم الرؤيه الرأسماليه للوجود أمثال قارون و ما يبرزه
من زينته . و في هذا الزمان ، نحن أتباع الطريقه القرءانيه المحمديه هم هذه الطائفه المستضعفه .
من شرق الارض الى غربها ، من شمالها الى جنوبها ، من اطراف جبال الهمالايا الى اطراف جبل
طارق ، لا يوجد غيرنا ممن هو عصي على التطويع و محو العقل و زرع شجره زقوم الرؤيه
الغربيه الرأسماليه للوجود . هم يعرفون ذلك ، و يقرون به ، و يكتبون عنه . فهذا ليس كلام
"مؤامره" و لا الهوس النفسي الذي يقع فيه بعض اخواننا مما يروج له أصحاب قصص اخر الزمان
ممن لم يفقه تأويل هذه القصص ولا حقيقتها القرءانيه و لم يحاكموها الى القرءآن فإن فيها الغث و
السمين ، و فيها ما هو كذب و اختلاق يسبب مرض عضال في قلب و تعقل من يصدق به . هذا
الكلام معروف ، و من أمثله ذلك ما قاله الاستاذ المؤرخ الصهيوني برنارد لويس ، و هو المرجع
الاكبر او من اكبر مراجع المسائل المتعلقه بالمسلمين عموما في بلاد الغرب ، اذ يقول صاحبنا ما
معناه (و قد سمعت هذا القول من الدكتور خطيب النمسا و انقله بمعناه فلا اذكر النص) : ان
المسلمين و العرب همج لا يمكن تنظيمهم و لا اصلاحهم ، و إن تركوا و شأنهم فإنهم لا يلبثوا أن
يصدروا الارهاب الى العالم المتحضر . هذا هو مضمون قوله كما أذكره . و هي عباره مشهوره من
حيث المضمون سواء نسبت الى هذا الرجل او غيره . فإذا قمنا بتنقيه هذه العباره من المظهر
العرضي ، فإن ما يخلص هو التالي : المسلمون مستقلون ، متمسكون بما عندهم ، و إن لم نقهرهم
بحكومات قاسيه متوحشه ، فإنهم سيصدروا دينهم و رؤيتهم الوجوديه الى بلادنا فيؤثروا في شعوبنا
الغربيه . و هذا الكلام حق كله . لايوجد في الماضي و لا الحاضر قوه على وجه الارض تستطيع أن
تحد من سلطان المسلمين و قوتهم المعرفيه و تأثيرهم في الأمم إلا عن طريق قهر الفراعنه و
استضعافهم . و أما لو تركنا و شأننا ، فإننا لا نلبث أن نغزو العالم برؤيتنا الوجوديه و كنزنا و قوتنا
العظمى التي هي هذا القرءآن الالهي ، و حسبك من اثبات هذه القوه أنه حتى في هذا العصر
المظلم ، و حتى في هذا العصر الذي تكاد تجمع وسائل الاعلام و التعليم على زرع الحقد و الكراهيه
و صوره المسلم الجاهل المتوحش في عقول ابناء المسلمين فضلا عن الغربيين ، و مع كل ذلك ،
فإن الاسلام بقرءانه قد وصل الى أقصا الشرق و أقصا الغرب ، و لا يزال يتوسع و لا يزال
يدرس ، و من ينظر في المناهج الدراسه للجامعات و الاكاديميات الغربيه قبل خمسين سنه و ينظر
اليها الان ، سيجد فارقا عظيما يكاد يكون معجزه، و هي معجزه حققها و سببها علماء المسلمين و
مفكريهم و عرفاءهم الذين جاسوا خلل ديار الغرب بفكرهم و مناهجهم و روحهم ، فجعلوا ما كان

يعتبر سخفا بالنسبه لهم ، كدراسه شئ اسمه "علوم اسلاميه" مثلا ، او كاعتبار الاسلام كحضاره عظمى ماضيه و شعوب واسعه قائمه حاضرا ، كل هذا مما كان يعدا سخفا في الماضي القريب أصبح الان مسلمه بديهيه في مناطق واسعه في الغرب . بالاضافه الى أمور أخرى كثيره يعرفها من يتتبع شؤون الأمه و يهتم لها و بها . هذا و إن شعوب الأمه الاسلاميه القرءانيه في الغالب الأعم لا تزال تحت الداء العضال الذي ابتلينا به من يوم توفي رسول الله الأول عليه السلام تقريبا الى يومنا هذا ، ابتلينا بحكومات نكرهها و نبغضها و تعمل بعكس ارادتنا و رؤيتنا ، و تكره علماءنا و مفكرينا على القيام بما لا يريدون القيام به ، و تجبرهم و تقهرهم حتى يمتنعوا عن نشر ما يريدون نشره ، و لا تكاد تجد عالما جليلا من شتى علماء الاسلام من شتى الفرق و الطوائف و المشارب ، إلا و له مصيبه في حياته متعلقه بآل فرعون زمانه ، خذ من شئت من عرفاء و أولياء و فقهاء و أطباء و فلاسفه و الامثله فوق الحصر . فإن كان مع كل هذا القهر ، و كل هذا الفساد، و الحضاره الاسلاميه التي قامت هي من أعظم بل ان وسعت النظر لشتى الجوانب ستجد أنها أعظم حضاره يعرفها هذا التاريخ ، و الشعوب الاسلاميه القائمه الى يومنا هذا تعتبر من أشد الشعوب تدينا و حبا للدين و عشقا لرب الدين و رسله و الشبيه الوحيد لنا على مستوى الشعوب و الأمم هي الأمه الهندوسيه ، و أما ما سواهم من أمم فعلى الاغلب عليهم السلام. و الأمه الهندوسيه لا خوف من جهتها بالنسبه لقوى الغرب و الرأسماليه الوجوديه ، لاسباب كثيره، أقل ما يقال أنهم شعب منذ برز في التاريخ يعتبر شعبا منطويا على نفسه ، و هذا ليس عيبا لهم و العياذ بالله او تنقصا منهم ، و إنما نذكر واقعا ، فدينهم دين لا يرى الدعوه ، و ذلك لأسباب كثيره لسنا بصددها ، فهم يقبلون ما يلقى عليهم و يسلمون له تسليما ان اضطروا ، و ان كانوا بفطرتهم روحانيين طيبين فمهما ألقى الغرب عليهم من مزابله ، فإنهم لا يزالوا قائمين حتى طردوا المستعمر البريطاني الوقح قبل سنين فلم يفلحوا في ابقائهم تحت سيطرتهم . و إن كانوا الآن يعلمون على جعل الشعب الهندي العظيم مجرد قرد يقلد حمير الغرب في رؤيتهم للوجود خصوصا عن طريق الأفلام و جعلها متطابقه مع الافلام الامريكيه مثلا حتى يدخلوا في روع الهنود أنهم مجرد تبع لامريكا و اوروبا ، كما عملوا ذلك و لا زالوا في بلاد العرب و المسلمين مما يعرفه من يحسن النظر قليلا . و أما بقيه الديانات و الأمم ، فهم إما ديانات ترى الانعزاليه المطلقه المبنيه على العنصريه الشديده كأصل كاليهوديه ، أو هي ديانات ترى أن للدين مجال واحد يسمونه مجال "الروح" (بمعنى غريب عن فقهنا القرءآني و العرفاني عن الروح ، و الذي يسعى البعض الى فرضه على المسلمين الذين هم فقهاء الروح الحقيقيه) و مجال آخر هو الدنيا و شؤونها . فعبارتهم المشهوره -و التي من دراستي لكتبهم أشهد بأنه معنى لم يرده قائله أي يشوا العبراني الذي يسمونه يسوع - أي " اعط ما للإله للإله ، و أعط ما لقيصر لقيصر " تجعل هذه الأمه عموما مما يعتبر مسلما للقيم الرأسماليه و يجد فيها نفسه طبيعيا ، و من بلادهم برزت و نشأت هذه الرؤيه و ترعرعت ووجدت ملجئها الطبيعي، لاسباب شتى منها ما ذكرناه و منها غير ذلك . و أما الديانات كالبوذيه مثلا ، فهذه أيضا مما يعتبر دينا انطوائيا ، و انحصاريا في تعاطيه مع الغير ، بالاضافه الى أن تقديمه الى الغرب بل و بدأ يصل شئ منه الى بلاد الخليج عندنا ، إنما يقدم بطريقه سحطيه سخيفه مختزله ، فيظن الذين يتقبلون مثل هذه النسخه المختزله أن البوذيه ليست الا التأمل و الحميه النباتيه و التسامح مع الآخر ، و نحو ذلك. و لو يعرف هؤلاء أن في البوذيه رؤيه وجوديه و كونيه متكامله، و تفاصيل لا يستطيع أن يفهمها الا قله فضلا عن الايمان بها كليا ، بالاضافه الى نحو ٣٣ ألف حكم شرعي عملي (كما سمعته من أوشو) فالأغلب أنهم سيلعنون البوذيه و ساعتها . و لكن التأمل و الحميه النباتيه و التسامح العاطفي (طبعا تسامح مع كل أحد لا يعجبهم فقط) و ما أشبه من أمور ، هي أشياء يقبلها كل أحد على العموم او لا أقل أنه يستطيع

أن يقبلها و يتعاطف مع أهلها بدرجه ما ، و الأهم من ذلك أنه يمكن أن يكون الانسان رأسمالي او قابلا للرأسماليه ، و مع ذلك يجلس و يتأمل مرتين في اليوم و يحرك جسمه بحركات بهلوانيه و يأكل الخس و السلام على من اتبع الهدى . فلا خطر من هذه الناحيه ، فالبوذيه لا تخلق حضاره تصل من الشرق الى الغرب و عندها الاستطاعه الذاتيه لتفعل ذلك عشرات المرات في المستقبل كالحضاره الاسلاميه و الرؤيه الوجوديه القرءآنيه، من حيث هي ، البوذيه لم تخلق في السابق و ليست تخلق في الحاضر و على الاغلب لن تخلق في المستقبل لأنها غير مؤهله ذاتيا لذلك ، أي من حيث خصائصها الذاتيه . نعم تستطيع أن تقول للناس : تأملوا و ارحموا بعضهم بعضا و من الافضل أن لا تأكلوا اللحوم ، أي دين يمكن أن يفعل ذلك بل حتى بغير دين معين ، المسأله ليست مسأله دين بالمعنى المشهور للدين ، المسأله مسأله رؤيه وجوديه و كونيه و حضاريه متكامله لها أسس و لها لسان و لغه تصل الشرق بالغرب و يحترمها و يحبها مئات الملايين من الذين لا يقدرون على استعمالها ، و لهم كتاب واحد أساسي يقدسه الجميع و يعشقه الجميع و في الأصل يخضع لحكمه الجميع و يستلهم منه الجميع ، بالاضافه الى بقيه العوامل الذاتيه كعلو المرتبه التي تنزل منها هذا الكتاب و هي مرتبه الاطلاق الالهي و إليها يرجع كل ما في الدين و معارفه ، و غير ذلك. الطائفه الوحيده اليوم التي تزعج أرباب الرؤيه الرأسماليه هي طائفه المسلمين و بالاخص هذا القرءآن . و منذ القدم و السلطات الرأسماليه المتعاقبه ، كالامويين مثلا ، تسعى لفصل المسلمين عن القرءآن و معارفه و تثبيت رؤيته و نشرها . إن اضطهاد القرءآن هو اضطهاد المسلمين ، و اضطهاد المسلمين هو محق الانسانيه الحقيقيه الكامله. و عندما نقول "مسلمين" لا يخطر ببالك ما تراه حولك أحيانا من مسلمين مقموعين مكرهين مغمومين بسبب ما فرق عليهم من خارجهم و ما قهرهم به من تسلطوا عليهم ، و إن ظهرت منهم أمثال هذه الأعراض المرضيه . و من الطبيعي ان تظهر . كيف و نحن منذ ألف و أربعمائه سنه لم نعش كلنا بدون درجه من الفرعنه و القهر . إن وجدت أنحاء فيها رحمه و معرفه و بسط لسلطان المسلمين، وجدت عشره أنحاء يعشش فيها فرعون و هامان و قارون و السامري . و مع كل هذا وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم ، و اقمنا ما اقمنا من حضاره متعدده النواحي في الماضي ، فما ظنك لو نعطى بسطا سلطانيا شاملا !! هل تفهم سر خوف الغرب عموما من المسلمين . دع عنك خرافه الارهاب هذه . هذه اسطوره ليس كاساطير العرفاء التي لها تأويل راقي، بل هي اسطوره غبيه من شتى النواحي ، اللهم الا ان نقيناها و اخذنا لبها. أي ارهاب ينسب الى أمه مكونه من مليار و سبعمائه مليون نسمه ، و كل من يدعى أنهم من المسلمين حتى لو سلمنا و تنزلنا و قلنا بأنهم فعلا من المسلمين ، فإن عدد كل هؤلاء الارهابيين مع المبالغه كم يصل ؟ مائه الف ؟ نصف مليون؟ مليون ؟ حسنا، يوجد مليون ارهابي عدواني اسلامي على الارض ، ما هي نسبه مليون الى ألف و سبعمائه مليون ؟ هل نحتاج أن نعلمهم الرياضيات من جديد حتى يكتشفوا هذه النسبه؟ فكيف يزعم بأن الامه الاسلاميه ارهابيه و عدد الارهابيين فيها مع التنزل و المبالغه لا يصل الى واحد من ألف و سبعمائه. فاذا اردنا ان ندقق قليلا و على عجاله ، و نظرنا فيمن يزعم أنهم عشاق للقتل بلا سبب ، بل محض تعطش للدماء كما يعلمهم دينهم ! ، كحادثه الحادي عشر من سبتمبر ، التي قتل فيها نحو ثلاثه الاف انسان ، و لكن الجيش الامريكي في العراق قتل في شهر واحد اكثر من ثلاثه الاف انسان ، فمن أحق بوصف الارهاب و العدوان ان كنتم صادقين في حبكم للسلام . هذا كلام مضحك فعلا . لو يعرف الناس ما ارتكبته الجيوش الاوروبيه و الامريكيه في المائتين سنه السابقه بل في المائه سنه بل في الخمسين سنه السابقه ، بل في العشر سنوات السابقه ، لنظروا الى "الارهابيين" على أنهم مجرد أطفال يلعبون. هذا ليس قبولا منا لما يفعله لا هؤلاء و لا هؤلاء من المعتدين، و لكن مجرد تذكير بحقيقه بل حقائق ، حتى يتبين أن تخويف الشعوب من المسلمين ليس

الا استراتيجيه لتبغيضهم في الاسلام و القرءآن ، و إن كان المخذول سيقع في هذه الشراك ، إلا أنه و بحمد الله در الله كيدهم في نحورهم و أصبح الاسلام كل يوم في زياده و قوه ، بل البعض يتوقع أن تكون فرنسا مهد العلمانيه (و هي كلمه سخيفه مبنى و معنى) لها رئيس مسلم و اغلبيه مسلمه في بضعه عقود من الزمن . بعض الحساد يروجون أن هذا بسبب التكاثر التناسلي و ليس دخول شعوبهم في الاسلام ، و الحق أن للتكاثر دور و لكن للفهم و الحب دور يوازيه ان لم يكن يطغى عليه بمراحل كثيره . و دراسه اسباب تحول الناس الى الاسلام هي أمر جدير بالنظر و لكن ليس في هذا الموضع. إلا أن واحده من هذه العوامل المهمه هي : حس الجماعه.
و هذه حقيقه عالميه قديمه حديثه ، أي أن الاسلام و القرءآن يجعل كل من يستظل بعرشه مهما كان موقع في العالم ، يعتبر مباشره داخل في علاقه معنويه روحيه عقليه مع القرءآني الآخر. و قيمه الانسان ذاتيه له من حيث كونه مسلما لله و قابلا لكتابه و رسله . بغض النظر عن أي اعتبار اخر يأتي بعد ذلك . و الحديث بين اثنين ، قرءاني امريكي و قرءاني خليجي يمكن أن يقوم حول سبعين ألف موضوع ، ليس في واحد منها شئ متعلق بالوظيفه التي يكسب منها الشخص قوته . و كل فكره قرءانيه مباشره او غير مباشره يعطيها و يكشفها احدهما للاخر تجعل العلاقه بينهما اشد وثوقا و محبه و احتراما. فقيمه المسلم ذاتيه ، و هي قيمه عظيمه. ثم تأتي بقيه الاعتبارات فتزيد هذه القيمه عظمه كأن يكون عالما او مفكرا أي دارسا للقرءان مباشره او غير مباشره عن طريق دراسه التقاليد العرفانيه و الحكميه النابعه منه . و هذا من أهم العوامل الحقيقيه التي تجعل الرؤيه القرءآنيه تجعل الرؤيه الرأسماليه تحت أقدامها. فكما عرفنا في المقدمه ، فإن قيمه الانسان في الرؤيه الرأسماليه عرضيه خارجيه ، و لكن في الرؤيه القرءآنيه ذاتيه و لها وجه داخلي روحي و خارجي فكري و أخلاقي . و تلقيب الشخص نفسه "مسلم" في حين أن رؤيته الوجوديه و هواه رأسمالي ، يشبه تلقيب الشخص نفسه "طبيب" في حين أنه لا يعرف حتى كيف يجس النبض ! نحن نعرف الطبيب حين يتبنى العلوم الطبيه و مناهجها و يقوم بها ، و لا نعترف به إن لم يكن كذلك مهما حمل من شهادات- زور في الواقع- حتى لو لبس البالطو الأبيض و وضع السماعات حول رقبته . " أم حسبتم أن تدخلوا الجنه و لما يعلم الله الذي جاهدوا منكم و يعلم الصابرين ".

فالسماء التي تظلل كل المسلمين المؤمنين هي سماء القرءآن . و هنا نصل الى معنى من معاني الروايه الشريفه " اقرؤوا القرءآن ما آئتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا " . يقول القرءان " لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم " ، و يقول "فأصبحتم بنعمته إخوانا " و القرءآن هو نعمته " ن و القلم و ما يسطرون ، ما أنت بنعمت ربك بمجنون " . فالقرءآن هو تجلي "الله" ، " و لكن الله ألف بينهم " "اقرؤوا القرءان ما ائتلفت عليه قلوبكم". و منه قول الامام علي عليه السلام " فتجلى لهم الله في كتابه " . و بالتالي قراءتنا للقرءآن يمكن أن تكون على حالتين في أي لحظه مع أي فرد من المؤمنين: حاله الائتلاف أو حاله الاختلاف . و لا ثالث . ففي حاله الائتلاف نكمل القراءه ان شئنا، و أما في حاله الاختلاف فهذه الروايه تقول " فقوموا ". ما معنى "فقوموا" ؟ بحسب سبب الاختلاف يمكن أن نتبين معنى "فقوموا" بخصوص هذه الحاله المعينه التي نشأ فيها الاختلاف . و لكن مجمل القول هو أنه ان اختلفتم اختلافا لم تستطيعوا أن تجدوا عاملا يجمعكم في فهمكم للقرءآن ، على الاطلاق ، فإذن كفوا عن الحديث عن هذه المسأله التي اختلفتم فيها حتى يتبين لكم ما يكشف الحق او الاحق بالاتباع من الاراء التي اختلفتم فيها . و لكن في كل الاحوال "فقوموا" لا تعني أن تتقاتلوا و لا أن تتنازعوا و لا أن تتباغضوا و لا أن تتحاسدوا ، و لا أن يكفر بعضكم بعضا ، و لا أن يضلل بعضكم بعضا . فليلزم كل واحد ما كشف له و ظهر له، و

ليكف عن اثاره هذه المسأله مع من اختلف معه ، اللهم إلا إن كان قد وجد عامل ألفه و جامع يقرب بينهما في هذا الأمر . فطالما أن الأصل أن سماء المسلمين واحده ، فالاختلاف الذي يؤدي الى شق هذه السماء ، يجب أن يبتعد عنه مهما كان . و لو كان عباده الاصنام ! و من شواهدنا على ذلك قول هارون لموسى حين سأله موسى " ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري " ، فقال هارون " إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ". فيجب أن تبقى الوحده قائمه ، الوحده لا تعني أن يكون الكل على نفس الفكره و الصوره باطلاق، فهذا مستحيل جذريا ، اذ "هم درجات عند الله" و "لكل درجات مما عملوا ". و هارون لم يعبد العجل مع من عبده ، إلا أنه لم يشقهم نصفين و لكن ترك الأمر حتى يرجع موسى ، إذ قالوا هم "لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى " . و كذلك المسلم المؤمن في قراءته للقرءآن، حين يصل لمعنى ما فإنه يقبله و يعكف عليه ، فلو رأيت أنت أن هذا المعنى غير تام او فيه خلل سئ ، فإنه ليس عليك أن تقبل قوله حتى تخلق مظهر الوحده الباطله ، "تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى " ، و لكن عليك أن تنتظر حتى يرجع موسى ، أي أن صاحبك ينتظر ظهور الحق و سيظل عاكفا على ما ظهر له و لن يترك ما ظهر له من أجل قولك . و لا ينبغي أن تطلب منه ذلك أصلا . إذ لو رفض ما ظهر له ، و قبل قولك من أجلك ، فأنت بذلك تجعله منافقا بمستوى ما من مستويات النفاق. إن كنت تستطيع أن تظهر له الاصح عندك ، و طلب هو منك ذلك او كان يملك الاستعداد لقبوله ، فاظهر له ما عندك ، و لكن ما سوى ذلك فدعه و ما ظهر له حتى يتبين له الحق حين يشاء الله له ذلك . طبعا في بعض الايام قد يقتتل أهل القرءآن فكريا ، و ينبغي على علماء القرءآن ممن ليس طرفا مباشرا في هذا الاقتتال الفكري أن يقاتلوا الى صف الفئه التي معها الحق او معها الأحق بالاتباع الايماني العقلي او العملي السلوكي . " فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ الى أمر الله ". طبعا مع حفظ أحكام القتال المذكوره في القرءآن بتنزيلها المناسب لكل حاله على حدى . و مجمل القول في ذلك هو قول القرءآن " و لا تجادلوا أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم " و كذلك " ادع الى سبيل ربك بالحكمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتي هي أحسن ".

قوه هذه الأمه هي القرءآن ، و جبروت هذه الأمه هو القرءآن . و طالما أن القرءآن مع الناس و الناس مع القرءآن ، فإن هذه الأمه ستكون هي الوارثه للأرض بل و السماوات العلى . "إن هذه أمتكم أمه وحده ، و أنا ربكم فاعبدون " . فتطهروا مما يشق هذه السماء الواحده ، و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، و أدمنوا على ذكر " إن هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاعبدون ". و سلام عليكم و رحمه الله وبركاته عليكم أهل كتاب الله إنه حميد مجيد.

...

٨- " من قرأ القرءآن و عمل به ، ألبس والداه تاجا يوم القيامه ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم . فما ظنكم بالذي عمل به " .

في الروايات الشريفه يوجد اقتران بين القرءآن و التيجان . مره يذكر كما في هذه الروايه ، و هو تاج مطلق ، "تاجا" ، إلا أنه مقرون بضوء الشمس بل أحسن منه . و في روايه أخرى ذكر " يجئ القرءآن يوم القيامه فيقول القرءآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامه . ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حله الكرامه . ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه . فيقال له : اقرأ و ارق و يزداد بكل آيه حسنه " . فهنا تاج الكرامه . و هو أول النعم و الحلي . و في روايه ثالثه توضح الروايه التي صدرنا بها هذا الباب ، يقول " ما من رجل يعلم ولده القرءآن في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامه بتاج في الجنه ، يعرفه به أهل الجنه بتعليم ولده القرءآن في الدنيا " . و في روايه رابعه بعد أن يحتج القرءآن لحامله و صاحبه " و يضع عليه تاج الملك " ، و في روايه "فيعطى الملك بيمينه و الخلد بشماله ، و يوضع على رأسه تاج الوقار و يكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسبنا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولكما القرءآن و تعليم ولدكما القرءآن".

فمن مجموع ما فات يتبين الآتي : القرءآن سبب للتتويج . و التيجان أربعه : تاج الشمس المطلق ، و تاج الكرامه ، و تاج الملك ، و تاج الوقار . و التتويج لمعلمي القرءآن و لمتعلم القرءآن .

ما هو التاج ؟ التاج للرأس ، و الحله للجسم . و الرأس رمز المعرفه ، و الجسم رمز الشريعه . و الوالد هو الذي يمد ولده بوجوده ، فالوالد بالنسبه لمتعلم القرءآن هو معلم القرءآن . فإن اتفق أن كان هذا الوالد هو والد جسمه كذلك فبها و نعمت ، و إلا فإن مناط الأمر على والديه العقل و القلب ، أي رؤيه الوجود و منهاج النظر و صراط العمل . و لكن في هذه روايه صدر الباب لا يوجد ذكر لعلاقه السببيه بين تعليم الوالد لولده ، و بين الباس الوالد التاج . و في روايات أخرى ذكرت هذه العلاقه . و الفرق كبير . ففي روايه الصدر ، كأنها تقول : إذا أخذ الولد القرءآن كان نجاه لوالديه ، و في روايه أخرى تؤيد هذا المعنى اذ تقول أن صاحب القرءآن يشفع في عشره من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار . فببركه حامل القرءان ينجو الناس من النار . و لكن في الروايات التي تذكر علاقه السببيه الأمر على غير هذا النمط ، بل إنها تقرر أن تتويج الوالدين إنما كان بسبب أخذ ولدهم و تعليمهم إياه القرءآن . فكيف السبيل إلى الجمع بين هذه المعاني ؟ يجب أن نرجع إلى القرءآن نفسه لنستخرج أصول هذه المسأله ، أي مسأله النجاه و الفلاح عموما ، و في يوم القيامه خصوصا .

أول ما نلاحظه هو أن الله تعالى برحمته و فضله يضاعف الحسنات ، و لكنه إما أن يعفوا عن السيئات بالكليه او يجازي السيئه بمثلها . فيبدو أن مضاعفه الحسنات من الحسنه بعشره أمثالها صعودا إلى " و الله يضعف لمن يشاء و الله واسع عليم " هو من سنن رحمه الله . و بالعكس تقييد السيئات و العفو فيها ، بدايه من عدم المؤاخذه على اللمم ، بشرط عدم اقتراف الكبائر و الموت عليها ، و بشرط عدم الشرك بالله ، هو من سنن رحمه الله في التعاطي مع السيئات . فالأصل في السيئات العفو ، و الأصل في الحسنات المضاعفه . و هكذا ينبغي أن نكون مع عباد الله .

ثاني الملاحظات أنه في الآخره كل فرد يجازى بنفسه كأصل . فلا يغني والد عن ولده ، ولا مولود عن والده . و لكن الشفاعه و الحاق الذريه الاقل صلاحا بالاكثر صلاحا و غير ذلك هو أيضا من الحق . و بسبب أن الشفاعه حق ، فهذا يعني أن حسنات الفرد قد تفيض على غيره. و لكن السيئه يحملها صاحبها ، و إن قصد اضلال أحد يحمل اوزار من أضلهم فوق وزره .

فالذي يظهر هو أن الوالد إذا لم يكن مشركا بالله تعالى بالمعنى الأكبر للشرك المذكور في قوله " إن الله لا يغفر أن يشرك به " . فإن انتفاعه بحسنات ولده أمر وارد. و الاعتماد على كرم الله أولا و آخرا .

لماذا يوجد أربعه تيجان ؟ الجواب : لوجود أربعه عوالم . فالتاج المطلق المقرون بالشمس هو العالم الأول الأكبر ، وهو عالم الوعي المحض أي مستوى الذات الأحديه . و تاج الوقار هو العالم الثاني و هو عالم العقل الذي له القرار و الاستقرار أي مستوى العرش. و تاج الكرامه هو العالم الثالث و هو عالم القلب الذي له الخلافه عن الله التي بها كرم الله بني ءادم ، و هو مستوى السموات . و تاج الملك هو العالم الرابع و هو عالم الجسم الذي أذن الله لبني ءادم بالتصرف فيه بحسب ما يرونه و الحساب حق في العاجل و الآجل ، و هو مستوى الارض أي البر و البحر .

فالذات الأحديه من عرفها ألبس التاج المطلق ، و لهذا قرن بالشمس التي هي الضوء الاكبر في هذه السماء ، و منها قال ابرهيم " هذا ربي هذا أكبر " و لكنه تجاوز و ارتقى إلى ما وراء الشمس و هو ما جعل الروايه الشريفه تنسب إلى هذا التاج ما هو أعلى من الشمس و أوسع، و ليس إلا الذات الأحديه التي هي البحر المطلق للوجود و الجود . و هكذا في عباده العرش ، و تقبل عطايا السماوات ، و تدبير الأرض بشريعه أمر الحق تعالى و منهاجه . و كل هذا في القرءآن و هو سببه . و بهذه التيجان قال موسى لقومه " و جعلكم ملوكا " . فالحمد لله رب العالمين ، الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا .
الأنماط الأساسيه في الوعي الانساني واحده . و هي حاضره في كل الناس كأصل ، شعروا أو لم يشعروا ، و أكثر الناس لا يشعرون ، علموا أو لم يعلمون ، و أكثر الناس لا يعلمون . و لب كل الأنماط هو الكبرياء و الراحه . فالمشكله ليست في النمط الذي يسير عليه الناس ، المشكله في تطبيقهم لهذا النمط و تعيين تحصيله في مصداق معين دون غيره .

و من أمثله ذلك مسأله الملك الذي يعبر عنه التاج . فحين نقول " كل انسان يريد أن يكون ملكا" ، فهذا وصف لنمط نفسي . و حين نفسر هذه النزعه الذاتيه للملكيه بالراحه و الكبرياء ، فإن هذا أيضا أمر طبيعي و متوقع و سهل قبوله . فأين تأتي الاشكاليه ؟ الجواب : تأتي في تعيين مصداق الملكيه . فمثلا ، إن كان المصداق الوحيد ، و أشدد على كلمه الوحيد ، أو المصداق الأكبر ، و أشدد على كلمه الأكبر ، للملكيه هو الاستئثار بالقوه القهريه التي تكره عموم البشر على أن يسلكوا مسلكا معينا تجاه شخصيه أو جماعه معينه ، فيطيعونهم مهما كان الأمر الصادر ، و يسلمون لهم مقاليد أمورهم ، و يدفعون إليهم ضرائب ماليه ، و يظهرون أمامهم الخشوع و الخضوع مهما كان الباطن مبغضا للشخص او الجماعه صاحبه السلطه القهريه ، فإن هذا التصور عن الملكيه يعني على الاقل ثلاثه أمور :

أولا ، لا يمكن أن يكون كل الناس من الفراعنه . و هذا يشبه المقوله العاميه " إذا كنت أنا أمير و أنت أمير ، فمن راعي الحمير ! ". و حيث إنه لا يمكن أن يكون الكل من الملوك بهذا الاعتبار، و حيث أن مطلب الملك و الملكيه هو أمر ذاتي للانسان بما هو انسان ، فهذا يعني أن الغالبيه العظمى من الناس ، باستثناء فرد في الظاهر و بضعه افراد من المقربين له جدا في الباطن ، سيعيشون حياه معذبه مقهوره بغيضه كريهه عفنه . مهما كانت أحوالهم بعد ذلك ، و التي في الغالب سيئه لأن أمر هذا النوع من الملكيه لا يحتمل المشاركه و المزاحمه . و لهذا نرى في التاريخ مثلا قتل الأب لابنه اذا شك في امكانيه انقلابه عليه ، و قتل الابن اباه من أجل أن يصعد على هذا العرش ، و قتل الاخ لاخوته ، و تسميم الزوجه لزوجها ، و غير ذلك مما يعرفه من له أدنى اطلاع على هذه المسائل . و هذا ليس بأمر مستغرب ، إذ مطلب الملكيه في الانسان أعلى من مطلب الشعور بقرابه فلان او علان له و غير ذلك من روابط اسريه او عاطفيه . اذ مطلب الملكيه متفرع عن الخلافه الذاتيه عن الله تعالى . هذا من حيث المبدأ ، و أما من حيث تعيين مصداق ذلك فيختلف الأمر بين رؤيه وجوديه و هوى و غيرها ، و بين منهاج و غيره .

ثانيا ، البغض الذاتي العميق بين فئات المجتمع الحاكمه ، و المحكومه . مهما ظهر خلاف ذلك و مهما كان مقدار القبول النظري او الديني للحكومه القائمه . فإن الانسان يكره من يعلو عليه . إلا أن يكون الذي يعلو عليه هو الله تعالى ، و حتى في هذا يوجد احتماليه كره و هذا الكره هو الذي يفسر أنواع الكفر بالتفسير الأعمق . فإن كان هذا هو الحال مع الجميل المطلق سبحانه، فكيف يكون الحال إن علا على الانسان غيره من الناس بالقهر و النار ؟! و هذا البغض لا يمكن ازالته بالعطايا و المنح و الرعايه ، كما أنه لا يمكن بالتأكيد ازالته بالارهاب و السجن و الفتنه التعذيب و مزيد من القهر ، بل يؤول الأمر إلى استفحال البغض و اللعن القلبي بل حتى اللساني في الخلوات و بين من يؤمن جانبهم في كثير من الأحيان إن لم يكن غالبيتها العظمى. و ينتهي الحال كما انتهى الحال بشتى الممالك و الامبراطوريات في السابق ، و منها امبراطوريات حكمت ثلاث قارات كالعثمانيه ، و هو الزوال و الاضمحلال فلا تسمع لهم ركزا بعد ذلك و يصبحوا في عداد الغابرين . بالاضافه إلى أن هذا البغض الذاتي الذي ليس للانسان طريقه أصلا لازالته و إن رغب في ذلك ، إذ إنه يشبه بغض الانسان و عداوته لمن يؤذي جسمه و يحرقه و يعذبه يوميا . و هذا أذى أكبر ، إذ إنه أذى الروح و العقل . و بانتشار هذه المعنويات السلبيه المقهوره المستضعفه ، فإن النتيجه تكون مجتمع منافق جذريا ، متفرق عضويا ، فقير معنويا ، ضعيف نفسيا ، كئيب قلبيا ، مهموم دماغيا . و أنى لمثل هذا أن يبقى أو يفلح في دنيا أو آخره .

ثالثا ، تحويل المجتمع إلى مجتمع متنافس بطريقه سلبيه مدمره ، تميل بتسارع شديد نحو الانحدار في هاويه التفاخر و التكاثر لمحض التفاخر و التكاثر ، و تنتشر المؤامرات السياسيه و الجماعات السريه ، و الرسالات الهدامه ، و الدعوات الفتاكه ، إذ يسعى الجميع أو الغالبيه إلى أن يكونوا من الحزب الحاكم ، أو لا أقل أن يتقربوا من الحزب الحاكم ، كما قال السحره لفرعون " إن لنا لأجرا " إن غلبوا موسى ، فوعدهم بالأجر بالاضافه إلى أن يكونوا من المقربين منه . و لاحظ كيف قال السحره بعد ذلك أن فرعون أكرههم على السحر ، " إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطايانا و ما أكرهتنا عليه من السحر " ، كيف أكرههم على السحر ؟! ألم يذهبوا بأنفسهم إليه ، و يطلبوا الأجر و التقريب ؟ الجواب : أكرههم بأن ملك ارزاقهم ، و رفض الاستجابه لأمر فرعون كان يعني ضمنيا أن القتل او التنكيل هو جزاء الرفض و هذا أمر معروف في الفرعنه بمختلف ألوانها. فتصبح القوه و الرفعه

في المجتمع هي بيد من كان عنده أمرين اثنين : القدره على القهر لتنفيذ الرغبه و الأمر ، و الاموال التي هي قدره غير مباشره على القهر اذ تستعمل فاقه الغير لتحريكه و تطويعه لرغبات المالك لهذا المال الذي هو وسيله الشراء و دفع مصاريف المعيشه . و حيث إن الملك قيمه ذاتيه ، و حيث إن الملك أصبح متعينا في مصداق هذه الصور السفليه ، فإن النتيجه هي أن طلب السلطه القهريه و الكميات الماليه يصبح أيضا قيمه ذاتيه . قيمه ذاتيه تعني أنه مطلوب لنفسه ، لأنه يحقق مبدأ الكبرياء الانساني . و لا يبالي من كان هذا شأنه عموما أن يسخر ليله و نهاره لابقاء ملكه هذا ، سواء كان سلطه قهريه او كميه ماليه ، و الاستزاده منهما ، لأن الراحه دون الكبرياء في المبدأ . الكبرياء من ذات الحق ، و الراحه من رحمه الحق . و الذات فوق الاسم في المرتبه . و كذلك في تجليها في الكون . و بهذا يتم جعل الوسيله عين الغايه . أي الوسيله التي هي السلطه القهريه في حدودها الشرعيه و الانسانيه المعروفه ، تصبح غايه في ذاتها ، و الكميه الماليه تصبح غايه في ذاتها بعد أن كانت وسيله لتحصيل أمور معينه حددتها شريعه الرحمن تعالى . و "الناس على دين ملوكهم" ، فإن كان هذا هو شأن ملوكهم ، فإن الناس عموما ينحدروا في قيمهم و منظومه دينهم ، و مشاعر نفوسهم ، و تراتبيه عقولهم ، إلى هذا المستوى عينه . فيصبح نظرهم إلى من عنده السلطه القهريه ، فرد او جماعه او مقرب من الجماعه المتسلطه ، هو كنظرهم إلى تجلي من تجليات الرب تعالى ، كما أن النظر إلى رسل الله الذين هم الملوك حقا في المجتمع الانساني المحترم يكون على أنهم تجلي من تجليات الله تعالى . و يصبح نظر الناس إلى من يملك كميات كبيره من مال التراب ، هو كنظر الناس في المجتمع القرءآني إلى من يملك كميات راقيه من مال علم الكتاب . فيتم قلب المنهج النبوي رأسا على عقب . و لعل هذا هو سر كون كلمه جهنم إذا عكستها تصبح منهج . فمنهج الله حين يصبح أعلاه أسفله ، و أسفله أعلاه ، تتحول حياه الناس إلى ضنك و ضيق و قبض باختصار إلى جهنم . و لعذاب الآخره أشد و أخزى لو كانوا يعلمون .

حال البشر قبل نزول القرءآن على حضره الرسول الأعظم عليه الصلاه و السلام ، يمكن تلخصيه في هذه النقاط الثلاث التي ذكرناها. و كان التاج ، الذي هو رمز الملكيه ، معبرا عن كل هذه الحالات و و معبرا عن تعيين مصداق الملكيه في وعي الناس . فجاء النبي عليه السلام و عدل هذه المفاهيم ، و استبدل هذه المفاهيم بما هو أيسر منها و أكبر منها و أجمل منها و أوسع منها . فتم تعيين الملك في مصداق علم القرءآن . فأهل القرءآن هم الملوك ، أصحاب التيجان الأربعه . و الشرف و الاشراف ، الذين كانوا يعينون في الجاهليه بالنسب الدموي السخيف ، و بالقرب من فلان و علان من السفهاء القابعين في أسفل سافلين ، و بكميه الحجر الملون الذي يملكه فلان و علان و إنما قيمه هذا الحجر الملون بحسب موافقه الجماهير على هذه القيمه ضمنيا فهم خلقوا العجل و هم عبدوه و تعذبوا بعبادته فسبحان الله ، و نحو ذلك من اعتبارات جاهليه ، جاء حكم الله و بينه النبي في تعليمه فقال " أشراف أمتي حمله القرءآن ". لاحظ نفس المبدأ و لكن اختلاف المصداق . المبدأ متفق عليه بين المؤمن و الكافر ، النبي و الشقي . فكلاهما يريد أن يكون ملكا ، و يريد أن يكون شريفا . و لكن السؤال هو : أين الملك و أين الشرف ؟ فيأتي النبي بمعايير الحق و موازين القسط و أحكام العلم و طريقه ماء الرحمه فيقول أن الملك في تعليم القرءآن و تعلمه ، و الشرف في حمل القرءآن فقها و فيضا أي علما و عملا بحسب تسميه القوم .

فحين قول النبي أن الشرف في القرءآن و التجيان فرع القرءآن ، في مجتمع جاهلي لا يفقه شؤون العقل العالي و المستويات العميقه و المتعاليه للوجود و الكون ، فإن هذا يعتبر ثوره مفاهيميه أشد

بألف مره من أي ثوره سطحيه أخرى . و هذا هو الذي يجعلنا لا نقيم وزنا يذكر لما يسمى بثورات هنا و هناك عموما . فإن هذه ثورات تشبه ازاحه رطل من ماء البحر لأنه مالح. و كأن الماء الذي سيحل محل الماء الذي أزيح سيكون ماء زمزم ! أي قيمه راسخه في نزع جلد ثعبان سمه باق و جلده لا يلبث أن ينمو من جديد . أي وزن لفرض الرياضه البدنيه على فرد بالتهديد و السياط ، إن كان كل طعام هذا الفرد طعام سئ و خبيث و جالب للسمنه و معظم الأمراض التي تفتك بالصحه . إذا لم تخترق الثوره أول ما تخترق أعماق قلب الانسان و رؤيته للوجود و منظومه قيمه التي يفيض منها تلقائيا و عفويا بقيه أخلاقه و أعماله ، فإن هذه ليست ثوره ، و لكنها زفره . زفره غضب ، فاضت ثم غاضت . و لا تلبث أن تمحى أحلامها من صفحه الأرض كما يمحى الكلام المكتوب على سطح الماء .

كل الناس - جوهريا - يمكن أن يكونوا من ملوك القرءآن- على درجاتهم . و لكن لا يمكن أن يوجد أكثر من فرعون واحد ، و صدق الخبيث " ما علمت لكم من إله غيري " . و حاشيه فرعون المتفرعنه لا يمكن أن تكون و الوضع لا يحتمل أن يكونوا أكثر من بضعه أفراد و أسرهم و أصحابهم . فالهرم يتسلسل من تحت قدم فرعون ، و هو نفسه مقهور بمنصبه ، و من دونه مقهور بمن فوقه ، فدوله فرعون دوله مقهوره من رأسها إلى قاعدتها . و هذا من " يذيق بعضكم بأس بعض " .

المزاحمه في السفليات ، و السعه في العلويات . ففي شريعه الرحمه ، السفليات وسيله للراحه، و العلويات وسيله للكبرياء . و في السبل الجهنميه ، السفليات وسيله للكبرياء ، و العلويات وسيله للراحه .
هذا السطر المزبور يساوي عشره آلاف كتاب .

من أين يبدأ تعليم القرءآن كأصل ؟ الجواب : من المنزل . و لهذا جاء الوعد العظيم ، الذي تظهر أثاره و بركاته في العاجل قبل الآجل إن شاء الله ، و هو أجر الوالد او الوالده التي تعلم ولدها القرءآن . فأحسن والد الذي يعلم ولده القرءآن ، و دونه من يترك ولده يتعلم القرءآن إن شاء مع تحفيزه و تشجيعه على التعلم ، و دونه من يثبط من همه ولده في تعلم القرءآن و لكن لا يمنعه من التعلم ، و دونه من يثبط ولده من التعلم عمليا و باستعمال الاكراه و الاجبار ، و دونه من يبغض ولده في القرءآن سواء بالاسوه السيئه او بالقول المباشر الكفري . فانظر أين أنت من هذه المراتب . و من ثبط ولده عن تعلم القرءآن فقد دخل في أول طريق جهنم ، و ما دون ذلك فانحدار في الهاويه و العياذ الله . و أما من شجع معنويا أو علم فعليا ، فإن بركه القرءان ستطاله إن شاء الله تعالى .

إلا أنه ترد هنا مسأله : هل من الأفضل أن يترك الوالده ولده حتى يطلب منه أن يعلمه القرءآن أم عليه أن يبادر و يعلمه إياه أم يوجد درجات بين هذين الاحتمالين ؟ فلعل جبر الوالد ولده على أن يعلمه سيؤدي إلى كره الولد للتعليم و للكتاب نفسه بالاقتران . فضلا عن أنه العلم الحقيقي للقرءان ليس مما يمكن أن يتعلمه أحد من البشر . بالاضافه إلى أن علم القرءآن أمر عظيم ، و بالتالي لا يناسب الصبيان و الأحداث ، و لا يتحملونه عموما . و هذا من الأمور التي أخالف فيها الذين يرون تعليم ابناءهم الدين و كأن الدين أمر سهل و سخيف حتى أن الصبيان يستطيعوا أن يتعلموه . حاشا لله . إن كان ابرهيم لم يتعلم الدين الحق حتى بلغ ما بلغ . و لكن هذا لا يعني نفي كل تعليم ، إذ الأمر

درجات . و للتفقه في القرءآن بتعميق و استقلال يحتاج الإنسان - من حيث الأخذ بالاسباب السفليه - أن يسلك في طريقه أهل الذكر ، و يتأمل في علوم أهل الفكر ، و يمارس الرياضه معنويه و الجسمانيه قدر المستطاع ، و يأخذ بشئ من الموسيقى التي تعود نفسه على التناغم و الشعور بالمناسب و الغير مناسب في الذوق ، و غير ذلك من آداب راقيه . و بعد تحصيل حظ جيد من هذه الآداب و الرسوخ فيها ، يستطيع أن يدخل في سلك أهل القرءآن حقا . هذا بصوره عامه ، و في الواقع يجب تربيه كل فرد بحسب سماته و ميوله الذاتيه ، و في السير معه إلى وجهه القرءآن بحسب وجهته الخاصه ، فيعطى من القرءآن بحسب ما يحب و يرضا. فإذا بلغ الولد السعي ، لا يجوز لوالده أو من يتولى تربيته أن يفرض عليه أمر واحد بدون أخذ إذنه ، و لو كان هذا الأمر أمر الله تعالى . كما فعل ابرهيم مع ابنه في الذبح . و إن برزت ميول او رؤى خاصه فعرضها الولد على المربي ، يجب على المربي أن يأخذها على محمل الجد و يعامله كرجل ، كما فعل يعقوب مع ابنه يوسف .

فما الذي يمكن تعليمه من القرءان بالنسبه للولد الذي لم يبلغ السعي و سن الرشد و بلوغ النكاح و إمكان التصرف بالأموال الشخصيه ؟ الأظهر أن القاعده هي الرفق التام عموما حتى لا ينفر قلبه و ينعقد على بغض سبب الشده المسلطه عليه . و كم من أناس نعرفهم لهم آباء و أمهات من " المتشددين " كما يلقبونهم ، و أنا أسميهم " السفهاء " ، إذ التشدد في الأمور السليمه الراقيه أمر طبيعي و محترم ، و لكن هؤلاء قد بغضوا أولادهم في دين الله كله ، بل في كل دين تقريبا ، بل في كلمه دين و كلمه قرءآن ذاتها و ترجماتها بكل اللغات التي يعرفونها ، و كان دافع السفهاء هو دافع يمكن أن نعتبره كدافع ذي نيه حسنه و رغبه صادقه في انشاء جيل "ملتزم" . فكان النتيجه انتكاسا متعصبا لا نكاد نجد له مثيلا في بعض الملاحده . و بالعكس، نعرف أناس لا يوجد حولهم أحد من أسرتهم يصلي أصلا ، و لا يبالي علنا او باستمراريه جديه بالقرءان و دراسته ، او المعارف العقليه النورانيه التي انزلت ببركه النبي على العرفاء و الأولياء في هذه الأمه المباركه المرحومه . و مع ذلك فمن هؤلاء من بث الله فيهم عشق معرفته و شريعته و أولياءه ، و علماء العقل و النقل من المسلمين عموما ، و الاهتمام بأمر الأمه كالاهتمام بأمر النفس بل أشد اهتماما . بل لا زالوا على طريقهم هذا مع معارضه الأهل لهم و اعراض أصدقاء العمر عنهم ، و توحدهم في هذا العصر المظلم حتى جاء الفرج و المخرج من الله بالتمكين الذاتي و بسط الرحمه فعادت الأمور إلى أفضل بكثير جدا مما كانت عليه ، و الحمد لله. إن الأمر الذي يجب أن نؤكد عليه هو أن هذا الأمر ، أي معرفه الله و شريعته ، ليس أمر يفرض من الخارج ، لا يمكن ذلك أصلا . و إن فرض مؤقتا ، فإن ارتداده يكون أقبح من لو لم يفرض أصلا . بالاضافه إلى السرطان الداخلي الذي ينخر في قلب الأمه بسبب وجود جماعات كبيره مقهوره من حيث تشعر أو لا تشعر على التزام ما يعقتدون أنه كتاب الله و أمره و دينه . و كيف تفسر هذا النهم الشديد للتقاليد الفكريه الغربيه الميته النمليه بين "المفكرين الاسلاميين" و أعداد كبيره في شرق الأمه و غربها ؟ و كيف تفسر هذا التسطيح الشديد في التعاطي و التفاعل مع كتاب الله منذ القدم إلى يومنا هذا بين طوائف كبيره من الأمه حتى كادت السطحيه في التعامل مع القرءآن تكون هي القاعده و التفقه الحقيقي هو الاستثناء ؟ في الماضي كان عشق ما يسمى "الفقه" مدفوعا كأصل بدافع طلب الدنيا . بل إن تسميه هذا الفرع الصغير من شجره دين الله ، و هو فرع حلال و حرام و يجوز و لا يجوز ، بالفقه ، و هي أكبر كلمه في القرءآن مما يتعلق بالعلم بالدين من أعلاه إلى أدناه ، أو من أكبر الكلمات المعبره عن ذلك ، حتى إن الله قال " ليتفقهوا في الدين " و لم يقل : ليتعلموا الدين او ليتفكروا في الدين. و موسى قال " يفقهوا قولي" ، و ليس يعلموا أو يفهموا كما قال في سليمان "ففهمناها سليمان" . و كذلك في العمل الاساسي للقلب " لهم قلوب لا

يفقهون بها ". فالفقه كلمه تجمع كل ما سواها كالسمع و التعقل و الرؤيه و التفكر و التدبر و غير ذلك . فحين تم تسميه فرع من فروع الدين بالفقه ، تستطيع أن تفهم المستوى الذي وصل إليه الناس في ذلك الزمان الغابر ، و استمر الأمر إلى يومنا هذا مع الأسف ، و إن كان بدأ ينحسر تدريجيا و ببطئ شديد جدا بين بعض طوائف الأمه ، و هي الطوائف " المثقفه " عموما ، و مع الأسف استبدل كثير من هؤلاء هذا "الفقه" بأمر آخر من شده سوءه إذا قرن بهذا الفقه يصبح الفقه الشرعي هو الفقه الأقدس ! ما هو هذا الأمر الآخر ؟ إنه الرؤيه الغربيه للوجود في أهم نواحيها ، مع اضافه سطحيه لشئ من المفاهيم الدينيه المنزوعه من سياقها ، و المختزله اختزالا رهيبا يحيلها مسخا لا ندري أي قلب يقبل مثل هذا المسخ البربري . استبدلوا فرع نوراني ، بأصول ظلمانيه ، بحجه "الثقافه" . و لو أنهم درسوها ليفهموها فعلا ، و يدققوا فيها موضوعيا ، لكان الأمر من الخير و طلب العلم . و لكن المصيبه أننا كأمه ابتلينا منذ قديم الزمان بسطحيه في التعاطي مع القرءآن . و لم يتغير شئ . اللهم العناوين ، بالاضافه إلى مزيد تسفل في هذا العصر خصوصا . و هذا مفهوم . فإن هؤلاء يريدون أن يميزوا أنفسهم عن "الوهابيه" او "السلفيه" او "المتشددين " و نحو ذلك ، و لكنهم لا يريدوا أيضا أن يكونوا فعلا من "الصوفيه" و "العرفاء" حقا ، و ليس التصوف و العرفان الممسوخ الذي ما هو إلا عاطفه رومانسيه من النوع البغيض المستفز . فما السبيل بين الرؤيه المسماه سلفيه و المسماه صوفيه عرفانيه ؟ الذي يبدو أن القوم قد اختاروا سبيلا ثالثا و هو : أخذ المضمون الغربي و وضع أسماء اسلاميه عليه مع اضافه بعض النكهات الروحيه هنا و هناك. فأصبح القرءان و الدين عموما عند هؤلاء هو وسيله لما يسمونه " النجاح " . هذا هو الصنم الجديد . هذا هو الهبل الجديد ، الهبل من الاستهبال و الهباله. خرج علينا طوائف من "المدربين " و "المطورين" و الذين يريدون أن يبنوا "قاده" جدد و نحو ذلك . و في الغالبيه العظمى ممن شهدتهم من هؤلاء ، النجاح الوحيد الذي قاموا به هو كسبهم للأموال بالكلام و الكتابه عن النجاح ! نجاحهم في الكلام عن النجاح . هذا أقل ما يقال . و أوسط ما يقال هو أن الأسس الفلسفيه و المعنويه و القواعد العقليه التي يقوم عليها بناءهم إما تتعارض قطعا مع العقل القرءآني ، و رؤيته للوجود ، و الأولويات التي رسمها و التي تتجلى تلقائيا من الحقائق التي كشفها . و إما أنها نفسها ليس من الأنفاس القرءآنيه. فيه رائحه خبيثه مهما كان الكلام الظاهري جميل و منمق . و الجماعه من أهل "الإلقاء". و قد شهدت أحد هؤلاء ، و هو من الأصحاب ، ممن يتحدث عن "فن الإلقاء" و "الكاريزما" و "الباور بوينت" لتنظيم الكلام ، فطلب من أحد إخواني في الطريقه أن يلقي نصف المحاضره و يلقي صاحبنا هذا النصف الآخر . و كان موضوع المحاضره عن "فلسفه العباده" . فراح صاحبنا يلف و يدور و لا يدري كيف يصل إلى ما يريد الوصول إليه ، هذا إن كان يعرف ما يريد أن يصل إليه أصلا ، و ما أن وقف و فتح فاه للكلام حتى كاد الحضور أن ينام . فلما فرغ من النصف ، قدم لأخي فقام . و لم يحضر أخي أي شئ للحديث عنه ، و لم يكن معه ورق ينظر فيه ، و لا تنظيمات حجريه ميته تسمى "فن الإلقاء" و لا شئ من هذا القبيل مما تعلمه صاحبنا و دفع مقابل تعلمه مبالغ يمكن أن نسمي من تقاضاها منه "ناجحا" بمعناهم هم للنجاح . وقف ، و ما إن وقف حتى التفت الكل إليه ، و ما إن فتح فاه حتى فرغ من نحو ساعه من الكلام و الحضور كله تقريبا ينظر إليه و يستمع بانصات إليه فلما فرغ سأله الحضور عن محاضراته و دوراته المقبله التي سيقدمها في هذا المجال فاعتذر بأنه لا يقوم بهذا من أجل المال و لا يملك دوره منظمه تنظيما صخريا كهؤلاء "القاده المحترفين" . و هذا أمر نشهده بشكل شبه يومي و في كل مناسبه لالقاء كلمه او التعليق على مسأله قرءانيه او عرفانيه من أي مستوى . و أما إذا دخلنا في التفاصيل التي تكون رؤيه هذه الطائفه الجديده نسبيا ، و مقارنتها مع الأسس القرءآنيه و التقاليد العرفانيه في الشرق و الغرب ، فهذا يطول جدا و لكن الأسس قد بثثناها

في هذا الكتاب و غيره فتأمل و تفكر بعمق في ما يعرض عليك . لا تكن مهووسا بالخوف و نظريات المؤامره ، فإن لكل انسان مؤامره ، و لكن افهم و تدبر و لا تأخذ الأمور بقيمتها المظهريه و ببادئ الرأي . فإن هذا وجود و حياه و مصير عاجل و آجل . و أنت محدود بحسب رؤيتك للوجود . فإما سجن و إما خلود .

" لا إكراه في الدين " لا تساوي : لا إكراه "على" الدين . على الدين تعني على الدخول في الدين . و هذا مفهوم مضحك أصلا ، إذ لا يوجد شئ ل "تدخل فيه" أصلا . على الاقل بالنسبه لدين الحق . أنت لا تدخل في الاسلام ، أن تخرج من سجنك إلى ساحه الاسلام . "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور " . النور ليس سجنا لتدخل فيه بالمعنى السلبي للدخول و هو كالدخول في حزب سياسي معين له اجندا معينه . و لكن الدخول في الاسلام هو دخول وجودي ، معنوي ، عقلي ، كلي . و هو المقصود بقوله " و رأيت الناس يدخلون في دين الله ". ثم إنك إن فقهت شيئا ، فأنت "دخلت" فيه بمجرد فقهك له . فمن فقه الاسلام ، فهو مسلم . و من لم يفقه الاسلام ، فليسمي نفسه ما يشاء ، فهذه ليست إلا تنابز بالألقاب . " لا إكراه في الدين " تعني في صلب الدين و في نفس الدين . أي الأمور التي تكون الدين لا يمكن أن يكون فيها إكراه أصلا . فهنا اللام لام نفي ، و ليس لام نهي و إن كان النهي تلقائيا يتفرع عن النفي لمن فقه حقيقه النفي المقصود و تجليه الواقعي . ما هو الدين ؟ هو علم و حكم . علم تعرفه ، و حكم تتبعه . على ماذا نكره الناس ؟ هل يمكن أن نجبر أحد على أن يعلم ما لم يعلم و لم يفقه و لم يفهم و لم يكشف له و ليس عنده استعداد ذاتي لقبوله الآن أو دائما ؟ بالطبع لا. و هذا في أقل تقدير يشبه الزعم بأنه يمكن أن نجبر أحد على أن يتعلم الطب او الكيمياء بضربه بالسياط على جسمه . و الواقع أن الله لا يقبل مثل هذا و إن كان ممكنا بمستوى ما من المستويات الضعيفه جدا و السافله جدا . " أنلزمكموها و أنتم لها كارهون " . و كأن الله بحاجه أصلا إلى مثل هذا المنافق الذي يرائي الناس ، و كأن الله لم يجعل مصير هذا الدرك الأسفل من النار ، تحت الكفار و أعداء الرسول مباشره و جهارا نهارا . لاحظ أن كلامنا هنا على اعتبار أن علم الدين هو أمر تقرأه في كتاب و تضعه كمعلومه في دماغك و ذاكرتك . و حتى على هذا الاعتبار المجنون ، فإن الاكراه على العلم إما مستحيل او مؤقت و سطحي و لا ينفع إلا في سطوح الانسان و اعتباراته الخارجيه في الغالب الأعم . فلو علمنا أن علم الدين هو أمر أكبر و أعمق و أوسع من هذا ، فإن الاستحاله تصبح مؤكده تأكيدا ليس وراءه تأكيد و جزم . و أما عن الحكم ، فما الذي يمكن أن نجبر الناس عليه ؟ الحكم في الدين إما أمور تفعلها و ليس عليك رقيب إلا الله ، و هو الغالب الأعم من الاحكام . و هي الاحكام الفرديه ، فعدم ارتكاب الزنا أمر فردي ، و إن كان له جانب جماعي ، إذ إن الزنا في السر ، و كل ما لم يشهد عليه اربعه عدول لهم شهاده تامه بشروطها يعتبر سر في حكم الشرع ، فإن هذا يكاد يكون من المستحيل او شبه المستحيل في غالب الاحيان أن ينتشر و يفتضح للمحاكم الشرعيه. و التجسس على البيوت ممنوع شرعا ، و ما بني على باطل فهو باطل . فلم يبق إلا الزنا الذي يجاهر به صاحبه ، و من بين ألف زان ، لعل واحد هو الذي يجاهر و البقيه في ستر الغيب . فإن كان الزنا الذي يعتبر "جريمه اجتماعيه" هو كما ترى التزام فردي ، فما ظنك بما سوى ذلك من أحكام . و الفساد الاجتماعي مع وجود الشرطه و القضاء و بقيه الاجهزه منتشر ، فالرقابه الدينيه فرديه كأصل عام . و قل ما هو أكثر من ذلك بالنسبه للشعائر ، اللهم إن الذين يروجون للنفاق ممن يجبرون الناس على التحرك مظهريا بحركات ميته بالنسبه لهم يسمونها "صلاه" لا أدرى من أين ، فهؤلاء لهم حساب عسير في الدنيا و الآخره . و لكن حتى هذه فباستثناء بعض المناطق الموحشه في بعض بلاد الأمه ، لا تكاد توجد عموما . فأحكام الدين التقويه و الشعائريه ، أي المتعلقه

بالوصايا الفرديه الاجتماعيه كالآيات الجامعه في سوره الأنعام ١٥١-١٥٣ ، و الشعائر العقليه الروحيه كذكر الله و التفكر في خلق السموات و الارض و دراسه القرءآن و الاستغراق الوجودي في الرؤيه القرءانيه للكون ، واضح أن هذه لا يمكن أن يتم الاكراه عليها ، بل إننا لا نكاد نجد فردا ممن يعشقون الاكراه و تبغيض الخلق في الحياه قبل تبغيضهم في دين الحياه بل في رب الحياه عز و جل ، أمثال هؤلاء كيأجوج و مأجوج في هذا المجال ، لا يكادون يفقهون قولا . و حظهم منه التشدق و العبوس و قسوه القلب و جفاء الروح و صحراء العقل . فنرجع مره أخرى : الاكراه على ماذا ؟ الجواب : الإكراه على الخضوع لفلان و علان و حاشيتهم . و هذه ليس فيها علم و لا حكم ، بل حسبك أن تخرس و تلتزم مظهريا بشئ مما يطالبوك به في بعض الاوقات ، و حسبك الله و نعم الوكيل . هل فهمنا الآن معنى " لا إكراه في الدين " . هل تجدون في القرءان أحكام الانبياء أنهم أكرهوا أحدا على قبول ما جاؤوا به ؟ هذا ليس كلام عاطفه حداثيه ، فنحن من أشد الناس كرها لهذه العواطف الفارغه . هذا هو واقع الأنبياء ، و الأسس التي أقامها الله لهم . و اتباع ما تشابه بغير احكام لأصول القرءآن هو كما تعلمون ، فتنه و زيغ . و لهذا نفر القوم من القرءآن منذ زمن بعيد جدا ، فأقاموا أصولا غيره ، إذ في تلك الأصول ما يشاؤون من أفكار و أحكام و اكراه و حدث و لا حرج . و إنا لله و إنا إليه راجعون .

الدين علم و حكم . و الحكم يتفرع عن العلم . فالدين العلم . العلم النبوي . و العلم النبوي مجموع في هذا القرءآن العظيم . و بالتالي تربيه الأولاد على القرءآن لا تعني كأصل إلا هذه الأمور : أن يكون الوالد تابعا للقرءآن فيكون أسوه حسنه فعليه لولده بلا كلام . أن يكون الوالد ممن يدل ابنه على القرءآن إن سأله عنه . أن يعلم الوالد ابنه العلوم و المعارف و الاداب العامه التي تؤهل الابن للسلوك في طريقه القرءآن . أن يشجعه على سلوك الطريقه إذا رآه تابع لها فعلا و بدافع ذاتي و ليس لكسب رضاه او اعجابه فإن رآه كذلك فلا يعلق عليه سلبا او ايجابا. و أن يعلمه القراءه و الكتابه عموما ، و تلاوه القرءآن خصوصا منذ الصغر ، و يتلطف به تلطفا شديدا . فإن عرف الوالد و المربي معنى هذا الكلام ، و عمل به ، فنرجوا الله أن يكون من أصحاب التيجان في الدنيا و الآخره . و لا قوه إلا بالله .

بعد أن فرغت من هذه الفقره السابقه نمت ، فرأيت رؤيا أظهرت لي جانبا آخرا من جوانب الملكيه التي يسببها كلام الله . و هي المشار إليها بقوله تعالى " و أنفقوا من مال الله الذي آتاكم". فنلاحظ أنه مره يذكر " مال الله " مره يذكر " مالكم " ، كما في قوله في أول النساء " و لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما " . فما الفرق ؟ على أحد الاعتبارات الأساسيه ، مال الله هو كلامه ، و مالكم هو هذه الاموال التي بين أيدينا على أي صوره كانت و خصوصا على صوره النقد و هي من اختراع بعض الناس و قيمتها مستمده من اعتبار الناس لها ، فسواء كان النقد حجاره نسميها "ذهبا" او "فضه" او "دولارا" او "دينارا" او "درهما" او أيا كان ، فإن كل هذه مشتركه في أمرين : أولا أصل اختراعها هو الناس، و ثانيا أصل اعطاءها قيمه هم الناس . فلولا أن الناس تثق بأن هذا المال او النقد سيكون له قيمه شرائيه لما استبدلوا بضائعهم او خدماتهم الحيه مقابل بضعه قطع من هذا الحجر او الورق الذي لا يسمن و لا يغني من جوع . و من الأوهام الشائعه أن لهذه الأمور " قيمه ذاتيه " ، و هذا هذر لا يحتاج إلى رد و لا يستحقه هنا . فلهذا قيل أن هذا "مالكم" . لأنكم أنتم اخترعتوه، و أنتم اخترتوه، و أنتم اعطيتموه قيمه بثقتكم فيه و اعتباركم له في معاملاتكم و مشاعركم. و لكن حين يقال " مال الله " ، فإن هذا أمر آخر بالكليه . فمال الله هو أمر أقامه الله و

قيمتها مؤسسه من قبل الله تعالى نفسه . و بالتالي لا يستطيع أحد من الناس مثلا أن يسلب هذا المال الإلهي قيمته الذاتيه ، و لا يستطيع أحد أن يشتري ما يشتريه هذا المال بغيره. فالمال هو ما تشتري به او ما ينفعك في وجودك . مثال الأول النقد ، و مثال الثاني الارض المزروعه او الحيوانات .

فللمال وجهين : الوجه الأول هو " ما تشتري به" ، و هذا تابع للنشأه التي تريد أن تشتري فيها . النشأه بمعنى الملك ، فمثلا في الدوله س التي لا تقبل إلا العمله ص، فإن المال الذي تستطيع أن تشتري به الاغراض في هذه الدوله يجب أن يكون ص . فلو كنت تملك مليون قطعه من العمله م ، فإن هذا لن يغني عنك شيئا . فالمال بحسب النشأه، و النشأه بحسب الملك. و الملك هو التصرف و التدبير ، أي من الذي او ما الذي له السلطه في تحديد قيمه الأشياء في هذا الملك و هذه النشأه المعينه . ففي الدول الارضيه كما قال نبي لقومه " يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ". و بما أن لهم الملك ، فلهم تحديد قيمه الاشياء - بحسب الحدود الطبيعيه - في هذه النشأه ، و بالتالي تحديد المال . ففي الدول الرأسماليه مثلا يكون المال هو هذا النقد المعروف كأصل ، و في بعض الدول الشيوعيه يمكن اعتبار أن المال الذي يخولك الحق في أخذ الأشياء هو حاجتك الفعليه ، " من كل بحسب طاقته، و لكل بحسب حاجته" كما هو شعارهم في هذا المجال . و قس على ذلك . فأولا يجب أن تحدد النشأه ، ثم الملك فيها ، ثم المال . و المال هو قوه التصرف في هذا الملك .

الوجه الثاني هو " ما ينفعك في وجودك " . و هذا تابع لأبعاد و مستويات وجودك ، و أيضا تابع لعلاقات السببيه الربوبيه الكونيه و هذا الأمر الآخر من الأمور الواقعيه التي لا مجال لأحد من الخلق أصلا أن يخرج عن حدودها التي حدها رب العرش سبحانه . أما مستويات الوجود، فمثلا إذا اعتبرنا أن الموجود في النشأه هو جسم يحتاج إلى طعام و شراب و مسكن و لباس و عنايه صحيه و حمايه عسكريه ، فكل هذه الأمور نجمعها في كلمه المعيشه . و لنفرض تسهيلا للمثال أن هذا الموجود هو هذا الجسم فقط ، بلا أي مشاعر فوق ذلك ، و لا أي شئ غير ذلك. فإن حدود هذا الموجود ستحدد حاجته و قدرته ، و قدرته ستحدد وسيله كسب المال فيه ، و الحاجه و القدره ستؤثر في طبيعه المال في النشأه الملكيه المعينه . و أما علاقات السببيه ، فإنه كمثل الأكل الذي يسبب أغلبيا الشبع و تحصيل القوه الجسمانيه . فالانسان لا يستطيع أن يخلق علاقات سببيه في الكون إن لم يكن الكون محتملا و قابلا لهذه العلاقات و صورها . فالكون يشبه الشطرنج : القطع و الحدود و الإمكانات مبنيه في اللعبه ، و لكن اللاعب يستعمل هذه بحسب عقله و رؤيته و غاياته و مستواه . فالجانب الأول ثابت ، و الثاني متحرك في حدود الثابت . و حتى على فرض أن الكون يتغير لحظيا ، و ينبسط او ينقبض ، يتطور للأعلى او ينحدر للأسفل ، فإن كل هذا لا يعني تغيير الجانب الثابت بمعنى المعطى الخارجي . فالحدود محدوده ، حتى إذا تغيرت فإنها محدوده في تغيرها و محدوده في نتجيه تغيرها و في نهايه المطاف ستكون محدوده بصوره ما في هيئتها بعد التغير اللحظي او الدوري المعين . ف "ما ينفعك في وجودك" سيعتمد على مستويات وجودك في لحظه الطلب للنافع و المرغوب ، و بالتالي سيعتمد على العلاقات السببيه الكائنه في الكون او النشأه التي تكون فيها حين تطلب ما تطلب ، و هذه النشأه ستكون تابعه للملك في هذه النشأه ، و المال سيكون هو الوسيله التي تتوسل بها لتحصيل هذه المطلوبات و المرغوبات .

فالسؤال الآن ، ما هو " مال الله " و ما هي نشأته التي يعطى فيها البسط التام ؟ الجواب: هي الآخره . الآخره بمعنى روح الكون ، و الآخره بمعنى المرحله القادمه من الحياه الانسانيه بعد الموت

و عوده هذا الجسم إلى التراب الذي خلق منه . و كلا المعنيان متوازيان . فالباطن اليوم ظاهر غدا . و هذا مفتاح كل التأويلات العرفانيه لمسائل القيامه . فاثبات تأويل روحي لها ليس أكثر من مشاهده مشاهد من القيامه القادمه في القيامه القائمه . بل إن معرفه التأويل الروحي العقلي للقيامه في القرءآن ، هو من "مال الله" الذي به ستتحدد قيمه الانسان من حيث ثروته الفعليه في القيامه القادمه . ففي تلك النشأه ، ستظهر القيمه النهائيه للأشياء لكل أحد ، كما أنها ظاهره اليوم للقله العالمه التي تعقل عن الله و ملائكته و كتبه و رسله . و لهذا في خط المصحف ، يوم القيامه يكتب دائما هكذا " القيمه " . فهو يوم القيمه و يوم القيامه . إذ يوم القيامه ستظهر قيمه الأشياء و الأشخاص و الأعمال و الأمور كلها . و من هنا قال القرءآن في حق الجاهل ، " إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا و مثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ما تقبل منهم و لهم عذاب أليم " و قال أيضا " إن الذين كفروا و ماتوا و هم كفار ، فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا و لو افتدى به ، أولئك لهم عذاب أليم و ما لهم من ناصرين ". لاحظ قوله " لهم ما في الارض " و قوله " ملء الأرض ذهبا " . فالأرض كأصل تدل على المال الارضي بمعنى الاشياء النافعه ذاتها ، كالارض المزروعه مثلا . و لكن الذهب يدل على المال التوسلي بمعنى الشئ الذي تستعمله كوسيله لتحصيل الشئ النافع ذاته كالنقود مثلا . و الذهب يعبر عن أعلى وسيله شرائيه في منظومه القوم الذين نزل القرءآن بلسانهم أولا . ففي النشأه القادمه ، و هي قائمه الآن في المستويات الفوق أرضيه ، ليس للارض و لا للذهب أي قيمه شرائيه او توسليه . و من صور تسطيح الوجود و الكون لأسفل الدركات هو اعتقاد البعض أن ما يصلح في الارض المحكومه من قبل الجهله و الغافلين من البشر ، هو هو ما ينفع في ما سوى ذلك من اراضين و سموات و ما فوق ذلك . و قد ظهر شئ من هذا الجهل في قصه طالوت ، حين اعترض بعض الناس على اصطفاء الله له بحجه أنه "لم يؤت سعه من المال" . و صور ذلك كثيره في المشاهد القرءآنيه و في المشاهد الافاقيه و الانفسيه في يوم الناس هذا و كل يوم . فالجهل بحقيقه النشأه ، و الملك فيها ، و بالتالي بالمال المؤثر فيها ، يؤدي إلى مثل هذا الخلط . فيظن أنه يستطيع أن يفتدي لأمور الأنفس السماويه او الروح العرشيه بالأموال الأرضيه بل الاموال الارضيه التي اخترعها قله و فرضوها قهرا على الآخرين و قبلها المقهورين للضروره المعيشيه او اتقاء لشر مزيد من القهر .

مال الله هو ذكر الله ، و الفكر في كتاب الله . ذكر الله هو الذهب في ملك الله ، و الفكر القرءآني هو الفضه في ملك الله . كتشبيه يقرب المفهوم . و قد شاهدت في الرؤيه أنني انتقلت إلى الطور الاخر من الحياه ، و الناس قيام كقيامهم اليوم في طلب الوظائف لكسب المال حتى يعيشوا ، و لكن كنت في غنى عن طلب ذلك ، لأنه كلما ذكرت الله كلما وجدت القوه الماليه التي تطلق اليد في التصرف و الكسب في تلك النشأه . و عرفت أن مقدار قيمتك و ثروتك في تلك النشأه هو بحسب قدرتك على ذكر الله اليوم . فأثرى الناس هو الذي يستطيع أن يذكر الله في كل آن ، بلا وجود أي شروط محيطيه او ظروف خاصه تساعده على الذكر . فهو يذكر الله كما قال القرءان " و اذكر ربك في نفسك " و هذا الذكر السري " و دون الجهر من القول ". فنفسك مسجدك و المحيط القدسي الكافي . بغض النظر عن الظروف الخارجيه او النفسانيه السفليه او ما سوى ذلك من ظروف و قيود . فللتشبيه تصور أنك تحتاج إلى دينار ذهبي لتعيش براحه في كل ساعه . أقصد في النشأه القادمه . و ليس لك إلا نفسك ، فبحسب نفسك اليوم ستكون نفسك في الطور القادم . فإن كنت في نفسك اليوم لا تذكر الله إلا اذا توفرت ظروف خارجيه معينه ، او حركات جسمانيه ، او اشخاص معينيين ، او ما سوى ذلك ، فإن كل هذه الأمور ستزول بزوالك عن جسك و بالتالي عن المستوى الارضي السفلي بما فيه . "

و حيل بينهم و بين ما يشتهون " . فهذا بالنسبه لمن يتعلق سبب شهوته بما هو دونه ، أي بما هو ارضي سفلي . فإذا زال عنه السبب و استطاعه اتخاذ هذا السبب كوسيله لتحصيل النتيجه المرغوبه ، فإنه سيحال بينه و بين ما يشتهي بالحيلوله بينه و بين سببه و وسيلته . و لكن من كان سبب شهوته علوي ، أي متعلق بالسموات الأنفسيه او كأعلى بالررح العرشيه ، فإن هذه لا تزول ، خصوصا الروح العرشيه التي هي العقل الأعلى . فحبل أسبابه مربوط بما لا ينقطع . و أما من كان سبب عمله و محور رؤيته الكونيه و منظومه قيمه النفسيه هو أمر أرضي سفلي بدني ، فإن النتيجه تكون عذابه بفقدان وسيله تحصيل شهوته و رغبته و ماله . كما قال الحق "إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا و مثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ما تقبل منهم و لهم عذاب أليم " . و لكن لو كان لهم ما في السموات لما وقعوا في مثل هذا فتأمل. فإن كنت تحتاج إلى الذهب في كل ساعه ، فإنك إن كنت صاحب نفس تذكر الله على الدوام، و قادره على أن تذكر الله على الدوام ، و قابله لأن تذكر الله على الدوام ، فإن نفسك هذه تعتبر حرفيا " منجم ذهب " . و مستقر هذا النبأ هو النشأه القادمه بالنسبه للجميع ، و في هذه النشأه بالنسبه لمن يشاهد العرش و الملكوت و يد الله في الملك . و تستطيع أن تختبر مستواك اليوم بهذه التجربه : اذكر الله في كل احوالك ، و انظر هل تجد قلبك في لبه واحد في كل هذه الاحوال ، أم ماذا . فإن كنت تجد ذلك في كل الأحوال الخارجيه ، فأنت الأكمل . و إن كنت تجد فروقا قليله فأنت كامل ، إذ لكل حال و محيط خارجي و حاله نفسانيه معطى خاص يقيد الذكر ، فلا بأس بهذه الفروق القليله و الصغيره . و لكن إن كنت تجد فروقا كبيرا جدا بل تجد عدم قدرتك بل عدم رغبتك في ذكر الله في أحوال معينه ، فأنت قريب من "خط الفقر" بالمعنى الدنيوي لذلك . و إن كنت لا تذكر الله و لا تجد رغبه في ذلك أصلا ، فابدأ بالبكاء على نفسك من اليوم و أكثر من شرب الماء البارد ، فإن القادم هو " و سقوا ماءا حميما فقطع أمعاءهم" و العياذ بالله .

" قل بفضل الله " هو ذكره " و برحمته" هو التفكر في خلقه برؤيه كتابه " فبذلك فليفرحوا" إن كانوا أهل مشاهده اليوم " هو خير مما يجمعون " من شؤون الارض ، و ستتبين لهم هذه الخيريه بتحول ما في أيديهم إلى حطام اليوم ، فضلا عن تحول ما عندهم إلى هباء منثور غدا.

و لهذا قال في أهل الله " فإذا رأيت ثم رأيت نعيما و ملكا كبيرا " هذا الملك الكبير له أسباب. أهمها هو ذكر الله و الفكر القرءآني . بأن تصبح النفس الانسانيه قائمه على أساس ذكر الله و شهود واحديته و أحديته ، و متشكله بحسب الرؤيه القرءآنيه للوجود الكوني من أعلاه إلى أسفله، و بالتالي تكون قيمها هي قيم القرءآن ، و احكامها هي أحكام القرءآن ، و رموزها هي رموز القرءآن ، و لسانها هو لسان القرءآن ، و مشاعرها هي مشاعر القرءآن ، و شعائرها هي شعائر القرءآن . بهذا يصبح الانسان هو القرءآن كما قال الشيخ الأكبر في تبيان هذا المقام الأكمل " أنا القرءآن و السبع المثاني ، و روح الروح لا روح الأواني ". فحين تستطيع أن تقول "أنا القرءآن" ، قول الحال قبل قول اللسان ، فحينها تكون ملكا كاملا ، و على رؤوسك التيجان الأربعه بل تيجان لا يحصيها إلا الله و الله ذو الفضل العظيم .

يقول الحق في ملوك الجنه " لهم ما يشاؤون فيها " . لاحظ أن مشيئتهم هي سبب كاف لتحصيل الشئ الذي يشاؤونه و يحبونه و يريدونه . و المشيئه من الذات بما هي . ففي النشأه الارضيه مثلا ، حين تشاء شيئا فإنك تحتاج أيضا أن تتوسل إليه بوسائل خارجه عنك . كأنت تحرث الارض ، أن تداوم

على وظيفه معينه ، او تجمع حجاره او اوراق معينه تسمى نقودا . و لكن في تلك النشأه ، فإن محض المشيئه يخلق الشئ . و هو قول بعض العرفاء على لسان الحق تعالى : يا انسان ، كن كما اريدك أن تكون ، أجعلك مثلي تقول للشئ كن فيكون . و هذا هو المال الذاتي ، هو "مال الله" الذي يؤتيه الله لخلفائه و من تحقق بمعنى " إني جاعل في الأرض خليفه " . فخليفه الله يملك في نفسه كنوز عرش الله . هو نفسه من خزائن مال الله . و بالتالي في النشأه القادمه ، سيكون ذكر الله هو المال ، و سيكون مدى علم الانسان بكتاب الله هو الحاكم الفاصل في درجته في جنه الله. و هو قول الروايه الشريفه " اقرأ و ارق و رتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آيه تقرؤها " . و هذه الروايه متفرعه عن قوله تعالى " يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات ". فليس المقصود هو فقط القراءه بمعنى تحريك اللسان . و لكن القراءه التي هي مستوى العقل في القرءآن . أفيعقل أن تكون منزله الحمار الذي يحمل كل الأسفار أعلى من منزله العاقل الفقيه الذي يحمل بعض الاسفار! بل الحمار في حكم المكذب بآيات الله ، و اقرأ المثل " كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله" . و هنا ملاحظه مهمه ، فأن التكذيب ليس له صوره واحده و هي التكذيب المعروف كتكذيب فرعون و ابي لهب مثلا . و لكن من التكذيب ما يكون بعد التصديق. أي التصديق الكلي . و هو المقصود في مثل الحمار حامل الأسفار . فلولا أن الحمار يؤمن بالأسفار لما أشقى نفسه بحملها أصلا . ففرعون لا يحمل الاسفار ، لانه كذب بها جمله و تفصيلا . و لكن الحمار هنا يصدق بالأسفار من حيث الجمله ، و لذلك يحملها و يتعب نفسه في حملها و ينفق الأموال في حفظها و طباعتها و نشرها بل ينفق الكثير من الجهل في مراجعه حفظه لها ليل نهار . و لكن مع ذلك قال الله أنه من المكذبين بآياته . لماذا ؟ لأن التكذيب هو انكار المعنى كأصل و بالتالي انكار مقتضيات المعنى كفروع عن هذا الأصل . فمثلا "يوم القيامه" معنى خاص له مقتضيات عقليه و خياليه و شعوريه و بدنيه و اجتماعيه . فمن يقول "ما نحن بمبعوثين" بل يستهزئ بالفكره ، فإنه من المكذبين جمله و تفصيلا ، جمله بالمعنى الأصلي و تفصيلا بالمقتضيات العقليه و الخياليه و الشعوريه و البدنيه و الاجتماعيه التي تتفرع عن التصديق بهذا الأصل . فإذن التكذيب إنكار لمعنى . هذا نوع ، و هو المعروف المشهور الذي يدركه الخاصه و العامه . و لكن يوجد تكذيب أهم من هذا و أكبر منه . و هو تكذيب الحمار حامل الأسفار . و سمي تكذيبا لأنه جهل بالمعنى . فإنكار المعنى بعد العلم به تكذيب ، فكذلك الجهل بالمعنى من التكذيب . لأن الجهل بالشئ من صور انكاره ، بل هو انكار بديهي ، إذ لا يعقل الاقرار بالمجهول . فالجهل بيوم القيامه هو كانكارها بعد العلم بها من هذه الحيثيه . لأن الانكار هو عدم اقامه الأصل ، و بالتالي عدم اقامه فروعه . و الجهل بالمعنى يتوفر فيه عدم اقامه الاصل ، للجهل المبدئي به ، و بالتالي عدم اقامه فروعه ، اذ لا تقام فروع المجهول . و لهذا قال الله في الحمار حامل الأسفار " بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله و الله لا يهدي القوم الظالمين ". فلاحظ أنه قال بعد ذكر التكذيب " و الله لا يهدي القوم الظالمين". و هذا أصبح مفهوما بعد الشرح الذي قدمنا به . إذ عدم القيام بمقتضيات الحق يعتبر من الظلم . فتكذيب الحمار هو بعدم علمه بمحتويات الأسفار ، فهو لا يقيم أصول معاني الأسفار بالعلم بها ، و بالتالي ينشأ ظلمه الذي هو عدم قيام فروع هذه الأصول بداهه . فإذن قول الروايه الشريفه " اقرأ و ارق " المقصود به القراءه الواعيه العاقله ، أي قراءه الفقيه القرءآني، فهذه هي القراءه التي يمكن أن ينشأ عنها الترقي . فمنزلتك في الآخره الكونيه هو بحسب منزلتك في الآخره الروحيه العقليه . فالآخره الكونيه غدا ، و أما الآخره الروحيه العقليه فاليوم . فانظر مستواك المعرفي القرءآني اليوم تعرف منزلتك عند رب العرش الرحماني غدا . و الله رؤوف رحيم .

كما ذكرنا في باب (أهل القرءآن أهل الله و خاصته) فإن هذا المستوى السفلي من الكون و خصوصا هذه الارض التي تعيش عليها أبداننا ، مكونه على العموم من أربعه طبقات . أعلاها الحجر ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، ثم البشر . حين عرض الحق تعالى خلافته في الارض ، قال من ابليس مبينا أنه الأحق بهذه الخلافه " أنا خير منه " و السبب في هذه الخيريه هو بحسب الرؤيه الابليسيه " خلقتني من نار و خلقته من طين " . ما معنى ذلك ؟ الجواب : يقصد أن اداره شؤون الارض و اقامه حكم الله فيها يجب أن يكون بالنار و ليس بالطين . ما معنى النار؟ يقول الله في حق بعض ابناء ابليس " كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله " . فالنار هي الحرب الجسمانيه ، هي العنف و الوحشيه . فالنار تقهر من يقرب منها ، و تؤثر جبرا فيمن تمسه . و ما معنى الطين ؟ الطين هو الماء و التراب ، و الماء هو العلم النازل من أعلى ، و التراب هو المظهر المسالم السهل لما هو أسفل . فالماء تدل على المستوى السماوي ، و التراب على المستوى الارضي . و الروح التي نفخت بعد ذلك هي المستوى العرشي الإلهي . فابليس يرى بأن هذا العالم لا يمكن أن يستقيم و يستنير إلا بالنار ، بالقهر و العنف و الحرب و الوحشيه . و على نمط ابليس تسير الدول الفرعونيه ، و البيوت المتفرعنه ، و الافراد المتفرعنين. و فرعون حين قال " أنا ربكم الأعلى " كان له بالاضافه إلى الجانب الناري ، و هو جانب "و إنا فوقهم قاهرون " و هو الذي يجعلهم يملكون القدره على أن يسوموا الناس سوء العذاب، و يفرقوا بين الناس على أسس سفليه . فإنه بالاضافه إلى ذلك يوجد جانب آخر للفرعنه ، و هو مبني على التراتبيه الواقعيه لسافلين أي حجر ثم نبات ثم حيوان ثم بشر . فكل طبقه بحاجه كأساس لما هو فوقها من طبقات ، و حاجتها هذه سبب ضروري لمعيشتها و بقائها و نموها النسبي. فبدون حيوان و نبات و معادن لا يستطيع البشر على العموم أن يعيشوا من حيث ابدانهم . و كذلك الحيوان بدون النبات و المعادن لا يستطيع أن يعيش. و كذلك النبات بدون المعادن . و بالتالي ، البشر لهم أيضا تراتبيه بناء على هذه الحقيقه الواقعيه . و هذه التراتبيه لها معيار محدد ، و هذا المعيار هو : من يملك حيوانات و نباتات و معادن أكثر . و هذا أصل التكاثر في الاموال و الاولاد ، و أصل التفاخر بين أهل الدنيا . فهو مبني على أمر واقعي ، و لكن بتفسير معين لهذا الامر الواقعي . و الرؤيه النبويه للوجود الكوني لا تتقاطع مع هذا الأمر الواقعي ، بل التقاطع معها مستحيل ذاتيا ، فحتى موسى حين أراد أن يسقي قومه احتاج إلى الحجر فتأمل . و لكن التقاطع بين الرؤيه النبويه و الرؤيه الجاهليه يتم في مسأله تفسير هذا الأمر الواقعي . و أمور أخرى بالاضافه إلى هذا التفسير . فالتفسير الجاهلي يقول : بما أن البقاء البدني هو الأصل في كل الاعمال البشريه ، فهذا يعني أن الذي يملك موارد هذا البقاء يجب أن يكون هو الأعلى بين البشر . و لهذا قال فرعون " أليس لي ملك مصر و هذه الانهار تجري من تحتي " . بل لهذا قال " أنا ربكم الأعلى " . لاحظ أنه لم يقل " أنا ربكم " و يسكت. بل قال "الأعلى". و هذا يعني أنه يوجد لهم رب بل أرباب أخرين غيره ، و لكنه هو الأعلى . من هم هؤلاء الارباب الاخرين ؟ الجواب : هم المعادن و النباتات و الحيوانات التي يفتقرون إليها لتربيه ابدانهم و امدادها . فالرب هو الممد المعطي المطعم المحيي . و على هذا المعنى قال يوسف للرسول " ارجع إلى ربك " و "اذكرني عند ربك" ، و معنى السياده و الملكيه يدور في هذا الفلك . بل على هذا الاساس قال القرءآن " عبد مملوك " في ما ضربه من مثل ، و غير ذلك من ايات مبنيه على التراتبيه الواقعيه للكون . و لكن مصيبه الجاهليه هي في الاختزاليه و التفسيرات المغلوطه التي ترتب نتائج قاصره على مشاهدات ناقصه . و من أمثله أهل الجاهليه فرعون . فالفكره عنده هي أنه طالما يملك الارض و بالتالي ما عليها من نباتات و حيوانات ، و يملك التصرف فيها كما يشاء ، فالنتيجه عنده هي أنه يجب أن يكون رب البشر الذين يسكنون في بلده و إلههم الأوحد الذي يأمرهم و ينصرهم . و لهذا لما خرج السحره عن طاعته ، هددهم بتقطيع

أبدانهم و صلبهم ، فالمعنى أنهم لا يستحقون الحياه البدنيه في دولته طالما أنهم يعترفون بسلطه موسويه فوق سلطته .

فنظام المعيشه الارضيه مبني على الاستمداد من المعادن و النباتات و الحيوانات ، هذا هو الأصل الأول . و الأصل الثاني هو تنظيم الجهد البشري للعمل في سياق منظومه معينه . و هو ما يمكن أن نسميه : المعادله بين الموارد الطبيعيه و البشريه . و تكون الغايه الأساسيه من هذه المعادله هي إقامه معيشه طيبه للبشر .

و لكن هذا النظام لا يمكن أن يقوم بدون المعرفه و الشريعه النبويه . فبدون المعرفه القرءانيه يجب حتما أن تنحرف و تنتكس و تنحدر و تهبط المعيشه البشريه . " و من أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا " . و عدد و أصناف هذه الانتكاسات مما لا يحصيه إلا الله تعالى . و لكن من أبرز الأمثله هو التالي :

كل بشر انسان بالقوه ، و بنور النبوه يصبح انسانا بالفعل . و روح الله التي في الانسان تفعل فعلها من وراء حجب الظلمات البشريه السفليه . من حيث لا يشعر الناس . و أحد هذه الافعال الروحيه هي السعي للكبرياء . لأن الروح أوسع من الارض كلها ، بل الارض و ما فيها ليست إلا قطره في محيط بساط الروح ، فإن البشر الذين انحصر وعيهم في مستوى الارضيات ، أي في المعدنيات و النباتات و الحيوانات و البدنيات ، و التفاعلات بين هذه الاشياء ، سوف يجدون دائما شعور عميق بل ظاهر بالذله و الضعف و القهر و الغم و الحيره السيئه و شعور عداوه مع العالم المحيط و الرغبه في السيطره على ما يمكن السيطره عليه فيه للشعور بشئ من الكبرياء كما قال الأعرابي " الإماره و لو على الحجاره " ، و هذه الانفعالات السلبيه تكون هي الأصل، و الانفعالات الايجابيه هي الاستثناء . كما قال الحق " فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون " . فما ينتج منطقيا بالنسبه للانسان من رؤيه وجوديه منحصره في السفليات ، هو هذه النتيجه . و الاستغراب و الاستعجاب يكون من خروج ما سوى ذلك ، و عندها نعلم وجود عوامل أخرى مأخوذه من رؤيه أو منهجيه أخرى .

مثال آخر هو مسخ قيمه الارضيات و جمالياتها . فمن رحمه الرحمن تعالى و فيوضاته أنه خلق هذا المستوى الارضي على شاكله معينه و هي أن باب الضروريات فيه متعه و لذه . فمثلا غذاء البدن أمر ضروري لبقاء البدن و نموه . فمن الرحمه أن كان الأكل و الشرب عموما فيه لذه و متعه للآكل و الشارب . و كذلك للبقاء البشري التناسل ضروري ، فكان باب حصول التناسل و هو النكاح فيه لذه و متعه . و هكذا . ثم جاءت الشريعه النبويه و زادت من هذه المتع الطبيعيه متع معنويه و آداب راقيه تزيد من لذه الطعام و النكاح و ترفع من شأنهما و تبسط في هذه الرحمه الكامنه فيهما . و لكن ماذا يحصل لمن لا يجد أي متعه في حياته إلا المتع الأرضيه ؟ الذات الانسانيه قائمه على أمور ثلاثه ، الروح العرشيه و الاعضاء السماويه و البدن الارضي. و الطعام ضروري لكل هذه الابعاد و المستويات . و لهذا قال في سوره المائده " ليس على الذين ءامنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا " بالاطلاق ، ثم ذكر ثلاث مراتب للطعام فقال " إذا ما اتقوا و ءامنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و ءامنوا ثم اتقوا و أحسنوا و الله يحب المحسنين " ، فالأمر كله يدور حول الطعام ، الذي هو العطاء الرباني للذات في كل مستوياتها. و الله " يطعم و لا يطعم " ، فكل ما سوى الله له طعام ،

طعام يجعله يبقى و يجعله ينمو و يجعله يستمتع و يلتذ و يفرح . الإله هو الذي لا يأكل الطعام ، بمعنى أنه لا يستمد في أي ناحيه من نواحي ذاته بما هي . بل يمد و لا يستمد . و على هذا الاصل الحقيقي قال في ابطال الوهيه المسيح و أمه " كانا يأكلان الطعام " . كل الطعام . فعيسى تعلم الكتب و الحكمه و التوريه و الانجيل ، و مريم اكلت من الرزق الذي جاءها من عند الله ، و قس على ذلك في بقيه الطعام . و الملائكه تأكل الطعام المناسب لها ، و منه العلم ، " يآدم أنبئهم " . فكل ما سوى الله يأكل من يد الله . و حيث إن عدم الطعام يؤدي إلى الموت او المرض ، فإن عدم اطعام الروح و عدم اطعام الفكر و الخيال العالي ، يؤدي إلى موت هذه الاعضاء او ضعفها او احتجابها احتجابا شديدا . و بهذا ينقبض وجود الانسان ، فتضيق عليه الارض بما رحبت، و حق له ذلك . و من نتائج ذلك بروز نزعه " و تفاخر بينكم " و نزعه " تكاثر في الاموال و الاولاد" . و لكن من النتائج الاخطر هو انفكاك الباب عن البيت . أي أن الطعام البدني لا يصبح كأصل طعام للصحه البدنيه و كفرع للمتعه و للذه ، بل يصبح الطعام كله للذه فقط و أحيانا يكون للذه كأصل و للصحه كاستثناء . من هذه النتيجه فقط تستطيع أن تبرر معظم الحاله البدنيه السيئه التي يعيشها الكثير جدا من الناس في هذا العصر المظلم . و كلما ازدادت "حضاره" الناس ، كلما ازداد سوء اهتمامهم بأبدانهم و صحتها اللهم إلا قليلا هنا و هناك ، و حتى هذا الاهتمام غالبا ما يكون قائم على أسس غير راسخه ، بل لعله يكون أقرب إلى العاطفه الغير واعيه أو شئ من توقع الخلود في الارض إن تم الاهتمام بتغذيه الجسم، و لا يوجد خرافه توازي هذه عند البشر . و كذلك النكاح يصبح "جنس" . أي يتم فصل قيمته التناسليه عن قيمته الالتذاذيه التي هي باب القيمه التناسليه ، فضلا عن أن القيمه الرمزيه المعنويه تنكسف بل تنخسف بل تنحسر و تهوي في واد سحيق . فيصبح الأصل بالنسبه لمن يريدون اللذه هو الالتهام و الجنس . و حيث إن الواقع في هذه الاشياء أنها محدوده حدا شديدا ، بل إن دوام تحصيلها يعني يتناسب عكسيا مع مقدار اللذه التي توفرها ، فإن هذا يتفرع عنه أمرين : الأول شعور بغم شديد لتناقص مقدار اللذه ، و الثاني هو اختراع تعقيدات لهذه الاعمال حتى يكون لهذا التعقيد قيمه اضافيه في اللذه لا تتحصل بالبساطه الطبيعيه . و من هذا المرض الثاني نشأت هذه الاطعمه و الاشربه الاصطناعيه و المعقده و المركبه و المزخرفه، و من المتوقع أن الجسم البشري لا يفهم هذا النوع من الاطعمه إلا ككائنات غريبه تدخل فيه ، و بالتالي يجد معاناه شديده في هضمه ، و من البديهي أن تكثر الأمراض في مثل هذه "الحضارات" . و حدث و لا حرج عن هذه الامراض البدنيه و النفسانيه . و من الامور الاخرى التي تتفرع عن هذه الرؤيه و المنهجيه هو أمر اقتصادي . فحيث إن البشر أصبحوا لا يجدون كأصل قيمه لحياتهم إلا في مقدار الأطعمه و المتع الجنسيه المجرده ، فإن السعي لانتاج كميات هائله من الاطعمه يؤدي أحيانا - و قد أدى فعلا - إلى تصنيع أطعمه المهم فيها أن تكون لذيذه الطعم و لا تكون قاتله فورا ! تشبيه هذا النوع من البشر بالبهائم لا يصح . لأننا لا نعرف بهيمه تعيش بهذا الاسلوب الغبي . و لهذا صدق الله حين قال " أسفل سافلين " و قال " إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا " . فأحسن فرقهم كالانعام ، يأكلون المغذي النافع للبقاء المحض ، و أكثر فرقهم أضل سبيلا ، فلا علو عرشي و سماوي فيهم ، و بالاضافه إلى هذه الانتكاسه حتى لا يوجد حس غذائي نفعي مصلحي عندهم . الدوره عندهم هي : أكل ، جنس ، شئ من اللهو ، نوم ، وظيفه ، أكل ، جنس ، شئ من اللهو ، نوم ، وظيفه ...ثم موت. هذه الدوره الكامله ، مع اختلاف في بعض المراحل هنا و هناك . و الأعلى من هؤلاء ، من لهم نفس الدوره تقريبا ، اللهم أنه يوجد نوع جديد من الشقاء و هو التفاخر و التكاثر لمحض التكاثر و الشعور بالتعالي . و من أمثله ذلك فرعون الذي " علا في الارض " و هذا مضحك فعلا . و كأن العلو على حفنه من البشر الذين هم أسفل سافلين ، يعني علو حقيقي ! هذا يشبه نمله تتعالى في قريه نمل ، و تشعر بأنها تملك الامصار و الدول .

الأمثله كثيره ، و تحيط بكل جانب من الحياه الانسانيه . فأي رؤيه للكون غير الرؤيه النبويه ، لا أقل في أساساتها ، ستكون مزيد انحطاط و جهل و سخف و غم فوق غم . و لكن باشراق شمس الرؤيه و المنهجيه و الشرعه القرءانيه ، فإن عالما جديدا يتم خلقه . عالم موجود و قائم الآن في طوائف كبيره من الأمه ، و لله الحمد ، في شرق الارض و غربها ، و لكن لا يوجد لها قيام تام على مستوى اجتماعي . فحس الجمال الذي عبر عنه النبي بقوله " الله جميل يحب الجمال " قد احتجب وراء ستار من اسلاميين ناريين ، يطبقون نظريه ابليس في الاستخلاف و هم لا يشعرون ، و من جهه أخرى اسلاميين غربيين ، يتبعون مختزله العصر المظلم و سخافته و انكاره للتقاليد العرفانيه و اختزال المعارف القرءآنيه و خلط لبن القرءآن الخالص بفرث و دم الرؤيه الغربيه للوجود او منهجيتهم في التعاطي مع الكون و الوجود او لا أقل في قطف ثمار شجره زقومهم التي تنبت في أصل جحيم العالم السفلي بل أن تنبت في أصل سدره منتهى العالم العلوي ، ثم يأتوا بهذه الثمار التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، و يضعوا على رؤوس الشياطين أقنعه مزيفه من ايات و مرويات و حكايات "اسلاميه" ، على فرض أن هذه المفاهيم الغربيه الحداثيه الميته يمكن دمجها بالتقليد القرءاني العرفاني ، و كأن روح محمد يمكن أن تظهر في جسم ابي لهب ، بل كأن تسميه ابي لهب باسم "محمد" يجعله فعلا محمد ، أو كأن وجه يوسف يمكن أن يكون كوجه القرده و الخنازير . حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم. فدين النبوه و روح الولايه و عقل المعرفه العاليه شئ ، و ما يقوم به الاسلاميون الناريون الوحشيون من جهه ، و الاسلاميون الغربيون الحداثيون من جهه أخرى شئ آخر . و الاسلامي الوحشي و الغربي وجهان لعمله واحده مهما ظهر أنهما متغايران جذريا خصوصا بأقوالهما . أقل ما يمكن أن يقال في اشتراكهما هو انكار التقاليد العرفانيه . و التي هي ليست أكثر من فقه القرءآن و ما علمه النبي للأمه بالاضافه إلى بقيه رسل القرءان و خلفاء النبي على مر القرون إلى يومنا هذا. و من سماتهم المشتركه كذلك الاختزاليه . و الاختزاليه فن غربي بامتياز . و كذلك عدم الوعي بحقيقه الانسان الكامل الذي هو خليفه الله و حقيقه الاسباب و التنوير . فالوحشي يظن بأن التغيير يمكن أن يتم بالنار السفليه ، فهو كمن يريد أن يأتي بالشمس من المغرب ، يريد أن يؤثر في الفكر و الروح عن طريق تهديد البدن و قهره . قاتلهم الله، أي فرق بينهم و بين الفراعنه إذن ! و أما الغربي فترى تركيزه الأساسي على "الأمور الفكريه " . و هنا يوجد اختزالين ، الأول هو عدم العلم بحقيقه ذكر الله ، و أنها الحقيقه العليا فوق الامور الفكريه ، بل في دائره ذكر الله تنشأ الافكار و المنهجيه الفكريه الراقيه و المرضيه عند الحق تعالى المتناسبه مع موازين الحق و الواقع في شتى مستوياته. و الاختزال الثاني هو في نفس تعريف " الامور الفكريه ". فترى غالبا أنهم من القوم الذين يأخذون بتعاريف للعقل و الافكار كما جاء بها فلاسفه او نمل الحداثه العصريه المظلمه ، كديكارت و كانت و ما اشبه على اختلاف في مستوى نمليتهم ، فبعضهم أعلى من بعض في ذلك. فالافكار في القرءآن ليست كالافكار عند هؤلاء النمل المختزله . بل يمكن أن نقول أن أدنى مستوى من مستوى الافكار القرءآنيه الانسانيه هو سقف الافكار البشريه الغربيه . فحيث يضع الانسان القرءآني قدمه ، يضع البشري الغربي رأسه . و قد تجد في هؤلاء الاسلاميين الغربيين نزعه الانتقائيه النصيه الممزوجه بالانتقائيه المعنويه . ما معنى ذلك ؟ الانتقائيه النصيه هي أنهم يبحثون في نصوص القرءآن و ميراث المسلمين على كل ما يمكن أن يحتمل الاشاره إلى المفاهيم التي عندهم و تعلموها و أسسوا لها شعوريا او لا شعوريا بواسطه كتب الغرب و فلاسفتهم ، من يحلوا لهم الأخذ منه بناء على أن " الحكمه ضاله المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها " و كأن النبي حين قال ذلك كان يقصد بالحكمه هذا الجهل و الكفر بالعرفان الذي أسس له نيتشه و ديكارت مثلا ! و هذا

كثير جدا في تعاطي الكثير من الاسلاميين مع القرءآن و ميراث المسلمين عموما . و هذا من الانتقائيه المعنويه ، أي يستخرجوا من النصوص التي يريدون المعاني التي يريدون . و هذا لا يكون إلا ببتر النصوص عن المنظومه المعرفيه القرءآنيه، و التي هي روح و جسم التقاليد العرفانيه في أمه محمد عموما ، علم ذلك من علمه ، و احتجب عنه من الله حجبه . و من المحجوبين يخرج من يريد أن يقرأ "التراث" قراءه "جديده" مما يتوفر معها شرط " التناسب مع العصر " لأن " العلوم " بطبيعتها " تراكميه " و القراءه التي قام بها "القدماء" هي قراءه "نسبيه" بحسب حدود "معرفتهم بالطبيعه و العلوم الأخرى". كل كلمه وضعتها بين علامتي تنصيص تشكل أصلا غبيا من أصول الاسلاميين الغربيين . و الدخول في تفاصيل ذلك ليس هذا موضعه ، و لكن نذكره للاشاره و كعلامات يعرف بها أهل هذه الرؤيه .
في جبهه رموز الاختزاليه و الجاهليه يوجد عباره " منكر للعرفان " يقرأها كل من له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد .

و ما يجتمع عليه المتفرعن البشري و الاسلامي الوحشي و الاسلامي الغربي هو عدم العلم بمقام الانسان و عدم العلم بكيفيه تحقيق هذا المقام ، و بالتالي عدم العلم بحقيقه القرءان . فالمتفرعن البشري لا يرى للانسان أكثر من بدن له غريزه حب المطعم و المنكح و يخشى التعذيب و الموت . و الاسلامي الوحشي يرى الانسان عبد لحلال و حرام و لا يلتزم هذا الحلال و الحرام في الغالب الأعم إلا بالقهر و النار و يستعين على قهر من يخالفه بالسلطه القائمه إن استطاع و اعطته السلطه اعتبارا ما. و الاسلامي الغربي عموما يحب السلام الاجتماعي - بقوله على الاقل و لا نعرف لهم قدره سلطويه لنرى مقدار حبهم الفعلي لهذه القيم- و لكنه يرى الانسان ككائن "مفكر و مثقف" و يميل إلى العاطفيه و الرومانسيه أحيانا كثيره ، و ينفر من الامور "الميتافيزيقيه" و يختزل العرفان في شئ من عواطف حب الله تعالى و حب النبي إلى حد ما ، مع عدم الوعي او عدم نشر الحقائق التي تقوم عليها هذه المحبه فحقيقه النبي مثلا تعتبر شئ من جعل النبي الها او شبه اله ، و التراتبيه في الخلق تعتبر اراده هيمنه على البشر بخدعه اثبات تراتبيه هرميه تكون السلطه احيانا ل "رجال الدين" و احيانا ل "رجال السياسه" او كلاهما ، و الاقرب عنده ان الخلافه في الارض تعني أن يكون الانسان غربيا حداثيا في عقله و ذوقه و سلوكه و في كل شؤونه اللهم إلا في الالحاد ، فكأن الانسان الكامل عنده هو الغربي الحداثي الذي يذهب إلى المسجد ، و يميل إلى الوعظيات التي تتعلق بالاخلاق الحسنه ، و لا ننسى أن نذكر أنه يعشق "النقد" ، النقد الموجه إلى "التراث" الديني في الغالب الاعم ، و الالحاد من حيث نفي أصل التوحيد المجرداو شئ مما يعقله آمثال هؤلاء بنظرهم الفكري القاصر ، و أما نقد ما سوى ذلك -خصوصا النقد الحقيقي للفكر الغربي الحداثي- فإما ثانوي و إما معدوم بالكليه ، إما لعدم الرغبه او لعدم المعرفه بالتقاليد العرفانيه الكبرى .

فما هو العامل المشترك بلسان آخر ؟ هو عدم معرفه معنى أن الانسان خليفه لله بذاته و مقتضيات هذه الحقيقه ، و عدم معرفه معنى " و جعلكم ملوكا " و مقتضيات هذه النعمه .

الله سخر العالم السفلي للانسان الذي هو خليفته . و هذا التسخير يعني أن يتم التعامل مع الطبيعه بحسب هذه الرؤيه الوجوديه و المنهجيه النبويه . فإن تغيرت الرؤيه تغير المنهج، و إن تغير المنهج تغير المنتج ، و إن لم يكن الانسان خليفه الله ، فإن العالم غير مسخر له ، و لهذا ستجد شئ من العداوه معه ، و ستجد الرغبه في "السيطره على الطبيعه" و ما اشبه من سخافات . و سيغيب معنى

أن تسبح الجبال و الطيور مع داود خليفه الله . فالطبيعه لا تصبح كتابا من كتب الله ، و كائن حي مسبح لله ، يجب تقديره حق قدره ، و احترامه و التعاطي معه بمعرفه راقيه و أدب انساني . هذا كله يصبح كلاما فارغا و "بدائيا" . بل يصبح اغتصاب الطبيعه و تعميه الانسان و تسطيحه هو الأساس .

الانسان وارث الأنبياء ، متقاطع جذريا مع بقيه البشر . فالانسان وارث الأنبياء واع بالوجود ، عارف بالكون ، موصول بعوالم الغيب مستمد من الكائنات فيها ، موصول بعالم الشهاده مستمد باحترام و تقدير من الكائنات فيها ، ممتلء بالعشق لحضره الحق تعالى ، يقيم حياته على أساس ذكر الله و التفكر في الخلق ، و اقامه القسط بقدر الوسع في المجتمع الارضي ،و هو القسط الناتج من فيوضات الذكر و الفكر ، و في حدود جماليات الشريعه التي هي ماء هذه الحياه . و تعاطيه مع بقيه الناس أصله الأكبر هو الكلام ، و قاعدته السلام . يدرك قيمه الأشياء و الأعمال ، و يسعى دائما لمزيد ادراك و علم بها . باختصار : هو قرءآن كريم ، و سعيه نحو هذا المقام.

" و لكل درجات مما عملوا " . و الحمد لله رب العالمين .

.....

٩- " قراءه الرجل في غير المصحف ألف درجه ، و قراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجه "

يقول الحق تعالى " لكل درجات مما عملوا " فكلما كان العمل مستغرقا لوجوه و طرق و أعضاء أكثر كلما كان العمل أكبر . فالذي يذكر الله بلسانه ليس كالذي يذكره بلسانه و يده و رجله ، و الذي يعمل عملا بالجزء المدرك الصغير من عقله كالأعمال الروتينيه ، ليس كالذي يعمل نفس العمل و لكن بالعقل الواعي العالي . فالانسان كالكون ، له درجات و دركات في ذاته ، كما هو الوجود الحق تبارك و تعالى المسمى باسم "رفيع الدرجات" و أسماء " الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " .
فالحق و الانسان و الكون على تراتبيه واحده من لدن ذات الحق الذي هو الله تتنزل في ذات الانسان الذي هو خليفه الله و تتنزل في ذات الكون الذي هو خلق الله . و على العموم ، لله وجهين بالنسبه لعوالم الخلق ، وجه الانسان ، و وجه الأكوان . و الوسيله إلى الله تكون بأحد هذين الوجهين أو كلاهما . و كلما تعددت الوسائل الموصله إلى أمر ، المتآزره المتصالحه مع بعضها البعض الغير متنافره بل المتناغمه ، كان الوصول إلى الأمر أقرب و أقوى. و لهذا قالت الروايه الشريفه بأفضليه القراءه في المصحف على القراءه المجرده . لأن القراءه عمل انساني ، و المصحف عمل كوني ، فكان التوسل بالعمل الانساني و بالعمل الكوني أقوى من التوسل بالعمل الانساني فقط . فجعلت الروايه ألف درجه للعمل الانساني ، و لكنها لم تجعل ألف درجه للعمل الكوني كحتم مفروض بل قالت " تضعف ذلك إلى ألفي درجه " . لماذا ؟ لأن شهود الله في الانسان كامل ، فالانسان باب مباشر إلى الله ، و لذلك يجد الكبرياء العظيم في ذاته ، و يجد الأنانيه و المعصوميه ، و يجد او يحب أن يرى نفسه محور الوجود ، و كل هذه و غيرها أشعه من حضور شمس الحق تعالى في قلب الانسان ، و لكن الغافل يظنها عين نفسه و لا يعي أنها أشعه جلال الله في ذاته ، فالكبرياء و العظمه لذات الله ، و أشعتها تصل أول ما تصل إلى قلب الانسان الذي هو خليفته . و لكن شهود الله في الأكوان في البدء على الأقل يكون غير كامل ، و ذلك لأسباب عديده ، من أهمها أن الانسان يحجب حقيقه الحق في الأكوان بمجرد حضوره فيها . لأنه يرى الأكوان مسخره له ، و دونه في المرتبه ، فيعز عليه أن يرى الحق حاضرا فيها ، و يصعب عليه أن يرى القدسيه و التسبيح في عوالم الطبيعه العلويه و السفليه . فالانسان يحجب اطلاقيه الله بذاته ، و يحجب حضور الله في الطبيعه بحضوره هو فيها . و لذلك قال القرءان عن الانسان أنه " كان ظلوما جهولا " . فهو ظلوم من حيث عدم احاطه وعيه باطلاقيه الحق الذي فوقه ، و هو جهول بأن الحق حاضر في الطبيعه التي تحته . و لهذا تنزل القرءآن كرحمه تكشف سر ظلمات التقييد ، و ترفع الجهل بقيمه الطبيعه الكونيه العلويه و السفليه ، فقال " سنريهم ءاياتنا في الآفاق و في أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد " . فاحتاج الانسان إلى وسيله لتريه الحق في الافاق و الانفس ، و لتذكيره بحقيقه شاهديه رب الحقيقه المحمديه على كل شئ .

المصحف هو أعظم حضور لله في هذا العالم ، من حيث الحضور الأكواني . فالفنون القدسيه ، أي المظاهر الكونيه في هذا العالم السفلي التي هي تجليات للمقدس الأعلى و الحقائق النورانيه السماويه ، لها تراتبيه معينه . و يمكن جمع كل الفنون في ثلاث خانات . الخانه الأولى هي الكتابه و الخط . الخانه الثانيه هي الصور الرياضيه و الطبيعيه و البشريه سواء كانت ثابته كالرسم و الهندسه و التماثيل و المباني ، او متحركه كالمسرحيات و الافلام . الخانه الثالثه هي الصوتيات ، سواء كانت اصوات آليه كموسيقى العود ، او اصوات بشريه و حيوانيه كالغناء ، او مزيج من

الاثنين . فهذه هي التقسيمات الاساسيه ، و بالطبع يمكن أن يوجد واحد منها او اكثر مجتمعين . لكل تقليد عرفاني معين ، و لكل أمه من الأمم ، اهتمام بجانب او اكثر من هذه الجوانب بناء على رؤيتها الوجوديه و منهجيتها في التعاطي مع الوجود و الكون النابعه من تلك الرؤيه . و بناء على ذلك تتحدد لها تراتبيه معينه ، فبعضهم يرى أن الرسومات في أعلى الهرم ، و بعضهم يرى الخط في أعلى الهرم ، و غير ذلك من تراتبيات و تفاصيل .

السؤال الآن : ما هي التراتبيه عندنا ؟ الجواب : أمتنا قائمه على أمرين ، لا يغني أحدهما عن الآخر شيئا ، و بسقوط أحدهما يسقط الآخر بالتبعيه ، و إن كان أحدهما أكبر من الآخر باعتبار خاص سنذكره إن شاء الله في محله . الأمه قائمه على البينه التي أنزلت علينا من لدن الله تعالى . و هذه البينه هي " رسول من الله يتلو صحفا مطهره فيها كتب قيمه " . فالركن الأول هو " رسول من الله " . و الركن الثاني " يتلو صحفا مطهره فيها كتب قيمه " . فالرسول و الكتاب . الرسول رساله في حد ذاته ، و لكن بدون الكتاب لا تكتمل رسالته . و لهذا قال له "يأيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، و إن لم تفعل فما بلغت رسالته ، و الله يعصمك من الناس " . لاحظ أنه قال "بلغ ما انزل اليك " ثم قال " و إن لم تفعل فما بلغت " . من لا يفهم البينه التي هي رسول و كتاب ، سوف يستغرب من هذه الآيه و يظن أنه يوجد شئ آخر أمر الرسول بتليغه ، فيأتي بأمور خارج نص الكتاب العزيز و ينسبها له ، و لو تدبر لما فعل ذلك و لما استمر على فعله كل هذه القرون . و وجه الاستغراب هو قوله "بلغ" ثم قوله "فإن لم تفعل فما بلغت " . فهذا يشبه أن اقول لك : اعط فلان كذا ، فإن لم تعطه فإنك لم تعطه ! و يبدو هذا الكلام كتحصيل حاصل و لا فائده منه . فجاء الغريب و قال : إن الذي أمر الرسول بتبليغه هو أمر معين خارج الكتاب ، فعندها استقام عنده ، فكأن يقول للرسول : إن لم تبلغ هذا الأمر المعين فإنك لم تبلغ الرساله التي بعثتك بها ، فكأن هذا الأمر مهم كالرساله كلها . و الواقع أنه لا محل لذلك كله . و الآيه أبين و أوضح من ذلك . الآيه تقول " يأيها الرسول " و هذا اثبات للركن الأول من البينه ، " رسول من الله " . و هو في حد ذاته رساله من الله ، كما قال "لقد كان لكم في رسول الله أسوه حسنه " . فهل يكفي الرسول أن يكون أسوه حسنه للناس ، فيعمل في نفسه بما أمره الله به ، و يقتد بالأنبياء الذين قال له في سوره الأنعام " أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده " ، أي أن يكون أسوه حسنه و حسبه ذلك ، أم أنه عليه أن يبلغ للناس ما أنزله الله عليه من الكتاب و الحكمه ، كما قال في الأوامر " و أن أتلو القرءآن " ؟ في هذه الآيه جاء الجواب من لدن الحق تعالى فقال " يأيها الرسول : بلغ ما أنزل إليك من ربك " و لا نحتاج إلى تطويل للتنبيه على أن ما انزل إليه من ربه هو هذا الكتاب و القرءآن العظيم . و هو الشق الثاني من البينه ، و بالتالي إن لم يبلغه للناس فإن رساله الله التي كلف بها الرسول لن تكون قد بلغت حيث يشاء الله ، فالأسوه الحسنه محدوده في القوم الذين يرونه و يعاشرونه ، و الرسول مبعوث للناس ، و رحمه للعالمين ، و هذا أقل ما يقال ، فبدون الكتاب لا تكتمل الرساله، فقال له " و إن لم تفعل " أي لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك " فما بلغت رسالته " ، و هذا لأن سقوط أحد ركني البينه يسقطها كلها . و حيث أن الرسول نفسه مأمور باتباع الكتاب و الاقتداء بمن ذكرهم الكتاب ، و حيث أن الكتاب كلام الله و الله فوق الرسول ، فلهذه الاعتبارات و غيرها كان الكتاب أكبر من الرسول . و هذه الآيه و غيرها تبين أنه لا تقوم رساله الله بالرسول بدون الكتاب ، و لكن إن كان يوجد احتماليه لقيام أحدهما دون الآخر ، فهو قيام الكتاب بدون الرسول . لأن الأساس الارضي للرسول هو كونه أسوه حسنه في اسلامه لله و تعامله مع كتاب الله و قيامه بأمر الله . و لكن الرسول يموت ، " و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " . و بالتالي لا يمكن أن تحفظ تعاملات الرسول

الأول و أسوته الحسنه إلا في كتاب ، و بالتالي تصبح هذه الكتب المكتوبه عن الرسول من حيث المظهر و الوسيله ككتاب الله ، أي أنها تصبح كتب ، و كتاب الله أعظم الكتب بلا مقارنه ، و فيه ذكر للأنبياء و قصصهم الذين أمر الله الرسول الأول بأن يقتد بهداهم ، بل قال الله أن الأسوه الحسنه يمكن أن تستفاد من المكتوب ، أي بدون الضروره القاطعه للاسوه المتجسمه ، كما قال في ابرهيم " لقد كانت لكم اسوه حسنه في ابرهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم... " و من هنا نقول أن الاسوه الحسنه المكتوبه يمكن أن تغني عن الاسوه الحسنه المتجسمه ، و إن كان اجتماعهما أولى و أتم .

فالبينه التي هي قاعده و روح أمتنا ، الأمه المحمديه ، تقوم على أمرين ، و لكن الأمر الأول الذي هو "رسول من الله" قد يكون مكتوبا و قد يكون متجسما و قد يكون كلاهما ، و الأمر الثاني هو "صحفا مطهره" و هو كتاب الله الذي بين أيدينا .

كل الفنون و التقاليد التي نشأت و لا زالت قائمه و لا زالت تنشأ في المسلمين المحمديين ، تنبع من البينه التي ذكرناها ، و تسبح في حدود دائرتها . و بما أن الأولويه و الأكبريه هي لكتاب الله، فإن أول و أكبر صوره من صوره الفنون هي ما تعلق بكتاب الله . فمن حيث تلاوته نشأ التجويد . و من حيث خطه ، نشأ الخط و تطور . و من حيث شكل الكتاب و جمالياته الزخرفيه نشأت الرسومات و الاطارات و حجم الورق و نوعيته و ما سوى ذلك مما يصنع منه الكتاب في شكله الخارجي . و كما ترى فإن المحوريه الكبرى كانت و لا زالت للكتاب . فنحن أمه كتاب . و لهذا في تاريخ الأمه تجد ما يشبه الهوس بالكتب و شؤونها . و ما أجمل هذا الهوس ! نسأل الله أن يبعث فينا الهوس من جديد . و الشئ الذي يوحد بين التجويد الصوتي ، و الخط الكتابي ، و الشكل الخارجي ، للقرءان الكريم ، يمكن تلخصيه بعباره واحده : الله جميل يحب الجمال . فالجمال المقدس هو الأساس و القاعده التي يقوم عليها كل ما له علاقه بكتاب الله .

فللقرءان جانب تجريدي و جانب تمثيلي . الجانب التجريدي هو الذي تقول عنه الروايه التي صدرنا بها الباب " قراءه القرءان في غير المصحف " . فأنت تقرأ من ذاتك بذاتك . و هو الجانب البدوي في الانسان . الجانب التمثيلي هو الذي تقول الروايه عنه " قراءه القرءآن في المصحف" . فأنت تقرأ من خارجك بذاتك . و هو الجانب المدني في الانسان . و الفنون عموما تنقسم إلى فنون بدويه و فنون مدنيه . فالبدو من حيث أنهم يتنقلون كثيرا ، و من حيث قله او انعدام وسائل الصناعه و الحفاظ على الاغراض ، و من حيث أنهم يتعاملون مع الجانب المطلق في الطبيعه أي الجانب التجريدي الظاهر في الصحراء ، فإنهم أميل للجانب التجريدي من الفنون ، بمعنى الأمور التي يستطيعوا أن يحافظوا عليها في ذواتهم فقط ، كحفظ القرءآن او الاشعار ، الفنون الكلاميه بصوره عامه . و بناءا على التراتبيه الارضيه : معادن ثم نبات ثم حيوان ثم بشر ، و على اعتبار هذه التراتبيه من الأعلى إلى الأسفل ، فإن المعادن تمثل الجانب الإلهي في الوجود من حيث التجريد و العلو ، و بهذا الاعتبار الفن البدوي أقرب إلى الله من الفن المدني الحضري. لأنه أقرب إلى التجريد و الاطلاق . فجاء القرءان بخاصيه الحفظ في الصدور ، ليكون لمن غلبت فيهم النزعه البدويه (حتى لو كانوا يسكنون في المدن بأجسامهم فإن مدار الموضوع هو على محل سكن القلب فتأمل) . و أما صناعه الكتب ، و ما سوى ذلك من أمور لها وزن بدني ، فإنه أميل إلى الفنون المدنيه الحضريه . و لهذا جاء القرءان بخاصيه الحفظ في السطور ، ليكون لمن غلبت فيهم النزعه المدنيه . و كلا النزعتين البدويه و المدنيه في الانسان ، و الانسان الكامل . فالقمه في الوعي و العقل أن تتمثل الحقائق في ذاتك ، و

تحملها في ذاتك ، حتى لو أخذتها من خارجك ككتب او تماثيل او رسومات او مباني هندسيه قدسيه و نحو ذلك . فإن تمثل الحقيقه في الذات هو محصله النظر في ما هو خارج الذات . و بالتالي مآل الفنون المدنيه هو إلى الفنون البدويه . و لكن في الفنون المدنيه من البسط و التيسير و التوسع و الراحه ما لا يوجد في الفنون البدويه . بل إن حياه البداوه من صعوبتها و شقائها تؤدي في الغالب إلى جفاء او غلظه او قله اهتمام بالمعرفه العاليه بل بالمعرفه و العلوم عموما اللهم إلا قليلا و باستثناء . و من هذا الجانب قال حضره الحق تعالى " الأعراب أشد كفرا و نفاقا و أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله " . و لهذا كان الاهتمام بالمدنيه من حيث المظهر ، و إن كان الحقيقه البدويه أعلى من حيث القرب الإلهي و من حيث المآل و من حيث المستوى التجريدي العالي . و لكن الحقيقه البدويه و فنونها المعنويه شئ ، و المعيشه في الصحراء و ما تولده هذه المعيشه من انماط قلبيه و فكريه و سلوكيه و شعوريه شئ آخر . الأعرابي في القرءآن هو الثاني عموما ، و ليس الأول . و واضح أن هذا لا ينطبق على كل الافراد ، كما أن سكان المدن أقرب إلى الغفله و الفجور من حيث الشعور بالأمن و تيسير الاجتماع و الأمور المعيشيه نسبيا ، فالكلام هنا أعلى من الحديث عن هذا الشخص او تلك الجماعه .

فالحاصل ، أن القرءآن من حيث فنونه و ظهوره و حضوره بين المسلمين و الناس له خاصيه بدويه و خاصيه مدنيه . البدويه هي الحفظ في الصدور، و القراءه في غير المصحف و هذه لها ألف درجه . و المدنيه هي الحفظ في السطور ، و القراءه في المصحف ، و هذه لها حتى ألفي درجه .

إن حضور القرءآن في خاصيته المدنيه ، أي من حيثيته الكتابيه ، هو الأساس الأول و الأكبر لكل الفنون في التقاليد العرفانيه للأمه المحمديه . و من هذا المبدأ تنزلت الكثير من الفنون المتنوعه المرتبطه به و المنبثقه عنه ، كالمساجد و تصميمها و هندستها و شؤونها المختلفه . و لكن الأمر الآخر الذي كان له مدخليه تأصيليه في الأمه المحمديه هو الذي تفرع عن مبدأ "رسول من الله". أي الجانب الانساني في الطريقه النبويه . إي جانب الانسان الذي يحمل القرءآن في نفسه ، و يعقله و يفقهه ، و يقوم به ، و يدعوا إليه ، و يعلمه للخلق . و أول إنسان في هذه الأمه هو الرسول الأول صلى الله عليه و آله و سلم ، المولى محمد النبي سلام الله عليه. و الوراثه المعرفيه و الروحيه و العقليه و المعنويه له سلام الله عليه تسلسلت و تنزلت بعد ذلك في الأمه عموما بقدر ما ، إذ لكل مؤمن نصيب من الإرث قل أو كثر ، و لكن الحظ الأكبر هو لأفراد معينين ، خصوصا العرفاء و الأولياء و العلماء على اختلاف مشاربهم و طبقاتهم و درجاتهم . و من إقامه أصل " رسول من الله " الذي هو الجانب الانساني من روح أمتنا التي بعثها الله تعالى ، كان الاهتمام الطبيعي المنطقي التلقائي العفوي بشخصيات الرسول و من ورثه في الحظ المعرفي و المعنوي من بعده إلى يومنا هذا . فنحن لا نرى في عرفاء الأمه و أولياءها إلا امتدادا للرسول الأول عليه السلام ، كامتداد الولد عن والده ، و التلميذ عن استاذه، و كالثمره عن الشجره ، بل امتداد أعمق من ذلك كله . فحضور الرسول الأول عليه السلام ليس فقط حضور تعاليمه و سنته و ما أشبه ، و إن كانت هذه مهمه طبعا و ليست هي موضع بحث هنا ، و لكن حضور رسول الله في الأمه يعني هنا حضور الانسان القائم بالرساله و المرسل لها و المعلم للكتاب و الحكمه و المزكي للأنفس ، كما جاء في أعمال الرسول في دعوه ابرهيم و اسماعيل و في تقرير الحق تعالى بهذه الدعوه ، فقال في المهمات : يتلو عليهم ءآياتنا ، يزكيهم(مره قبل و مره بعد التعليم) ، يعلمهم الكتب و الحكمه ، يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون . كل طبقات العرفاء و الأولياء و العلماء في الأمه المحمديه تتفرع و تتنزل عن هذه الآيه الكريمه. فالذين

يعلمون تلاوه الكتاب طبقه ، و هي التي اشتهرت بعد ذلك بطبقه القراء ، و الدقه كان ينبغي أن تعطي تسميه أخرى لأفراد هذه الطبقه ، فقراءه القرءآن ليست تلاوته و إن كان المعنى متقاربا من حيثيه ما ، و لكن لا بأس ليس هذا موضع التفصيل في مثل هذا . فهذه طبقه القراء التي تتفرع عن العمل الأول للرسول سلام الله عليه " يتلوا عليهم ءاياتنا " ، و من لوازم هذا المبدأ نشأ علم الخط القرءاني ، اذ خط القرءآن و نشر الكتاب هو من صور تلاوته على الناس، هذ التلاوه الصامته بتقديم الماده المتلوه . و العمل الثاني هو " يعلمهم الكتب و الحكمه " ، لاحظ أني أكتب خط " الكتب " و ليس " الكتاب " بالمفرد ، و هو خط الكلمه في الآيه و إن كانت القراءه المشهوره بالافراد ، و لا نرى ذلك ، إذ الخط هنا يعطي الجمع و لا يوجد في السياق ما يفرض او يرجح قراءه الافراد ، و وجود كتب في هذا كتاب الله ثابت في قوله "يتلوا صحفا مطهره فيها كتب قيمه " و هو المعنى الأنسب لهذه الآيه . فتعليم الكتب يعني على الأقل ثلاثه أمور : تعليم كيفيه قراءه الكتب و قد كان الرسول يعمل على تعليم الناس القراءه إن كانوا لا يعلمونها كما هو معروف ، و تعليم مواضيع الكتب القيمه ، ككتاب الصلاه و كتاب الايمان و كتاب الجهاد و كتاب العلم و غير ذلك من مواضيع في كتاب الله تعالى ، و هذه ظهرت بعد ذلك في المرويات النقليه عن النبي عليه السلام ، و التي عرفت لاحقا باسم الحديث النبوي و السنه النبويه على اختلاف انواعها و طبقاتها و رواتها و ما سوى ذلك من شؤونها . فالكتاب يقرن بالحكم بين الناس ، و بالقيام بالقسط مثلا ، كقول الله " إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " ، و كقوله في سبب لانزال الكتاب و الميزان " ليقوم الناس بالقسط ". و غير ذلك من شؤون الكتاب العزيز . و الأمر الثالث هو تعليم روح الكتب و سرها بالوراثه ، فذلك التعليم هو تعليم بالدراسه ، فتعلم القراءه و الكتابه ، و تعلم مواضيع معينه بالدرس و السماع و التفكير العادي ، هذا كله من شؤون التدبر و الأخذ الذي ينتمي إلى مرتبه "و يهدي إليه من ينيب " ، و لكن يوجد مرتبه قبل هذه تقول " الله يجتبي إليه من يشاء " ، و هذا الاجتباء جذب من الأعلى للأدنى ، و لكن الانابه صعود من الأدنى إلى الأعلى . و كلاهما على خير ، و لكن فرق بين درجه " يجتبي إليه " و درجه " يهدي إليه " ، و فرق بين من كان معراجه قائم على براق المشيئه الإلهيه ، و بين من كان ارتقاؤه قائم على سلم الإنابه الانسانيه .
فتعليم الرسول للناس ، ككل شئ في الكون ، لا مساواه فيه لا من حيث الوسيله و لا من حيث النتيجه. و من يدعي أن علم ابرهيم بالله و أمر الله هو كعلم لقمان او مؤمن يس او فرد من المؤمنين الذين يأتمون بابرهيم ، فقد قال شططا و ستكتب شهادتهم و يسألون . و أنى يتساوى النبي بالرباني بالحبر بالذين هادوا ، ما لكم كيف تحكمون . و أنى يتساوى الرسول بأولى الأمر الذين دونه ، أو يتساوى أولوا الأمر بالمؤمنين الذين أرشدهم الله بطاعتهم كأصل . كيف توجد مساواه و الله يقول " هم درجات عند الله " . كيف تتساوى مقاماتهم و أعمالهم غير متساويه حتما ، الأعمال الظاهره و الباطنه ، و الحق يقول " و لكل درجات مما عملوا " . و هل يتساوى ءادم مع الذين أمرهم الحق بالسجود لأدم . " قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب " . فتعليم الكتب الإلهيه ، سواء كان من قبيل قول علي عليه السلام عن تعليم النبي له " بابا من العلم ينفتح لي منه ألف باب " ، و هو تعليم بحضور جسم النبي الحي بالحياه المشهوره ، أو كان بتعليم باشراق روح النبي في عالم الغيب على قلب الوارث، و في النتيجه حتى التعليم بحضور جسمه الشريف لم يكن إلا باشراق روحه الطاهره المطهره ، ففي الذوات المقدسه و المكرمه سيان إن كانت الروح حاضره في البدن أم متحرره منه ، بل تحررها من البدن الكثيف أقوى لها و أكمل في الامداد .
فالرسول بل كل الرسل ، بل كل الانبياء و الاولياء و العرفاء ، روحه مشرقه في عوالم الغيب ، و هو عليه الصلاه و السلام سراج منير ، سراج كالشمس و منير كالقمر ، و حضور شمسه و قمره

قائم لا يزول و لا يحول في سماء عالم الغيب ، العالم العلوي ، و كما يستمد من خرج من القبور و الكهوف المظلمه من هذه الشمس التي تراها فوق رأس بدنك في النهار ، كذلك يستمد الورثه من شمس النبوه و قمر الولايه و كواكب العلم و الحكمه و القوه . و إنما يستغرب هذا من يسكن داخل القبور، كاستغراب من يسكن داخل قبر في الدنيا او تحت الأرض من حديث الناس عن السماوات و الانهار و الاشجار الطيبه ، أو المشلول الذي لا يتحرك الذي يستغرب من حديث الناس عن المشي و زياره الاصحاب و الاخوان و الاخذ منهم . و أما الأحياء فالأمر عندهم طبيعي كما أن رؤيه السماء و نجومها ، و التحرك في الارض و مناكبها و الأكل من ثمارها طبيعي بالنسبه عند البشر السليم المعافى . نسأل الله السلامه و العافيه .

فالحاصل أن تعليم الكتب على ثلاثه أنحاء ، و حتى على قراءه " الكتاب " بالمفرد الأمر سيان ، و لكن تلك القراءه أكثر تفصيلا، و لكن الأمر قائم على الوجهين . النحو الأول هو تعلم القراءه و الكتابه . النحو الثاني هو تعلم مضامين الكتاب المختلفه و كيفيه التدبر و استنباط العلم و الحكم و التعاطي و التفاعل مع كتاب الله عموما . النحو الثالث هو تعلم سر الكتاب و حقائقه العاليه ، بالكشف و الشهود ، و هو المعرفه المقدسه .
و للنحو الأول أقيم ما عرف بالكتاب ، بضم الكاف و تشديد التاء ، و فيه تعلم أسس اللغه العربيه و حفظ القرءان في الصدور أحيانا بالاضافه إلى مبادئ هذه الأمور بما يناسب الصبيان ، و كان هذا أمر أساسي في ثقافه المسلمين في شرق البلاد و غربها ، و الذي بدأ منذ نحو قرن في الانحسار مع الأسف و إن بقيت آثاره في بعض الاماكن ، و لكن مع حلول النظم الغربيه في التعليم و التي أقيمت على أساس التعليم الجماهيري بالاضافه إلى أسس أخرى أقل ما يقال فيها أنها غبيه ، و ها هي أثارها و ثمارها بارزه في الأمه المحمديه .

و للنحو الثاني أقيم ما عرف بالفقه و التفسير و الاحاديث و التاريخ و الأصول بشقيها الكلامي و الفقهي و ما سوى ذلك من علوم ظاهريه المفترض فيها أنها وسيله إلى فقه ظاهر الكتاب في جوانبه المختلفه . و هؤلاء هم علماء الظاهر ، و لكل طائفه منهم مسالك و مشارب و طبقات معروفه .

و للنحو الثالث أقيم ما عرف بالعرفان و التصوف . و هؤلاء هم علماء الباطن ، و هم أيضا على مشارب و طرق متعدده ، فمثلا مشرب الشيخ الأكبر ابن عربي ليس كمشرب مولانا جلال الدين الرومي ، و طريقه كتابتهم و وسيله توصيلهم لمطالبهم و مكاشفاتهم و تنزلاتهم تختلف في الصوره و المعنى و الجو النفسي ، و لكن الحقائق واحده ، الطريقه الرفاعيه ليست كالطريقه النقشبنديه ، و كلاهما ليس كالطريقه المولويه ، و هذا مبحث ضخم و عظيم ، و لكن نذكر هنا اشارات فقط .

و تعليم الحكمه ، و التي هي كأصل تتمثل في قصص الأنبياء و التي هي أنباء الغيب ، و في الأخلاق التي تفيض ممن عرف الحقائق كالتي ذكرها في سوره الاسراء " و لا تقف ما ليس لك به علم " و غير ذلك ثم قال الله " ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمه " . و الحكمه في الأساس هي ما يحكم بين أمرين فما فوق ، و يربط بينهما . و هنا هي ما يربط بين العلم بالكتاب و بين العمل به و تمثله في مختلف مستويات الوجود الانساني و بالخصوص المظهر الارضي . فالحكمه بهذا الاعتبار هي ربط الأعمال البدنيه و الاجتماعيه ، أي الاعمال الارضيه، بالمعارف الروحيه العقليه المعنويه ، فالدين معرفه و شريعه ، و الشريعه تترفع عن المعرفه و تستمد قوتها و روحها بل قيمتها من

المعرفه ، و بلا معرفه لا شريعه ، بل نفاق كان ما كان بعد ذلك . و هذه مسأله مهمه جدا . الفصل بين المعرفه و الشريعه ، هو تحويل للشريعه إلى مظاهر نفاق ، و جثث باليه ، و نجوم منكدره لا تشع نورا و لا تهدي قلبا و لا تنشر فرحا و بسطا . و قد أصيب التصوف في مقتل حين بدأ يشيع أن " التصوف أخلاق و سلوك و تربيه" على خلاف " التصوف الفلسفي الباطل " ! و العياذ الله . الزعم بأن التصوف سلوك ، و أن "تصوف ابن عربي" مثلا هو تصوف باطل ، او نحو ذلك ، هو جريمه في حق القرءان ، جريمه في حق الانسان ، جريمه في حق الرحمن ، جريمه في حق التصوف و العرفان . و هو شئ لطيف يقدم خدمه للشيطان . و لا يوجد كتاب تصوف واحد ، كتبه عالم من الصوفيه ، لا يقوم على العرفان ، بالعباره او بالاشاره . بل إن نفس العبارات "السلوكيه التربويه" كما يسميها القوم ، هي عبارات عرفانيه و هيكلها العرفاني و شجرتها العرفانيه التي أثمرت هذه العباره التربويه ، ظاهره لمن كان له بصر و سعه صدر و توفيق من لدن الحق و حسن امداد من لدن روح صاحب العباره و ناقلها . ها هو ميراث الصوفيه في شرق الأرض و غربها ، أتونا بكتاب واحد لم يكتب ل " الدفاع عن التصوف " ، سواء في القرون الخاليه او في هذا العصر ، إلا و ستجد أنه قائم على العرفان بدرجه أو بأخرى . دعوى امكانيه حصول تصوف بلا عرفان ، هو كدعوى امكانيه قيام انسان بشريعه الله و رسوله مع الجهل بالله و رسوله بل بالكفر بهما . من لا يعرف الأصول ، كيف يقيم الفروع . الدفاع عن التصوف أمر سخيف . لأن الدفاع عنه لا يكون إلا ضد خصم ينكر العرفان الذي ما التصوف إلا فرعه العملي ، فأي قيمه لمثل هذا الدفاع . ثم إن كان العرفان في لبه وراثه ، و لا يستقر في قلب أحد إلا بمكاشفه أو أخذ الطريقه على يد وارث محمدي ، فكيف يمكن أن "تقنع" أحد بالعرفان ! صدقني ، حاولت أن أقوم بذلك ، بل بشذرات من ذلك ، و بعد سبع سنين عجاف ، علمت صدق قول العرفاء عن أن هذا الأمر ليس هذا طريقه . النبي يقول " أنا أعلمكم بالله و أتقاكم له " . و هل المعادله بين العرفان و التصوف ، إلا تسميه مغايره لتسميه العلم و التقوى في كلام الله و في كلام النبي. قد تقول : و لماذا تغيير التسميه إن كان المعنى المقصود واحد ؟ الجواب : عندما يتم تشويه اسم ، يجب أن يتحول الانسان إلى غيره مع حفظ المعاني و التشديد عليها . و هذا ليس إلا كتشويه اسم "الفقه" و الذي هو الاسم الاوسع في القرءآن في مجاله ، عندما تم اختزاله إلى يجوز لا يجوز ، بالاضافه إلى احتلال " الفقهاء " مناصب سلطويه معينه في تلك العصور، حتى وصل الأمر لأن يقول الشيخ الأكبر " الفقهاء فراعنه الأولياء و دجاجله عباد الله الصالحين" في حق بعضهم بل لعله أكثرهم . و إن كان العرفان في فهم العرفاء ليس إلا الفقه و الفقهاء في الأسماء الحسنه للقرءآن ، و ليس إلا العلم و التقوى . لو بعث الحق رسول اليوم ، و عرضنا عليه العرفان و التصوف عموما ، لقال : العرفان هو العلم ، و التصوف هو التقوى ، فتعلموا العلم تلين أجسامكم للتقوى . التقاليد العرفانيه و الصوفيه التي هي أكبر من قام و لا يزال يقوم بأمر الأمه المحمديه ، في ماضي الأمه و حاضرها ، في شرقها و غربها ، عربها و غير عربها . لن تجد وراثه ، و لا تعليم و لا دعوه ، و لا أدب و لا حكمه ، و لا جهاد و لا قتال بحق ، و لا تآخي و لا محبه سلام ، لا جمال و لا جلال ، لا حب للعلوم و الفنون و لا تدقيق في المباحث و الأمور ، لا صله بالغيب و لا قيام بالشهاده ، لا عشق لله و لا خوف منه تعالى ، لا بين ايجاد صلات بين طوائف الأمه و فرقها ، و حدث و لا حرج عما تشاء من كل شؤون الأمه المحمديه ، و ستجد أن العرفاء الصوفيه هم أئمه كل هذه الشؤون و المبرزين فيها او لا أقل من روادها و القائمين بها و المؤسسين لها بعلم و شرع و إحسان . و اقلب كل ما فات ، و ستجد أن أعداء العرفان و التصوف هم أسياد كل ما فات ، كله كله أو تقريبا كله . فأعداء العرفان الصوفي أقل بكثير جدا من أن يتلفت إليهم اللهم إلا كمحبه الأخ الكبير للأخ الصغير المشاغب الذي بيده لعبه صغيره مزعجه و لكن لأن

الأب الذي له السلطه يدافع عنه و للشفقه عموما بين الأخ الراقي على أخيه و إن كان أخ من أم أخرى بل لعله من أب آخر أيضا و هو متبنى و وضعناه في البيت و اعترفنا له بحق البقاء للشفقه و خوفا عليه من التشرد و ملئ الأرض بازعاجه و شغبه و عسى الله أن يهديه و يجعله ينضج في القريب العاجل . و هذا من الآداب و سعه الصدر التي نحسنها نحن من خصومنا ، بل خصمنا الوحيد تقريبا ، و يا ليت للخصم مثل ذلك ، بل إننا نتحرج من تسميتهم بالخصوم لولا أنهم كذلك فعلا و قد بلغوا حدا من الخصومه يجعلنا لا نملك إلا نعتهم بذلك ، و لولا خشيه الله فيهم و رحمتنا بهم لسميناهم بأسماءهم . فحسبنا الله و نعم الوكيل . و نسأل الرحمن أن يرفع عن الأمه هذا البلاء و الوباء .

فالحاصل أن الحكمه ، و هي بوصف القرءآن لحقيقتها " و من يؤت الحكمه فقد أوتي خيرا كثيرا " ، تنتمي إلى عالم الخير ، و الحقائق لا يقال فيها خير و شر ، فالخيريه و الشريه منسوبه إلى القيم ، و هذا متناسق مع ما ورد في سوره الاسراء من وصف قيم اخلاقيه معينه ثم نعتها بأنها من الحكمه . و كذلك في قوله في آيه الملك " بيده الخير " ، و بيد الله الملكوت و الملك ، " سبحان الذي بيده ملكوت كل شئ " و "سبحان الذي بيده الملك " . و هذا هو معنى الظاهر و الباطن فيما يتعلق بالتقوى ، " ذروا ظاهر الاثم و باطنه " ، فالظاهر و الباطن في ما يتعلق بالتقوى هما ملكوت الانسان و ملكه ، أي نفسه و بدنه . فقول الله في الحكمه " و لا تقف ما ليس لك به علم " أمر له تعلق بالنفس كأصل ، فهو أمر ملكوتي ، و إن كان له بالطبع أثر بدني ملكي ، إذ كل أعلى يتجلى الأدنى . فللأفكار تأثيرات و تجليات ، شعوريه او لا شعوريه، مباشره او غير مباشره . و قول الله في الحكمه " و لا تقتلوا النفس " كأصل بهذا الاعتبار يتعلق بالتقوى البدنيه ، فقد تقتل غيرك عشر مرات بخيالك و أحلامك ، و لكن التقوى تفرض عليك أن لا تقتله و لا مره ببدنك ، و إن كانت التقوى الكامله و الوعي بالحقيقه سوف يجتث قتلك له حتى في مخيلتك بل حتى في أحلامك . ، هكذا في بقيه الحكم من هذه الحيثيه . و تجد من الأمثله القرءانيه- و ما أكثرها-على كيف أن الحكمه تقوم على المعرفه ، في قوله " و لا تقف ما ليس لك به علم " ثم قوله في نفس الآيه " إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا" . فالمسؤوليه أمر واقعي ، حقيقي ، و سيقع الحساب و السؤال شاء البشر أم أبوا، عرفوا أم جهلوا ، و لكل نبأ مستقر . معرفه هذه الحقيقه ، أي حقيقه المسؤوليه ، سواء في أبعادها القائمه في هذه الحياه اليوم ، أو أبعادها التي ستقوم في الحياه غدا يوم يقوم الناس لرب العالمين ، هو من أهم المبادئ العرفانيه التي تتنزل منها و تؤصل لفرع " لا تقف ما ليس لك به علم " . فاحذف هذه الحقيقه ، أي فلنفرض أن الله لن يحاسب أي انسان على أي شئ . و الآن قل لانسان " لا تقف ما ليس لك به علم " ، هكذا مجردا ، هل سيكون له أي معنى ؟ بالطبع لا . سيكون لغوا . و إن كان له وزن فإنما يكون وزن متزلزل ، بل يشبه بناء بيت على سطح بحر ، لا تلبث أول موجه فيها شئ من مصلحه سفليه او رغبه نفسانيه حتى تحطم البيت على من فيه . و التصوف ليس أكثر من " لا تقف ما ليس لك به علم " و ما شابه ذلك من أوامر. و العرفان ليس أكثر من " إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا" و ما شابه ذلك من حقائق بالطبع على اختلاف في مستوى الحقيقه بحسب أمور كثيره من قبيل العارف و المخاطب و نوعيه الأوامر او محض المكاشفه و المشاهده و التي تتفرع عنها أوامرها و تقواها بعد ذلك . و أما عمق الأبحاث العرفانيه ، فإن هذا أمر من عند الله تعالى يهبه من يشاء من عباده . و مثال بسيط على ما يشغب به الأخ الصغير ، هو موضوع " وحده الوجود " و يتعامل الأخ الصغير مع هذه المسأله و كأن العرفاء قد اخترعوها مبنى و معنى من رؤوسهم او ما هو أكثر مجبله للضحك " تعلموها من الهندوس " !

وواللہ لو قلبنا ظاهر كتب العرفاء و باطنها ، لن تجد في كل كلامهم و تفصيلاتهم و تشعباتهم و أبحاثهم ، أكثر من قول القرءآن "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " و قوله " فأينما تولوا فثم وجه الله" و قوله "كل شئ هالك إلا وجهه" و قوله " و هو معكم أينما كنتم " و قوله " هو الله أحد " و قوله " الله خالق كل شئ " و قوله " الواحد القهار " و نحو ذلك من آيات قرءانيه . بل ما يثير شفقتنا على الاخ الصغير أنه لا يدقق حتى في الكلمه ذاتها ، " وحده الوجود " . فماذا يريد إذن : ثنائيه الوجود! و ما الذي قسم الوجود بعد أن لم يكن منقسما ؟ الكلام هنا عن محض الوجود مأخوذ بالحيثيه المطلقه التجريديه ، و ليس الوجود هو الخلق ، الوجود أعلى و أشد تجريدا من الخلق المقيد . بل لا يمكن أن يحدس او يعقل او يشعر بأي ثنائيه لمحض الوجود . بل هذا هو المفهوم الوحيد الذي لا يوجد أثبت منه في الوعي ، و لعله لا يقاربه في البداهه إلا مسائل الرياضيات البحته . في كل شئ يمكن الشك ، و يحتمل الشك ، إلا في محض الوجود الذي هو واحد أحد مطلق و بسيط بهذا الاعتبار التجريدي . و من هنا قال نبي لقومه " أفي الله شك " على أعمق اعتبار في الايه . و النفي المطلق للشك لا يكون إلا لمحض الوجود . و أما كون فاطر هذه السماوات و الارض واحد او كثير ، فأمر يحتمل الشك ، بل وقع فيه الشك ، بل وقع فيه الكفر. فمن ينظر من أدنى لأعلى ، و يزعم بأن النظر في ما هو أمام عيني بدنه من مخلوقات و "بديع خلقها " و "حسن نظمها" و ما أشبه من خطابيات في هذا المجال ، لا تثبت شيئا على الاطلاق اللهم إلا سطحيه وعي صاحبها و عدم اهتدائه لطريق معرفه الحق . و هذا يشبه النظر في عماره معينه ، و إلى "بديع تصميمها " ثم استنباط أن صاحب هذه العماره هو فلان بين فلان . و أن الباني الوحيد لهذه العماره هو فلان بن فلان . و أن النظر في اسم العماره يعطينا اسم صاحبها ، و نيته الكامله في صنعها . و إن كنا لا نريد الدخول في هذا ، و لكن نذكره لعل الأخ المشاغب إذا نظر في هذا تذكر أو الطريق الوحيد إلى الله هو الطريق الذي وصلنا من النبي بواسطه ورثته من العرفاء و الصوفيه أو من شايعهم في مسلكهم عموما ، فسلك من الأعلى إلى الأدنى ، فعرف الله بالله ، ثم عرف الخلق بالله . و الوعي بوحده الوجود ، الذي هو الأساس البديهي المطلق الأول في الوعي المتجرد المتقدس عن كل القيود الارضيه او السماويه، هو باب بل بيت معرفه الله و معرفه رسله و كتبه و كل ما سوى ذلك من حقائق الدين و أوامره . و لهذا لن تجد منكر للعرفان و التصوف ، إلا و هو في الغالب الأعم يؤيد استعمال العنف في شؤون الدين و فرضه على البشر . طبعا الدين الذي يمكن استعمال العنف في فرضه ليس دينا نعرفه و لا نريد أن نعرفه ، فضلا عن أن يكون دينا منسوب إلى النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم ، أولئك ينادون من مكان بعيد بل من واد سحيق .

و الأظهر في العلاقه بين الكتاب و الحكمه هو أن الكتاب هو العلم و الحكمه هي الشريعه . و لهذا يقول " قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب " و " قال الذي عنده علم من الكتاب " . فالحكمه هي سمه الشريعه التي قال عنها " ثم جعلناك على شريعه من الأمر فاتبعها " . فكل هذه السمات ، كالحكمه و التقوى و الشريعه و الأمر و الوصايا و الحدود و الأخلاق ، تدور في فلك واحد ، فهي سمات متعدده لشئ واحد له مستويات متعدده و زوايا نظر كثيره . فتعليم الحكمه يكون بتعليم كيفيه استنباط الأمر الجسماني من العلم العقلي الروحاني . أي كيفيه تنزل العلم في حكم . و من دراسه ربط الله و عقله بين العلم و الحكم ، كمثال " لا تقف ما ليس لك به علم " و غير ذلك في طول القرءآن و عرضه ، يكون التفقه في هذا التنزل للعلم في صوره حكم . و في كل الأحوال ، الحكم إن لم يستند إلى العلم الذي تنزل منه ، فإنه يكون نفاقا ، أو يكون جثه ، أو يكون مؤقتا لا يسمن و لا يغني من جوع . و لو كانت تصح شريعه بلا معرفه ، لما ذكر الله لحكم أي علم . كما

تفعل القوانين الوضعيه مثلا . فهل تجد في القوانين الوضعيه ، التي تستند على قهر الحكومه لتنفيذها ، أي تبريرات علميه و عرفانيه ؟ اذهب و خذ نظره لترى . فالقانون في حد ذاته يعطى كمنتج يجب تنفيذه كما هو في مواده كأصل ، فهو لا يقول : افعلوا كذا لأنه يوجد كذا و كذا . أو : حكمنا بكذا لأنه كذا و كذا. و إن كان هذه التبريرات لها مواضع أخرى . و لكن القيام بنفس القانون لا يعتمد على "اقتناع" المواطن او المقيم في الدوله . و الحساب لن يكون على نيتك أثناء قيامك بالقانون، او علمك بأصله و سره و حكمته ، أو غير ذلك من شؤون انسانيه قلبيه . فالدوله لا يهمها لو كنت تلعن القانون في نفسك ليل نهار ، و ترى أنه أسفه شئ اختلقه بشر او حتى شيطان . المهم أن تفعل ما تقوله الماده القانونيه ، ثم اذهب و اعتقد ما تشاء فيه و في قيمته . فالقانون السلطوي قائم على أساس الرغبه في اتقاء عقوبه السلطه و قهرها . و لهذا يخرق القانون من يجد وسيله لخرقه إن كان في الخرق منفعه و أمكن تجنب وقوع عقوبه الجماعه القائمه عليه. الأمر في القرءآن على غير ذلك ، و الدين قائم على غير ذلك . و لهذا قال " لا إكراه في الدين". و من هنا نقول أن ما يمكن أن تكره الناس عليه ليس دين . مجرد إمكانيه الإكراه تنفي عنه سمه الدين فضلا عن وقوعه ، وقوعه تجعلنا نجزم بأن هذا ليس بدين . " أنلزمكموها و أنتم لها كارهون " . " أولو كنا كارهين " . كل ما يمكن الإكراه عليه ، تنعدم قيمته بانعدام الحيوه الدنيا . فالمسأله ليست دروشه ، او عواطف "ليبراليه" خاويه . هذه حقيقه . نرجع مره أخرى لمعادله العلم و التقوى ، العرفان و التصوف ، المعرفه و الشريعه . من لا يعلم هذه الحقيقه و أبعادها ، و لا يشاهد لبها ، لن يفهم فضلا عن أن يعمل بمقتضاها . بل لعل المغفل يجد أن اكراهه لأسرته او جيرانه او اصحابه او اقاربه او سكان بلدته على أمر "ديني" ما يعني أنه "غيور على حرمات الله" و ما أشبه من تبريرات تغطي الاغراض النفسانيه القبيحه بشاعه وجهها فتتقنع بها . و ليت التقنع ينفع ، بل التقنع شوه صوره القناع فضلا عن أنه زاد من قبح وجه المتقنع . شاهت الوجوه و انطمست القلوب ، و انمسخت العلاقه بين الرب و المربوب . و إنا لله وإنا إليه راجعون .

فالحاصل ، أنه نشأت في الأمه طبقه تعمل على تعليم الحكمه و القيام بها ، و من تعليم الحكمه أي الشريعه هو القيام بها ، فيكون القائم أسوه حسنه . و تفرعت فنون عن هذا الأصل ، كالكتب التي تتحدث عن العلماء و الأولياء ، و كذلك كتذكر هؤلاء العرفاء و الحكماء عن طريق بناء مساجد على او حول أضرحتهم ، و بناء المزارات و إن كان فن الأضرحه يقوم على أمور كثيره ليس فقط "تذكر" صاحب الضريح ، بل لذلك أثار كونيه أخرى و هو في حد ذاته رمزيه على حقائق معينه ، و من هذه الحقائق تتفرع الأعمال التي تقام عند الأضرحه المباركه .

أما التزكيه . فآيه أعمال الرسول ، و التي ذكرت مرتين ، مره تذكر التزكيه قبل تعليم الكتاب و الحكمه ، و مره تذكر التزكيه بعد تعلم الكتاب و الحكمه . و في كلا الأمرين التزكيه متعلقها واحد . و هو أن النفس تحتاج إلى تزكيه معينه حتى تستطيع أن تقبل التعليم ، و النفس تحتاج إلى تزكيه معينه حتى تستطيع أن تقوم بمقتضيات التعليم . فالنجاسه تمنع من المعرفه ابتداء، و لكن بعد المعرفه يمكن أن توجد نجاسه تمنع من قبول العلم كالمنافقين الذين يحضرون عند الرسول ثم اذا خرجوا من عنده قالوا " ماذا قال آنفا " ، او كحال الذين " جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا " ، او غير ذلك من حجب تمنع من قبول العلم بعد سماعه، او العمل به بعد قبوله ، و قد لا يستطيع أن يعمل بأمر من هو فعلا مؤمن و مخلص ، و لكن في النفس أمور تحول بين ذلك ، قد لا يعرفها هو نفسه ، و لا يرغب فيها ، و يدعوا الله أن يخلصه منها ، و يريد طريقه للخروج عنها و اكتشافها ، فهو

كالمريض الذي يكره المرض و يريد العافيه ، فيذهب إلى الطبيب الذي يزكيه بإذن الله و بحكمه أسباب الله . و التزكيه هذه هي التي قام عليها أهل التزكيه و التربيه و السلوك بالمعنى الأخص أو الجانب التربوي من التصوف المتعلق بالمريدين و هي كلمه اشتقتها القوم من قوله تعالى " يريدون وجه الله " ، كما أن كلمه الطريقه مأخذوه من قوله تعالى " و ألوا استقاموا على الطريقه لاسقيناهم ماءا غدقا".

بقي عمل آخر في الأعمال الأساسيه الأصليه للرسول ، بل كل الرسل ، و هو قوله " و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " . إن الإتيان بهذه العباره في هذه الايه يدعو إلى التعجب . فهل ما سبق من تعليم الكتاب و الحكمه هو مما يعلمه الناس حتى يجعل قسم خاص لتعليم " ما لم تكونوا تعلمون " ؟
الجواب : إن العلم على قسمين ، علم تعلمه و لكنك نسيته ، و علم لا تعلمه أصلا . العلم الذي تعلمه و لكنك نسيته هو العلم الروحي ، أي الكامن في روحك التي هي روح الله، فهو فيها بالقوه ، و قد كان يوما قد الهبوط إلى أسفل سافلين معلوما لك مشاهدا لك . و هذا هو العلم الذي يقصده الحق تعالى حين يقول " فذكر إنما أنت مذكر " ، لأن التذكير لا يكون إلا بالمعلوم ، فأنت تعلم ثم تنسى ثم تذكر . فالعلم بالشئ قبل تذكره . و الفاصل بين المرحلتين هو النسيان . فالعلم الحقيقي كله كامن في ذاتك ، و لكن استخراجه من أعماق ذاتك و تثويره هو الجهاد في سبيل الله و رسوله . و فيه قال أمير المؤمنين عليه السلام عن مهمات االأنبياء و الرسل " و يذكروهم منسي نعمته ..و يثيروا لهم دفائن العقول " . " العقول " هنا هو ليس العقل بالمعنى الحداثي المتسفل . و لكنه العقل العالي ، الذي قال علي عليه السلام عنه في موضع آخر أنه موضع تكليم الله لأولياءه، " كلمهم في ذات عقولهم " .
فالنعمه المنسيه هي نفخه الروح ، و المعارف و الحقائق و القدرات التي فيها هي العقل . و تعلم الكتاب و الحكمه يؤدي إلى هذا إن شاء الله و وفق المستجيب و هداه . و لكن معارف الروح " الجزئيه " إن صح التعبير ، إذ الله نفخ فيك "من" روحه ، و ليس كل روحه ، و إن كانت هذه المن ليست للتبعيض ، و لكن مجرد حصول النفخه دليل كاف على أن كل روح الله و سعتها فوق ما يتواجد في كل انسان ، ففي كل انسان شعاع من الشمس ، و أما عين الشمس و سعتها ففوق الشعاع الفردي . " يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا " . العلم الكامن في روحك ، على عظمته ، فإنه "قليلا" بالنسبه إلى الروح الكليه التي هي روح الله تعالى . و لهذا تفاصيل ليس هذا موضعها . و لكن ما نفهمه هو أن تعليم الرسول و ورثته "ما لم تكونوا تعلمون " ، متعلق بهذه العلوم الفوق روحيه . و كونه ذكر هذا القسم بعد أن ذكر التلاوه و التعليم و التزكيه ، فيه دلاله على أن هذا القسم من العلم يأتي بعد ذلك ، و هو من الزياده الخاصه للمخلصين الكاملين .
و هنا مسأله مهمه : فإن الانسان عاده ما يسعى إلى ربط كل ما يسمعه او يقرأه او يشاهده بمعلوم مسبق عنده . فإذا تلقى أمرا او دلاله لا مدلول لها عنده ، فإنه عاده ما يقوم بأحد أمرين، إما أن يرفض هذا الدال و يعرض عنه لسبعين سبب و سبب ، و إما يختزل هذا الدال الجديد فيربطه بأمر يشبهه او يهيئ له "حشو " من أهوائه على حد قول الإمام عليه السلام . و هذه العاده مشهوره عند الخواص و العوام في الناس على اختلافهم . فقبول وجود حقيقه في كلام ، بدون معرفه المدلول المباشر له في وقت السماع ، و أن تقبل بمعنى أن تسلم تسليما بمجرد صدور المعنى و دلالاته من الرسول او الوارث ، هذا يحتاج إلى نوع خاص من المكاشفه و درجه عاليه في الطريقه ، و الأقرب أنها لا تتأسس إلا على قاعده مراتب عاليه في التلاوه و الكتاب و الحكمه و التزكيه . و من الخطر أن تعرض هذه العلوم الفوق روحيه ، الفوق شخصيه، على أي حد . ففي هذا المعنى قيل " أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " و هو كلمه حق لطالما استعملت في باطل . فظن من لا فقه له أن

المعنى من هذه الروايه الشريفه هو أن نبقي البشر كالغنم الجهال و تقديم السطوح السخيفه و المستسخفه لهم بناءا على مقوله "أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم " . و لكن من يفقه يعلم أن المقصود هنا هو العقل العالي ، و يفهم أن المخاطبه المقصوده هي المخاطبه العامه " الناس " ، و ليس مخاطبه الخواص المقربين ، فلهؤلاء شأن آخر مبني على مراتبهم العاليه في الوعي الذاتي و المعارف الدينيه المختلفه و ثقتهم بالوارث القائمه على المكاشفه المعنويه و الجذبه القلبيه ، فقلب الفقه المطهر لا ينجذب إلا إلى من هو طاهر فيسلم بفتوحاته و معطياته ، " ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا " " و يسلموا تسليما " .

هذه الأعمال الرسوليه ، هي أعمال لا تنقطع بحال من الأحوال ، في زمن من الأزمان . "إنما أنت منذر ، و لكل قوم هاد " . و هؤلاء هم الذي قصدهم بقوله الحق " كونوا مع الصادقين " . و لولا أن الله يعلم بأنه يوجد " الصادقين " في كل قرن ، و إن اختلفت مراتبهم و درجاتهم ، لكان هذا الأمر الرباني يطرأ عليه البلطلان و العياذ بالله ، فضلا عن بطلان بقيه السنن و الأحكام الإلهيه التي قررت ذلك . فكل عصر فيه رسل من رسل الله . و هنا يطرأ بالتأكيد سبعين اعتراض من قبل مختلف رؤساء الطوائف في أمتنا المباركه . و نذكر هنا ثلاثه اعتراضات مشهوره و نجيب عليها بما يناسب المقام .

الأول : إن الرساله قد انقطعت و سيدنا محمد هو خاتم الأنبياء و المرسلين ، فيستحيل أن يوجد رسل لله بعد ذلك ، و لا ناسخ لها . و الجواب عن ذلك هو التالي : أولا إن محمد " خاتم النبيين " ، و الله لم يذكر في موضع واحد في الكتاب العزيز أنه يوجد أصلا شئ عنده تعالى اسمه "خاتم الأنبياء و المرسلين " . ثانيا ، إن السنن التي تؤكد وجود "الصادقين" و "هاد" و "نذير" في كل أمه و قوم هو أمر ثابت في عشرات بل لعله مئات إن لم يكن فوق ذلك من الآيات المباركه ، و أما الآيه التي تذكر " خاتم النبيين " فهي آيه واحده ، و المعنى المقصود من هذه الختميه و حدودها أمر أقل ما يقال أنه فيه تعقيد معرفي و ليس بالسذاجه التي يظنها البعض بل الجماهير من المستهلكين لبضاعه الدين ، و ليس من المحققين في علم الدين ، و أهل التحقيق في الأمه من العرفاء قد فصلوا في ذلك منذ القدم فلسنا نبتدع أمرا جديدا لم نسبق إليه ، و لا جديد في الحقائق العاليه في الغالب الأعم بل في الكل . ثالثا ، إن وجود "رسل لله " لا يعني الإتيان بشريعه جديده او علوم جديده ، أي بلسان القوم ، ليس المقصود هو "نسخ شريعه محمد" او ما اشبه . و ليس في كلام الحق تعالى أن النبي او الرسول يجب أن يكون معارضا للكتاب الذي قبله ، او الكتاب الذي يبعث بين يديه . فهو يقول في حق التوراه ، " إنا أنزلنا التوريه فيها هدى و نور ، يحكم بها النبيون الذي أسلموا للذين هادوا " . فها هم "النبيون " يحكمون بكتاب موسى . و كذلك في حق عيسى أن الله علمه فيما علمه التوراه كتاب موسى . رابعا ، إن القيام بأعمال الرسول الأول عليه السلام ، سيدنا محمد ، هو أمر قائم في الأمه فعلا ، و لا يزال الأمر قائم فعلا ، فكل من يقوم بمهمه الرسول فهو رسول ، و كما أن هذا القرءآن جاء بواسطه جبرئيل و لكننا مع ذلك لا نقول عن نبينا محمد عليه السلام أنه "رسول جبرئيل " و لكن يجوز نفي الواسطه في الذكر و إن بقيت في العقل فنقول كما قال القرءآن " محمد رسول الله " ، كذلك علماء تلاوه القرءآن الذي يعلمون تلاوته للناس على مر القرون هم " رسل رسول الله " ففي الواقع هم "رسل الله" إن لم نذكر الوسائط الطوليه او العرضيه- على فرض وجود العرضيه . و قد ذكر الشيخ الأكبر هذه المسأله في الفتوحات المكيه. و هي مسأله بديهيه . و قل مثل ذلك في الذي ورثوا مقام " و يزكيهم " و مقام "و يعلمهم الكتاب و الحكمه " و مقام " و يعلمهم ما لم يكونوا

يعلمون " و بقيه مقامات الرسول الأول عليه السلام . فهذه مقامات ضروريه لقيام الأمه ، و لا يصلح الخلف إلا بما صلح به السلف كما يقال . فكيف يقال أن "عصر الصحابه" احتاج إلى الرسول ليقوم ، و لكن العصور التي بعدها، و هي "شر القرون" كما يقال لا تحتاج إلى من يقوم بهذه المقامات الرسوليه . و كما ورد عن النبي عليه السلام " علماء أمتي كأنبياء بني اسرئيل " . و هذا ليس تشبيها شعريا. فالنبي عليه السلام ليس شاعر و لا يضرب الأمثال عبثا او لعبا . خصوصا و هو عليه السلام يعلم خطوره ضرب المثل الخاطئ ، كما قال القرءآن " انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا". فنحن بني اسرئيل ، و علماء الأمه هم الأنبياء . اقرأ القرءآن بهذه العين ، و لا تكن من الغافلين. و أما نفي النبوه بعد النبي عليه السلام ، فهو أمر طبيعي و متوقع و حق . فكل أمه تقوم على نبي و تقليد عرفاني معين ، لا تقبل ما يأتي من خارج حدود هذا التقليد و هذا العالم . فالنبي عليه السلام هو "أول المسلمين" . و هذه الأمه قائمه على نبوته و كتابه ، " و ءامنوا بما نزل على محمد ". و بالتالي النبوه المنفيه ، هي كما فهمها العرفاء و منهم الشيخ الأكبر ، أي النبوه التي تأتي بشرع جديد مغاير لشرع نبينا محمد عليه السلام . و هي عين النبوه التي انكرها حضره علي عليه السلام حين قال له شخص " أنبي أنت ؟! " فرد الإمام " ويلك ! أنا عبد من عبيد محمد " . لاحظ أنه لا علاقه ظاهره بين سؤال الرجل و رد علي عليه السلام ، بالنسبه للعين التي لا ترى حقيقه السؤال . فالرجل كان يسأل عن نبوه علي ، و لكن علي يقول أنه تابع لمحمد . ما العلاقه ؟ علي فهم من سؤال الرجل أنه يقصد نبوه مغايره و منفصله عن نبوه سيدنا محمد ، فهو فهم النبوه بمعنى شرع جديد و دين جديد و تنزيل جديد و نحو ذلك . و لهذا في الحقيقه الرد مناسب تماما للسؤال . فالنبوه المنفيه شئ ، و النبوه في فلك النبوه المحمديه و الرساله القرءآنيه شئ آخر . و لذلك لما سئل الإمام علي عن ما الذي تركه النبي ، قال " كتاب الله ، أو فهم يؤتيه الله العبد في كتابه " او نحو ذلك . هذا الفهم الذي "يؤتيه الله" في "كتابه" هو باختصار ما نعنيه من استمراريه النبوه و الرساله . و هو ما فهمه العرفاء على مر القرون. و لذلك يقولون مثلا أنه يوجد " أنبياء الأولياء " . بل ألفت كتب في هذا المجال ، منها مثلا ما ألفه محي الدين الطعمي الشاذلي و هو كتاب (طبقات الأولياء الأنبياء المحمديين) . و الظن بأن الوحي وحي واحد ، و له مهمه واحده ، هو ظن واه بكل المقاييس . فليس هو من القرءآن في شئ ، و لا من العرفان و التحقيق في شئ . فلا يوجد في القرءآن أنه لا يوحي الله إلا إلى نبي او رسول يأتي بشرع جديد و ينسخ ما قبله ، او أن الله لا يوحي إلى عباده المخلصين و يعلمهم و يفتح لهم و يكشف لهم الأمور ، او ان الملائكه لا تتنزل إلا على بعض الناس الذين وجدوا في غابر الزمان ثم انقرضوا او ما اشبه ذلك . و قد أفردنا كتابا بل كتبا لهذه المسائل فليراجعها من يحب و إنما نشير إشارات هنا .

الثاني : إن من شرط الرساله و النبوه أن يكون الشخص معصوما عن الخطأ و الذنب ، و لم يقل أحد بعصمه علماء الأمه على اختلافهم . الجواب : أولا ما قرره الاكثريه من العصمه المطلقه للأنبياء و الرسل غير قرءاني ، لا عصمه قبل الرساله و لا عصمه بعد الرساله و النبوه . و قد فصلنا في ذلك في مواضع أخرى ، و قارئ القرءآن الحر يرى ذلك فيه ، و لو كان للنبي عصمه بعد النبوه عن عصيان الأوامر الحقه ، فإن موسى إذن لم يكن يعلم بهذه العصمه حين قال لهارون "ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني ، أفعصيت أمري " ، بل رب موسى عز و جل أيضا حين قال له " فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فترى " او حين قال له "إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم " . و إن كان أصل الإنسانيه " فعصى ءادم ربه فغوى " و "فدلاهما بغرور ". و هذا فوق الحصر في كتاب الله، و لولا العقيده المسبقه - التي لها

حوافز معينه نعلمها جيدا - لما فكر أحد أصلا بأن يحرف هذه الايات عن مضمونها الظاهري و الباطني أيضا . و من الحيثيه العرفانيه ، إن مجرد كون الكائن مخلوق و في حيز الخلق يعني أنه قاصر و ناقص الوجود ، و إن عدم التفريق بين المقامات الكونيه و الوجوديه للنبي و الرسول بل لكل الكائنات يؤدي إلى مثل هذا الخلط . و قول الله لنبيه عليه السلام " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر " واضح في وجود ذنب "تأخر" ، ثم تأويل هذا الذنب بأنه خلاف الأولى او غير ذلك من تعريفات صادقه او تحريفات مغرضه لن يغير من حقيقه الذنب شيئا ، مما يعني نفي العصمه عن الذنوب ، أما أن يقال أن الذنوب على أنواع و درجات فهو أمر لا ننازع فيه و هو واضح بنفسه ، فكبائر الاثم غير اللمم. و كذلك قوله " عفا الله عنك لم أذنب لهم " و قوله " يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك " ، و قوله " و إن كنت من قبله لمن الغافلين " ، و " ووجدك ضالا فهدى " و قوله " و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه " ، و غير ذلك في كتاب الله كثير. و كذلك قوله في حق يونس " و لا تكن كصاحب الحوت " و " فظن أن لن نقدر عليه " ثم قوله " سبحانك إني كنت من الظالمين " و لا ندري كيف يقول يونس أنه كان من الظالمين ، يبدو أنه لم يقرأ كتب المتكلمين ! و هل يمكن أن يوحي الله و يصطفي انسانا كان ظالما بل شيطانا مريدا ؟ الجواب نعم ، و من الحجج على ذلك الأسباط إخوه يوسف . فهم ممن يجب الإيمان بهم و بما أنزل إليهم. و لا يخفى على أحد قصه يوسف ، و هل يوجد كفر نعمه و كذب و ظلم و اجرام من أقبح المعايير كما يوجد في الاسباط قبل توبتهم التي جاءت في أواخر عمرهم . كيف و نحن نروي "من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب " بل الله تعالى يقول ان من يؤذي رسله فقد آذاه ، و من اعتدى عليهم فقد كفر به ، و الاسباط قد اذوا يعقوب اذيه لا تحد حتى ابيضت عيناه من الحزن و هو كظيم ، و مع كل ما فعلوه بعد أن استغفر لهم يعقوب تاب الله عليهم و اصطفاهم و قال لنبيه عليه السلام و لنا أن نؤمن بما انزل اليهم كما نؤمن بما انزل الي ابرهيم الخليل و موسى الكليم . سليمان فتن ، داود اذنب فاستغفر ، موسى قتل و فر ، و حدث و لا حرج في هذا المجال. و الله يقول للرسول " بلغ ما انزل اليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته " . و أما من يدعي بأن الله يتكلم باسلوب " إياك اعني ، و اسمعي يا جاره " فالقرءآن طافح بالحديث المباشر ، و الله لا يستحي من الحق ، فلندع صاحب المقوله ليحاسبه الله على هذه الجاره يوم يقوم الحساب . و أما نحن فنقبل كلام الله كما تكلم الله ، و أما التخرص بنوايا الحق في كلامه بل حرفها عن مضمونها بل قمع الايات القرءآنيه الصريحه الطافحه بهذه الحقيقه بناءا على "اسمعي يا جاره " فنتركه لاهله . و أما قوله " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " فالاستدلال بهذه الآيه عند بعض اخواننا هو من أحسن الأمثله على فرض العقيده على القرءآن، بدل استنباط العلم من القرءآن . أولا هذه خاتمه آيه أولا شروط علميه عمليه يقول لأزواج النبي "و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهليه الأولى ، و أقمن الصلاه و أتين الزكاه و أطعن الله و رسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا . و اذكرن ما يتلى في بيوتكن " . فعباره التطهير ليست خبرا عن حقيقه مطلقه ، و إنما هي ذكر لنتيجه القيام بالشروط السابقه . فلماذا يريد الله ان تقر في بيتها و لا تتبرج و تقيم الصلاه و تؤتي الزكاه و تطيع الله و رسوله ؟ الجواب " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا " . فاذهاب الرجس و التطهير نتيجه و أثر للقيام بالمقدمات و الأسباب السابقه الذكر. فهو ليس اخبار عن حقيقه مطلقه و إنما هو اخبار عن نتيجه مشروطه . و أيا كان الداخل في مضمون " أهل البيت " بعد ذلك لا يهم في هذا المجال . فالادعاء بأن عباره التطهير هي "آيه التطهير" و فصلها عن سياقها ، أو عدم القيام بهذا البتر الغريب ، لا يؤثر . فالعباره مشروطه. و مشروطيتها يعني عدم اطلاقيتها . و بالتالي زوجات النبي ليسوا على درجه واحده ، بل إن الزوجه التي لا تقر في بيتها ، و

تتبرج تبرج الجاهليه الأولى ، و لا تقيم الصلاه ، و لا تؤتي الزكاه ، و تعصي الله و رسوله ، على فرض وجود مثل هذه الزوجه ، فإن هذا يعني أن هذه الزوجه قد غشاها الرجس و النجس من أعلاها إلى أخمص قدميها . فاستعمال عباره التطهير لادعاء "العصمه" لجماعه معينه ، سواء كانت آل علي ، أو زوجات النبي ، او أي جماعه أخرى، ليس فيه علم أو تحقيق . و يزداد المرء في الغي إذا ادعى بأن الرجس و النجس هو كل صغيره و كبيره من الذنوب ، و حيث إن هذا كله منفي ب "آيه التطهير" فإن هذا يعني العصمه المطلقه لهذه الجماعه المسماه بأهل البيت. و لا حيله لنا في التخاطب مع من يريد فرض عقيدته على القرءآن . و نسأل الله لنا و لهم حسن الفهم و الهدايه . فالحاصل ، إن عدم "عصمه" علماء الأمه وورثه الرسول ، لا يعني شيئا له قيمه في هذا المجال ، لأن العصمه منفيه عن الأصل فهي عن الوارث أنفى . و أما القول بأنه يجب أن نقبل عقيده العصمه حتى نؤمن بأن الرسول قد بلغ الرساله تامه . فالجواب : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " ، و العقيده لا تقام على المصالح ، و خصوصا المصالح السخيفه . إن كان القرءآن طافح بمثل هذا ، و البرهان يشهد له ، فأي "مصلحه " سياسيه او اجتماعيه راعها هؤلاء و لم يراعيها رب هؤلاء **!؟** عدنا مره أخرى إلى اعتقاد قيام بعض الناس بمصالح الدين أحسن من قيام الله و رسوله بها . و هذا الصنف أيضا لا نجد ما نستطيع أن نخاطبهم به ، فنتركهم و نذهب إلى الاعتراض الاخير.

الثالث هو هذا : إن لكل نبي و رسول معجزه ، فإن كان علماء الأمه في حكم الرسل و الأنبياء فأين معجزتهم . الجواب : فكره المعجزه - و هي قرينه فكره العصمه - ضعيفه مثل اختها . هذا ليس لأن المعجره صعبه على الحق تعالى ، و العياذ بالله ، أو أنه يوجد "قوانين الطبيعه" التي لا تنخرق و ما اشبه من خرافات الحداثيين و تخرصاتهم . المسأله بكل بساطه لها وجهين. الوجه الأول إن فهمنا لآيات النبيين و المرسلين في القرءآن يعطينا أنها أمثال لها تأويل حقيقي و ليس كالديناصورات شئ وجد و انقرض . فنحن لا نرى في القرءآن قصص باطله او معدومه ، بل هي قصص لها لب عرفها من عرفها و جهلها من لم تسبق له من الله الحسنى . فهذا من حيث فقهنا لقصص القرءآن . و الوجه الثاني هو أن الرسول نفسه ، الذي هو أصل هذه الأمه ، أتاه الله كتابا فيه علم ، و مدد موصول بالحق تعالى ، و روح من روحه . و الوراثه لا تكون إلا بحسب الأصل المتروك . فكما أن النبي جاء بكتاب فيه علم و تزكيه و روح ، و كان أسوه حسنه في القيام بذلك ، فإن هذه هي "المعجزه" التي نراها في علماء أمتنا المباركه الذي هم الورثه فعلا . فحتى إن لم يقبل بعض اخواننا فقهنا في قصص القرءان و استخراج اللب منها ، فإنه من المقبول للجميع تقريبا - و أقول تقريبا للتحرز- أن القرءآن هو رأس مال الرسول و أساس هذه الأمه ، و مقامات و أعمال الرسول المجموعه في دعوه ابرهيم و تقرير العزيز العليم واضحه و معروفه ، و الوارث يرث بحسب التركه ، و التركه أسوه حسنه و تلاوه و تزكيه و تعليم مقيد و مطلق . و ما سوى ذلك ، صح ام لم يصح ، فهو أمر فرعي و ثانوي ، قبله من قبله و رفضه من رفضه . و أما الأصل فثابت و راسخ في أرض الحقيقه القرءآنيه . و قد قال بعض العلماء أنه إذا وجدتم الرجل يطير في السماء او يمشي على الماء فلا تصدقوه حتى تعرضوه على الشريعه المحمديه ، و هذا اقرار بأن معيار الشريعه و شؤونها فوق معياره "الخوارق" . و هذا العالم السفلي لا يساوي ذره رمل في بحر الكون الذي خلقه الله ، فنحن لا نجد أي صعوبه او "خوارق" في هذه الأمور التي تسمى معجزات و كرامات ، و لكن ما يهمنا هو الآثار و اللوازم المعرفيه التي ترتبها مثل هذه الدعاوى ، بل الوقائع . فنحن لا نرضى أن نفهم القرءآن بطريقه تقتل القرءآن ، فإن هذا يدلنا على أن فهمنا غير سليم . و مثال ذلك ، ما العلاقه الحيه التي يجدها من يعتقد أن عصا موسى هي مجرد شئ جسماني تاريخي معدوم ؟ أي علاقه حيه واعيه

مع احياء عيسى للموتى ؟ سيقولون : هذا دليل على عظمه الله و قدرته على الكون . الجواب : إن كانوا يحتاجون إلى مثل هذه الحكايات للتعرف على عظمه الله ، فتعسا لهم و لأرواحهم ! هذا يشبه من بعيد جدا ، معرفه عظمه انسان عن طريق قدرته على حرق واد للنمل. أين الانسان و أين النمل ! فما ظنكم بالرحمن و أسفل سافلين يا أهل العقل . و لكن كما ذكرنا، إن هذا أمر فيه أخذ و رد ، و لكن كون المقامات الأصليه للرسول عليه السلام متعلقه بهذا الكتاب و الأسوه الحسنه ، فإن علم النبوه و الأسوه الحسنه هما الايات التي نعرف بها وجود الوراثه و درجتها . و من الورثه من يرث السدس و منهم من يرث الربع ، و منهم من يرث النصف ، و منهم من يرث الثمن ، فمن المبالغه السيئه التي تفرعت عن اعتقاد العصمه المطلقه بل حتى المقيده في الأصول - اي الرسل - ظهرت المطالبه و الحكم على الفروع- اي العلماء بمعايير عاليه جدا بل مستحيله حكما أحيانا . و هذا طبيعي و منطقي و متوقع . فمن كانت أصول عقله على نمط ، تفرعت الفروع على هذا النمط .

إن معرفه المسلم لحقيقه مقامه ، و وعي المؤمن بحقيقه وراثته ، هي التي بها وحدها يمكن أن تبعث الأمه بعد موتها ، بل تبعث بعثه لم تبعث مثلها من قبل . و الله على كل شئ قدير .
القرءآن للفقيه المحمدي كجبرئيل للنبي . و القراءه في مصحف كمشاهده جبرئيل، و في غير المصحف كالسمع المجرد من روح القدس . و لا أقول " اقرأ القرءان كأنه يتنزل عليك " بل أقول "اقرأ القرءان و اعلم أنه يتنزل عليك " . " و ننزل من القرءآن ما هو شفاء و رحمه للمؤمنين".

...

١٠ - " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى "

الإمامه ، ككل الأمور المتعلقه بالطريقه النبويه في الحياه و الموت ، لها مستويات . و المستوى الأعلى هو الإطار الذي ينشئ في داخله المستوى الأدنى منه ، و هكذا في المستوى الأدنى ، إلى نهايه الأمر في التسلسل النزولي . و هذه الحقيقه واحده في الناس كلهم ، بل في الكون كله ، و الناس - بهذا الاعتبار - جزء من الكون ، فما يصح فيه يصح فيهم بصوره عامه . فمن حيث " القوم " ما هو معيار تعيين الإمامه في هذا المجال ؟ قد يقال أن هذه الروايه تتحدث عن الإمامه في الصلاه الشعائريه المشهوره ، و لا تعلق لها بالإمامه فيما وراء ذلك كالولايه في شؤون المدينه و المصر و القريه مثلا . و هذا غير صحيح ، بل إننا نرى أن هذا التفسير كان له مبعث معين لعلنا نأتي عليه لاحقا . فالقرءآن الكريم لا يحدد شئ اسمه "إمامه دينيه" و "إمامه دنيويه" بالمعنى الذي يفرق به عباد الصليب بين الدين و الدنيا ، بالاضافه بالتأكيد لما عليه ما يسمى "الدين" في الفكر الحداثي النملي ، الذي يجعل الدين مجرد شئ عاطفي له زاويه صغيره جدا في حياه الناس " الواقعيه " كما يسمونها . إن كون السماوات و الارض لله يعني أن نور الوحي الإلهي يجب أن يشرق على كل السموات و الارض . فما كان تحت مالكيه الله يجب على الانسان - الذي هو خليفه الله - أن يقيم ملك الله فيه ، و ملكه نوره و أمره أي كتابه. و بالتأكيد لسنا من أصحاب خرافه " تطبيق الشريعه " ، و نقول " خرافه " لأن القوم لا حظ لهم من المعرفه التي هي تسعه أعشار الكتاب ، و هي المعرفه التي هي أصل الشريعه و بدونها لا شريعه ، بالاضافه إلى أن فقه القوم في الشريعه يمكن أن نقول أنه " غير دقيق " حتى لا نستعمل عباره أخشن من هذه . و من أشهر من نادى بفكره "الاسلام هو الحل" و "تطبيق الشريعه " في هذا القرن كما هو معلوم هم من احتكروا لأنفسهم اسم "الاخوان المسلمون" و حسبهم من الخطأ هذا الاحتكار ، و كأن من لا ينتمي إليهم من الاخوان الكافرين! أقل ما فيهم هو هذا الاحتكار الخاطئ الذي يحوي في باطنه بل في ظاهره تكفير مباشر او غير مباشر ، او لا اقل تخطئ او تفسيق لكل من لا ينتمي إليهم او لا أقل يقبل بهم. و قد كان القوم من المضطهدين في أيام عبد الناصر و من بعده ، و الاضطهاد مجلبه للشفقه ، فإن كان القائم على الاضطهاد مكروها مبغوضا او محسودا تحولت الشفقه إلى نصره معنويه او مناصره فعليه او إنها تقيم باعث لا شعوري يسمح بمراعاه و قبول اطروحات المضطهدين كانت ما كانت على العموم ، فما ظنك و القوم يدعون إلى "اقامه شرع الله" و "تحكيم الاسلام" ، خصوصا في هذا القرن الذي حل بالقيمه الدوليه للاسلام ما حل . كل هذه العوامل أدت إلى بعث قبول عجيب لاطروحات الاخونجيه . و كانوا اذا كتبوا او تحدثوا ، اي أئمه الاخونجيه ، تكلموا بثقه كبرى و كأنهم سيحلوا فعلا كل شئ فقط لو تعطى لهم السلطه السياسيه. و ليتهم درسوا القرءآن و استفتحوا الرحمن ليعلموا أن السلطه السياسيه من أضعف الوسائل لاصلاح شئ او تغيير شئ ، على عكس ما يتوهم الجماهير الذين يتعاملون من السلطه السياسيه و كأنها قوه إلهيه او جهاز فيه لوحه تحكم في الشؤون الاجتماعيه و ما عليهم إلا أن يدخلوا إلى هذه غرفه التحكم هذه و يسيطروا على هذا الجهاز السحري و يكبسوا على الازرار التي يريدونها ليصبح طوع بنانهم كل شئ . بل من يدرس مثلا تجربه نيلسون منديلا و حزبه في جنوب افريقيا ، يستفيد الكثير في هذا الجانب . فمنديلا ، هذا الذي كلما نظرت في وجهه شعرت باشمئزاز و قرف لا أعرف سببه خصوصا و أنه - كما في وسائل الإعلام المضلله - يقال أنه رجل شبه قديس ، فكنت أنازع هذه الخواطر و لا أفهم سببها ، فلما درست تاريخه و ما سببه لجنوب افريقيا ، علمت أن الخواطر التي كانت تنبعث داخلي حين النظر إليه غير مبالغ فيها ، بل إنها تعطيه فوق حقه هو و من معه من الجهله بل الخونه . فالشعب الجنوب افريقي يشبه كثيرا الجماهير في بلاد الشرق الاوسط ،

كان يظن أنه بمجرد أن يستلم قديسهم السلطه السياسيه سيحل الأمور و يهذب الفقر و يحل السلام و الحمد لله. فلما خرج منديلا من السجن بعد تقريبا ثلاثه عقود ، بدأ يتفاوض مع الرؤساء "البيض" الذي احتلوا جنوب افريقيا و قهروا أهلها و استعانوا - كالعاده - برجال الدين الصليبي ليقنعوا "السود" الافارقه بأن البيض أعلى منهم و يجب عليهم أن يخضعوا لهم ، و ساموهم سوء العذاب لسنوات طوال . فلما بدأ التفاوض بين حزب منديلا و الحزب الابيض ، حصل أمر هو الأمر الفاصل و الأكثر أهميه ، و لكن لا منديلا و لا الشعب الجنوب افريقي كان يبدي أي اهتمام له . و في عباره واحده : التنظيمات الاقتصاديه . فمنديلا لم يكن له فهم في هذه الأمور الاقتصاديه المعقده ، بل كان البيض الخبيثين يستعلمون هذه اللغه االاكاديميه المعقده قصدا و عن سابق تدبير و مكر يستحق أن يقدروا عليه بالمعايير الابليسيه ، و كان تركيز منديلا - في الظاهر - مركز على الامور السياسيه و السلطه الحكوميه ، و لا ندري ما كان وراء ذلك أي هل كان يفهم فعلا ما يقر و يقبل به من شروط اقتصاديه لكي يقبل البيض التنازل عن السلطه لحزب منديلا الشعبي بسلام أم ماذا ، و إن كان أحد أعضاء حزب منديلا البارزين قد درس في الغرب و ميوله الاقتصاديه و هواه غربي رأسمالي متشدد ، فهنا الله أعلم . و لكن المهم أنهم كانوا يقبلون بالشروط الاقتصاديه على أنها مجرد أمور "تقنيه" لا قيمه فعليه لها، بل مجرد أمور شكليه يفهمها أهلها و نحن يجب أن نسلم للخبراء أهل الحياد و الأمانه ! و الشعب الافريقي لم يكن بأحسن حالا من الحزب الذي يقوده ، فقد كان الشعب عموما يشاهد و يتابع هذه المفاوضات ، و هو على أتم الاستعداد للخروج إلى الشوارع للتظاهر و القتال إن اضطر إلى ذلك ، أي إذا لم يسلموا لهم مقاليد السلطه السياسيه كلها ، و كان كل يوم من المفاوضات يمر و تخرج النتائج فيرونها "مجرد امور اقتصاديه تقنيه" لا أهميه كبيره لها ، فيتغافلون عنها . و بعد فتره قليله ، تم الاتفاق ، و تسلم حزب منديلا السلطه السياسيه. ففرح الناس و الأرض للرب يورثها من يشاء من عباده . النتيجه ؟ بكلمه واحده : الشعب الجنوب افريقي أصبح أسوأ مما كان عليه من الحيثيه الاقتصاديه المعيشيه ، و جنوب افريقيا من أسوأ إن لم تكن أسوأ دوله في الارض بما يتعلق بالفساد . الدرس ؟ السلطه السياسيه أضعف سلطه في الحياه . إن السياسيون لا يزرعون و لا يصنعون شوكه او ملعقه ، و لا يبنون بيتا و لا يحيون خرابه ، و لا يكتبون فكرا و لا ينشرون روحا ، و لا يفهموا إلا لغه واحده و هي العنف. و العنف السياسي دائما له هدف و غايات معينه معروفه . هذه الاهداف و الغايات هي التي يخدمها أهل السلطه السياسيه بالعنف . و حتى عنفهم هذا محدود جدا و له اطر كثيره في الواقع . و يكفي ما حدث في ما سمي بالربيع العربي ليثبت أن أوهام جبروت السلطات العربيه بل الأعرابيه ليس بشئ . حسني مبارك و حزبه سقطوا بعد أقل من شهر ، بلا حرب أهليه و لا حتى أي مقامه مسلحه تذكر . و قد كان أهل مصر يرتعدون من مجرد ذكر اسم مبارك فضلا عن توهم اسقاطه فضلا عن القيام بذلك فعلا ، و قد كنا نسمع من بعضهم في تلك الأيام عن القوه السحريه ل "أمن الدوله " و "المخابرات" و الجدران العجيبه التي لها آذان و بقيه الخرافات التي يشيعها أربابها ليكبروا من قوتهم في قلوب الناس ، و الواقع أن قلوب الناس هي التي تمنح السلطه و إن كانوا يتوهمون أنهم مجرد متقبلين للسلطه ، و السلطات في كل زمان يعرفون ذلك و لهذا أكبر مجرم عندهم من يتكلم مع الناس ضدهم و يسقط من قيمتهم في قلوب الناس . و يكفيك نظره إلى قصه موسى لتفهم هذا المعنى . ففرعون بكل جبروته المزعوم خاف و ارتعد من فرد واحد يستطيع أن يقف في وجهه و يقول له " إني لأظنك يا فرعون مثبورا " . لأنه يعلم أن الشعب يكرهه هو و آله و حاشيته ، و لكن الشعب يصبر توهما أن كل فرد منعزل عن البقيه ، فكل فرد من الشعب تقريبا - خصوصا غير المستفيدين من فرعون و هامات و قارون- ينظر في نفسه فيجد مقتا و بغضا و غضبا ، و لكنه ينظر حوله فلا يجد في الغالب الأعم او دائما إلا تأييدا و حبا و هتافا

بالحب و الولاء الخالص الموجه للسلطه السياسيه و الانظمه الاقتصاديه و الافكار الدينيه و نحو ذلك مما يشكل منظومه الدوله المعينه ، فيظن أنه وحده ، و ينظر إلى الدوله المعينه فيجد أنها تقوم بالمهرجانات و حشد الناس و استعراض عضلاتها العسكريه و الماليه أما مرأى من الشعب - و هذا كله من شؤون جذب الجماهير و اقرأ سيكولوجيه الجماهير لغوستاف لوبون لتدرك أكثر سبب القيام بمثل هذه الأمور البهلوانيه الاستعراضيه ، و هذا الكتاب اعتبره تعليق على قول القرءآن" إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " - فيرى الفرد ضعفه ، فيخنس . و لكن عندما يجد اعتراضا ظاهرا او نقدا سافرا من الغير يبدأ في التجرؤ على اظهار ما في باطنه و سره . و لهذا يقال في عقوبه من يقوم بمثل هذا النقد : يجب أن ننكل به حتى لا يتجرأ غيره على ذلك . و هذا واضح . و منذ القدم كانت هذه الفلسفه العقيمه قائمه . فالأمويون نكلوا بخلق لا يحصون كثره ، بناءا على توهم أنهم بهذا يحفظون المصلحه العامه - اي مصلحتهم - و أنهم سيقيموا دولتهم للأبد تقريبا بهذه الوسائل ، و ما هي إلا نحو قرن حتى جاء العباسيون فذبحوهم عن آخرهم إلا بضعه افراد فروا ، ففرشوا الفرش على جثثهم و شربوا الخمر و تعشوا عليها . فبدأ العباسيون بالتنكيل لنفس السبب ، و ظنوا أنهم استثناء من القاعده و أن تنكيلهم هم سيأتي أكله و ينفع ، فوقع ما وقع عليهم من مصائب أثناء دولتهم ، حتى انتهى الأمر حين جاء المغول فوضعوا "ظل الله في الارض" الخليفه العباسي الذي لا يجوز أن تسقط قطره دم من جسمه على الارض و إلا فإن غضب الله يحل على القاتل ، فوضعوا قداسته داخل كيس ، و جعل الجنود المغول يركلونه بأرجلهم حتى مات و ماتت معه الدوله العباسيه . و قل مثل ذلك في الفاطميين و في العثمانيين و في شتى الدول و الدويلات في الشرق و الغرب التي ظنت أن مثل هذه السياسه ستنفعهم . حتى في هذا القرن ، كامثال صدام التكريتي ، الذي أرهب الناس في دولته ارهابا و احتقرهم احتقارا لا حد له ، و نفس الخرافات عن الجدران التي لها اذان و غير ذلك كانت منتشره ، و التعذيب الذي هو الفتنه التي هي أشد من القتل كان قائما على قدم و ساق ، حتى ضجت السموات من ظلمه و حزبه ، فجاء الامريكان و اخرجوا الخبيث من الحفره و نكلوا به بالاحتقار العلني لأكثر من سنه ، و الان ربى لحيه و أصبح يمسك القرءآن ، ثم شنقوه كالخروف في عيد الاضحى . و سوريا و ما ادراك ما سوريا في الرعب و الارهاب الذي انطوى عليه قلب الشعب السوري الذي نعرفه عن مقربه منذ كنت صغيرا إذ أمي من تلك البلاد العريقه ، و كل سنه من حياتي تقريبا كان لسوريا حظ منها ، فبالرغم من "الأمان" الذي يفتخر الطغاه بتأمينه ، و كأن هذا سبب للفخر في هذا المجال ، أليس الراعي يؤمن خرفانه و بهائمه ، فهل هذا مدعاه للفخر أم أنه يرعاها حتى يحلبها إذا عطش و يذبحها إذا جاع و يبيعها إذا افتقر . على كل حال ، نفس الأمر في حاله سوريا ، رعب و تعذيب و " تذهب وراء الشمس" ، فخرج من خرج عليهم بالسلاح و ظهرت القوه الحقيقه لحزب العبث حين واجه رجال معهم سلاح كما يملك هو سلاح بل اقل منه ، و ليس الاستظهار على العزل من الشعب و أفراد أهل الفكر و الدين ، و الله يشغل الطغاه ببعضهم بعضا . و هكذا الأمثله كثيره جدا ، و الفكره واحده : مقدار السلطه التي يملكها فرد او جماعه إنما هو بقدر مقدار السلطه التي يعطيهم إياها المتسلط عليهم . و في جميع الأحوال ، إن منظومه قيم و رؤيه الشعب هي التي تحدد نوع السلطه التي يمكن أن تبرز فيها ، مباشره او غير مباشره ، منظومه واعيه ام غير واعيه . فالولايه على حسب المنظومه . و هنا يأتي أهم معنى من معاني روايه الباب . فالإمامه حتى بمعنى الولايه في شؤون الناس الاجتماعيه قائمه على مقدار العلم بكتاب الله. و في روايه مشهوره أن عمر رضي بوال فقط لأنه قارئ لكتاب الله، بالرغم من كونه "مولى". و ذكر روايه النبي " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما". فالإمامه المقصوده هي مطلق الإمامه . فالإمام في كل شئ هو الأعلم بكتاب الله في هذا الشئ.

" يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى " . ما هو عمل الإمامه ؟ هي أن تخلق محيطا متناسبا مع الحقائق القرءانيه و رؤيته للوجود و الكون . فالإمام هو الذي يتمثل القرءان في ذاته ، ثم يفيض منه ذلك على ما حوله و من دونه . ويستحيل أن يقام مجتمع قرءآني بغير روح مغموره بنور العرش الأعلى . و المأموم لا يتجاوز الإمام بل لا يدركه . و لو تجاوزه لما كان إمامه ، و لو أدركه لسقطت مأموميته . فالإمام دائما متقدم على المأموم و لو بظل شعره او شق تمره . و في المجتمع ، كما في الدراسه الجماعيه ، كما في الصلاه الشعائريه ، الإمام "ضامن" لايصال المأموم إلى الغايه التي ائتم به من أجلها . فالمأموم إنما طلب الإمام و انجذب له لغايه في نفسه. و بالتالي إن توهم وجود الإمامه الروحيه في من لا توجد فيه ، فإن النتيجه تكون خسوان لكلا الطرفين ، و يسود وجه مدعي الإمامه الإلهيه يوم يقوم الأشهاد ، و يحمل وزره ووزر من أضله بغير علم ، و إن توهم أنه يريد درء فتنه بدعواه او الاحسان و التوفيق . فمن عقل عن الله و اتبع كتابه ، لا يرضى لنفسه إماما في أي شأن ، إلا إن كان هذا الإمام أقرأ لكتاب الله تعالى منه بخصوص الموضوع المعين . و هذه قاعده الولايه ، كل ولايه . و من أجل تعيين هذه الحقيقه و أبعادها المتعدده ، اضطهد من اضطهد على مر القرون ، و إن زعم المضطهدون أنهم قد أجرموا لأن الذين يكشفون الحقائق القرءآنيه " زنادقه " .

و من أبرز الأمثله على هذا اثنين. واحد قتل ، و الثاني نجى بقدره قادر و إن لحقه التكفير و الزندقه إلى يوم الناس هذا كصاحبه. الأول هو السيد الشريف شيخ الإشراق ، السهروردي . و الثاني و هو الأكبر هو السيد الأشرف الأجل الشيخ الأكبر ابن عربي . أما شيخ الإشراق قدس الله سره و أعلى مقامه ، فإن من قتلوه - و قد قتل بأمر الملقب بصلاح الدين الأيوبي الذي لولا أنه "فتح" فلسطين لما استحق أن يذكر إلا بالعار و الشنار على غدره بالزنكيين و بالفاطميين الذين وثقوا فيه ، ثم حرقه لميراث الفاطميين الذي بلغ ألوف الألوف من الكتب ، ثم غصبه للجامع الأزهر و ما بني على باطل فهو باطل و إن ظهر منه حق لاحق و غير ذلك - و يكفي الأيوبي أنه قتل شيخ الإشراق و تحمل جريمه سفك دمه هو و من اتبعه إلى الأبد و قد أخبركم الله بعقاب من يقتل مؤمن متعمدا ، فما ظنك بمن يقتل عالم من أعظم علماء المؤمنين بشبهات و سخافات ، و نحن نعلم أنها شبهات و سخافات لا أقل من أمرين : الأول أنه لا الأيوبي و لا أبوه ممكن يملك القدره أو التوفيق الإلهي أن يفك خط كلام شيخ الإشراق قدس الله سره ، فهو حتما لم يقتله لانه فهم كلامه و عقل معانيه و مراميه العاليه ، و التي لا يوجد أصلا لها علاقه بحكم سفك الدماء و لكن الهمج من الساسه لا يفقهون . و الثاني أنه لا توجد قضيه ثابته على الشيخ ، و إنما هو كما سنبين الآن إن شاء الله . و المسأله بسيطه : شيخ الإشراق تجاوز الخط الأحمر الوحيد عند الهمج من الساسه الذي ساموا أمتنا و علماءها سوء العذاب على مر القرون . و هذا الخط هو الذي خطه شيخ الهمج حين قال لشاعر هجاه في وجهه فأراد الوحوش من جنده أن يأخذوا بتلابيب الشاعر او صاحب الهجاء و السب ، فقال " لا نحول بينه و بين لسانه ما لم يحل بيننا و بين ملكنا " . هذه هي الخلاصه الجوهريه التي يتعامل بها الهمج مع علماء المسلمين على مر القرون . شيخ الإشراق قد تجاوز هذا الخط . متى ؟ حين حدد شرط تولي شؤون الأمه بشرط لا يستطيع الهمج كلهم أن يقوموا به بل و لا بعشر معشاره. و هذا الشرط هو الاستناره الروحيه العقليه . أي الولايه بمعناها الأصيل . إذ الولايه بمعناها الاجتماعي الذي يتمثل بالعلاقه بين المريد و الشيخ ، او الشعب و الأمير ، و نحو ذلك ، إنما هو في الفقه القرءآني فرع من فروع تحقق الاستناره الروحيه العقليه في الأمير ، كما هو الحال في الرسول و أتباعه - مع فارق الوراثه طبعا . ففعلا ، لا يصلح آخر هذه الأمه إلا بما صلح به أولها . و أولها- الذي هو عهد النبي - لم يصلح إلا

بحضور النبي كإمام للأمه . فما بال "السلفيه" لا يرون التمسلف في هذه النقطه الجوهريه التي قال عنها الشهرستاني " ما سل سيف على مسأله دينيه كما سل على مسأله الإمامه " او كما قال و هو قول يصدقه الماضي و الحاضر . الفرق أن في الإمامه كما يراها أهل الاستناره ، لا يوجد عنف في أصل اقامتها . فالولي لا يرفع شوكه لتثبيت سلطته المعنويه و التي تتفرع عنها كل سلطه أخرى ، فضلا عن أن يرفع سيفا او بندقيه في هذا السبيل . و لهذا كان النبي ينتقل من مكان إلى مكان يعرض دعوته و يكشف مقامه للناس . و على هذا الأساس قامت المدينه ، حين جاء له " الأنصار " .
فالمدينه النبويه ، و بالتالي المدينه الوارثه للنبوه ، لا تقوم على عنف من أي نوع جسماني . و هذا بديهي ، بالاضافه إلى أنه قائم على حقيقه عدم الإلزام بالمكروه . و لهذا يثبت النبي شرط الرضا في الإمام ، " أم به قوما و هم به راضون " حين الحديث عن القرءآن و القيام به . الهمج لا يفهمون و لا يريدون أن يزعجوا أنفسهم الخبيثه بمثل هذا المسلك الإنساني الراقي. هم يريدون أن يقتنع الناس بأن من يملك أن يدوس على رقابهم فهو ربهم الأعلى . شيخ الإشراق وضع حدا عاليا بالنسبه لهؤلاء الهمج . و الأدهى من ذلك ، خصوصا في حالته هو قدس الله سره ، أنه هو نفسه كان هذا المستنير الكامل . فدعواه كانت تحوي بعدا غير مباشر متوجه إلى الدعوه إلى نفسه . فلو اكتفى بأن يقول بشرط الاستناره في الأمير و الإمام ، لكانت نصف مصيبه ، و لعلها تهون في حال توفر شروط أخرى يقدرها الهمج من الساسه. و هذا حال الشيخ الأكبر . فإنه و إن كان صرح تصريحا ليس وراءه تصريح ، كما قال في فصوص الحكم " فما صحت الخلافه إلا للإنسان الكامل " بالاضافه إلى نقاط أخرى تتمحور حول هذه الحقيقه و المتعلقه تعلقا مباشرا بالخلافه بمعنى الحكم الاجتماعي ، و هذا بالمناسبه هو سر التهجم و التكفير المتعلق بفصوص الحكم على الخصوص و أما ما سوى ذلك من "وحده الوجود" و ما أشبه ، فإن رجال الحيض و النفاس ، و رجال حدثني و حدثنا، ليس لهم مدخليه في هذه الأبحاث أصلا فضلا عن فهمها او حدس سرها . و لكن الشيخ ابن عربي كان محفوظا بحفظ خاص ، و لم يصدر منه ما يدعو إلى القيام بقتله و إن كان سيتم سجنه و قتله في فتره من فترات حياته ، و لكن الله سلم و كان أمره مفعولا .

ومن الأمور العظيمه التي قام بها شيخ الاشراق - كما كتب سيد حسين نصر بارك الله في عمره- أنه كان "أول حكيم يعانق بروحه قلل الفكر الشامخة في آفاق الحقيقة فوق سحب القول، وهناك يتوافر له الإمكان في ربط الكلام والفكر الإنساني بالكلام والفكر الإلهي، فيربط الحكمة بالقرآن الكريم بأمتن العرى وأجمل الوشائج، فلا نراه في فقرة من أثر من آثاره إلا متدرجاً صاعداً حتى يتوج مسيرته الفكرية بالآية القرآنية مستشهداً بها في جلالها وعظمتها " و يذكر في موضع آخر أن الشيخ السهروردي هو أول من اتخذ هذا المسلك . فهنيئا لمن سفك دم هذا الحكيم القرءآني ! و هنيئا لمن لا يزال يرى حقانيه قتله ، أليس الله ألحق يقتله الأنبياء من رضي عن قتله الأنبياء ، فقال لهم " فلم تقتلون أنبياء الله " . فالذي يرضى بالقتل ، و بالتالي بالأصول الفكريه و الشرعيه التي قام عليها القتل ، هو كالقاتل سواء من هذه الحيثيه. و من زاويه أخرى ، تأمل ما نشرته السلطه الفاسقه الظالمه عن " المناظره " التي يفترض أنه بسبببها حكموا بالقتل على شيخ الإشراق - أعوذ بالله ، لم يقتلوه ، و إنما قتلوا جسمه كما أن أجسامهم هم ماتت أيضا ، و الفرق أن روحه لا تزال حاضره بيننا في كتبه العظيمه و من قتلوا جسمه أصبحوا في عداد المنسيين إلا ذاك الأيوبي فشئ من استعماله كرمز من قبل بعض الغافلين لا يزال قائما. المناظره المزعومه - كما نقلها سيد حسين نصر في مقال له عن السهروردي في ثقافتنا العد د ١
.هي التالي : "لقد سألوه:

- الله قادر على أن يخلق مايشاء؟
- قال: نعم
- فقالوا: نبي الإسلام خاتم الأنبياء؟
- قال: نعم. إذّ ذاك قالوا:
- فكيف يمكن لإله هكذا ألا يستطيع أن يبعث نبياً بعد نبي الإسلام؟ "

فواضح أنهم حكموا بقتله من قبل أن يسألوه أصلا . هذا على فرض صحه سؤالهم إياه هذه الأسئله . فأرادوا أن يجعلوه بين أن يقول لهم : الله غير قادر ، أو نبي الاسلام ليس خاتم الانبياء . فعلى الاول يصبح كافرا ، و على الثاني يصبح مرتدا او زنديقا . و يغلب على ظني بل أتيقن تقريبا أن هذه الأسئله لم تقع ، و رجل بقامه شيخ الإشراق كان في استطاعته أن يجيب عن هذه الأسئله اجابه تخرجه من هذا الفخ الذي نصبوه له . و هذه الأجوبه السخيفه بنعم او لا ليست مما يجاب به عن مثل هذه الأسئله ، ففي المسأله تفصيل يحتاج إلى تفصيل في الجواب . فكان بإمكانه أن يقول مثلا : الله قادر و لكنه أخبرنا أنه لا يريد أن يبعث نبي آخر بعد نبي الإسلام ، و لا منافاه بين الأمرين ، كما أن الله قادر على كثير من الأمور و لكنه لا يريدها . او حتى ما هو أعقد و أعمق من هذه الإجابه . و لكننا نعلم جيدا من الامثله التاريخيه و الحاضره كيف يتعامل الهمج من الساسه مع خصومهم ، و كيف يشوهون صورتهم أمام العوام . فلو نقلوا للعوام مناظره حقيقيه في مثل هذه المسائل لما استطاعوا أن يفهموا سبب الحكم بقتله ، و لكن التبسيط بل التسخيف الذي يمكن أن تتناقله الالسن و تفهمه أدمغه البهائم الذين يسوسونهم ، كاف و زياده لبلوغ المطلوب . و هذا ما فعلوه . فهم أرادوا قتله لأنه شرط الاستناره الروحيه و الكمال المعنوي في الإمام ، و كان هو هذا الإمام ، فقتلوه لأنه كان له تأثير عجيب على من يستمع له و يخالطه ، و هذا "فتنه" بكل المقاييس الهمجيه . فكان ما كان. و ما الغيره المزعومه على محارم الله او عقائد الاسلام إلا أقنعه بات الكثير من الناس يعلمها جيدا فلا نطيل . فرحمه الله على شيخ الاشراق السهروردي ، صاحب الكتاب العظيم حكمه الاشراق الذي نعرف عظمته بالشهود المعنوي حتى قبل أن نقرأ نص الكتاب و ندرسه دراسه متأنيه ، فما ظنك بمن درسه و انفتحت له أبواب غيبه . نسأل الله أن يمدنا ببركاته و يمن علينا بعلومه . و من قوله في اشتراط الاستناره ، ما كتبه في بدايه حكمه الاشراق " العالم ما خلا قط عن الحكمه ، و عن شخص قايم بها عنده الحجج و البينات ، و هو خليفه الله في أرضه، و هكذا يكون ما دامت السموات و الارض " . و غير ذلك من هذا القبيل . و حيث إنه هو وارث حكمه الأولين و الاخرين ، بالوراثه الذوقيه الشهوديه ، و لا أقل أنه مصداق لهذا الحكيم الذي هو خليفه الله في أرضه ، فهذا يعني أن الحكمه النورانيه شرط في الخلافه الإلهيه . و هيهات أن يرضى الكلاب و الذئاب بمثل ذلك . و كذلك قوله " فإن اتفق في الوقت متوغل في التأله و البحث ، فله الرئاسه و هو خليفه الله " و كذلك " و لا رئاسه في أرض الله للباحث المتوغل في البحث الذي لم يتوغل في التأله " و كذلك " فإن المتوغل في التأله لا يخلو العالم عنه ، و هو أحق من الباحث فحسب ، إذ لابد للخلافه من التلقي " ثم قوله عن صاحب الاستناره " إذا كانت السياسه بيده كان الزمان نوريا . و إذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبه " أحسب أن قتل السيد السهروردي أصحب أمرا معقولا بعد أمثال هذه التصريحات. رحمه الله و جمعنا به في مستقر رحمته.

إن كان أصل الأمه المحمديه يقوم على القرءان ، و كان أصل القرءآن هو روحه الإلهيه " و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " و ثبوت هذه النسبه الإلهيه له في قلوب أتباعه ، فكيف يعقل أن يكون إمام الأمه و أميرها ممن لا يستطيع أن يجيب عن سؤال واحد ، سؤال جدي ، متعلق بثبوت و اثبات هذه النسبه ، فضلا عن شهودها و الحياه بها ، و بالتالي امكانيه افاضتها على الغير من أفراد الأمه حتى تقوم الأمه فعلا ؟ أي بعباره واحده سهله : إن كان أساس الأمه من الجاهلين ، فكيف تقوم أمه للمسلمين . و الجهل لا يعني مجرد عدم العلم بمعلومات معينه . الجهل هنا هو عدم التحقق بمقام الولايه الإلهيه و أن يكون قلب العارف مندمجا على مكنون علم النبوه و أسرارها . و لكن إحداث هذا الشرخ الأعظم في بناء الأمه المحمديه لم يقل في الدوله الأمويه كما يتوهم البعض مع الأسف إلى يومنا هذا . بل قام منذ يوم السقيفه المشؤوم . و قبل أن أعلق تعليقا ضروريا على هذا الأمر ينبغي أن نذكر أنصار ثمره السقيفه إلى يومنا هذا و هم يعرفون أنفسهم : إنكم أقررتم بأن مسأله " الحكم السياسي- الاجتماعي" كما تسمونه، ليس مسأله "دينيه" ، و النبي " لم ينص عليها بشئ " بل المسأله ترجع إلى " اختيار الناس". و بدون أن نفصل في هذه المقوله ، فقد خصصنا لها كتابا فليراجعه من يحب ، و لكن نقبل بها و ندعوا أصحابها أن يلتزموا بحقيقتها و أبعادها . و أول أبعادها أن رفض ما نتج عن السقيفه و تداعياته إلى يوم الناس هذا ، لا يجوز أن يكون سببا و مبررا للطعن في دين الرافض الذي يرى أن الأولى كان يجب أن يكون على غير هذا النحو . فالمسأله في نهايه المطاف "دنيويه" و "تاريخيه" ، فالزموا هذا و لا تجبروا الناس و ترهبوهم لقبول أمور هم لا يعلمون حقيقتها ، و نحن نعلم أنكم تعلمون او لا أقل سادتكم يعلمون . بعد هذه المقدمه المختصره نقول : إن أصل مصيبه السقيفه أنها راعت معايير سفليه في اختيار أمير الأمه ، و ليس المعايير القرءآنيه الإلهيه النبويه الروحانيه العقليه . فالنقاش بين القوم كان أشبه ما يكون بنقاش برلماني - مع كل الصخب و الشتم المصاحب له أحيانا - و لكن اللهم كان النقاش مطعما بشئ من القيم الثقافيه التي تسالمت عليها جماهير الأمه . نحن لا يهمنا لو اختار و رضي بهذه المعايير السفليه تسع و تسعين بالمائه من الأمه في ذلك الزمان ، المشكله أكبر من اختيار فلان او علان ، المصيبه أكبر من "عدد" الذين اختاروا و رضوا بفلان و علان . أصل المصيبه معياري . فالمعيار الذي على أساسه تم الاختيار موبوء و مريض ، و لا نريد أن نقول جاهلي مزخرف بشئ القيم الميته المنزوعه من سياقها و حدودها . و لهذا كانت بتصريح أحد رعاتها الكبار " فتنه " اللهم إنه قال بعدها " وقى الله المسلمين شرها و من عاد لمثلها فاقتلوه" او كما قال . صدق في الأولى ، و ليته صدق في الثانيه . إلى يومنا هذا لم يزل شرها فوق رؤوسنا . و صدقت السيده فاطمه عليها السلام حين قالت - و ما أعظم و أدق و أصدق ما قالت " تزعمون خوف الفتنه ؟!! ألا في الفتنه سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين " ، و من يقرأ تاريخ القرون الخاليه ، و يشاهد القرن الحاضر ، سيرى جهنم التي أحاطت بالأمه بعيني رأسه بالاضافه إلى عيني قلبه . إن المولى أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الوحيد في ذلك القرن ممن كان وارثا لمقامات النبوه و قائما بحقائق القرءآن ، و غيره لم يكن في مرتبته مهما علت . هذا لا يعني تشيعا او رافضيه او نزعه فارسيه مجوسيه او لا ادري ما هي بقيه التسميات و نظريات المؤامرات التي يعشقها من استخف بهم أربابهم و أسيادهم . ليس كل من يعرف أن هذا هو الحق او الأحق يعني أنه زيدي او اسماعيلي او اثناعشري او غير ذلك. لست أحدا من هؤلاء . و قد بينا ذلك في مواضع أخرى بالتفصيل فلا نعيد . و لكن ما نريد أن نذكر به في هذا المقام أن الإمامه على كل المستويات هي للأقرأ لكتاب الله تعالى ، الأقرأ بالقراءه الحقيقه الكامله ، القراءه التي قصدها الله في قوله " اقرأ باسم ربك الذي خلق" و القراءه التي تكشف حقائق القرءآن و تستفيد من روحه و أسراره . في ظل هذا فقط يمكن أن تقوم حضاره قرءانيه ، لأن المحيط الكوني

للأمه سيكون مفعما بروح القرءآن و مبادئه العرشيه و تنزلاتها الملكوتيه و الملكيه . و بدون مثل هذه المعرفه ، سيكون الانحدار و الهاريه القلبيه و القالبيه هو المآل الذي لا مآل غيره . و لا يمكن غير هذا . في السابق كان انحدار باتجاه الجهل و الوحشيه ، و اليوم هي باتجاه الحداثه الغربيه . و سخف "الاسلاميين" اليوم وصل إلى حد أنهم هم أنفسهم تقريبا بدأوا يتقززون من أنفسهم و دعوتهم ، حتى راحوا يتسابقون إلى الكلام عن "أرض الواقع" و كيفيه "كسب الجماهير" ، و حث الناس على "المحافظه على الصلاه " و "عدم شرب الخمر " ، بالاضافه إلى " الاستفاده من العلوم الغربيه و الفلسفه الغربيه" طالما أنها "توافق الاسلام " اسلامهم هم طبعا الذي هو اسم تحته شئ من المفاهيم الميته المبتوره في الدماغ ، و شئ من الطقوس التي يتحرك بها بشر بجثثهم الخاويه . و لا يفهمون شئ يذكر تقريبا عن حقيقه الرؤيه النبويه للوجود ، و أبعادها ، و لهذا يستطيعوا أن يملأوا وجودهم بالفلسفه الغربيه على اختلاف صورها و ألوانها و إن كانت كلها تقريبا - أي الحداثيه منها خصوصا التي بدأ بعد ما يلقب بعصر النهضه الفرنسي - و ليست الفلسفه الغربيه الحداثيه إلا نقضا ذاتيا للرؤيه النبويه للوجود و الكون ، و ما يتفرع عن ذلك من مناهج فكر و خيال و فعل و شعور ، و نتائج كل ذلك في الفرد و المجتمع و آثاره في الكون ككل .

أضرب مثالا واحدا على كائن من هذه الكائنات الغريبه "الاسلاميه" . و هو مقال للاستاذ هاشم صالح . و بالرغم من أن الاستاذ هاشم معروف بترجمته لكتب كائن آخر غريب جدا عن الروح القرءآنيه و الرؤيه النبويه ، بل اطروحاته نقض لهذه الرؤيه معنويا قبل مبنويا . و هو الاستاذ محمد اركون ، فإني فضلت أن أنقل هذا المثال من مقال نشر في جريده عامه لأنه في ظني أنه في مثل هذه المقالات المختصره و العفويه و التي تعرض على الجماهير تبرز جوانب من المفكر و الكاتب لا تبرز في غير ذلك من مواضع ، خصوصا حين تكون الساحه ساحه تنطع أكاديمي ، ففي هذه الحاله لا تجد الجوانب الشخصيه للكاتب و انفعالاته التي يتعرض لها حين يتحدث مع جمهور من عامه الناس . على أيه حال ، تعالوا ننظر في هذا المقال لنرى مضامينه او شئ منها بما يناسب المقام .

المقال نشر في جريده الشرق الأوسط ، العدد ١٣٠٨٤ ، بتاريخ ٢٤ـــ٩-٢٠١٤م . و هذا هو عنوانه (شلير ماشير...المصالحه بين الدين و الحداثه) . شلير هذا مفكر ديني معين يتحدث الاستاذ عنه و عن بعض أهم انجازاته . و لكن بمجرد أن ننظر إلى هذا العنوان ، نستطيع أن نحدس بأهم مبادئ رؤيه الكاتب للدين و الحداثه . فمجرد توهم إمكانيه حدوث صلح بين الدين و الحداثه يعني أحد أمور لا مخرج منها : إما أن هذا الدين الذي يتحدث عنه ليس بدين بالمعنى الحقيقي للكلمه . و إما أن الكاتب لا يفهم ما هي الحداثه أصلا . و إما أنه يريد أن يختزل الدين في جوانب معينه و غالبا ما يكون ذلك عن طريق تحويل الدين إلى شئ متعلق بالعاطفه النفسانيه ، و قتل ما سوى ذلك تقريبا او تهميشه . و لن نتفاجأ إذا وجدنا الكاتب يميل إلى الاختيار الثالث ، و طبعا مجرد وجود هذا الميل - و ما أكثره في الناس اليوم - يعني في نفسه الوقت أن الاحتمال الأول و الثاني أيضا حق بالنسبه للذي يميل للثالث . فلا يمكن لشخص أن يفهم الدين - لا أقل دين القرءآن - و يفهم ما هي الرؤيه الوجوديه و الكونيه للحداثه و لوازمها الضروريه التي تتفرع عنها في شتى نواحي الحياه بل و الموت ، ثم يظن أنه يمكن أن تقوم مصالحه بين الأمرين . و لكن - و قد خبرنا القوم - فإن صاحبنا على الأغلب اختار أن يذكر هذا "البطل" حتى يجعله اسوه للقراء او لا أقل أن يستعمل بطله هذا ليستحقر "أبطالنا" إن صح التعبير . و الكاتب يكتب من باريس في فرنسا ، كما هو حال استاذه أركون . و قد استهلكوا أنفسهم في هذه الحداثه و "نقد" العقل الاسلامي كما يقولون ، فليس من

الغريب أن تكون النتيجه كما هي ظاهره في هذا المقال . و ضع في بالك أثناء القراءه أن الكاتب يكلم أمه مسلمه ، و عربيه خصوصا ، و أمتنا فيها المئات بل الألوف من الأسماء العظيمه و الكتب الأعظم و المباحث الأعظم و الأعظم التي لعل أغلبيه الأمه لم تسمع بأسمائهم فضلا عن أن تستفيد من فتوحاتهم و كشوفاتهم المعرفيه و الحكميه . و لكن انظر كيف يبدأ هذا "المصلح" و "المفكر" الاسلامي :

" من سمع باسم هذا المفكر الألماني الكبير ؟ ربما لا أحد ، أو قل حفنه من نادره من الباحثين الاختصاصيين . و مع ذلك فإن أهميته تقارن أحيانا بأهميه هيغل ، أو على الأقل فيخته و شيلنغ و كبار ممثلي الفلسفه المثاليه الألمانيه . فمن هو هذا الفيلسوف يا ترى ؟ " .
الاستفاده من كل أهل الفكر و الفلسفه في أمتنا ليس مما نحتاج أن نسمع نبره متعاليه من أحد ليعلمنا إياه . فلولا ما بذلته هذه الأمه لزالت معظم إن لم يكن كل الفلسفه من الارض ، و على الاغلب بل المحقق أن الاوروبيون كانوا سيظلوا برابره بلا فكر . و إلى يومنا هذا في المسلمين في شرق الأرض و غربها من لهم رسوخ عظيم في المباحث الفلسفيه ، خصوصا "الحقيقيه " منها ، أي العاليه و الشامله . و أما ما يسميه أهل الحداثه فلسفه ، فالغالب عليه أنه مجرد "جمناستكس" أي ألعاب رياضيه للدماغ و عضلاته . و لهذا لم تنحدر قيمه الفلسفه فعلا في قرن كما بدأت تنحدر و انحدرت فعلا في هذا القرن ، أو لا أقل أن الوضع لم يتغير كثيرا .
و لاحظ الاسماء التي يذكرها : شيلر ، فيخته ، هيغل ، شيلنغ . فهو و أمثاله يظنون أنه يمكن أن يتم " التوفيق " بين اطروحات هؤلاء و غيرهم مع اطروحه علم الأنبياء و الأولياء . بل إن مجرد مقارنه رؤيه هؤلاء و مستواها برؤيه الأنبياء و مستواها ، يشبه مقارنه قرد بجبرائيل . فنحن يا صاحبي نأخذ الفلسفه على محمل الجد ، و نأخذ الأفكار على قيمتها الفعليه، و ليس للألعاب الدماغيه و شئ من الاغراض النفسانيه الرخيصه . نتمنى لو كان القوم يأخذون الأبحاث و الكتابات على محمل الجد . فلو كانوا يفعلون لعلموا أن طرح أسماء من هذا القبيل او غيرهم ، و الأسماء تدل على رؤى وجوديه و مناهج و أطروحات معينه متعلقه بالأصول و الفروع ، مباشره و غير مباشره . في اعتقادي ، أن الكثير من الاسلاميين الغربيين يحبون الفكر للمتعه الدماغيه و النفسانيه ، و ليس لقيمته الحقيقيه و موضوعيته الوجوديه . فهم يحبون أن يفكروا في "شتى الفلسفات" ، زعما في الظاهر " لطلب الحكمه التي هي ضآله المؤمن" ، و في الواقع ليس إلا المتعه . و هذا أمر محترم عندنا ، فمتعه فكريه و لا متعه بهيميه . و لكن في مستوى الأبحاث الجاده ، و الكتابات المتعلقه بالحياه ، فإن القوم على الأغلب لا يعرفون ما يقولون ، أو إنهم قد حسموا الرأي مسبقا بالنسبه لمسائل مهمه ، و هي في الأغلب المسائل التي تسمح لهم بأن يمارسوا متعتهم الفكريه بلا حد ، ثم تتقنع هذه وراء سبعين حجاب من طلب العلم و حب الحكمه و السعي لاصلاح الأمه . و كأن اصلاح أمه محمد يتم بفكر هيغل و فيخته و نيتشه ! في الماضي ابتليت الأمه بالمنطق الفقهي السفلي ، و فرض هذا المنطق على الأمه ليكون هو المعيار الأكبر لمعنى العقل و حدوده ، و ما خرج عنه فهو تخلف و زندقه و عيب و كفر و جهاله . فلما محق الله أساس هذا المنطق بباده السياسيه التي كانت تعطيه قيمته التنفيذيه على نطاق واسع ، و إن بقيت بعض شوارد هنا و هناك . فلما تنفسنا الصعداء من التخلص من هذا العبء الخبيث للفقهاء الذين هم "فراعنه الأولياء و دجاجله عباد الله الصالحين" كما يقول حضره ابن عربي ، خرج علينا في هذا القرن منطق جديد ، هو المنطق الحداثي الغربي ، و الذي هو أخو المنطق الفقهي و لكن من أم أخرى . أبو كلاهما هو المحدوديه في العالم السفلي ، و المآل للمشاعر ، و شئ من اتخاذ المشروعيه من الوضع الراهن لجماهير الناس . نعم يمكن أن تتم

المصالحه بين (الدين و الحداثه) بين دين الفقهاء و الحداثه ، فالمسأله هينه في هذا الدين . كل ما على الحداثيين أن يبينوه هو أنه من "المصلحه" أن يتم اتباع أمور معينه ، ثم شئ من المنطق الحاخامي الذي يستطيع أن يستخرج ما يشاء من "التراث" الواسع و الانتقائيه الهوائيه أساس ممتاز في هذا المجال ، ثم يبقى الدين - كما كان دوما عند الفقهاء بدرجه أو بأخرى ، أي شئ عاطفي يناسب العوام و نفسياتهم الضعيفه. و إن تم صبغ دين الفقهاء بشئ من صبغه التصوف المختزل اختزالا رهيبا ليصبح مؤيدا لهذه العاطفيه النفسانيه السفليه التي تتقنع بالمشاعر الإلهيه العليه فعندها يصبح أمر المصالحه أحسن و أقرب للتحقق .

ثم يكتب الاستاذ " و معلوم أن فرنسا كانت قد أصبحت ذات رساله كونيه خالده ، بعد اندلاع الثوره الفرنسيه ، و قد أرادت تصدير هذه الثوره بكل مبادئها التنويريه إلى شتى أنحاء العالم حتى و لو بقوه السلاح ، كما فعل نابليون بونابرت " .
طبعا الكلام هنا يبدو و كأنه تأييد لهذه الصفات التي وصف بها الثوره الفرنسيه . فكونها ذات "رساله كونيه خالده " او أن مبادئها " التنويريه " هي فعلا تنويريه ، فهذه أمور ينقلها و كأنها مسلمات . و ليس بين علامتي تنصيص او حتى تعليق لاحق ليبين قيمه هذا الوصف . و هذا ليس غريبا ، فهكذا هو الاسلام الغربي - و أسميه اسلام تجاوزا - فهو يرى أن ما أخرجه سفهاء هذه الثوره ، على أنه نتاج له وزن فعلي حتى حين يقرن بالتقاليد العرفانيه النبويه . بل إنهم يستعملون ما أسسه هولاء للحكم و غربله ميراث المسلمين الذي هو ميراث لبه مقدس و صورته من لبه و إن شاب الصوره او بعض الصور ما يشوب الصور عموما ، بل إنهم يحكمون على القرءآن و معارفه العاليه بموازين هؤلاء و مستوى وعيهم الذي هو كمستوى وعي النمل مع المبالغه بالمقارنه مع الوعي النبوي العرفاني . و كون هؤلاء أرادوا تصدير الثوره و لو بالسلاح و قد فعلوا و فشلوا في ظرف قرن او بضعه قرون بل أصبحت فرنسا اليوم مما يتنبأ البعض بأنها ستصبح دوله ذات أغلبيه مسلمه سواء كان بسبب الدعوه او التكاثر و الهجره . و لكن نقل الاستاذ بدون أي تعليق ، و خصوصا حين يخاطب جمهورا مسلما ، فهذا أحسن ما يوصف به أنه وقاحه علنيه و استخفاف بالجمهور . فهذا كأن نأتي إلى جمهور مسلم مؤمن بالنبي محمد ثم نقول له " إن ابن أبي سلول - صاحب الرساله العظيمه القيمه في الحياه ، و صاحب العقل الراجح و المسالك المستقيمه - قال كذا و كذا " . فهي وقاحه لأن الاصول و الفروع التي قامت عليها هذه الثوره الفرنسيه ، هي نقض للاصول و بالتالي الفروع التي تقوم عليها الطريقه النبويه . بل إن السخريه من أصول الطريقه النبويه و كل الطرق العرفانيه عموما ، هو من الأسس التي يؤسس لها و يقوم بها أرباب هذه الثوره و من شايعهم فكريا و سلوكيا إلى يومنا هذا . فكأن الاستاذ - و هو مجرد مثال و إلا فمثله كثير - يعتبر أن جهل القراء بل تقريبا كفرهم بدينهم او لا اقل التشكيك في أصول الطريقه النبويه هو من المسلمات البديهيات . و لذلك يستطيع أن ينقل كلاما عن " التنويريين " بلا أي حرج او حتى مراعاه ، و لا نقول تحقيق و وعي فهذا غائب حتما من أدمغه الاسلام الغربي الذي كما قلنا هو عقل فقهي مقلوب . و أما عن حمل السلاح لنشر مبادئ الفكر الفرنسي ، فهذا و أمثاله هو من أحسن ما يرد به على من يحملون الطريقه النبويه أوزار رجال السياسه في القرون الخاليه الذين تهجموا على الدول و الاراضي و اخضعوا الشعوب ل "الاسلام" بحد السيف - كما يقال . فحتى على فرض تسليم أن هؤلاء الرجال كانوا من أهل بيت النبي - اي دينه و طريقته . و هو محال ، و أول من عانى من هؤلاء الملاعين هم علماء أمتنا و الشعوب المسلمه قبل غيرها ، و حتى على فرض تسليم بأنهم كانوا يحاربون من أجل نشر "مبادئ الاسلام و شريعته " ، و هو محال ، فمعظم هؤلاء كان من أفسق و أفجر من أظلت السماء

فالأصاله فيهم للشر و الاستثناء للخير و المغفل يأتي لهذا الخير الاستثنائي و يقول أنهم أهل خير . فحتى على فرض التسليم بذلك كله ، لا نسلم به. و لكن لنتنزل و نقبل . فإنه لا يوجد أمه على وجه الأرض اليوم تستطيع أن تدعي أنها خير من أمتنا بناء على هذه المعايير . أي معيار حمل السلاح لنشر الافكار و بسط سيطره الدوله . فالفرنسيون فعلوها كما ينقل الاستاذ و الجميع يعلم بذلك ، و حتى القرن الماضي كان الاحتلال لا يزال واقع على بعض الدول كالجزائر ، و ايطاليا في ليبيا ، و هولندا و انجلترا و غير ذلك من دول فعلت كلها - على أقل تقدير - مثل ما فعل من قبلهم من أخوانهم أي الهمج من الساسه " الاسلاميين " ، بل فعلوا أكثر منهم . و أمريكا في هذا القرن فعلت ما فعلت و لا تزال ، كل هذا في سبيل نشر " الديمقراطيه " و " حقوق الانسان " و طبعا الجميع يعلم مقدار قيمه هذا القول . لا يوجد أمه تستطيع أن تتعالى على أمتنا و تقاليدنا بناء على معايير فكريه او سلوكيه ، لا على المستوى الداخلي او الخارجي . و إلى يومنا هذا لم نحظ كمسلمين بدوله تكون فعلا قائمه على ما نريده و نحبه و نعرفه و ندركه . فنحن أول من عانى من الظلم الذي يشتكي منه غيرنا . و "سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

ثم يكتب الاستاذ عن فكره القوميه ، و أين منشأها ، فيكتب " و لكن ذلك " أي خروج الفرنسيون على العالم بمبادئهم " أيقظ عند أبناء الشعوب الأخرى العاطفه القوميه المضاده . فالألمان لا يقلون أهميه عن الفرنسيين ، بل إنهم يتفوقون عليهم في مجالات كثيره ، و قد أخذوا يشعرون بأنهم أمه واحده من حيث اللغه و التاريخ و الجغرافيا و التراث المشترك . و لذلك راحوا يفكرون بتوحيد أنفسهم منذ ذلك الوقت " . و يذكر قبل هذا أن شلير ماشير عمل مع فيختته ، الذي ألف كتاب مهم جدا للقوميه الألمانيه ، و وصل هذا الكتاب إلى من أصبحوا بعد ذلك "قاده الفكر القومي العربي" و هم " كزكي الارسوزي ، و ساطع الحصري ، و ميشال عفلق " .

أقول : بدون أن ندخل في قيمه هذه القوميات ، و سخافه الظن بأن يمكن أن يتوحد الناس بناء على هذه المعاير ، و خصوصا نحن أتباع الطريقه النبويه المحمديه ، و نحن نملك أكبر و أعظم وسيله للتوحد التي تجمع بين الفرد المسلم من طنجا إلى جاكرتا ، و من غانه إلى فرغانه ، و بدل أن يكون سعي هؤلاء القاده و غيرهم إلى التوحيد فعلا بناء على أمور عميقه ، فإنهم و إلى هذا اليوم يأتون بأمور غريبه بل غبيه و يريدون فرضها على المسلمين ، بل إنه لا يمكن أن تثبت مثل هذه الأمور التي يريدونها - سواء كانت فكريه او اجتماعيه او سياسيه او اقتصاديه - إلا عن طريق العنف و القهر ، فهو عفن وسط ساحه مقدسه ، و لا يمكن أن يقبل المقدس هذا العفن طوعا . و من آيات العفن ، أن زكي الارسوزي هذا أصلا في نفسه ملحد ، و هو مؤسس حزب البعث الذي تمثل لاحقا في العراق و سوريا و لا نحتاج أن نعلق على هذا . و كذلك ميشال عفلق كان صليبيا اورثوذكسيا ، و هكذا إلى آخر القائمه ، فدعاه أمثال هذه الافكار ، إما جهله بالطريقه النبويه و إما أعداء صريحين لها ، و لا فرق في الجوهر . و كالعاده في أمثال هؤلاء البشر ، أنهم مستهلكين لما يأتي من الغرب ، فجاء هؤلاء بفكره القوميه من الألمان و الفرنسيين و ما شابه ، و كعاده المقلد الغبي ينتزع الافكار من سياقها و حدودها ، و يسعى لتطبيقها في غير محلها ، فضلا عن عدم التحقق منها و مشاهده جوهرها و أبعادها و مستوياتها . و هذا لا يعني نفي للقوميه بقدر ما يعني أن القوميه ليس لها قيمه جوهريه ، بل هي أشبه بالقشر لا غير. هي حقيقه واقعيه ، فواضح أن المسلم الهندي ليس كالمسلم الافريقي ، و كلاهما ليس كالمسلم العربي ، و لكن هذا اختزال ، لأنه يوجد مسلم هندي يطابق روحا و شكلا مسلم عربي، كما أنه يوجد مسلم مغربي يطابق شكلا و مضمونا مسلم امريكي ، فهذه

الكلمات (هندي، عربي، مغربي و ما اشبه) إما أن تدل على لسان معين ، او جغرافيا معينه و ما اشبه ، و الادعاء بأنه يوجد " العرب " او " الهند " بدون ذكر لتقييدات و في حدود سياق معين ، هو كلام لا وزن له . لأنه لا يوجد " العرب " بقدر ما يوجد أناس و بشر يتحدثون بلسان معين اسمه عربي، و لهم على العموم قواسم مشتركه معينه بل جوانب معينه ، و كلما زاد التدقيق كلما تلاشت هذه القواسم المشتركه ، و كذلك عند الحديث عن الجغرافيا و ما اشبه . الناس بمنظومه قيمهم و أفكارهم و مستوى وعيهم . هذه هي الحقيقه . الناس برؤيتهم للوجود و بمناهج تفكيرهم و تعاملهم الشعوريه و اللاشعوريه ، ثم بالنتائج التي تنبع منهم في ذواتهم و في تجمعاتهم . هذا هو اللب . و ما سوى ذلك فقشور و حجب و أوهام . و لكن ما يحدث لمن ينكر السموات ، أنه ينكر العقول و الذوات . فيتسطح في الارض ، فلا يرى "قواسم مشتركه" إلا في الارضيات ، ظنا بأنه ذكي او عبقري او "واقعي" ، و أول علامه على ضعف هذا التوجه أنه لا يمكن أن يقام أصلا ، و يحتاج إلى دعم دوما من أمور أخرى كمصالح معيشيه معينه ، ثم أن يتم فرضه بالعنف و القهر ، و من يراجع تاريخ " القوميات العربيه " و المتمثله مثلا في حزب البعث ، او يشاهد تاريخ مصر قبل و لبعد ثوره الضباط ، او حتى قيمه تركيا قبل و بعد الدوله العثمانيه ، يعرف مدى قيمه مثل هذه التوجهات من زاويه اضافيه غير زاويه الفكره في نفسها و مستواها . فالعجيب أن أرباب الاسلام الغربي ، او الناس عموما الذين يتعالون على أهل الطريقه النبويه بالقول بأن " المسلم يقلد على عمى و يأخذ بالتسليم " هم أنفسهم يقلدون و يستهلكون ما عند الغربيين و يلوكونه بألسنتهم ، ثم يغيرون شئ من صور الالفاظ أحيانا، و أقول أحيانا لأن معظم من شاهدناهم وقرأنا لهم يأخذون بما عند الغربيين بالمبنى و المعنى . و لكن - و هنا الطامه - فإنهم يضعون أسوأ ما في " العرب " و " المتدين " فوق كل هذا الركام المظلم الذي جاؤوا به من مغرب الشمس . فتجد التعميمات الخرافيه ، و تجد العاطفه العمياء في دعم المقولات ، و تجد الكثير من هذه الامور عندهم ، فكأن الفكر الغربي لم يحسن حتى في أن يهذب هذا الجانب من نفوسهم ، فما ظنك ب " التنوير " الذي يزعمونه ، و كأنه يمكن أن يوجد تنوير في المقابر بنفسها أصلا . و سنجد شئ من هذا المسلك العاطفي الأعمى في ثنايا مقال الاستاذ هنا ، فلنكمل .

ينقل الاستاذ وصف لشلير ماشير بأنه " أكبر مصلح ديني بعد مارتن لوثر " . و مارتن لوثر كما هو معلوم هو الذي أنشأ البروتستانتيه . و أحد حمله رايه الاسلام الغربي في هذا القرن ، و إن كان بنسخه ملطفه بالتصوف العاطفي إلى حد ما ، هو الدكتور خطيب النمسا- بارك الله في عمره . و قد استمعت له مره و هو ينقل وصف أحد اساتذته الغربيين له بأنه في الاسلام يعتبر مصلحا كمارتن لوثر في "المسيحيه" . فيبدو أن مثال مارن لوثر البروتستانتي هو من الأمثله الرئيسيه عند القوم . فاذا علمنا أن البروتستانتيه هي "عقلنه الدين" بالمعنى السافل للعقل ، الذي هو في الواقع تفريغ للدين من روحه العاليه ، و هو مقدمه قويه لتسطيح الدين النبوي و بالتالي جعله شيئا فشيئا ليصبح مجرد شئ عاطفي تحتاجه النفس البشريه، فعندها لن نتعجب من عشق القوم لمثال لوثر و اعتباره مثلا يفتخر به من ينسب له . و هذه هي رسالتهم باختصار . و مره أخرى ، تقليد للغربيين بلا أصاله شخصيه . و هم عند أنفسهم لا يرتابون أنهم من " المجددين " و الذين يعرفون " جوهر الدين " . و مره أخرى ، هذا النوع من الدين، الذي بصراحه لا نعرف كيف يمكن لانسان يحترم نفسه أن يقبله ، هو الذي يمكن أن يتصالح مع الحداثه . و سر هذه المصالحه هو أن هذا النوع من الدين لم يتخاصم يوما مع الحداثه أصلا حتى يتصالح معها . كيف و هو ابنها الشرعي ! و أما مجرد كون شخص ما يحب التصوف او يحب الشريعه او يحب العقيده الاسلاميه او ما اشبه من كلمات لا اعتباريه لها

عندنا في هذا السياق ، فإنه لا يعني أن الشخص يملك الحق المنطقي ليكون محبا و قابلا لهذه الأمور ، بمعنى أن رؤيته الحداثيه - إن كان مخلصا و لم يكن انتقائيا تلفيقيا " إن أردنا إلا إحسانا و توفيقا " - فإنها بنفسها لا توصل إلى هذا الحب و القبول لبعض الأمور العقديه او الشرعيه ، اللهم إلا من باب أن الحداثه شئ عدمي في الأساس و في العدم كل شئ مقبول . فالمسأله في المحصله تلفيق و توفيق ، فما "شعرت" بأنه جيد خذه ، و ما لم "تشعر" بأنه جيد فاتركه . و كالعاده ، يأتي " التراث " ليؤيد و يقول " الحكمه ضاله المؤمن " و "استفت قلبك و لو افتاك المفتون " و كأن القلب الذي خاطبه النبي بهذه العباره كان كقلب هؤلاء او كأن هؤلاء عرفوا معنى الحكمه التي هي ضاله المؤمن . و لكن ما قيمه هذه التعليقات عند مارتن لوثر الاسلام و أضرابه . ففي النهايه ، الاسلامي الغربي لو مارتن لوثر ، يعرف بدماغه السفلي و انفعالاته العاطفيه كل شئ ، الكتاب المقدس يجب أن يخضع لفهم العامي و هو معيار صدق المعلومه او لا أقل أنه يملك " الحق " في أن يفهم ، و من يعارض ذلك فهو يعارض حريه الانسان و تعامله مع ربه بلا وسيط من البشر ، و كأن القرءآن ألقي إليهم من العرش الالهي مباشره ، او كأن الحريه تعني تسفيه الأمور و تسطيح العقول ، أو كأن كل وساطه هي وساطه الخبيث الذي يدعي ما ليس فيه ، او كأن حريه الفهم توجد فقط في شؤون الدين النبوي الذي هو أعظم علم في الكون و هم أنفسهم يرفضون هذه الحريه لكل انسان في شتى شؤون الحياه و العلوم ، بل يجب أن تكون "متخصصا" ، ف " التخصص" ضروره في كل العلوم إلا التعامل مع دين الله تعالى الذي هو مظهر سر العرش الأعلى ، لا فهذا للجميع ، و نشكر الرب على مارتن لوثر و أضرابه .

ثم يصرح الاستاذ بالغايه من المقال كله فيكتب " لقد ساهم هذا المفكر الكبير في مصالحه الدين المسيحي مع الحداثه ، أي في انفتاح كليات الشريعه المسيحيه على الفلسفه و العلم الحديث . و معلوم أنها كانت منغلقه على كل ذلك من قبل . و كانت تدرس الدين على طريقه القرون الوسطى الأصوليه الظلاميه . و بالتالي ، فإن العمل الذي قام به فريدريك شلير ماشير كان مهما جدا . لقد ساهم في بلوره التفسير الليبرالي او العقلاني للدين المسيحي ، لكي يحل محل التفسير التقليدي المتحنط ، أي التفسير الطائفي و المذهبي القديم . و هي المهمه الجليله المطروحه بكل إلحاح على مبار المثقفين العرب و المسلمين اليوم " .

ملاحظات سريعه : اختزال الأمه المسلمه كلها لتصبح مجرد جماعه معينه - يبدو أنها السلفيه و الوهابيه خصوصا - ثم كيل التهم و الشتائم العلميه لهذه الجماعه . و يبدو هذا التعميم و الاختزال في قول الاستاذ كما يأتي بعد ذلك من قوله " و أما رجال الدين عندنا ، ففي حياتهم كلها لم يفتحوا كتابا في الفلسفه . معاذ الله ! " . فقوله هذا إما أن يكون تعميما أجوفا ، لا مصداق له في الواقع المقصود ، اذ من "رجال الدين عندنا " من إذا عطس خرج منه نور عقلي أكثر مما في أدمغه معظم رجال الاسلام الغربي مجتمعين . و لكن حسن الظن بالاستاذ "العقلاني" يجعلنا نرى أنه يقصد جماعه معينه عرفت منذ القدم برفض الابحاث الفلسفيه ، و هي قليله جدا ، و أما الجماهير - فلا جماهير الشرق و لا الغرب - تفقه الفلسفه لا العاليه و لا السافله على العموم . و عباره " رجال الدين " هي أيضا من العبارات التي تؤخذ من سياقها الصليبي و تفرض على الأمه ، و معلوم أنه لا يوجد شئ اسمه "رجال الدين " عندنا بهذا المعني الذي يوجد في الصليبيين و لا غيرهم ، و لكن بما أنهم قد فرضوا على الأمه أنها مثل الكاثوليك ، و هم البروتستانت ، فتكمله تداعيات هذا التمثيل هو أمر منطقي و متوقع . و بدل فهم الوقائع البشريه و الانسانيه بالأمثله القرءآنيه التي هي الأمثله الواقعيه للناس في

الشرق و الغرب ، فإن موارتن لوثر الاسلام - ان صح التعبير - لا يريدون أن يفهموا بعين القرءان، و لكن بعين امثله تارخيه و غربيه غريبه ، و ما أكثر القيام بهذه المطابقه بين الصليبيه في عهدها الكاثوليكي حين كانت له اليد العليا ثم طروء البروتستانتيه و ما صاحب ذلك كله ، و بين حال أمتنا . فدقق في هذا . هذه الملاحظه الأولى .

الثانيه هي الكلمات الهلاميه و الماكره في ثنايا الكلام المفترض أنه عقلاني . فهو يختلق ثنائيه بين أمرين : الأول هو الدين الأصولي الظلامي التقليدي المتحنط الطائفي المذهبي القديم . تأمل هذه الاوصاف السبعه ، فانه فعلا من جوامع الكلم في قاموس الاسلام الغربي بل في ادمغه الكثير من البشر في التعامل مع الميراث الديني عموما . فإذن يوجد في طرف الدين الأصولي ، الظلامي ، التقليدي ، المتحنط ، الطائفي ، المذهبي ، القديم . ثم يوضع بالاضافه إلى ذلك عباره " القرون الوسطى " و كأنه هذه سبه و عار في حد ذاتها بالرغم من أن القرون "الوسطى" عباره تدل على فتره زمنيه ، فما علاقه ذلك بالسب و القدح ، سنعرف بعد قليل إن شاء الله. فإذن هذا طرف . و هذا الطرف هو الذي عليه الأمه الفاسده التي يريد الموارتن لوثر أن يصلحوها و يكونوا هم رسل الحق و التنوير لها . ممتاز . فما هو الطرف المقابل ؟ الجواب كما كتب الاستاذ : الدين المنفتح على الفلسفه و العلم الحديث و الذي يفتح الشريعه على الفلسفه و العلم الحديث ، الليبرالي ، العقلاني ، الثقافي . واضح أن هؤلاء الذين يشتكون من من " الأصوليين " من كونهم يقسمون الناس إلى قسمين ، قسم مستنير في الجنه ، و قسم كافر في النار ، قد قاموا - كالعاده - بنفس الأمر . فالأمم على قسمين، قسم لا ينفتح على الفلسفه و العلم الحديث و الليبراليه بالمعنى الذي عندهم و العقلانيه بالمعنى الذي عندهم و الثقافه بالمعنى الذي عندهم ، فهذا هو قسم الجهال الكفار الفاسدين الظلاميين . و القسم الاخر هم طبعا ، أصحاب العقل و الحريه و الانفتاح على الفلسفه و العلم " الحديث " . و هذا من أمثله عدم إمكانيه تخلص الاسلام الغربي بل كل البشر عموما ، من ما يرونه أمراضا في الأصوليه الظلاميه القروسطيه .

الملاحظه الثالثه ، ارشاد بسيط لمارتن لوثر عن بعض الكلمات التي يكثرون من ذكرها و كأنها حقائق مسلمه بل على أنها قيم مقبوله بذاتها .

" الأصولي " لا تعني - في معناها اللغوي و الاصطلاحي - إلا إنسان يتمسك بما عنده و يراه الحق . و كل انسان اصولي . و أما تقييد الاصوليه بأنه " اطلاق النسبي " او "تجويز قتل المخالف " فهو إما أمور لا معنى لها ، او أمور لا علاقه لها بمعنى الأصوليه . لب الأصوليه الاعتقاد الجازم بما عندك و استعمال ما عندك للحكم على الامور المغايره و التصرف في الكون. و كل انسان اصولي بهذا المعنى . و لا نعرف أصولي أشد من الاسلامي الغربي في كلامه ، كما ان الاسلامي الوحشي في التعبير عن اصوليته يستعمل سلاحه . فالفرق بينهما ليس إلا وسيله التعبير عن الاصوليه المتطرفه التي عندهم . فالوحشي يريد تغيير الارض بوسيله ارضيه ، فالاسد لا يقنع الغزاله بالفلسفه من أجل أن يسيطر عليها و يخضعها لحاجته. و الحق مع المتوحش في هذا المجال . و كل الدول قامت على الوحشيه و العنف . و إنما تصبح الدوله " مسالمه " بعد أن تقوم ، بل لا تصبح مسالمه حتى بعد أن تقوم لأنها لا ترى بأسا في التنكيل بمن "يخون الوطن" و ما اشبه . فالوحوش طائفه واحده ، و إن اختلفت اسمائهم و شعاراتهم . و بعض الوحوش أفضل من بعض . و أما الاسلامي الغربي فهو يريد تغيير الارض بالكلام ، و هيهات - هكذا يقول الوحشي . و لذلك تجد أن الاسلامي الغربي يسكن

مرتاحا في دول فرغت من العنف و القهر لتقوم ، و أصبحت فيها "ليبراليه" إلى حد كبير و مراعاه لحقوق البشر ، فهذا يسكن في باريس و ذاك يسكن في النمسا و ثالث يسكن في السويد ، و رابع في امريكا ، و من تلك المناطق المريحه معيشيا و فيها مجال واسع للكلام و التفكير في شتى الشؤون - بشرط أن لا يرتكب عنفا جسمانيا و هذا حق هو عين الحق الذي نعرفه و نؤمن به - ثم يتفلسف من هناك كما يحلو له . فهو يشجب العنف الوحشي و يسكن في ثماره ! فلولا العنف لما قامت دوله من تلك الدول كلها ، و لولا التهديد بالعنف و تفعليه احيانا لما استمرت دوله من تلك الدول بالقيام . فهم يشجبون العنف بعد التمتع بثماره ، فهم يجلسون على فرع الشجره و يلعنون أصلها ! ألا تريد من الاسلامي الوحشي أن يسخر من أخيه الغربي و هو يرى أن هذا حاله . كلاهما سواء في انكار العرفان ، في الانكار الفعلي او النظري للطبقات العاليه من الوجود الكوني ، كلاهما محبوس في الوعي الافقي السطحي العدمي ، كلاهما ينكر أسرار الدين النبوي و مستوياته العميقه ، كلاهما يريد أن "يطبق" منظومته على "ارض الواقع" عن طريق شؤون اجتماعيه سياسيه في المحصله ، و كلاهما يرى التقسيم الثنائي للناس فإما معنا او ضدنا بلا ثالث فعلي في البين ، الفرق الاكبر إن لم يكن الوحيد بينهما هو أن الوحشي يستعمل سنانه ، و الغربي يستعمل لسانه . و الغربي أعلى من الوحشي و أحب إلينا من هذه الحيثيه فقط . و هو أقرب للعارفين من هذه الحيثيه ، و بعضهم عنده القابليه لدخول الطريقه النبويه فعلا و أما الوحشي فالغالب الاعم أنه قد يئس من روح الله بالكليه بل يرى قتل العرفاء الزنادقه .

" الظلامي " حين تذكر ظلامي و تجعل ضدها حداثي ، فهذا يعني أن الرؤيه الوجوديه للحداثه هي النور . فإذا عرفنا أن هذه الرؤيه في جذورها كما في أهم فروعها تناقض الرؤيه النبويه للوجود ، فإن هذا في الواقع يعني أن الرؤيه النبويه للوجود ظلاميه . الفلسفه رؤيه للوجود ، و تطبيق شؤون هذه الفلسفه هو شريعتها . فالفلسفه ليست مجرد عضلات دماغ و ألعاب بالالفاظ . الفلسفه أمر مهم و جدي ، و لها واقعها و مستواها و فاعليتها . و الظن بأن الفلسفه الحداثيه - و من ثم شريعتها - مطابقه للفلسفه النبويه إن صح التعبير ، هو أمر لا أجد في نفسي إلا احتقارا عميقا لمنطق مدعي هذا التطابق ، بل لمدعي التقارب بل لمدعي التشابه . إن صدور مثل هذه الدعاوى من قبل أناس نعلم يقينا أنهم درسوا الفلسفه الحداثيه، و نعلم أن لهم اطلاعا جيدا بل ممتازا أحيانا على الفلسفه العرفانيه النبويه ، يجعلنا نعتقد إما أنه عرفوا النبوه و رفضوها و لم يجدوا الجرأه لانكارها ، او غير ذلك من شؤون المكر و عدم وجود الشجاعه العقليه . فدعوى "الظلاميه" في حق ما هو ضد الحداثيه ، يعني أنه إن تعين أن الرؤيه النبويه القرءآنيه مضاده للرؤيه الحداثيه في بنودها الأصليه التي تشترك فيها كل ما ولدته الحداثه ، يعني بالضروره أن الرؤيه النبويه هي الظلاميه . و مثال واحد بسيط ، حين تسمع من اسلامي غربي يقول عن التراتبيه في الكون ، أنها " خرافه ، يراد بها اخضاع الناس و الشعوب لسلطه رجال الدين " و بالتالي " لا واسطه بين الله و خلقه " . فكيف يمكن أن نتعامل مع هذا الكائن الذي يقرأ في عشرات بل مئات بل آلاف المواضع في القرءآن التي تثبت هذه التراتبيه ، و تثبت طاعه الأدنى للأعلى ، و تثبت ما سوى ذلك من حقائق هذا الأمر و شؤونه ، بل إن نفس القرءآن جاء بواسطه بل بأكثر من واسطه . فماذا نقول لهذا ؟ كيف نقبل أن ما يطرحه من فكر هو " اسلامي " . بل إن مجرد بروز مارتن لوثر لتنوير الناس و ايصال الحقائق لهم هو من أكبر الادله الذاتيه على ضروره وجود الواسطه بين النور و عوام الناس الجهله ! فهؤلاء الذين يرون أن تنوير الشعوب التي تعيش في الاصوليه الظلاميه المتحنطه، أي في الجاهليه بعباره أقرب للمعنى الذي يتصورنه ، ثم يدعون أن هذا التنوير هو " مهمه جليله" هم أربابها ، كيف لا يرون أن حقيقه

الوساطه قائمه فيهم و بلسانهم و بسلوكهم ، و إن كان في مستوى متدني للوساطه و لكنها وساطه على كل حال . و قس على ذلك بقيه الافكار التنويريه. مثال آخر يكثر تكراره و هو " الفرق بين فهم النص و النص في ذاته " ففهم النص قابل للآخذ و الرد ، و لكن النص نفسه معصوم . و ما أكثر تكرار هذا الكلام الفارغ . أول فراغه أنه قتل النص . فالنص لا يفهم منه شئ يمكن الجزم به ، بل هي "افهام بشريه غير معصومه" ، او لا أقل أن الفهم الذي لا يعجبهم من النص هو الذي توضع عليه علامه عدم المعصوميه هذه ، لأننا كما قلنا لا نجد هؤلاء الاسلاميين الغربيين إلا من الذين يثقون وثوقا عجيبا بصحه ما عندهم مما استنبطوه بادمغتهم ، او لا أقل أنهم يثقون وثوقا شديدا في بطلان ما عند "الاصوليين الظلاميين" ، و الوثوق بالبطلان يساوي بالوثوق بالصحه ، من حيث الموثوقيه . أي إن "النسبيه" في الفهم ، إن صدق مدعيها ، يجب أن تكون نسبيه في فهمك لما فهمه غيرك او فهمك للقيم التي تحكم بها على غيرك . فإن كان الغربي يثق تماما بأن الاصوليه ظلاميه ، فهذا يعني أنه يؤمن بالوثوقيه ، فهو يملك وسيله يقينيه جعلته يفهم أن " دين الله مختطف !" و أن "الدين لا يأمر بهذا " او بتعبير الاستاذ "معاذ الله " أن لا يقرأ أحد الفلسفه - الحديثه. كونك تعلم و تثق بأن الله لا يرضى هذا ، او النبي لا يقصد هذا ، يعني أنك قد فهمت عين مقصود الله و النبي ، و بالتالي يوجد طريقه لفهم يقيني وثوقي للنص الديني . فمرحبا بالوفاق مع الاصوليه الظلاميه ! و حسبك أن تستمع إلى مارتن لوثر الاسلام - الدكتور العزيز خطيب النمسا- لتجد مقدار سعه الصدر مع المخالف ! سعه الصدر عند القوم مطلوبه فقط بالنسبه لهم هم ، فهم يريدون من الغير أن يشك فيما عنده ليثق فيما عندهم . و إلا فهم لا يترددون في اليقين بأن ما فهموه هو الحق ، و عين الحق ، و لب الحق ، و جوهر الدين ، خصوصا إن كان الموضع موضع خطابه ، و قد بين لهم غوستاف لوبون أن الخطابه مع الجماهير يجب أن تكون - كما تعلم هتلر منه - حماسيه شديده عصبيه وثوقيه يقينيه سطحيه تمثيليه . و قد خالطنا بعض الاسلاميين الغربيين او الليبراليين ، و لم نجد عندهم ترديد في أنهم على باطل او خطأ او احتمال غير ذلك ، و لا نتوقع ذلك لا ممن قابلنا او معظم من لم نقابل ، و اقول معظم تحرزا، و في نفسه لا يستطيع الانسان ان يعيش بدون اليقين ، و لو كان اليقين بعدم اليقين - و هذه حاله نادره بل لا نعرف لها مصداقا . " الفرق بين فهم النص و النص في ذاته " ، طبعا نصوصهم هم ، بل كلام كل الناس تقريبا ، له معنى مفهوم منه ، و لكن حين يتكلم الله تعالى او نبيه و هو أفصح العرب و أبين لسان ، يصبح الكلام في كوكب و الفهم في كوكب اخر بل مجره آخرى . هم أنفسهم يتحدثون بكلام مكسر و متهافت فيفهم الناس او لا أقل يفهم عقلاء الناس مقاصدهم او معانيهم و مراميهم . و لو قال أحد لمارتن لوثر الاسلام " أنا فهمت من كلامك أنك وهابي تدعوا إلى قتل الناس " لما قال له لوثر " إن هذا فهمك و لكل مجتهد نصيب " و لكن لسفهه بل لعله يلعنه على المنبر و يتهمه - و ما اسرع التهم و أكثرها - بأنه أسفل البشر. فما بال كل كلام له معنى معروف و كلام الله ليس له معنى معروف إلا قليلا . و نفي امكانيه الوصول لعين المعنى او المعاني التي يقصدها الله و رسوله يساوي نفي وجود المعنى في هذا الكلام . ففي الواقع ، عباره "فهم النص مغاير او مفصول عن النص في ذاته " يلزم عنها أحيانا الادعاء بأن النص لغو . و حيث انه لغو فإن النتيجه هي أننا نستطيع أن "نفرض عليه" المعنى الذي نريد ، و هو حال القوم او الكثير جدا منهم . و من ألطف الأمثله على ذلك دعوى بأن النبي لم يكن واثقا كل الوثوق و متيقنا كل اليقين بأنه على الحق المبين ! و الاستدلال جاهز اذ الله يقول " و إنا أو إياكم لعلى هدى او في ضلال مبين " ! طبعا من بين مئات الايات التي تثبت اليقين ، و تثبت قول الله له أنه على الحق المبين ، يأتون لآيه واحده منتزعه من سياق القرءآن كله ، و مبتوره من مضمونها نفسه ، ثم يفرض عليها معنى الشك - و ما أشد عباده الحداثه للشك فيما لا تحب بالاخص- ثم يراد من المسلمين الذي من بين

علماءهم و أفراد علماءهم من يقول " لو كشف الحجاب لما ازددت يقينا " ، او كما قال رسول النور الأعلى السهروردي الشهيد - سلام الله عليه و رحمته - في حكمه الاشراق الشريف و كيف حصل له هذا الكتاب و الحقائق التي فيه طبعا " لم يحصل لي أولا بالفكر ، بل كان حصوله بأمر آخر. ثم طلبت عليه الحجه ، حتى لو قطعت النظر عن الحجه مثلا ، ما كان يشككني فيه مشكك" أن يصدقوا و "يتفتحوا" على قبول وثن الشك الحداثي ، فيعتقدوا بأن النبي الآعظم كعبه الكون و واسطه فيض النور الأعلى و القلب المقدس الذي اتسع لكلام رب العرش العظيم ، هذا النبي كان مترددنا هل هو على حق ام قد يكون على ضلال مبين ، فمن يدري لعل أبو لهب او ابو سفيان كان على الحق المبين الذي شك فيه رسول الله الأمين . و من هذا القبيل الكثير من أفكار القوم و أسسهم .

" التقليدي " هذه الكلمه قد تعني أحد أمرين ، إما أنها تعني التقليد الذي هو ضد الاجتهاد ، فالمقلد هو الذي يقبل ما يقوله غيره بتسليم بمضمونه و إن لم يعلم تفاصيل هذا المضمون ، فهو اتباع على عمى من هذه الحيثيه . و إما أنها تعني التقليد الذي هو ضد الجديد و التجديد ، بمعنى أنه اتباع للأمور القديمه او الموجوده منذ القدم . سنعتبر أن المقصود هو الأمر الأول ، لأن مسأله " القديم " ستأتي بعد قليل إن شاء الله . فالمقصود إذن بالفكر التقليدي أنه الاتباع و التسليم و لو لم يعلم الانسان تفاصيل ما سلم به . و الآن هل هذا آمر مرفوض بذاته ؟ الجواب: لا يوجد انسان على وجه الارض إلا و هو مقلد بهذا المعنى . و الحياه الاجتماعيه بل حتى الفرديه إلى حد كبير تستحيل بلا تقليد . و هذا في الأمور كلها تقريبا . فمثلا ، المريض البدني الذي يذهب إلى الطبيب يعتبر مقلدا ، فهو يأخذ ما يقول به الطبيب و هو يثق فيه عموما فقط لأنه يملك "شهاده" من جامعه ما ، او لأن من حوله من الاهل و الاصدقاء نصحوه بهذا الطبيب . فالمريض يعلم بقيمه الطب ، و لذلك يذهب إلى الطبيب ، و لعله يعلم بمبادئ عامه عن الطب ، فهو من هذه الحيثيه على بصيره من أمره ، و أما من حيث التفاصيل الطبيه فإنه لا يعلم معظم البشر من ذلك شيئا يذكر . و قس على ذلك بقيه المهن و العلوم . و مثل ذلك في التاريخ ، فإن كل او معظم من يقرأ كتب التواريخ يعتبر مقلد للكاتب . و لو جمعنا عدد الكتاب الذي أرخوا لحادثه ما ، خصوصا الحوادث البعيده زمنيا عن هذا القرن ، فإن عددهم لعله لا يزيد عن عدد الاصابع ، او أكثر من ذلك بقليل في كثير من الحالات ، و مع ذلك نسلم بمروياتهم و نقبلها ، و حتى من يتنطع و يزعم أنه يحقق في "كل" معلومه تاريخيه قبل أن يقبلها او يبني عليها ، فإنه من الناحيه العمليه يستحيل ذلك عليه ، يستحيل بكل المقاييس ، لأن عدد الحوادث التاريخيه لا يكاد ينحصر ، فإن كانت رسائل ماجستير و دكتوراه - و التي تأخذ بضعه سنين - يمكن أن تكتب في تحقيق حادثه او حقبه زمنيه واحده ، و مع ذلك يكون فيها ما فيها من التخمين و الظن و الاعتماد على المصادر التي كتبها " المنتصرون " و غير ذلك من مطاعن في المرويات حتى قال أحد أهل التأريخ أن كتب التاريخ و مروياته " بيت الكذب " ، و حتى في المرويات المخصوصه بالدين وصل عدد الوضاعين و الكذابين و الضعفاء ما يبلغ تسعه أعشار ما روي من مرويات إن لم يكن أكثر ، فما ظنك بما سوى ذلك . فإن كان هذا هو التاريخ الذي يعتمد عليه الاعتماد الاكبر من لا يعرفون الحقائق من العرش الأعلى و الملكوت ، بل يعتمدون على " علم التاريخ " و ما سوى ذلك من خرافات هذا العصر ، فما هو مستوى "العلم" الذي يملكونه يا ترى ، و ما هي قيمه ما يتفرع على هذه الاصول . و مع كل هذا فإن قبول ما يحكيه من يدعي الحديث بموضوعيه مطلقه او شبه مطلقه عن الحوادث السابقه ، هو أمر عادي و يكثر الاعتماد عليه من قبل أهل " التنوير " ، بل هو عمدتهم . ففضلا عن عدم إمكانيه " رؤيه " صحه الحوادث التاريخيه التي يدعون وقوعها ، و عدم امكانيه التحقق مع صحه الاستنباطات التي تفرعت عليها ، و عدم امكانيه " العقلانيه " فيما

يخصها ، هنا العقلانيه بمعنى ما هو ضد التقليد ، فإنه مع ذلك لا يجد هؤلاء حرجا من الاعتماد على ذلك بل تأصيل الأصول العظمى عليه و على ما يستنبطونه هم بناء على فلسفتهم الخاصه و رؤيتهم الخاصه للوجود و مناهج تفكيرهم من هذا التاريخ . فهم كلهم أهل تقليد ، بأسوأ معنى لهذه الكلمه ، فيما يخص المصدر الأكبر إن لم يكن الأوحد لفكرهم . يرمون حصن النبوه و العرفان بالحجر و القذر ، و بيوتهم هم مصنوعه من ورق عليه دعوى خبر . بل حتى ما يسمى "علم الاحصاء" الذي أصبح هو الوحي الجديد الذي يعتمد عليه أهل هذا العصر الحداثي المظلم ، هو في الواقع ليس أكثر من تاريخ اللهم إنه جرأه و صفاقه أهله أشد من صفاقه المتعصب للتاريخ . لماذا ؟ ما هو "علم" الاحصاء هذا ؟ لنضرب مثالا يسهل الأمر : لجنه طبيه تريد أن تكتشف تأثير دواء معين على الجسم البشري . يجمعون مئه او ألف أو في حالات قليله حيث تتوفر ميزانيات عاليه مئه ألف او يزيدون ، ثم يقيمون عليهم تجربه بهذا الدواء ، طبعا مع تفاصيل في تقسيمهم إلى فئات و جعل قسم منهم لا يأخذ الدواء الفعلي ، بل يعطونهم حبه مثلا ليس فيها شئ مخصوص متعلق بالدواء الذي يراد تجربته ، و القسم الآخر يأخذ الدواء الفعلي ، و غير ذلك من شروط تختلف باختلاف موضوع التجربه و منهج المنشأه او القائم بالتجربه . ثم ينظر في "عدد" الناس الذين عالجهم الدواء فعلا ، فإن وصل إلى نسبه معينه، عاليه بالمقارنه مع الذين لم يعالجهم ، فإن هذا الدواء - مع توفر شروط أخرى - يعتبر "دواء علمي" . و في الابحاث " النفسيه " أيضا يتم جمع عينه معينه ، ثم القيام بمثل هذه الاحصاءات العدديه الرياضيه . و بمثل هذه الابحاث ، التي يتم تسميتها "علميه" ، يتم بناء كل الصرح " العلمي" اليوم ، في شتى الفروع . و منه الهوس ب " الأرقام " ، أي أن تكون النتيجه مدعومه بأرقام تدل على النتائج ، إذ بهذا يمكن "قياس" قيمتها " العلميه " . و من هنا قال رجال هذا العلم " العلم قياس " . بمعنى أنه ما يمكن أن تقيسه بالارقام و تحدده بالاعداد و الاحصاء . و ما وراء ذلك فإما أنه " لا علم " أو أنه " جهل " صرف أو لا أقل أنه في منطقه المباح الذي لا يعرف له قسم حتى حين أي حتى يتطور العلم الحداثي فيصل إلى طريقه لقياس هذه الأمور . فهذا العلم "كمي" محض ، و يرير أن يكون كمي محض بقدر وسعه . حسنا ، فما المشكله مع هذا الأمر ؟ الجواب : نحن لا نملك مشكله مع أي علم من حيث هو علم، لأن العلم عندنا مستويات ، و كل علم فهو علم و من لدن العليم ، و كل نور فهو من الله الذي هو النور الوحيد " و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور" . و حتى الذين انحصر وعيهم و عقلهم في الحيوه الدنيا فإن القرءآن سمى ما عندهم بالعلم ، " ذلك مبلغهم من العلم " و كذلك من كذبوا بالرسل و " فرحوا بما عندهم من العلم " . هذا لا اشكال فيه عند أهل التحقيق عندنا . و لكن الاشكال هو التالي : إن أرباب الرؤيه الحداثيه يبالغون و يغالون في قيمه ما عندهم ، هذا من ناحيه ، و من الناحيه الثانيه يستعملون ثمار هذا الغلو لكي يطعنوا في من له رؤيه غير رؤيتهم و منهج غير منهجهم . و لولا هذان الأمران ، لما تعرضنا لهم بل لكنا أول المناصرين لهم . و البحث التفصيلي له مواضعه ، و لكن على سبيل الاشاره نقول : أما الغلو فهو أن منهج الاحصاء العددي الكمي يختزل الحقائق اختزالا رهيبا بل يمسخها مسخا. و هذا لأنه يعرض قدر المستطاع عن الجانب الكيفي ، فضلا عن الجوانب العلويه و الغيبيه الأخرى . فأول اختزال هو عدم اعتبار الجانب الكيفي للأمور قدر المستطاع ، لأنه لا يمكن "قياس" الجانب الكيفي و الذاتي للأمور . فهم يعلمون أن الجانب الكيفي و الذاتي للأمور حق " واقعي " و لكن حيث إنه لا يمكن أن يتم اخضاع هذه الحقيقه الواقعيه لمنهجهم الاختزالي ، فإن الحقيقه يتم التضحيه بها و ذبحها و مسخها من أجل أن يتم ارضاء المنهج و الرؤيه الوجوديه معينه . و هذا من أبرز أمثله " الأصوليه الظلاميه " التي هي من الخصائص الذاتيه للحداثه العلميه . و ثاني اختزال هو - و هذا عجيب - اختزال كمي عددي . فإن عدد البشر على وجه الارض اليوم تقريبا ٨ مليار . فيتم أخذ عينه ، و في حالات

نادره ، تصل إلى مئه ألف ، بل لنقل أنها مليون . و هذا مستحيل واقعيا ، و لكن لنبالغ حتى لا يبقى مجال للريب. حسنا ، مليون فرد هو حجم العينه . ثم يتم تجريب أمر معين عليهم ، او تحليل أمر معين فيهم ، ثم - و هنا مربط الفرس - تعميم هذه النتيجه على كل البشريه ، و ليس فقط البشريه الكائنه اليوم ، و لكن - كما عند المتطرفين منهم - البشريه التي كانت في الماضي أيضا . ما نسبه مليون ١ إلى ٨ آلاف مليون ؟! فاذا افترضنا - و هذا مستحيل - أن المليون كلهم كانوا على شاكله واحده في موضوع البحث العلمي ، فإن هذا يعني أن النتيجه لا تدل إلا على أن أقل من عشر معشار العشر تقريبا لهم خاصيه مشتركه معينه . فكيف تم القفز البهلواني من شئ تم اكتشافه في عشر معشار العشر ، ليصبح عاما ، و الأدهى من ذلك " علميا " ، بل يتم تعميمه على مليارات البشر الذي كانوا على الارض من قبلنا ، بل لعله يتم تعميمه على المستقبل كذلك . فما بالك و الواقع أن الغالبيه العظمى من هذه التجارب " العلميه " ، إنما يتم فيها البحث و التحليل على عينه من بضعه مئات او آلاف او عشرات الآلاف ، ثم تكون النتيجه أن ٦٠ او ٧٠٪ منهم يملكون خاصيه معينه ، ثم تكون نتيجه هذا البحث العلمي الذي يراد به هدم حكمه القرون و العصور و الأنبياء و الأولياء ، هي تعميم هذا على جميع البشر . و من يخالف هذا فهو ظلامي اصولي ! إن تسميه هذا المنهج ب " الظن " و " التخرص " و " التخمين " يعتبر مبالغه كافيه ، حتى بناءا على معاييرهم هم . فتسميته ب "علم" تعتبر تجوز . و أما تسميته ب " العلم " بالمطلق ، فهو كفر محض و سخف صرف . و ثالث المصائب هو اعتبار المتوسط دالا على ما يجب أن يكون عليه "كل" الناس ، فهو الأمر " العادي " و "الطبيعي". و إن كانت هذه المصيبه في طور الزوال إلى حد ما من الوعي الفكري لأهل التحقيق ، فإنه مع ذلك مصيبه قائمه و قائمه منذ زمن . فحيث يتم استبناط - او تخرص للدقه - أن " الأكثريه" من الناس على شاكله معينه ، ثم يتم فرض هذا النمط المتوسط على الجميع ، فهذا يعني أنه لا مكان للشاذ ، سواء كان شاذا فوق المتوسط او دونه . و بهذا و غيره تم تسخيف المجتمعات و فرض شئ سافل و معيار تافه على الجميع ، و من ثمار هذا التعليم الاجباري في المدارس . و من الثمار الأخرى ، التشكيك او رفض كل ما هو "فوق طبيعي" و " غير عادي " . فما لا تجد أنه متحقق في أغلبيه الناس ، فهو أمر لا يستحق النظر فيه او اعتباره ، بل لعله خرافه او مرض. و ثمار أخرى كثيره من هذه الشجره الخبيثه . و رابع المصائب محو القيمه الكيفيه و الروحيه من الحياه كلها عموما و الطبيعه خصوصا . فبعد أن كان الماء مثلا هو مظهر رحمه الله و سبب الحياه و سر القرءآن ، فإن الماء أصبح مجرد ٢ ذره هيدروجين و ١ ذره أكسجين ! و قس على ذلك بقيه مظاهر الطبيعه الارضيه . فتم اختزال الطبيعه إلى كميات ، و تم قتل الكيفيات. و الحق كان يفترض على الاقل أن يتم اعتبار الكيفيات و الكميات ، و تكون اليد العليا إلى الكيفيات ، و يكون العمل الانتفاعي مبني على رؤيه حيه و روحيه للوجود الكوني، و لكن كما قلنا ، فإن مشكله الحداثيين المتطرفين أنهم لا يرضون أن يكون عندهم "علم" و لكن يغالون غلوا فاحشا حتى يكون عندهم " العلم". و الغلو لا يغير من الواقع شيئا من هذه الحيثيه. و خامس المصائب و هي مصيبه مستفحله جدا ، و لعلها من أشد مظاهر الغلو الظلامي في القوم ، هو اعتبار الاحصاء الكمي و النظر الميكانيكي ، "تفسير" للكون . يوجد فرق بين الوصف و التفسير . فرق عظيم . فرق عظيم جدا . الوصف شئ و التفسير شئ آخر، لا يمكن استخراج التفسير من الوصف، و الوصف المقصود هنا خصوصا هو الوصف الكمي و الميكانيكي . لنضرب مثالا واحدا : إذا نظرت إلى سياره ، ثم وجدتها مسرعه جدا ، ثم اخترقت الجسر فتردت إلى أسفل فانفجرت و مات من بداخلها من البشر . هذه حادثه أرضيه ظاهره للحواس البدنيه . الوصف الكمي الميكانيكي يمكن أن يكشف جوانب كبيره جدا من حيثيه واحده فقط . و هي أن تصف كيف تعمل السياره ، و كيف تتسارع ، و بأي قوه استطاعت أن تخترق

السور الحجري للجسر ، ثم ما الذي سبب الانفجار ، و نحو ذلك . و لكن هل هذا الوصف "يفسر" ما الذي حدث و لماذا حدث ما حدث من كل النواحي ، بل من أهم النواحي؟ مثلا لو سائق السياره مكتئب يريد الانتحار ، فقاد السياره بالطريقه الجنونيه التي قادها بها، ثم انحرف بها قصدا عن مسار الجسر حتى وقع و انفجرت به. او لو كان قائد السياره سكرانا فانحرف بالخطأ . او غير ذلك من احتمالات ممكنه يمكن تفسير هذا الحادث بها. حتى لو جاء أكبر خبير سيارات لا يستطيع أن يفسر الحادث بتحليل السياره و شؤوها الظاهريه . بل من زاويه أخرى ، نفس تفسير السياره ، أي تفسير تصميم السياره و لماذا صممت بالطريقه التي صممت بها ، مستحيل أن يتم استخراجه من النظر الوصفي الكمي للسياره ، بل و لا حتى الكيفي . فإن نفس التصميم و سبب هذا التصميم بالذات لا يمكن اكتشافه من النظر في واقع التصميم بلا أي نظر او سابق فكر خارجي . فالوصف - في أحسن الأحوال النادره - يقول لك "ما يوجد" ، و لكن لا يقول لك "لماذا يوجد " او " لماذا يوجد على هذا النحو المخصوص". جواب "ما" يمكن استخراجه بملاحظه الموضوع . و لكن جواب " لماذا" لا يمكن استخراجه إلا بالنظر في عقل رب الموضوع . و بدون ادراك " لماذا " يصبح كل جمع لبيانات "ما" أي الاوصاف المظهريه ، عمل عبثي بالنسبه لقلب الانسان ، بل يصبح كجمع مجموعه ضخمه من الارقام التي لا يعرف الجامع ما هو مدلولها . و لهذا يضطر هؤلاء إلى أن "يفترضوا" مسبقا او لاحقا أمور معينه يفسروا بها موضوع نظرهم . و أليس من الغريب أن يكون كل نتائج بحث الحداثين حداثيه مثلهم ! لا غرابه ، فلون الماء لون الاناء . الفروض التنظيميه او المبادئ الكشفيه هي أمور يتم فرضها من خارج على البيانات العدديه او الملاحظات البدنيه التي يقومون بها . بل لولا افتراضهم المسبق بأنه يوجد ما يمكن أن يعلم او وجود علاقات بين الاشياء لما قاموا بشئ من هذه الابحاث . و جل ما يمكن أن يقال في ثمار هذا المنهج أن نتائجه في أحسن الاحوال ظن و في معظمها تخرص و مبالغه و غلو ، قد يكون ضروري للتعامل المعيشي، و هذا حسن، و لكن ينبغي عليهم أن يتأدبوا بأدب أهل العقل ، فلا يغلوا وراء ذلك ، كأن يزعموا أن عندهم العلم الذي يحكم على كل شئ. و في المحصله ، إن إنكار المبادئ العليا ،يؤدي بالنسبه لمن يخلص للمنهج الذي يتبعه و لا يستنبط بالتشهي - و ما أكثر هؤلاء في الشرق و الغرب- يعني أنه لا يمكن أن يذعن فعلا لوجود علاقه ما بين أمرين او أكثر، و إنما هو "اقتران" و ليس "سببيه". بل الفوضويه أقرب ل "واقع " الأمور . و ما العلاقلات إلا احتمالات . طبعا من البهلوان أيضا أن يوضع "احتمال" على ظاهره معينه أن العدد الكامل للظاهره غير متوفر. بمعنى أنك إن نظرت إلى زهر او نرد له سته أوجه ، فإن القول بأن "احتمال" ظهور كل وجه من الحيثيه الرياضيه البحته ، هو سدس . و ذلك لأننا نعرف مسبقا عدد الاوجه الكليه ، أي ما نسميه العدد الكامل للظاهره . و لكن إن لم نكن نعرف هذا العدد الكامل ، فبأي منطق نقول أن "احتمال" ظهور كذا هو كذا . لا يوجد احتمال رياضي إلا إن وجد حصر رياضي لكل الممكنات . كمثل حصر عدد أوجه النرد . ثم يتم حساب الاحتمالات كفرع لهذا الاصل الثابت. فمع غياب الحصر الكمي الرياضي ، لا احتمالات . و بالتالي ، كل ما يقال عن الاحتمالات الرياضيه لهذه الظاهره الكميه او تلك هو إما جهل او غباء او اختزال ضروري يمكن أن نسميه ظن او ظن غالب لا أكثر مع المبالغه ، و في جميع الأحوال هو ليس إلا وصف ظاهري ليس فيه أي تفسير للظاهره ، فضلا عن أن يمكن لعاقل أن يستخرج منه أمور و معلومات يستعملها للحكم على ما يخرج به الاخرين في شأن هذه الظاهره و تفسيرها. هذا في حال كان الموضوع كميا و يمكن أن تحويله إلى أعداد . و أما إن كان الموضوع تغلب عليه الصفه الكيفيه ، فإن استخراج "نتيجه علميه" بالمعنى الحداثي الكمي ، هو أمر يجب أن يتنزه عنه الأطفال ، و لا أقول العلماء او الدكاتره. فدعوى وجود "تفسير علمي للتاريخ" او "تفسير علمي للدين" او "تفسير علمي للنفس

الانسانيه" او "تفسير علمي للرغبات الانسانيه" او "تفسير علمي للنصوص الدينيه" او "نقد علمي للتراث الاسلامي" و إلى آخر هذه القائمه المخزيه ، يعتبر أمور من شده تفاهتها لا نعرف كيف نرد عليها . و رأس السفاهه و الصفاقه دعوى " التفسير العلمي للقرءآن الكريم " لو يرى صاحب هذه الدعوى حال وجهه يوم يقوم الأشهاد !فلنكتف بهذا فيما يخص قيمه " التقليدي" . و الحاصل أنه إن كان اتباع و التزام الحقائق التي ورثناها عن روح الرسول عليه السلام، هو من التقليد ، و كان هذا أمر شنيع عند أهل الحداثه، لأنه يفترضون أننا نتبع على عمى و هم أهل البصيره ، فإن الواقع هو أنهم هم أهل سبعين عمى ، بل عمى ممزوج بعناد ، و مع ذلك يمسح نفسه بزيت القداسه و العلو . " و لتعلمن نبأه بعد حين".

و جانب آخر من معنى " تقليدي " هو الأخذ عن غير بصيره . و هذا بعكس " التجريبي "و هي السمه التي يصبغ بها العلم الحداثي ، و بناءا على ذلك يعطى القيمه العليا . و العرفان علم "تجريبي" بامتياز ، و بالمعنى الحقيقي التام لهذه الكلمه . فإن كتب العرفان إنما هي تسجيل لمشاهدات روحانيه ثم بناء الأمور على هذه المشاهدات ، كما أن العلم الطبيعي مبني على مشاهدات حسيه . و مشكلتنا - أي العرفان - منذ القدم و كذلك في هذا القرن الحداثي ، هي نفس المشكله ، أي أن أعداء العرفان و الذين حرموا أنفسهم من أنواره و بركاته، هم أناس لم يشاهدوا الروحانيات ، و بعباره القرءآن : لم ينظروا في ملكوت السموات و الارض ، و هو الأمر الارشادي الذي وجهه القرءآن للجميع حين قال " أولم ينظروا في ملكوت السموات و الارض " . فالفقهاء الجهلاء في الماضي - كما في الحاضر - كانوا يتفذلكون في الدعاوى لمضاده العرفان ، بغير مشاهده و عيان ، كما هو الحال - بل أسوأ - في هذا القرن الحداثي . فهم أيضا ممن يتفذلك و يتلاعب في الالفاظ و يظن أن العرفان صور فكريه كامنه في الالفاظ التي ينطق بها العرفاء . و الواقع أن الأمر ليس أكثر مما قاله شيخ الإشراق - قدس الله سره - حين كتب في بدايه كتابه "كما أنا شاهدنا المحسوسات و تيقنا بعض أحوالها ثم بنينا عليها علوما صحيحه - كالهيئه و غيرها - فكذا نشاهد من الروحانيات أشياء ثم نبني عليها . و من ليس هذا سبيله ، فليس من الحكمه في شئ ، و سيلعب به الشكوك " . بل سيحل عليه الكفر . فلو جاء أحد اليوم ، و جلس على مقعده ، و قرأ بضعه كتب في الفلسفه الحداثيه او الكتب التي تسجل فيها تجارب علماء الفيزياء و الكيمياء ، و لم يسلك في الطريق الصحيح او أحد الطرق الصحيحه المعتبره ، ثم راح ينقض في النظريات العلميه الحداثيه، او راح يصول و يجول في اختراع الافكار التطبيقيه ، و كتب ابحاثا بطريقه عشوائيه ارتجاليه افتراضيه ، فإنه لا أظن أن الغالبيه العظمى من الاكاديميين الحداثيين سيلتفتون له فضلا عن أخذ كلامه على محمل الجد . فإن تعرض أهل الحداثه للعرفان - كتعرض اخوانهم الفقهاء من قبل - ليس إلا هذا النقض العشوائي الارتجالي الاعتباطي ، مهما تفذلك أصحابه و زوقوا كلامهم بكلمات "علمي" و "نقدي" و "دراسه مقارنه" و "تحليل أكاديمي" و بقيه الزخرفات اللفظيه التي يلعب بها القوم ليل نهار . فإن هذا طريق تجربه فعليه ، و ليس تجربه بما هو دونك في البدنيات الجسمانيات الكميات ، بل هو استغراق في العلويات الروحانيات الكيفيات، و الطريق إلى هذا العلم قبله تزكيه ، و بعده تزكيه ، كما ورد في آيات أعمال الرسول ، حين ذكر الزكيه قبل تعلم الكتاب و الحكمه ، و كذلك التزكيه بعد التعلم . بالاضافه إلى بقيه مراحل السير و السلوك ، و التحرر من الهوى المتعلق بالأصنام الدنيويه الخمسه . و التفرغ للطريقه ، و الشفاعه الروحيه لروحاني سماوي. و قبل ذلك كله الاستمداد من الله تعالى و الاستهداء به و التوكل عليه . إذ من يتوكل على الله فهو حسبه و سيهدي قلبه. و إن كان تعلم شئ من الفيزياء و الكيمياء العاليه يحتاج إلى سبع أو عشر أو أكثر من السنوات ، بتخصيص عشر او خمس عشره ساعه يوميا ، فإن أقل

المطلوب في تعلم أسرار العرش و الملكوت ، هو مثل ذلك . أقل المطلوب المعقول . و أين هذا من ذاك و العياذ بالله من هذه المقارنه الشوهاء . و لكن حتى مع هذا التسخيف العظيم ، تستطيع أن تدرك شئ من المطلوب . و إن من أهم الفروق هو أن العلم الروحي ليس " موضوعي " بالمعنى الحداثي للموضوعيه . أي أن يكون موضوع المعرفه مفارقه لعين الذات ، بل هو شئ خارجي تماما ، و المطلوب في معرفته هو تحريك عضله الدماغ بطريقه معينه لمده معينه ، بلا أي علاقه مباشره بالصوره القلبيه لطالب هذا العلم . و ليس الأمر كذلك في العلم بالحق ، و مشاهده الأنوار القدسيه ، فإن العلم "ذاتي" و "موضوعي" في آن واحد . و لكن باعتبارين مختلفين إلا أنهما متزامنين متلاصقين . و الجانب الذاتي منه لعله يكون أعظم و أكبر من الجانب الموضوعي البحت ، لأن الذات تستغرق في الموضوع و تشاهد عينه ، و هذا الاستغراق يجعل من الصعب ادراك الحد التام بين العاقل و العقل و المعقول . و إن كان الحد قائما في كثير من الأحيان . و بسبب عدم الرغبه في استغراق الذات ، و السعي الكلي في العرفان ، رفض فقهاء الدنيا من قبل و أهل الحداثه الدنيويه أيضا اليوم ، العرفان ، و اعتبروه ما اعتبروه . فإن كان التعاطي "التقليدي" أي الغير تجريبي مع الأمور ، هو شين و نقيصه ، فإن أكبر "تقليدي" بأسوأ المعاني لذلك هم فقهاء الحجاره و عبيد الحداثه ، أي فيما يخص التعامل مع العرفان .

" الطائفي المذهبي " أول تعليق على هذا الوصف هو استغراب . و منشأ الاستغراب هو أن الذين يصفون غيرهم بهذا الوصف يدعون في الوقت نفسه إلى وجود " تعدديه " . فإن كانت التعدديه خيرا ، فما بال الطائفيه و المذهبيه ليست بخير ، و هل التعدديه إلا تعدديه اراء و رؤى و احكام قيميه و افعال و سلوك و تفاعل مع الوجود على نمط معين . ثم كيف يجوز و يستحسن أن توجد مذاهب في كل العلوم و الفنون الانسانيه و البشريه ، بل في كل ما يخص الناس من دقيق الأمور و جليلها ، و لا يجوز مثل ذلك في التعاطي مع شؤون الدين و الطريقه النبويه . أليس الناس هم الناس في هذا و ذاك . فهذا الوصف الذي يراد به التشنيع يستبطن رغبه في التوحيد التام ، و التوحيد التام يستحيل حتى في الملأ الأعلى من الملائكه الذين يختصمون و يتساءلون عن حكمه أمر الله بل و يقترحون بديلا لما يقدمه رب العزه جل جلاله كما في كتاب ءادم و قصته . فالتشنيع بالطائفيه و المذهبيه من حيث هم ، هو أيضا من مظاهر الغفله بل الشتيمه اللاوعيه من قبل أنصار " العقلانيه " . قد يقال : إن المقصود هو الطائفيه التي تنشئ عداوات معنويه بين الناس . الجواب : إن هذا أيضا مما يوجد في شرق الارض و غربها ، و كل من يرى أنه على حق و عدل في أمر ما لا يجد مجالا في نفسه إلا لأن يعتبر من يخالف هذا الحق و العدل هو في أقل التقادير يسير على أمر غير حسن - هذا إن كان وليا و قديسا - و أما في الغالب الأعم فإن استخفاف و استغباء الغير او لا أقل اعتباره غافلا هو أمر طبيي جدا، و ليس للدين من حيث هو سبب خاص في توليد ذلك ، لا هذا الدين و لا تلك الفلسفه ، و إن كان من الممكن أن يكون الدين او الفلسفه المعينه سبب لمضاعفه هذا الشعور . و أول الأدله على ذلك تعبيرات و مشاعر كل من يرى نفسه مارتن لوثر ، و هل تجد تعبيرات أقسى - و ليتها قاسيه على علم في كثير من الاحيان - من تعبيرات هؤلاء " العقلانيين " فيما يخص من يخالفهم من " السلفيين " بالاخص . إننا لا نجد تعليقات مثلا عن البغض المعنوي الذي يكنه البيض من الامريكان - الكثير منهم - للسود مثلا ، و العنصريه البدنيه القائمه بينهم إلى يومنا هذا ، ثم يفرع أحد عليها أن الثقافه الأميركيه من حيث هي تعتبر مشعله لهذه النار و يجب محوها او طمس معظم انجازاتها بسبب مثل هذه العنصريه البغيضه لنا . و لا تجد تعليقا على شعور الالمان بالتعالي او الفرنسيين الذين يكادوا لا يعتبروا الانسان متحضرا إن لم يقرأ الادب الفرنس او غير ذلك في مختلف الثقافات

و الاديان - بالمعنى الواسع للدين الذي هو رؤيه للوجود فلكل أحد دين . قد يقال : إن المقصود هو تولد الارهاب و العنف عن هذه الطائفيه و لذلك ندينها . الجواب : إن عدد المسلمين اليوم نحو مليار و سبعمائه مليون . عدد " الارهابيين" منهم ، لا يجاوز مع أشد المبالغات تطرفا المليون . فكيف استطاع أرباب علم الاحصاء أن يعمموا الحكم على "دواء" - و هو الاسلام - تم إعطائه لمليار و سبعمائه مليون، فجعل مليار و ستمائه و تسعه و تسعين مليون من المسالمين ، و مليون فقط قتلهم و قضى عليهم، بأن هذا الدواء سيئ و باطل و سبب للمرض و الموت . أكثر من تسعه و تسعين في المائه من المسلمين مسالمين ، بالرغم من كل ما وقع عليهم من عداء و استعمار في الماضي القريب و الحاضر الآني ، و بالرغم من كل تقتيل و استهزاء و اغتصاب للاراضي و النساء ، و سخريه في الشرق و الغرب ، و طغيان الغالبيه العظمى من الحكومات علينا ، و هي حكومات في الغالب كما يعلم الجميع مجرد كلاب حراسه وضعهم الغرب من أجل استنزاف الموارد الطبيعيه في بلاد المسلمين و من أجل الحيلوله دون قيام المسلمين و تحويل اقتصادهم إلى اقتصاد منتج و مكتف حتى لا يتحول من كونه سوق استهلاكيه لبضائع الشركات الغربيه ، و غير ذلك كثير ، و مع كل هذا فإن عدد من يسمون " ارهابيين " لا يتجاوز إلا أقل من عشر العشر من الواحد في المائه من مجموع المسلمين . فإن لم نكن نحن رأس المسالمين فمن المسالم يا ترى . إن الارهاب غير منتشر في البلاد الاسلاميه ، إن المنتشر هو حديث الاعلام ليل نهار عن الارهاب. و لهذا يشعر الناس - أهل الغفله منهم - أن الأمر قد طبق الخافقين . و هو ليس كذلك . طبعا لا نجد الاعلام يتحدث عن الكيان الصهيوني بأنه ارهابي ، اللهم إلا قليلا لا يذكر ، و لا نجد أحد يتحدث عن تاريخ الولايات المتحده بأنه ارهابي بل إن نفس الولايات المتحده قامت أولا على الاباده العرقيه للهنود الذين كانوا سكان تلك الارض ، ثم ادعوا أنهم قد "اكتشفوا" أمريكا ، و هل هذا إلا مظهر آخر من مظاهر الصفاقه و الغلو في الوقاحه ، و قتلوا و ابادوا من الهنود الآلاف المؤلفه . ثم الولايات المتحده نفسها كانت مقسمه ، و بالحرب الأهليه التي قتل فيها أكثر من ستمائه ألف من البشر ، هذا من أجل أن تقوم الولايات المتحده ، و أما لكي تبقى قائمه فحدث و لا حرج إلى يومنا هذا ، و هل تقوم الدول من هذا القبيل إلا بالقتل و الذبح ، و هل تستمر إلا بذلك إن افترضنا قيامها بسلام . و نستطيع أن نأتي بأمثله من الشرق و الغرب، من الماضي و الحاضر ، على أن العنف الجسماني هو أمر بشري جدا ، و لا يهم إن كان قائما على فكره دينيه او فكره دنيويه ، بل إن عدد كل من قتلوا في كل العمليات " الارهابيه " لا يتجاوز ما قتله الجيش الامريكي في العراق في بضعه أشهر . هل هذا يعني تبرير لمن يقتلون الابرياء ؟ بالطبع لا ! نحن نلعن من يقتل الابرياء و نرفض ذلك ، و العنف الجسماني عندنا مرفوض في هذا الطريق ، و لا نحتاج أن نتعلم هذا من منافق شرقي او غربي لا يعرف رفع رايه السلام البيضاء إلا حين يجد أن الأيام المقبله عليه - بسبب سوء أفعاله و ظلمه - هي أيام سوداء . و لكننا نذكر الذين يصرخون ليل نهار في أن " الأمه الاسلاميه أمه مليئه بالارهاب و راضيه به و تؤسس له " فمن جانب يبالغون مبالغه فاحشه حتى إن ما هو أقل من عشر معشار الواحد في المائه يعمم على الجميع ، و هذا من صميم "علم الاحصاء" الذي يتقنه هؤلاء "التنويريون" . و من الجانب الآخر يغفلون تقريبا ذكر كل ما سبب او ساهم في تسبيب نشوء هذه الظاهره المقيته . فلا نجد معظهم - و الحق أني لم أجد أحد منهم - يذكر دور الارهاب بل العنف بل الاضطهاد الذي تمارسه الحكومات الاوروبيه و الامريكيه في المنطقه الاسلاميه ، سواء كان اضطهادا سياسيا او بدنيا او اقتصاديا او فكريا او ثقافيا او حضاريا او تعليميا. هل هذا يعني أنه لا يوجد أرض خصبه لنشوء هذا العنف المضاد بل العنف الأعمى الذي كما قلنا و نقول ألف مره أنه موجه ضدنا نحن المسلمين قبل غيرنا ؟ بالطبع لا ، يوجد ما يمكن أن يبرر و ينشئ مثل هذا العنف بل يؤسس له تأسيسا شاملا ، و لكن لولا

وجود تخصيب خارجي دعى إلى مثل هذا ، فإن احتماليه نشوء هذا تضعف جدا بل تكاد تنعدم .
اليوم يشعر الكثير من المسلمين و الاسلاميين أنهم من المستضعفين في الارض . بل بدأ هذا منذ فتره ، البعض يرجعها إلى يوم احتلال نابليون لمصر . و لكنها على كل حال استفحلت في القرن المنصرم. و أتت أكلها في البضعه عقود الماضيه . فكان الأكل متعددا بقدر تعدد الأمه الاسلاميه . فالغالبيه العظمى - في شرق العالم و غربه - إلى العلم و المعرفه و اعاده دراسه الميراث و التراث . فهؤلاء هم حمله سلاح الرسول ، الذي هو العلم " العلم سلاحي " . و قله قليله- معظمها بل غالبيتها العظمى بل كلها تقريبا - هي من فرقه او فرقتين نشأت في مناطق جافه ، و جفف الله قلوبهم خصوصا بعد أن قتلوا أنفسهم حين اعتبطوا تكفير الأمه من عند آخرها إلا من شايعهم - مهما زعموا بعد ذلك و خصوصا في هذا العصر أنهم من " الوسطيين " . و من هذه الفرقه - و يمكن جمعهم تحت ثلاث أسماء عموما " سلفيين " و "وهابيين" و "اخوان مسلمين"، تجد تسعه أعشار الاجرام و العنف الوحشي - و اقول هذه العبارات تحرزا و إلا فإننا لم نر غير هذه الفئات تقوم بشئ من العنف الذي يدينه المسلمون أهل القرءان قبل غيرهم. أرونا صوفيا او جماعه صوفيه تقوم بشئ من هذا ؟ أليس التصوف و العرفان هو السبب الأكبر لانتشار الاسلام و القرءان في شتى بقاع العالم في الماضي كما في الحاضر . ما هو العامل المشترك بين هذه الاسماء الثلاثه ؟ انكار التصوف و العرفان كقاعده ، و كاستثناء - كصاحب روح المعاني - ينسب إلى السلفيه مع كونه يأخذ بأفكار صوفيه معروفه . البقيه ؟ تكفير و تبديع و تجريم كما هو معلوم فلا نعيد و لا نريد أن نعكر صفو قلوبنا بذكر الأسماء الطالحه ، إذ كما أنه بذكر الأسماء الصالحه تتنزل الرحمه ، فإنه بذكر الأسماء الطالحه تحتجب الرحمه و تحل النقمه ، و العياذ بالله من العبوس و أهله . طبعا في الناحيه الشيعيه ، يوجد التوجه العام الذي هو السلم ، و الاستثناء الذي هو العنف الأهوج . و قل مثل ذلك في بقيه الأمه . لا يمكن أن يطالب عاقل الأمه الاسلاميه بأن تكون كلها مسالمه ، لأنه لا يوجد أمه على وجه الأرض كلها مسالمه ، فضلا عن أن تكون أمه بسعه ميراث و تراث و تعداد و جغرافيا أمتنا المباركه . فمما يضحك أن نكون نحن أنصار التعدديه ، و ينقلبوا هم ليكونوا أنصار التوحديه . إن مجرد وجود درجات عند الله ، يعني أنه لا يمكن أن يكون الناس كلهم على نمط واحد . فلا يقال إذن أن "الطائفيه المذهبيه" هي المشكله ، و لكن ليقول من يشاء أن المشكله هي : العنف الجسماني. و أما حريه التعبير في الكلام فهي عندنا مطلقه ، مطلقه فوق الحد ، و الاستثناء الوحيد لها هو قذف المحصنات الغافلات ، و هذا استثناء يبرهن على القاعده ، فلو كان في أي تعبير آخر عقاب اجتماعي لذكره . فحتى سب الله و الرسول ليس له عقوبه دنيويه . كيف و القرءآن قد نقل لنا كل ما سب به الله و الرسل و القرءآن و الدين ! بل أمرنا أن نتغنى بهذه الآيات في شرق المساجد المؤمنه وغربها ، و نحفظها لأولادنا ، و نتدارسها بيننا ، و جعلها قرءآنا يتلى إلى أن يرث الله الأرض و من عليها . فمن زعم أن سب " الرموز الدينيه " هو أمر معاقب عليه دنيويا فقد تألى على الله ، بل إنما يدافع عن أمر هش . و أيما حضاره او مدنيه او مبدأ او فكره يمكن الاطاحه به او توهينه عن طريق كلام الخصوم ، و يمكن هدمه او تهديد وجوده و بقائه عن طريق الكلام ، فإن مثل هذه الحضاره او الفكره يجب أن تهدم . تهدم اليوم قبل الغد . إن الحق الأغر أقوى من أن يزيله سفهاء البشر . " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون " . فالعنف الكلامي جائز باطلاق ، اللهم إلا بالاستثناء الذي ذكرناه و حتى هذا فيه ما فيه مما يبحث في موضعه . و أما العنف الجسماني فهو المحرمه العظمى عند ربنا و عندنا. و قد قلنا أن التهديد بشوكه في سبيل اثبات مبدأ او فكره ، يعطينا علامه كافيه لنعلم أن حامل المبدأ و الفكره حمار من الكفره الفجره . و أما لو غز أحد بهذه الشوكه ، فهو يعطينا اليقين و ليس فقط علامه . و كذلك من يحرم الناس من حريه الكلام

المطلقه ، خصوصا الكلام في المبادئ و الافكار و القيم ، أي الدين بالمعنى الحقيقي له ، فإننا نترجم تحريمه هذا و كأنه يقول لنا : أنا جاهلي و أبي أبو لهب انظروا إلي أيها الناس ! و الله المستعان على ما يصفون.

" القديم " هذا وصف ظاهره الحديث عن حقبه زمنيه ، و لكن حقيقته وجود قيمه علميه و اخلاقيه مرتبطه به ارتباطا عضويا عند من يقول بهذا الوصف . القيمه مبنيه على أساس تقسيم يعتبر أساس مهم في الفلسفه الحداثيه ، يرى أن البشريه كانت في السابق مجرد أطفال و همج، ثم تطوروا شيئا فشيئا فمروا بالعقل الديني و العقل الفلسفي و أخيرا وصلوا إلى طور الانسانيه الكامله بأن أصبح عندهم العقل التجريبي الحداثي . و من هنا كان وصف الفكر بأنه "قديم" يساوق وصفه بالجهل و الخفه و الخرافه و التفاهه . فكل الناس في السابق و الكثير منهم في الحاضر ، اللهم إلا باستثناء من يرى الرؤيه الحداثيه و العقل الحداثي، يعتبروا أطفال او صبيه لم ينضجوا بعد ، و عقلهم سخيف و طفولي او لا أقل لم يترقى بعد، و أما الذين ترقوا و عرفوا حقائق الاشياء هم حفنه من الاوروبيين الذي لم يتعلموا استعمال الصابون إلا قبل بضعه قرون او عقود من الزمن . الكل كانوا همجا و برابره كقاعده ، إلا من استثني ، و عقولهم صبيانيه خرافيه ، و نظرتهم إلى الطبيعه تشخصن الطبيعه و تبث فيها الحياه و الوعي ، و أما العلماء أهل التنوير و العقل الحقيقي الذي هم أهل القيام بالحق في الطبيعه و ورثه الارض هم الشرذمه الاوروبيه - او فئات منهم - الذي قتلوا و ذبحوا من بعضهم بعضا و في ارجاء العالم الملايين من البشر و الناس في استعمارهم و حروبهم " العالميه " الأولى و الثانيه ، بالاضافه إلى الامريكان الذين الكثير منهم لا يفقه من الحياه إلا أكل البرغر و مشاهده التلفاز و الذين من فرط انسانيتهم القوا قنبلتين نوويتن على هيروشيما و ناكازاجي و بالاضافه إلى بقيمه أعمالهم الانسانيه في غواتملا و كوريا و كوبا و العراق و افغانستان و غير ذلك كما هو معروف لمن لم تعمي الالوان المفرحه ظاهرا لبرغر ماكدونالدز عينيه. هؤلاء هم الذين عرفوا الحقيقه ، بقيه الناس كانوا و لا زالوا برابره يحتاجوا الى تحضر و تفقه في شؤون الحقيقه و كيفيه معرفتها. خصوصا نحن أتباع النبي الأعظم الذي بالنور الذي خرج من قلبه استطاع أن يخلق أمه تملأ الأرض بعد أن كان محاصرا في صحراء البرابره الحقيقين - الذين برابره اليوم ورثتهم الشرعيين من حيثيات كثيره- و أنشأ بروحه و تعاليمه و ما نزل عليه أمه لا تزال قائمه إلى هذا اليوم و لا تزال تتكاثر و اقبال الغرب قبل الشرق عليه متزايد بالرغم من كل الاعلام الغربي و الشرقي المضاد له و الكاذب عمدا في كثير من الاحيان. ثم يأتي من يجب أن نغسل فمنا سبعه مرات بالماء و مره بالتراب حين نذكر اسمائهم ، فيدعون أنهم يريدون إصلاح أمه محمد ، عن طريق جعلها تقلد الفكر " الجديد " و " الحديث " ، و نبذ ما عندهم من الفكر "القديم" البالي الذي أكل الدهر عليه وشرب - دهرهم هم طبعا و في قوقعتهم هم . طوبى لأتباع " القديم " إذن ! و من حيثيه أخرى ، ينبغي أن نذكر العقلاء هؤلاء ، أن الفكره لا يحكم عليها بأنها "جديده او قديمه " و لكن يحكم عليها إما بأنها "صادقه أو كاذبه " و إما أنها "نافعه أو ضاره" . فلو كانت الفكره مما يراد أن يعبر به عن واقع ما ، فإن الفكره يجب أن لا ينظر إليها بالنظر الأولي على الاقل إلا من حيث أنها صادقه بمعنى أنها تدل على الواقع الذي تريد أن تدل عليه بمطابقه ، أو كاذبه إن كان الأمر غير ذلك . فهذا فيما يخص سؤال "ما هو موجود". و لكن فيما يخص سؤال " ما ينبغي أن يوجد " بمعنى الأمور العمليه ، او الشرعيه او القانونيه او الاخلاقيه ، فإن السؤال الأساسي هو هل هي نافعه او ضاره او الغلبه لأيه جهه . طبعا هذه هي القسمه العامه ، و التي يندرج تحتها كل شئ . و لذلك يقول القرءان "و تمت كلمت ربك صدقا و عدلا " . فالصدق وسم لحقائق القرءان ، و العدل وسم لشرائع القرءان .

و على أيه حال ، الفكره من حيث هي لا تقيم عند عقلاء الناس بكونها قديمه او جديده فالأفكار و المبادئ ليست أحذيه أو " موضه " حتى يتم النظر إليها بهذه العين السخيفه.

حسبنا هذا في مجال الأوصاف الأساسيه التي يكثر القوم من ذكرها . و نحب أن نذكر بمسأله مثال مارتن لوثر هذا . فإن الحروب الأهليه الطاحنه وقعت بين الكاثوليك و البروتستانت بسبب هذا التقسيم اللوثري . حتى آل الأمر بأوروبا أن بغضت الدين إلى حد كبير بسبب ما نشأ منه من ويلات و مجازر . فلو أخذنا هذا المثال إلى حده ، فماذا يريد هؤلاء ؟ أتريدون أن تسببوا اقتتالا بين الناس . أم يريدوا أن يبغضوا الناس في دينهم و تقاليدهم . فإن كان الأول فهم أهل الافساد . و إن كان الثاني ، فإن هذا مستحيل ، لأنه - و هذا ما لا يفهمه و لا يستطيع أن يفهمه الأغيار - هذا الدين و هذه الروح و هذه البركه المحمديه و هذه الأمه التي أساسها شعرت أم لم تشعر هو القرءآن العظيم ، لن تزول من على سطح الارض بإذن الله و لو فعل من فعل ما فعل . محق الله و رفع عنا بلاء من كان أكبر و أكثر جبروتا و أذكى منهم و من أسيادهم - سواء كانوا يعلمون أنهم أرقاء لهؤلاء الاسياد أم لا يعلمون . لقد كنت أريد أن أحلل و أنقد هذا المقال عباره عباره ، و لكن أحسب أن مستوى المقال قد ظهر ، و ليس بعد ذلك إلا مزيد من التعسف ، و العواطف العمياء ، و شئ من المبالغه و التحيزات للحداثه مهما كان ثمن هذا التحيز . و الحق أني مللت منه و من أجوائه ، فلننتقل إلى جانب آخر من مسأله الإمامه، و المهم من هذا المقطع هو أن الإمام في الأمه - سوآء كان فردا في نفسه أو في جماعه من سكان القرءآن - لا يكون إلا متطهرا عن أمثال هذه الرؤيه الوجوديه الحداثيه و مناهجها المتعسفه المختزله و ثمارها التي معظمها فاسد و القله منها طيبه نافعه في حدود يعرفها أهل الحدود المستنيره .

لا كتاب إلا كتاب الله ، و لا إمام إلا المعلم لكتاب الله . هذا هو باب طريقنا بل الطريق كله . يوجد فرق كبير بين أن تقول " أنا لا أفهم كتاب الله و لذلك أحتاج إلى من يعلمني إياه " . و بين أن تقول " أنا لا أستطيع أصلا أن أفهم كتاب الله و لذلك أحتاج إلى من يعلمني إياه" . فنحن أصحاب الطريق الأول ، و غالبيه الأمه في الماضي و الحاضر تم تضليلهم فاتبعوا الطريق الثاني . في طريقنا ، أي الطريق الذي نأذن بالسير فيه ، كل انسان يأخذ كتاب الله بنفسه ، هذا هو الأصل و القاعده . و الاستثناء هو أن تحتاج أن تتعلم - بمعنى التلقي المحض- من الغير . لأن القاعده هي أنه لا يجوز إتخاذ أرباب من دون الله ، لا ملاك و لا نبي و لا وارث و لا شئ من هذا القبيل . و لكن - و هنا الخطوره - يظن البعض أن هذا نفي لوسائط التنوير و وسائل التدارس المشترك بل التلقي بالتسليم من الغير ، سواء كان هذا الغير في العوالم العلويه او السفليه . و الأمر ليس كذلك . و لا يمكن أن يكون كذلك أصلا . لأن وساطه نور الله الذي هو المشكاه التي فيها مصباح ، و الذي هو روح النبي العلوي ، هذا النور هو الذي يهدي به الله و يكشف به و يعلم به من دونه . و ليس هذا مما نحن فيه في هذه الفقره . إنما الذي نحن فيه هو الوسائط في العوالم السفلي . بمعنى أنك كإنسان يريد معرفه الله و الحقائق الوجوديه و الكونيه ، و اتباع الرشد و سلوك طريق الحياه الطيبه و الدخول في ظل الرحمه الإلهيه ، أي كإنسان مسلم مؤمن ، تريد وسيله مؤيده في هذا الطريق . فعندها تأخذ القرءان . فأنت على طريقك الفردي الذي بدأت به ، إذ ستبعث فردا و تقف بين يدي الله فردا ، كما خلقت فردا ، و سيأتي يوم لا يغني عنك مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، و لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه . فالفرديه للانسان ، و الثلاثه أول الأفراد كما قال الشيخ الأكبر، فحين نقول " فرديه الانسان " لا نقصد - بالطبع - ما يقصده عبيد الحداثه الذي لا يفقهون من فرديه الانسان إلى النظر الفكري

السخيف و الغرائز الغافله المبرمجه من قبل الشركات التجاريه و الاحزاب السياسيه من حيث لا يشعر هؤلاء الجماهير الحمير ، و يحسبون أنهم مهتدون و متحررون ، و إنا لله و إنا إليه راجعون . لا ، ليس هذا ما نعنيه البته . و إنما الإنسان هنا هو الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، و ليس المردود المسجون في أسفل سافلين . و الثلاثه هي العرش و الملكوت و الملك ، أو الروح العقلي ، و النفس السماويه ، و الجسم الارضي . أي الانسان الكامل ، و ليس الانسان الحيوان بل الاضل سبيلا . هذا الانسان، الذي هو كل فرد سعى في حياه كل أبعاد وجوده ، و انفتح - وهذا هو الانفتاح الفعلي- على المستويات الوجوديه و الكونيه المتعدده ، و عرف المراتب و أولويات بعضها على بعض . باختصار ، عرف أن الانسان خليفه الله و العلم هو الوسيله العظمى و المظهر الأعظم للخلافه ، ثم ما يتفرع عن ذلك من قول باللسان و عمل بالأركان و تنظيم للحياه المعيشيه فهو أمر يأتي تلقائيا و بيسر إن تمت المعرفه التي بالقلب ، إذ لا يكون الظهور السفلي لما رسخ في القلب و أحكمه العقل من الحقائق إلا تنزلا و تجليا ميسورا إن شاء الله . و كلامنا عن الأصول و ليس الفروع . فهذا الانسان ، هو إنسان قبل أن يعرف هذا القرءآن . هذه مسأله مهمه جدا و محوريه . الانسان إنسان - و هو خليفه الله - من قبل أن يعرف هذا القرءان العربي . و هو مؤمن من قبل أن يزيداد إيمانا بهذا القرءآن . و هو مسلم من قبل أن يسمعه من الرسول و ورثه الرسول . بل لأنه إنسان من الذين يعلمون و يتفكرون يستطيع أن يقبل و يفقه هذا القرءآن. و إلا فإن البشر الحمار او الكلب او الأنعام او الذي قلوبهم كالحجاره او اشد قسوه، او المترف الذي هو في سكرته يعمه ، و غيرهم من هذه الفئات ماذا ينتفعون بهذا القرءآن بل و بألف قرءان مثله . إنما يتذكر من يخشى ، و ينتفع من يعي و يسمع و هو حي في قلبه . فإن الرسول لا يسمع الموتى و لا يصم الصم الدعاء إلا ولوا مدبرين . هذا القرءآن جاء لمزيد رحمه و تيسير و بسط في العلم لخلفاء الله و الذي وعوا إنسانيتهم ومقامهم ، او من لهم استعداد لذلك فيأتي القرءآن و ورثه الرسول فيثوروا دفائن العقول و يذكروا من له استعداد للقبول بحقيقته و مقامه فيقبل ظاهرا ما كان كامنا في قلبه و مدفون تحت ركام من تراب الغفله من قبل. فهذا القرءآن لا يجعل أحد إنسان ، اللهم إلا نادرا جدا و في حال كان عنده استعداد مسبق بأن سبقت له من الله الحسنى ، و إنما هذا القرءآن للإنسان . " لقوم يعلمون " و "لقوم يتفكرون" و "لقوم يذكرون" ، و " لتنذر من كان حيا " و " إنا كنا من قبله مسلمين " و "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " . بل إن نفس ثبوت هذا القرءآن في القلب مبني في أحد الاعتبارات على قوله " سنريهم ءاياتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " و هذا يعني أن الذي سيتلقون هذا القرءآن، إما أنهم أصلا ممن ينظرون في الافاق و في أنفسهم ، أو ممن لهم استعداد لهذا النظر . و غير ذلك كثير في كتاب الله مما يكشف هذه الحقيقه . فإذن الإنسان يقبل هذا القرءآن حين يكون فردا من قبل أن يقبل هذا القرءآن . و بما أنه فرد في أصل قبوله ، فإنه يظل فرد بعد قبوله ، و هذا لا يمنع أبدا من التسليم الإرادي الذي هو من فروع الفرديه ، و إن كان التسليم القرءآني ليس في شئ من تسليم العوام . التسليم القرءاني الذي يقوم به أهل القرءآن هو تسليم على بصيره . " أدعوا إلى الله على بصيره أنا و من اتبعني " و " و لا تقف ما ليس لك به علم " . فالتسليم المذكور في نحو قوله " و يسلموا تسليما " إنما يقع تحت مظله "على بصيره" و " لا تقف ما ليس لك به علم " . و لا بهائم في الإسلام و لا أنعام في القرءآن . و حتى التسليم لأمر الله ، و أمر الرسول ، و أمر الوارث ، حتى على فرض عدم "فهم" تفاصيل أصول هذا الأمر ، و "حكمته" بالمعنى الشائع لهذه التعابير ، فإن الإنسان القرءآني يشهد مصدر هذا الأمر شهودا فعليا ، و معرفه قلبيه ثابته ، فهو يسلم به كما ينتفع بضوء الشمس و هو لا يعرف ما هي التفاصيل التي تكون هذه الأشعه الشمسيه ، و لكنه يشهد الشمس في أشعتها فيستضئ بها لكونها أشعه

شمسيه و ليس بالضروره لكونه يعرف التفاصيل التكوينيه لأشعه الشمس ، و إن كان الإنسان بطبعه يرغب في معرفه ذلك . إذ إنما أمر الإنسان بطلب الزياده من العلم لا غير . " و قل رب زدني علما " . فإذن الفرديه قبل هذا القرءآن ، و الفرديه بعد هذا القرءآن ، و الفرديه أثناء السكن في هذا القرءآن .

و هنا تأتي مسأله الإمامه . فإن الإمامه هنا لها وجهين : وجه ينظر إلى محدوديه الوادي الفردي . و وجه ينظر إلى القرب من الجناب الإلهي . أما الوادي الفردي ، فيقول الحق "أنزل من السماء ماءا فسالت أوديه بقدرها " . و هذا مما يشهده كل انسان و يعرفه حتى أغبى البشر . فلا يستوي الناس في أي شئ استواءا تاما من جميع الحيثيات . و "فوق كل ذي علم عليم " . و حيث إن الترقي عند الله هو بالايمان و العلم ، فإن صله الإنسان القرءآني بغيره من الناس تقوم على هذا الأصل ، و هذا الأصل فقط . هو يريد أن يزداد في العلو عند الله ، و بالتالي تزداد سعه خلافته عن الله من حيثيتها الفعليه ، أي أن يصبح إنسانا أكبر و أعظم ، و هو يعلم أن طريق العلم هو طريق الجنه و وراثه الأنبياء و الاستظلال بظل العرش الأعلى ، فهو إنسان بالمعرفه ، و بالمعرفه إنسان . و حظه من الإنسانيه و نصيبه من الطريقه و الوراثه النبويه هو بحسب حظه من المعرفه و سعيه في سبيلها و حياته بها . فهو يقوم بكل ما في وسعه من حيث فرديته . و لكن هنا يأتي باب آخر و هو باب الشفاعه و الجماعه أي الوسيله التعزيزيه . الإمام الفردي او إمامه جماعه من الناس هي الوسيله التي بها يستفيد الانسان من أنوار و قوى غيره ، فيستعين بهم و يتعاون معهم على البر و التقوى . فبما أن الوادي الواحد له سعه معينه ، فإن ضم وادي إلى وادي يزيد الأول في العمق و السعه . و من هذا الجانب يأتي وجه الجناب الإلهي ، أي "أيهم أقرب" إلى الله تعالى . فدعاء الإنسان لأخيه الإنسان ، و استمطار رحمه الله و أنواره على أخيه ، هي من أهم القوى في هذا الطريق . و كذلك في كل شؤون الوساطه السماويه و العرشيه . و ما ذكرناه هو عن الارضيه . و من هنا في باب تعلم القرءآن ، الذي هو ركن الأركان في الطريقه المحمديه ، لا نعترف بإمام إلا إن كانت إمامته تعين على هذا الطريق و تبسط فيه . فقد يكون مدده معنويا صرفا ، و قد يكون غير ذلك . و لكن الخاصيه الأساسيه للإمام القرءآني هي أنه يعين الناس على تفقهم الفردي في القرءان . فهو يعين على جبر القصور - و القصور دائما حاصل بدرجه من الدرجات إلا أن يبلغ الله بالانسان إلى مرتبه تمام النور و الإحاطه بعلم الكتاب . فهو يجبر القصور حتى يستمر الفرد في طريقه الخاص . و هذا هو الفرق الأكبر بين الطريق الأول و الثاني الذي عليه جماهير الأمه و عوامهم - مع الأسف الشديد . و من أشد ما ساهم في ذلك ما رواه لهم بعض السلف من تحديد لأركان الإسلام بخمسه او سته او ثلاثه او اربعه ، و لم يدرجوا "دراسه القرءآن" او "تعلم القرءآن" في واحده من هذه الأركان ، لا أركان الإسلام و لا الإيمان و لا الإحسان . و هذا من المواضع القليله جدا التي تصافت عليها قلوب الأحزاب على اختلافهم. اجتمعوا على أن لا تكون دراسه كتاب الله ، الذي هو أصل هذه الأمه و روحها ، من الأركان ، فضلا عن أن يعرفوا أنه ركن الأركان ، و أصل الأصول . فهو من "فروض الأعيان" باصطلاح القوم . و من أين يتأتى الإيمان بلا دراسه فرديه للقرءآن ! هيهات هيهات لما توعدون . و لنا آخر خاص نبسط فيه مسأله أركان الإسلام المزعومه هذه إن شاء الله . و عجبا من قوم يزعمون أن كتاب الإسلام ليس فيه تحديد لأركان الإسلام ، حتى راحوا و أخذوا روايه شخص او شخصين و جعلوها معيار المعايير و أصل الأصول ، بل حتى في مروياتهم ما يضاد هذا التحديد الخماسي او لا يقل ينقص منه و يزيد عليه بل بعضها يأتي بمعيار آخر ، و الخلط و الخبط كثير ، و هذا ليس بغريب على من لم يستظل بظل عرش كتاب الله و يعرض الأمور و المقالات عليه ليحكم فيها و يقوم

اعوجاجها و يبين لبها و مستواها و يفصل في الخلاف فيها. و لعلنا نجعل هذا المقال في أحد أبواب كتاب (بسط نظريه : حسبنا كتاب الله) فاطلبه هناك إن شاء الله و يسر .

و قد جاء في كتاب الله الأمر بالجماعه المستنيره ، كما جاء الأمر بالتعاون على الخير و الحكمه من الخير بل ساحته ، كما جاء الأمر بالذكر و الصلاه الجماعيه . فالأول كقوله بعد أن ذكر عدد كبير من الأنبياء ثم قال لنبي القرءآن و وارثه " أولئك الذين هدى الله فبهدىهم اقتده ". و لو كانت الفرديه تعني الاستقلال المحض بالنفس - بالمعنى الجاهلي و الحداثي - لما ذكر لصاحب القلب القرءآني الأمر بالاقتداء بهدي غيره نفسه و ما يظهر له في مجاهدته في حدود نفسه . الثاني كقوله " و تعاونوا على البر و التقوى " و "افعلوا الخير لعلكم تفلحون" و "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص " و كذلك قوله " و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوه و العشي يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم " و قد ورد في إحدى الروايات أن النبي نزل هذه الايه على بعض صعاليك المهاجرين الذي اجتمعوا للاستماع إلى قارئ يقرأ القرءآن عليهم. الثالث كقوله "اذكروا الله" و الذي يختلف عن قوله "اذكر ربك في نفسك" فالأول جماعي و الثاني فردي و كذلك صلاه الجمعه التي يقيمها النبي لهم و يذكر الله فيها ، و قد ورد في بعض الروايات أن النبي الأول عليه السلام كان يقرأ بسور من القرءآن في خطبه الجمعه حتى إن البعض حفظ منه سوره كامله من تردادها ، و هو ما يعتبر أحد مصاديق ذكر الله بل هو المصداق الأكبر " إذا نودي للصلوه من يوم الجمعه فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع " . و الآيات في الأمر الجماعي ، بشتى ألوانه و أشكاله ، كثير . و لكن هذه الجماعيه هي فرع للفرديه . و الآيات في تقرير الفرديه و أساسيتها كثيره أيضا . و إنما يتيه من يجعل القرءآن عضين ، فيأخذ ببعض و يتجاهل بعض . و قد استغرقت جماهير الأمه في الآيات الجماعيه ، مع شبه اغفال تام للآيات الفرديه . و كان أصل ذلك أمور خارج القرءآن تم زرعها في قلوب الناس و أدمغه البشر ، و كان الوقت وقت حجاب ، و لذلك تجد أنه ما أن توفي الرسول الأول عليه السلام ، حتى بدأت تظهر على ألسنه العلماء و كتبهم ظاهره "جهل العامه". و الشكوى منها كثيره ، و تكرار ذكر عقم الجماهير و غفله البشر أكثر من أن تحصر. في شرق الارض و غربها . و قيمه العلم و المعرفه في تدهور مستمر من ذلك الوقت . فبدل أن تكون الأسئله العميقه و العاليه - داخل و خارج القرءآن و لا خارج للقرءآن لمن عقل - مرحبا بها او مقبولها و الاجابه الراقيه عليها متوافره ، كما هو حال اجابات الإمام علي عليه السلام مثلا ، فإن السنه التي سنها الغير هو الضرب بالدره و رمي السائل بالحصى و الاتهام بالبدعه فالطرد من المجلس و استصغار و استخفاف عقل الانسان - العقل الكلي الجليل بتعبير مولانا جلال الدين و ليس العقل " الجزئي الضعيف " - و الانشغال بصغائر الصغائر و تسميتها "فقه" و "علم" ، بل و تسميه الفقه و العلم الحقيقي "بدعه" و "تكلف" . و استمرت هذه السنه و هي قائمه إلى حد كبير إلى هذا اليوم . هذه السنه التي جعلت الجماهر فعلا حمير ، و العصا هي عصا السياسه العنيفه التي تهش على الغنم فتوجههم حيث تشاء، انقلبت على رأسها ، او "انقلب السحر على الساحر" ، حين تم قطع هذه اليد الحامله لهذه العصا ، و تحول الغالبيه العظمى من الحكومات إن لم يكن كلها فعليا إلى حكومات لا تتدخل بالشأن الفردي للناس و دينهم ، فزالت سلطه "الفقهاء" إلى حد كبير ، و بقي لهم سلطانهم المعنوى فقط ، و أصبح السلطان العنيف لقوم آخرين لهم أفكار و قيم غير أفكارهم و قيمهم، و بما أن الجماهير كما تربوا على مر القرون على أيدي مدرسه السفهاء الذين يسمون أنفسهم فقهاء ، إنما هم حمير ينظرون إلى الغالب و الظاهر في الارض و من بيده السلطان و الغلبه و الحشمه و الشهره فيتبعونه ، فإن انقلاب السحر كان بأن تأتي أفكار الغرب و قيمهم و نظرتهم للحياه و اسلوب تعاطيهم

مع المتع المعنويه و البدنيه ، فسيطرت إلى حد كبير على جماهير الأمه، و "الفقهاء" يشتكون و يضجون من "سوء حال الأمه" و وصل الأمر بطوائف منها إلى اتخاذ العنف الوحشي كأمر طبيعي جدا ، و هم في كثير من دول أوروبا اليوم فضلا عن الدول العربيه ، و هل يفقه شر الدواب إلا العنف . يزعمون أنهم يتبعون سنه النبي في بناء دوله تحكم بشرع الله . و يزعمون أننا الآن في عصر الجاهله التي كان عليها أهل مكه . أيها التافهين ! لا نكلمكم بكلام الله فهو أعلى من مستواكم ، فلنكلمكم بالمرويات و الحكايات التي تأخذون بها بزعمكم . ألم يدعوا النبي في مكه نحو من عشر سنوات ، و إنما خرج منها لأنهم عذبوا أتباعه و منعوهم من نشر رؤيته و قيمه ؟ أخبرونا : لهم منعتكم الكثير من الدول العربيه، التي فيها الفكر الذي أنتم نبات خبيث من نباته ، من نشر افكاركم و نشر كتبكم . أليست أفكاركم و قيمهم هي القيم السائده في تلك الدول ، بل أليس يحارب أمثال كاتب هذه السطور لأنهم ينتمون إلى طريقه مخالفه لطريقتكم . هل حرموا عليكم الدعوه إلى عدم شرب الخمور، و سفور النساء ، و الحفاظ على ما تسمونه صلوات في المسجد - و لا ندرى أي صلاه تصلون التي تأمركم بالفحشاء و المنكر و البغي بدل أن تمنعكم منها . الله أعلم بما تعملون . ثم فلنفرض أن الدول العربيه قد اضطهدتكم ظلما و عدوانا ، و رغبه في "العداء للاسلام" . سلمنا لكم بهذه الخرافه . فما الذين فعلته الدول الاوروبيه و الامريكيه لكم في هذا الشأن ؟ ألستم تجدون حريتكم في التعبير كما تحبون ، بل لكم من الحريه في التعبير ما ليس لكثير من غيركم ، و تشتمون و تلعنون و تسبون و تسخرون ممن تشاؤون كما تشاؤون في الغالبيه العظمى من الاحوال إن لم يكن كلها ، و لا يكلمكم أحد ، و رب البيت ، لو كنتم في البلاد العربيه - بلادكم- لما تجرأ أكبركم على أن يفعل عشر معشار ما تفعلونه اليوم كله في تلك البلاد "الكافره" التي تشبهونها ببلاد ابو سفيان و ابو جهل الذي كان يلبس المسلم - الذي لم يعتدي على أحد و لم يحرض فعليا على قتل أحد !! احفظوا هذا القيد يا من تقيمون موازنات و تضربون أمثال بخفه طالما تعودناها منكم و من آبائكم - كان يلبسه الدرع الحديدي و يصهره في الشمس او يجعل الصبيان يطوفون بهم في شعاب مكه . من اقترب منكم إن تكلمت بالافكار و القيم التي تحبون . بل إنكم تدعون إلى العنف الوحشي و في الغالب تتركون . أهكذا تعلمتم من "الصحابه" حين هاجروا إلى الحبشه فأواهم "الكفار" ، أكان الصحابه يشتمون و يسبون و لا يبالون بالدوله و الحكومه التي يسكنون بينهم . هذا أولا. ثم ثانيا لمسأله بناء الدوله . كيف بنى الرسول الذي تزعمون أنكم تقتدون به دولته - و لنسلم جدلا أن الرسول قد بنى دوله بالمعنى الحديث للدوله ؟ كيف بناها ؟ ألم يخبركم أبو فلان و أبو علان من قادتكم كيف بنى الرسول دولته في المدينه . أم لم تدرسوا ذلك في الابتدائيه ، و لا ندري لعلهم لا يملكون شهادات ابتدائيه أصلا . ألم تقرأوا أو تسمعوا بأن غالبيه أهل المدينه ، من الأنصار ، قد قبلوا بأن يحكمهم الرسول و يشرع لهم و قد بايعوه طوعا و عن وعي بحقيقه دعوه الرسول و لوازمها ، ثم تشددوا في بيعه العقبه في قبول البيعه إلا بعد أن يتأكدوا أنهم سيقوموا بالأمر كما ينبغي ثم بايعوا ، ثم رجع هؤلاء إلى المدينه فدعوا و علموا دستور الرسول للناس ، حتى كان أكثرهم ممن قبل هذا الأمر ، ثم قدم الرسول عليهم بلا أن يحمل حتى شوكه فضلا عن أن يأتي بجيوش مجيشه لما يسميه الطغاه أهل الاعتداء "فتح" . ألم يأتي الرسول وحده او معه صاحبه فقط ، و دخل المدينه بسلام تام بل بترحيب من أهلها . حسنا ، أين أنتم من هذه السنه العظمى . أين الشعب الذي استقبلكم بفرح و ابتهاج و قبل دعوتكم و دولتكم . اين الغالبيه من سكان بلد مستقل ما من الذين عرضتم عليهم دعوتكم و دستور و غايه دولتكم ثم قبلوا منكم . أنتم كمثل بقيه أهل السياسه غالبا ، تمتهنون العنف الوحشي و الكذب الديني للتمكين لأنفسكم ، و من هذه الحيثيه لا بأس بكم فأنتم تحسنون عملكم . و لكن "سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " في الدنيا قبل الآخره .

هذه الجماعه الوحشيه ، و أقول "جماعه" بالمفرد لأنهم كلهم افرازات لنفس الارض الفكريه الخبيثه الواحده . فانظر حيث شئت لن تجد غالبا إلا من شيع "الوهابيه" و "السلفيه" و "الاخوان المسلمين". و الآن بدأ بعض الشيعه الإماميه و الزيديه الدخول في هذا الخط من العنف الوحشي الخبيث. و هل كلهم إلا ثمار ألوان مختلفه لنفس الماء الآسن النجس الواحد الذي خرج من قعر الجحيم . انظر إلى وجوههم فإن سيماهم في وجوههم من أثر الوحشيه و الجحود . يذكرني هؤلاء بالعله التي تذكرها بعض المرويات عن كون أكثر أهل النار من النساء، فتقول " لأنهم يكفرن العشير و يكفرن الإحسان " ، و هذا أشد ما ينطبق على من يسكنون في بلاد تسمح لهم بأن يتكلموا بما يحبون - بشرط عدم العنف الوحشي غالبا - ثم مع ذلك يكفرون بهذا الاحسان . و من ناحيه أخرى ، فإن البعض من هؤلاء قد يقول معتذرا عن وحشيته : إن الغرب هاجم بلادنا ، او إن الغرب يدعم الصهيونيه ، او نحو ذلك . و نحن لسنا جهله عن هذه الأمور ، و نحن ممن يدينها أيضا . و لكن لكل مقام مقال ، و لكل حال أفعال . الدول تقتص من الدول ، و ليس شأن جماعه تم قبول هجرتها إلى دوله ما ، و أحسنوا لهم فيسروا لهم أمرهم بقدر الوسع و في حدود الثقافه القائمه ، ثم تركوهم ليقوموا بشؤون دينهم و دعوتهم كما يحبون باللسان و المكتوب ، باختصار " خلوا بيني و بين الناس " ، و قد خلوا بينهم و بين الناس ، ثم مقابله كل هذا الإحسان و سعه الصدر بالكفر و العنف و الشغب و سوء الأدب . إننا أشد انتقادا للغرب منكم ، نحن ننخر في قواعده ، و أنتم تحاربون الذباب الذي يطير حول ثمره . و إننا أشد بغضا لمن قتلوا في عباد الله و أتباع نبينا محمد منكم ، نحن نأخذ كل صغيره و كبيره من الميراث المحمدي و التقاليد التي خلفها لنا الورثه السابقين و نحب و نحترم و نتعلم و نستفيد من الورثه القائمين ، بينما أنتم تكفرون من لا يوافق جحر الضب الذي دخلتموه و تمارسون العنف و تبسطون أيديكم كلما استطعتم إن أمنتم ، و لا تفقهون عشر معشار الحقيقه القرءآنيه فضلا عن أن تعيشوا بها ، و تعاملون الأمه المحمديه و كأن الله لم يخلق إلا ابن عبد الوهاب و ابن تيميه . كأن الأول هو محمد رسول الله و الثاني هو أحمد الذي بشر به عيسى روح الله . فضلا عن غير هذه الفرق - كالاخونجيه - الذين ظهرت بواطنهم حين ظهروا على شعبهم . كلهم من نفس هذا الفصيل الأرعن الهمجي . فصيل يخشى كلام الأغيار ، لأنهم يعلمون أن بيوت دينهم وعقيدتهم قائمه على شفا جرف هار . نسأل الله أن يكف عنا شرهم ، و لا يذر على أرضنا منهم ديارا ، بأن يكبت منهم من لا خير فيه ، و أن يسمع من علم فيه خيرا فيجعلهم من خيره الأبرار ، و عما قريب سيصحو هؤلاء لصيحه " لمن الملك اليوم " فينادي من يزعمون أنهم يريدون أن يقيموا له سلطانا على أرض النمل هذه و كأن حكمه زائل عنها ، فيعلمهم و يذكرنا بأن الملك " لله الواحد القهار " .

عودا على بدء . لا كتاب إلا كتاب الله ، و لا إمام إلا المعلم لكتاب الله . إن وراثه مقامات الرسول في هذه النشأه ، و الوراثه هي ظهور لشعاع من شمس روح المورث في قمر قلب الوارث ، هو أمر حق و به تستمر الأمه ، و به يكون الرسول قد بعث - كما قال في سوره الجمعه المباركه - " هو الذي بعث في الأميين رسول منهم " ثم قال "و ءاخرين منهم لما يلحقوا بهم " . فالرسول هو هو مبعوث للأميين من الأولين ، و من الآخرين ، السلف و الخلف . و لكن حضوره في الأولين غير حضوره في الآخرين . و هو عين الوراثه في مقاماته ، التي أبرزها مقام تلاوه آيات الله ، و التزكيه الكامله ، و تعليم الكتاب و الحكمه ، و فتوحات الزياده . و قد ذكرت بعض الروايات الشريفه هذا الاختلاف حين قال النبي عليه السلام أن من معه من الناس هم "أصحابه" فقال "اشتقت إلى إخواني" فبين لهم أنهم ليسوا إخوانه ، و إنما هم أصحابه ، و لكن إخوانه هم من يأتي بعده و يؤمن به . و الأخوه أعظم من الصحبه بهذا الاعتبار . و ذلك لأن حضور الرسول اليوم تغلب عليه الروحانيه ، و

لكن في الظهور الأول كانت تغلب عليه الجسمانيه . و من هنا " و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون " و "إن هذا إلا بشر مثلكم " . فانحصر وعيهم بشقه الجسماني الشريف . بل إن من أصحابه و أقربائه الجسمانيين من كان يظن او يتعامل مع الرسول و دعوته و كأنها دعوه قوميه جاءت للعرب و عزهم الارضي او لبني هاشم و نحو ذلك من جاهليات . و هذا يختلف قليلا فقط عن مستوى وعي من كفر بالرسول بناءآ على أنه مجرد بشر ، فانحجب بالتراب كابليس و أغفل الروح لأنه ناري سفلي . فكان ظهوره عليه السلام للأولين تغلب عليه الأرضيه و الجسمانيه ، و لكن ظهوره عليه السلام للآخرين تغلب عليه السماويه و الروحانيه النورانيه . و لهذا المؤمن فعلا بالرسول اليوم أقرب و أعلى ممن آمن لاعتبارات مظهريه دنيويه معينه كما وقع في الظهور الأول . و هذا من قبيل من دخل في الآمر المظهري بعد أن تم التغلب في معركه او موقعه او الدخول إلى المسجد الحرام او رؤيه الجماهير المؤمنه و اتباع الغالب و نحو ذلك . الذي يعرف الرسول اليوم يعرفه بروحانيته و سمو نورانيته . فالظهور الأول كان الشمس متخفيه وراء السحاب، و أما اليوم فهو اشراق للشمس ليس دونها سحاب . هذا لمن من الله عليه باشراق هذا النور طبعا . و لهذا كان الشوق النبوي لأصحاب الحقيقه العاليه . و هم إخوته عليه السلام لأنه هو نفسه قد تلقى القرءآن بمحض الروحانيه ، فنزل على قلبه و رآه الأمين جبريل بالفؤاد و في الأفق الأعلى و عند سدره المنتهى . و كذلك أيضا حين آمن علي عليه السلام الذي هو "أخو" النبي ، فآخى بينه و بين نفسه المباركه سلام الله عليه و عليه . لأن علي آمن بشهود هذه النورانيه . فايمان الشخص يختلف باختلاف مستوى سبب أو أسباب إيمانه . اذ كل عمل محدود بنيته و باعثه . فمن شهد حقيقه روح النبي ثم آمن به ، ليس كمن شهد أثار النبي ثم آمن به . الأول شهد الأصل ، الثاني شهد الثمار . الأصل فوق و الثمار تحت . فكان المؤمن بشهود نور النبي فوق المؤمن بشهود شئ من آثار النبي . فامتاز الأخ على الصاحب بذلك . و " كلا وعد الله الحسنى " مع فارق الدرجه العظيمه بالطبع .

فالإمام في مقام هو الذي يمد بروح النورانيه النبويه بالاضافه إلى مد مظهر العمل من تلاوه او تزكيه او تعليم لكتاب و حكمه . المد المظهري ما أكثره ، المد المعنوي ما أندره . و لمثل المد المعنوي فليتنافس المتنافسون و ليتسابق المتسابقون . إن هذا الطريق و هذا الدين ليس جثه يتم نقلها من بيت إلى بيت . إنما هو روح عقل مقدس يشع في بيت القلب . ثم هذا العقل يتمثل في أعمال مظهريه معينه بحسب الإمداد العلوي . و لهذا كان فقهاء القرءآن الأوائل يعتبرون "الخشوع" من العلم . و أما التعاطي مع الدين ك "مسائل" و "بحوث اكاديميه" و نحو ذلك ، فهو ليس إلا جثث - بعضها أجمل من بعض بالتأكيد - و لكنها جثث في نهايه المطاف لا تسمن نفس و لا تغني روح العقل من جوع إلى المدد المعنوي الحر .

من كان سيأتم بإمام ، فليأتم بإمام قرءآني ، روحه تشع في السموات ، و ثماره تنزل على أرض القلب بالتبع . و الله الهادي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما .

.....

١١- " خيركم من تعلم القرءان و علمه "

الله فوق الناس ، و الرجل فوق المرأه بدرجه ، فالتراتبيه من الأعلى للأدنى هي : الله ، الرجل ، المرأه . فعطاء الله للرجل أكثر تجريدا و روحانيه من حيث التسلسل التنزلي ، من عطاءه للمرأه. و لهذا مثلا الملاك يتنزل على قلب الرجل فيلقي فيه كتابا مقدسا ، و لكنه حين يأتي للمرأه يتمثل لها بشرا سويا و يلقي فيها ولدا مطهرا . فالرجل صاحب القلب ، و المرأه صاحبه الجسم . أي إلى هذا المستوى من الكون يميل أكثر بطبعه . هذه هي القاعده ، و الاستثناء له أحكامه الخاصه به .

فوجود الرجل لا يتم إلا بأن يتم إلقاء كتاب في قلبه ، أي أن يتنزل علم إلهي فيه و يظهر به ، كما أن المرأه لا تكمل - من حيث جسمها - إلا إن أنجبت ولدا ، و لهذا سميت المرأه العاقر بعد أن تصبح قابله للولاده باسم الصلاح ، " و أصلحنا له زوجه " كما في قوله عن امرأه زكريا . و يتفرع عن هذه الحقيقه أمور كثيره .

منها أنه ليس من كمال الرجل في شئ أن يعشق امرأه معينه ، كما أنه ليس من كمال المرأه في شئ أن تعشق رجلا معينا . فإن التعلق الجوهري للرجل هو بعلمه و حاله القلبي و مقامه العقلي و الكوني . و التعلق الجوهري للمرأه هي بما يظهر منها ، و اهتمامها بأولادها - في الحاله السويه يكون هؤلاء أولاد جسمانيين ، و لكن في الحاله المرضيه - كما هو الحال في عصر الحداثه - فإن هذا الولد قد يتغير من كونه جسمانيا إلى كونه انتاجا وظيفيا معينا أو النجاح في مهنه اجتماعيه معينه ، أو ما سوى ذلك من سخافات العصر الحديث . كذلك الرجل عندما ينحرف عن روح كبريائه العالي ، الذي هو مظهر جلال الله و واسطه فيض القرءان ، فيصبح يسعى لتحقيق كبريائه هذا - و هيهات !- عن طريق مناصب اجتماعيه معينه أو التكاثر في الأموال و الأولاد أو ما سوى ذلك من أصنام و أوثان . و العلاقه بين الرجل و المرأه تفسد حين تخرج عن هذه الحدود . و ما اللغو الكثير منذ القدم إلى يومنا عن "الحب" و "العشق" إلا كذب في الغالب الأعم ، إن لم يكن دائما . و لذلك يتعلق البشر بقصص "عشاق" لم يكتب لهم الالتقاء ، لعلهم لأنهم يعلمون لا شعوريا أنهم لو التقوا فعلا لانكشف كذبهم . الرجل لا يحب إلا مقام كبريائه و ما يوصله إلى ذلك المقام ، و المرأه لن يحبها إلا ولدها و لن يعشقها إلا ابنها . أما كبرياء الرجل فبابه هو عباده الله و التعمق في علمه المقدس العالي . و ما سوى ذلك لا يحقق ذره من ذات الرجل . و من هنا قال العرفاء : لو أن العرش و ما حواه في زاويه من زوايا قلب العارف لما شعر به . يقصدون التدليل على السعه الإطلاقيه و الإمكانيه اللانهائيه لقابليه الإنسان الواعي بالحق و الواعي بنفسه . و كذلك المرأه و إن كان في كثير من الأحيان تحتاج إن تمر بعذابات شتى حتى تتعلم أن الرجل لا يتعلق بها لأنه "يحبها" أو "يفهم نفسيتها" أو ما أشبه ، فضلا عن أن الكثير من هؤلاء النسوه اللاتي يطلبن من الرجل أن يتفهمهن و أن يحب نفسيتهن ، ليس في أنفسهن ما يستحق الإعجاب فضلا عن العشق ، و هذا أقل ما يقال ، و لو أردنا أن نزيد لقلنا نفوسهن تستحق المقت - فلا هن طلاب علم آخره ، و لا هن يفهمن متع الدنيا و لذاتها بتحرر كاف . فلا آخره و لا دنيا عند الكثير من هؤلاء النسوه صاحبات المطالب المعنويه الكثيره . و إذا دققنا في هذه المطالب ، فسنجد أنها في الغالب الأعم - و إنما استثني للتحرز العلمي و ليس لدليل واقعي - ليست إلا سعي لكسب ضمانات و تأمينات على أن الرجل - أو الذكر للدقه - سوف يبقى بجانبها و يعتني بها حتى بعد أن يكبر سنها و يذهب حسنها ، إن كانت ذات حسن مظهري أصلا . و حسبك أن تنظر إلى أجمل نساء الأرض ، و سترى أنهم في الغالب الأعم مع من

يملك وسائل الأمن و التفاخر و التكاثر . و انظر كم امرأه تجد في جسمها - الذي هو رأسمالها - حسنا عاليا فتختار طوعا أن تكون مع "رجل مثقف" أو "فنان راقي " إن كان مفلسا أو يحيا حياه كفاف، فإن أضفت إلى هذا كون المرأه - أو الأنثى للدقه - تجد ذكرا ثريا أو متسلطا ، حتى لو كان خبيث الجوهر و قبيح المنظر ، فإن اختيار هذا الذكر على ذاك الرجل هو الأولويه عند الغالبيه. و ليس هذا مما تعاب الأنثى عليه ، كما يفعل بعض " أهل الثقافه " الذين يبدو أنهم كرهوا المرأه لأنها لم تنجذب إليهم فعملوا على الانتقام منها بالأقلام ، إذ لم يجدوا سبيلا إلى شرائها بالمال أو قتلها بالسنان أو اغرائها بالسلطان . لا ليس هذا مما تعاب الأنثى عليه من حيث هي، إذ المرأه - الصالحه كالطالحه غالبا - مقامها في الكون هو مقام أرضي . فهي لا تفقه "مال الله" و لكنها تفقه "أموالكم" . هي لا تشبع من "فكره" و لكنها تشبع من "ولد" و معيشه مرفهه . كما يريد الرجل السليم لروحه أن تكون ، كذلك تريد المرأه السليمه لجسمها أن يكون . و كما يسعى الرجل في جعل عقله جنه مليئه بالأنوار ، كذلك تسعى المرأه إلى أن تجعل محيطها و منزلها و أسرتها جنه مليئه بالحب و الرعايه . و الناس درجات في هذه العبارات . و الاستثناءات قائمه في كل زمان و مكان . الرجل يفضل الكبرياء ، المرأه تفضل الراحه . و في كل من الرجل و المرأه يوجد الكبرياء و الراحه .

فما الطريق إلى خلق رجل و امرأه ؟ الجواب : هو قول حضره النبي عليه الصلاه و السلام "خيركم من تعلم القرءآن و علمه " . فعلى الرجل أن يتعلم القرءآن ، بل حياته كلها تعلم للقرءآن، ثم يفيض منه و سيفيض تلقائيا فيعلمه للآخرين . عندما يكون الرجل رجلا ، تصبح المرأه امرأه . و مصائب البشريه كأولويه تقع على رأس الرجل . المرأه تابعه للرجل ، شاء من شاء و زعم غير ذلك من زعم . و لو صدقت النساء فعلا - و كلامي عن النساء المسترجلات بلا رجوله لا عقليه و لا بدنيه ، في هذا العصر المظلم - فليأخذن رايه قياده البشريه بالكليه من يد الذكور. أي لنجرب أن يكون المجتمع كله قائم على عمل المرأه ، كما كان قائما و لا يزال في الغالب على عمل الرجل ، و المرأه لها السرير و رعايه المنزل - في حال عدم وجود خادم او خادمه . فلتنقلب الأدوار ، و ليحملوا هم الدنيا كلها ، من أكبر هم إلى أصغره ، و ليكن عمل المرأه هو القاعده ، و عمل الرجل هو الاستثناء ، كما هو الحال و كما كان الحال أي أن عمل الرجل هو القاعده ، و عمل المرأه هو الاستثناء . لو صدق الرجال في رجوليتهم ، لعرضوا على نساء العالم هذا العرض ، ثم ليعتزلوا هم في بيوتهم ، و ينظروا ماذا ستفعل النسوه بالأرض. إن أغلب الظن أن المسترجلات لن يستطيعوا أن يقبلوا هذا الأمر ، و لن يعجبهن أصلا . إن المرأه كسوله بطبعها في مثل هذه الشؤون ، سواء كان استقبال فيض من السماء ، أو جهد عقل في فكر ، أو اجتهاد في فن راقي ، و كذلك في عمل السياسه و المجتمع العام . و تفسير هذه الظاهره التي هي القاعده في سير المجتمعات و الحضارات منذ القدم و في الأغلب الأعم ، هو أن جوهر المرأه يفضل الراحه ، و بالتالي القبض ، و الأرض ، و الخمول و الأمن. و ليس هذا بنقص ، و لكنه واقع ، مبني على حقائق عليا . إذ تظهر هذه الحقائق في هذا المستوى من الكون في صور معينه لها سمات معينه . و مبدأ الجلال و الكبرياء ظهر في الرجل ، و مبدأ الجمال و الراحه ظهر في المرأه . و التوحيد هو اجتماع مبدأ الجلال و الجمال. و هو المعنى الأصلي الكامن في كلمه " نكاح " . و بسبب أن الرجل فوق المرأه بدرجه ، نعلم أن فساد الرجل هو فساد للمرأه بالتبع . و صلاح الرجل له طريقه واحده ، و هي المعنيه بقوله "و ألوا استقاموا على الطريقه لأسقينهم ماءا غدقا " . و هي طريقه " خيركم من تعلم القرءآن و علمه " .

...

القرءان "علم" بل "العلم" و ما سواه "علم" . و هو مصدر و منبع "العلم" . و الأصل المؤسس للعلم .

هذه هي الحقيقه التي عمل أهل النفاق في السابق على محاربتها ، و أحفادهم أهل الحداثه اليوم يحاربونها كذلك . و السابق و الحادث لا يزال إلى يومنا قائم . كل في محيطه الخاص. و إن كان تأثير الرؤيه الحداثيه اليوم أشمل ، حتى إنه سيطر إلى حد كبير على عقول و نفوس أرباب الرؤيه النفاقيه القديمه التأسيس ، و هي التي نقول عنها " الرؤيه الفقهيه " . و هي التي لا تفهم من القرءآن إلا أنه كتاب "عقيده" بالمعنى الميت ، يتم تأسيس "شريعه" بالمعنى الأموت ، حتى يتمكنوا - بحسن أو سوء نيه لا يهمنا كثيرا في هذا المقام - من أن يسوسوا من دونهم إلى صلاحهم في أحسن الأحوال ، و مصالح الساسه المحصوره عليهم في أسوأ و أكثر الأحوال . فالقرءان عندهم مصدر شرعيه سياسيه ، و ليس منبع رؤيه وجوديه . هنا باختصار المصيبه كلها . فجاء أهل الحداثه و أزالوهم عن سلطانهم هذا ، و محقوا دولتهم من صفحه الأرض و جعلوهم "أحاديث" بعباره القرءآن . ثم جاء نمل الحداثه و سموا ما عندهم من رؤيه وجوديه و بالتالي منهج و بالتالي نتائج في شتى الأمور ، سموه أو لقبوه " العلم " . فصار القرءان بالضروره إما " جهل " أو "خرافه " أو في ألطف الحالات " شئ يريح البشر نفسيا " . ما العامل المشترك ؟ الأوائل نفوا عنه علميته ، برؤيتهم الانحطاطيه له . و الأواخر نفوا عنه علميته ، برؤيتهم الكفريه له . فالعامل المشترك هو نفي كونه " العلم " و كونه روح العالم و أصل الرؤيه الحقانيه العاليه للوجود .

إن لكل إنسان ثلاث دوائر يحيا فيها . الدائره الأولى هي " الرؤيه الوجوديه " ، و ضمن هذه الدائره قد تتكون كثير من الدوائر نسميها " المنهج " ، و كل منهج يحد بذاته ما يمكن أن يظهر بواسطته ، أي " النتائج " . بعباره أكثر حيويه نقول عن الرؤيه الوجوديه " الجذور " و عن المنهج " الأصل " و عن النتائج " فروع و ثمار " . فهذه هي شجره الحياه و المعرفه . لا يخلو من هذا انسان ، شعر أم لم يشعر ، عرف التفاصيل أم لم يعرف ، عقل أم لم يعقل ، كان صاحب شجره واحده منظمه منطقيه أي الجذر يأتي أولا ثم الأصل ثم الفروع و الثمار ، و يتم حفظ هذه التراتبيه ، أم كان صاحب أشجار متداخله متضاربه و متناقضه متقاتله ، و هو الغالب في هذا العصر الحداثي خصوصا الذي لم يعد فيه "سلطه معرفيه " بالمعنى التقليدي للكلمه ، أي المعنى الراقي الحقيقي لها ، و لكن سلطه الحداثه نفسها هي سلطه لاشعوريه في الغالب ، فيظن أهلها أنهم "أحرار" و لكنهم ليسوا إلا عبيد ، بل غنم يعلفون من نفس المرعى و يخرجون نفس نوع البعره ، و لكنهم يظنون أنهم ملوك يقطفون ثمار جنه الحريه . و هذا من أسرار قوه تأثير الحداثه : أنها قوه لا شعوريه في جانب كبير منها . و العامل المشترك بين كل هذه الرؤى هي أنها تنفي المقدس و المتعالي ، ثم قل بعد ذلك ما تشاء من "تعدديتهم" التي يفاخرون بها كثيرا ، بلا منطق محترم طبعا . و بسبب تداخل المعلومات كثيرا و تداخل أسباب التأثير في القلب ، و تأثير عوامل متعدده و مختلفه و متنازعه ، فإن قلوب الكثير جدا من الناس تحوي أشجار حياتيه معرفيه متضاربه متناقضه . و لهذا نقول لكل من يريد أن يكون من أهل القرءان : اعتزل الخلق و اخلو بنفسك ، قدر المستطاع ، حتى تتحرر فعلا و تعي نفسك و ما فيها ، ثم بعد ذلك اخرج و افعل ما يمليه عليك قلبك الحي . الخلوه وعي بالذات و شهود لما في العقل و الأنفس . و إن استطعت أن تقلل من استعمالك قدر المستطاع من وسائل الإعلام و التواصل التي لا فائده معيشيه أو معرفيه من ورائها ، فافعل. فإنها تشويش و مرض . و المشلول لا يبالي من يمسه ، و الأعمى لا يبالي أين ينظر . لأن المشلول لا يحس ، و الأعمى يرى لكل شئ نفس القيمه . كذلك المشلول قلبيا لا يبالي بما يسمع أو يرى ، و الأعمى عقليا لا يبالي بمحتوى ما ينظر فيه أو وسائل

الإعلام المختلفه و ما تبثه شعوريا و لاشعوريا من سموم شجره الزقوم و طلعها الذي هو كرؤوس الشياطين . و هل رأس الشيطان إلا رؤيته للوجود و منطقه و أنماط تفكيره و تفاعله مع الأمور . و هل السم إلا ما أمات القلب الذي هو براق المعراج إلى العوالم العلويه ، بل هو ساكن العوالم العلويه .

إن تعلم القرءان يحتاج إلى صفاء ، إلى تعالي ، إلى سكينه . على مستوى القلب كما على مستوى القالب . فليهئ كل هذا لنفسه من كان في جواهر القرءآن راغب ، و لكمال روحه طالب. إذ الكمال هو صله الفرع بأصله ، و أصلك هو القرءآن العلوي ، و فرعك هو أنت الآن بعد الهبوط إلى العالم السفلي ، و بهذا القرءآن يتم الرجوع إلى العالم العلوي . و معيار الخيريه هو الصله بالحقيقه المتعاليه التي تنزل منها الكائن . " إن الذي فرض عليك القرءآن لرادك إلى معاد " و قال القوم في "معاد" أقوال متكامله لا يفقهها إلا من كانت له عين كامله. إذ قالوا : مكه وطنه ، و الجنه ، و يوم القيامه . و الواقع أن المعاد محكوم بالمبدأ ، و أغفل القوم المبدأ الموحد فتشتتوا في الأقوال المتعدده فظنوها متضاربه . و ليست كذلك . إذ المبدأ كامن في قوله " فرض عليك القرءآن " و هو مبدأ روح الإنسان . و لهذا فرضه عليه ، إذ فرضه ذاتي و طبيعي ، و ما فرض عليك إلا ذاتك إن عقلت ، فكان المعاد هو الرد بهذا القرءآن العربي إلى ذاك القرءآن العلوي " و إنه لفي أم الكتب لدينا لعلي حكيم " . ذلك القرءآن العلوي هو مكه الحقيقيه و هي وطنه فعلا . و هو في الأرض في غربه ، كما قال مولانا في أبيات تعلمها من شيخه " الروح في غربه و الجسم في وطن ...فارحم غريبا كئيبا نازح الوطن " و هذه الرحمه هي بتعلم القرءان و ذكر ما فيه بل نفس وجوده رحمه ، فهو يشبه من حيثيه ما حضور صوره الأهل و الوطن عند المسافر ، فينظر فيها فيتصل نفسيا بأهله و وطنه عن طريق هذه الصوره . و هذا الوطن هو الجنه ، الجنه التي منها هبط كل آدم ، و تحققت العوده إلى الجنه باعتبار أساسي بهذا القرءآن ، فقال عن آدم " لا يخرجنكما من الجنه فتشقى " و قال عن القرءآن "ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى" فزال شقاء الخروج من الجنه بهذا القرءآن ، ثم نبه من تحقق في هذا المقام فقال " يبني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنه " حتى لا يقعوا في نفس المعصيه مره أخرى فيخرجوا منها بعد العوده إليها . و لهذا كان المعاد هو القيامه أيضا ، لأن القلب الميت مطرود من الجنه ، و " أومن كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس " تدل على حياه القلب و بعثه بعد موته بهذا العلم المقدس النبوي الذي نزل علينا. فالمعاد له سبب هو القيامه ، و له غايه هي الوطن ، و الوطن له سمه و هي الجنه . و كل هذا بتعلم القرءان و تعليمه . فكان خير الناس حقا من " تعلم القرءآن و علمه " لأنه حقق الخير الأقصا في هذا المستوى من الخلق و كان بالفعل خليفه الحق .

...

" خيركم " فالنبي عليه السلام هنا يضع أساس الدرج في القيمه عند الله و بالتالي في الأمه ، إذ الأمه إنما تعكس القيم التي عند الله . و لهذا تأتي آيات من قبيل " يأيها النبي حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين " . فالله فوق و " من اتبعك من المؤمنين " هم تجليه تحت . فالأمه الإلهيه هي التي تظهر الصور و القيم الرمزيه التي تعبر عن الحقائق الإلهيه النورانيه . ففضلا عن عدم تساوي المسلم مع المجرم ، المؤمن مع الفاسق ، إذ الأول خير من الثاني في موازين الحق و القسط . فإن النبي عليه السلام هنا يضع قاعده أخرى لعدم المساواه بين المسلمين المؤمنين من أتباعه . و هو قوله " خيركم

" . و مع كل تفاضليه يوجد جهاد و حسد . أما الجهاد فهو بالنسبه لمن عرفوا المعنى فطلبوا في أنفسهم أن يكونوا من أهل أعلى مقامات الخيريه هذا . و هذا بغض النظر عن نوع و صوره الحضاره التي تنشأ على هذه الرؤيه الوجوديه و معيار التفاضل . و لكل حضاره رؤيتها العامه للوجود و بالتالي منهاج أو مناهج للتعاطي مع ما تكشفه هذه الرؤيه ، و من ثم النتائج التي تثمر من فروع المناهج هذه . و الجهاد له مراتب بحسب مراتب موضوع الجهاد . فيوجد جهاد أكبر و أوسط و أصغر و ما بين ذلك . و المحور العملي لكل حضاره هو معيار تفاضل أهلها فيما بينهم و فيما بينهم و بين غيرهم من الخلق . و هذا المحور هو النتيجه المنطقيه للرؤيه الوجوديه . فلكل حضاره محور نظري و محور عملي . المحور النظري هو الرؤيه الوجوديه . و المحور العملي هو معيار التفاضل . و يستحيل أن يخلو إنسان فرد أو مجموعه من الناس و البشر عن كلا المحورين النظري و العملي . " لكل وجهه هو موليها ، فاستبقوا الخيرات " . الوجهه بحسب الرؤيه ، و الاستباق بحسب الأفضليه . فإن أردنا أن نعبر عنها بلسان الوحي لقلنا : لكل أمه كعبه في السماء و كعبه في الأرض ، و الكعبه التي في الأرض توازي الكعبه التي في السماء ، و كل فرد في الأمه يطوف حول هذه الكعبه العلويه و السفليه . " خيركم " هي أساس الجهاد . ففي حضاره لسان حالها يقول " خيركم من جمع المال و كنزه " سيكون النفير العام متوجه نحو المال ، مهما كان الحال بعد ذلك و مهما كانت النتيجه بعد ذلك لا يهم . شعوريا أو لا شعوريا سيكون توجه الحضاره عموما إلى هذه الوجهه ، و ستبنى الأمور حول هذه الكعبه . و هكذا في كل حضاره . و يوجد حضارات كثيره ، و من الكذب الحداثي هو الحديث عن تاريخ الناس و كأنه لا يوجد إلا حضاره واحده ، أو كأن كل ما سبق هو نوع من التمهيد لحضاره معينه ، كما يفعل مثلا صاحب " قصه الحضاره " السطحي الذي لم يكف عن الهجر ، و كما هو حال الأوروبي قبل بضعه قرون خصوصا ، و كما هو حال الأمريكي اليوم عموما . كل رؤيه وجوديه تعتبر حضاره بالقوه ، ثم يأتي تفعيلها و مدها بحسب الظروف الأخرى . فإن أردنا أن ندرس أي حضاره ، و أي جماعه إنسانيه عموما ، بل و أي فرد خصوصا ، فإنه للتيسير و إن كنا نريد الاختصار نستطيع أن نسأل عن أمرين فقط : ما هو الوجود في رؤيتك ، و ما هو معيار الخيريه عندك . و إذا بدأنا بحضارتنا و سألنا هذا السؤال- في شقه الثاني بالتحديد- لسيد الخلق و مصباح الحق عليه السلام ، فإن الجواب هو " خيركم من تعلم القرءآن و علمه " . فهذه حضاره العلم المقدس . و الكعبه العمليه لحضارتنا تتمثل في القرءآن . و الطواف هو التعقل و التعلم . و بعد تحديد معيار الخيريه ، تتحدد الطهاره و الرجس . فإن الطهاره ما قرب إلى الخيريه ، و الرجس ما بعد عنه . و من هنا قال الحق سبحانه " و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " كما قال أيضا " إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " و " لا يمسه إلا المطهرون " . فالخير هو عقل القرءان ، و الشر هو عدم عقل القرءآن . و ما سوى ذلك من أمور يتفرع عن هذا المبدأ و يستمد قيمته منه . فحضاره النبي حضاره عقل عالي . و ما سوى ذلك عبد و خادم لهذا العقل العالي و ميسر له و دائر في فلكه . و لهذا من جانب كانت بدايه الحضاره النبويه بإعلان النفير العام و الجهاد الأكبر الذي هو عقل القرءآن و ذكر الرحمن ، ثم تكون النهايه في الجنه الأبديه هي قوله عليه السلام " يقال لقارئ القرءآن : اقرأ و ارق فإن منزلتك عند آخر آيه تقرأها " . فالبدايه قرءآنيه ، و النهايه قرءآنيه . و منزلتك في الدنيا - أي الدنيا التي يكون الحكم السائد فيها لكتاب الله و أمر الرسول ، و الدنيا التي يكون غالب أهلها من أهل الرؤيه الوجوديه القرءآنيه - منزلتك في هذه الدنيا و خيريتك هي دستور النبوه القائل " خيركم من تعلم القرءآن و علمه " ، ثم تكون منزلتك في العليا و الآخره الأبديه أيضا بدستور النبوه عينه " منزلتك عند آخر آيه تقرأها " . و هذا الدستور و ذاك مستمد من الدستور الإلهي القائل " الوزن يومئذ الحق " . فمدى تشبع نفسك بالحق- الذي هو

كتاب الله ، هو مدى قربك من الحق - الذي هو الله . " و اسجد و اقترب " و " إذا قرئ عليهم القرءآن لا يسجدون " . "يسجدون" فرع " يعقلون " . و "يعقلون " فرع " يريدون " . و "يريدون " فرع "يذكرون" . و "يذكرون" فرع إما لتذكير الذاكر لحقيقه نفسه " فذكر إنما أنت مذكر " و إما بسبب اجتباء الحق سبحانه و الجذبه الخاصه لهذه النفس " الله يجتبي إليه من يشاء " . و مدار الأمر على وعي الإنسان بنفسه و إدراكه لشؤون الخلق كله .

" خيركم من تعلم القرءآن و علمه " و بالتالي أهل الطبقه العليا في الأمه هم العلماء الذين يعلمون القرءآن . و في الزمان الذي يصبح أهل الطبقه العليا في الأمه هم غير هذه الطبقه ، فإن الأمه تكون قد نكثت عهدها مع الله و رسوله ، و خانته ، و نكصت على عقبيها - و العياذ بالله . و في الزمان الذي يتم إدراك معنى هذا المعيار النبوي و العمل به تلقائيا و عفويا ، فإنه عندها يكون هذا الزمان نورانيا مباركا . ثم الأمه بين الخيانه الكامله و الحفظ الكامل للأمانه لها درجات و دركات . و الحد الفاصل بين الخيانه و حفظ الأمانه هو : اتخاذ معيار غير العلم المقدس للعمل في الحياه . هذا هو الحد الفاصل من حيث المحور العملي . و لا يمكن أن يتم ذلك إلا بعد تخريب الكعبه السماويه أولا . أي بأن يتم اتخاذ رؤيه وجوديه مغايره للرؤيه النبويه القرءانيه . فإن خرب الحبشي صاحب القلب الأسود الظلماتي الكعبه السماويه ، جاء بعدها إلى الكعبه الأرضيه و سيكون تخريبها أسهل بكثير إذ لن يجد عندها اللهم إلا قله قليله لن تجد إلا الانزواء إلى أقرب كهف حتى تقوم بأمر نفسها و دينها . فهذا السوقي ، العامي ، السفيه ، حين يخرب الكعبه السماويه للأمه و يخرب الكعبه الأرضيه لها ، سيمهد بعد ذلك لقلب الأمور و الموازين كلها رأسها على عقب ، و يجعل عاليها سافلها ، و عندها تكون الأمه تحت المسيخ الدجال ، الذي يسحر الناس فيجعل الجنه في أعينهم جحيما ، و الجحيم هي الجنه . و يزرع شجره الزقوم في فناء قلوب الناس ، و يقول لهم " هذه هي الشجره المباركه التي لا هي شرقيه و لا هي غربيه " . فبدل أن يكون معيار اجتماع الناس هو الكلمه السواء التي ذكرها القرءآن ، و هي التوحيد في مقاماته الثلاثه ، أي الاجتماع " من فوق " ، من العقل ، من الرؤيه العامه للوجود ، فإن زمن الانحطاط و الظلام يوحد و يسعى ليوحد البشر أيضا و لكن " من تحت " أي بأن يختزل البشر إلى أسفل عوامل مشتركه ممكنه ، حتى يجمع بينهم على أساسها . و هو حال الكثير جدا من المجتمعات اليوم . و من المضحك المبكي في هذا المجال هو حديث بعض أهل السخف عن " التعايش " بين أصحاب الديانات و الأفكار المختلفه. و منشأ السخف هو توهم وجود اختلاف بين الغالبيه العظمى من الناس . و الواقع أنه لا اختلاف . فإنهم من الحيثيه الغالبه و " العمليه " على رؤيه واحده و منهج واحد ، أي ما يمكن تسميته بالرؤيه الغربيه الحداثيه بمميزاتها التي فصلها أهل العلم كجناب الأستاذ الكبير عبد الواحد يحيى (رينيه غينون) - قدس الله سره ، و غيره ممن هم على نفس سنته عموما . حضاره الغرب اليوم ليس حضاره " رأس " و لكنها حضاره " أظافر قدم مقصوصه". أي إنها غير قائمه على أفكار عاليه ، و حقائق مقدسه ، و سنه نبويه عرفانيه . و لكنها قائمه على أسفل ما في الإنسان و أظلم ما فيه و أقبح ما يمكن أن يكون عليه ، ثم جمعت كل هذا العفن و الخبث و وضعته في إناء واحد و عملت - و لا تزال تعمل - على أن يتجرع كل البشر هذا الزقوم و هذا الطلع الذي هو عين رؤوس الشياطين و أفكارهم الناريه اللعينه . و هذا العفن قد وصل إلى كثير من المجتمعات الإسلاميه نفسها . إي التي تتخذ الإسلام عموما كعقيده ، و جمهور الناس فيها هم ممن يتعلق باسم الإسلام و رسمه - بعض النظر عن المضمون فهذا مما لا اطلاع لنا عليه على التفصيل ، و لكننا نعرف الكثير من هذا المضمون بطرق كثيره منها رؤيه النتاج الفكري و الكلام الذي يقوله أهل الفكر و أصحاب القلم و المنابر ، بالإضافه إلى عامه الناس .

فإن هؤلاء يظهرون بأن " العقل القرءآني " ليس مما يعتبر من المهمات ، فضلا عن أن يكون هو الكعبه العظمى التي يجب أن يطوف حولها كل شئ . بل إننا رأينا من يشمئز من ذلك ، و لا ، ليس هذا المشمئز إلا من مشايخ تعليم الناس و تربيتهم . تسخيف جماهير الإسلام هو الشغل الشاغل لشيوخ ابليس و وعاظ السلاطين منذ القدم ، و أما اليوم فإنهم قد وجدوا عونا من أبناء ابليس الناريين من أهل الغرب و الحداثه ، و الجو العام المشحون بالسلبيه و الانحطاط ، فاستعانوا - شعوريا أو لا شعوريا - بهذا الجو حتى يدعموا تنظيرهم الرقيع لتسخيف الناس الذين ائتمنهم الله و رسوله على تعليمهم الرؤيه القرءآنيه للوجود و معيار الخيريه عند الله و رسوله و في الدينا المسلمه و الآخره المطلقه . بل إني أراهن أنه من بين كل مئه من هؤلاء لا يوجد ثلاثه يحسنون التعبير عن هذه الرؤيه القرءانيه و النبويه للوجود . بل إننا شاهدنا من بلغ الخمسين و الستين ، و شاب شعره و هو من أهل المساجد و الصلاه ، ممن إذا ذكرنا كلمه " تراتبيه الوجود " أو " درجات الخلق و دركاته " دارت عينيه في رأسه و كأننا طلبنا منه الجواب عن الجذر التربيعي لخمسه و خمسين . إن الرؤيه الفقهيه القديمه حين نكحت الرؤيه الغربيه الحديثه ، ولدت المسيخ الدجال و توأمه ابليس ، و جعلت البشر عموما يحتفلون بهذا المولد الشريف ! و إنا لله و إنا إليه راجعون . على أيه حال ، لنرجع إلى العباره الشريفه لحضره النبي عليه السلام .

" خيركم من تعلم القرءآن و علمه " فهذا يعني أنه يوجد تدرج أيضا في هذه الطبقه العليا للأمه . لأنه من المعلوم أن الناس في " تعلم القرءآن " ليسوا على قدم سواء . و كذلك في التعليم . و لكن ما هو أهم من ذلك هو هذا التساؤل : لماذا لم يقل فقط " خيركم من علم القرءان" أي علمه للآخرين ، أليس تعليمه للآخرين يتضمن تعلمه ، فألم يكن من جوامع الكلم أن يذكر التعليم دون التعلم ؟ الجواب : لأن العلم في ديننا ليس معلومه و لكنه تحقق . لننظر في موضوع التعلم ، لأنه المحور الأساسي في هذا المقام .

هل التعلم مهنه أم هويه ؟ و إن كان هويه فهل هو محور أم فرع أم جزء هامشي ؟ هل هو غايه أم وسيله أو كلاهما ؟ و قبل ذلك : إلى أي دائره من الدوائر الثلاثه - الرؤيه و المنهج و النتائج- ينتمي التعلم ؟ لنبدأ بالنظر في السؤال الأخير .
التعلم كفعل ، متمثلا في التأمل المحض و التفكير و القراءه و الكتابه و السماع و السؤال و غير ذلك ، من حيث أنه فعل فهو ينتمي إلى الدائره الثالثه إي النتائج . فالفعل نتيجه و أثر ، و السبب الذي يدفع و يبعث على القيام بهذا الفعل لابد و أن يكون رؤيه معينه كما هو معلوم . و بالتالي التعلم ثمره . و على ذلك سيكون التعلم محدودا بحد الرؤيه التي أقامته و دفعته . و لكننا نعلم أنه يوجد طرق كثيره للتعلم ، و مستويات منه ، و صور و مدى . فالعرفاء يتعلمون و لكن واضح أن أسلوب و صوره بل و موضوع تعلمهم ليس نفس تعلم الملاحده أو الصبيان مثلا . و الذي يتعلم من أجل نفسه ليس كالذي يتعلم من أجل أن يكسب رزقه البدني من العمل كمعلم في ما يسمى بجامعه و كليه . و الذي يقول بالكشف و الشهود العرفاني العقلي ليس كمن لا يعتقد بوجود شئ إسمه "عقل" أصلا - بالمعنى القرءآني العرفاني للعقل - بل لا يرى إلا الدماغ و تفاعلات كيميائيه فيه ، و الذي لا يعتقد بالعوالم العلويه و الأسمائيه ليس كمن يعتقد بأنه لا يوجد إلا هذا العالم الأرضي أو " المادي " كما يلقبونه . فهذه " مناهج " في التعلم ، أي الدائره الثانيه . و هذا الاختلاف يرجع إلى الدائره الأولى أي الرؤيه الوجوديه . سواء كانت رؤيه الوجود الخارجي أو الوجودي النفسي . فقد يعتقد اثنان بالعوالم العلويه الملائكيه ، فرؤيتهما إلى حد كبير واحده من حيث الوجود الخارجي ، و لكن أحدهما يعتقد

بأن لنفس الإنسان القابليه لولوج تلك العوالم ، و الآخر يعتقد أن من يزعم بأنه يتمكن من العروج إلى تلك العوالم- من غير الأنبياء - هو زنديق لأن نفس الإنسان محدوده بالجانب البدني الأرضي فقط .
و هنا يمكن أن نجد الفاصل بين الرؤيه الموضوعيه و الرؤيه الذاتيه . الموضوعيه بمعنى الوجود الغير نفسي ، كل الوجود ما سوى الإنسان . و الذاتيه هي الوجود النفسي الإنساني . و بعباره القرءآن الأدق " في الآفاق و في أنفسهم " . و لكن هل يوجد دائره أعلى من الدائره الأولى ؟ لأننا نرى بأنه يوجد رؤى كثيره للوجود بشقيه الآفاقي و الأنفسي . فإن قلنا : إن هذا يرجع إلى اختلاف مناهج النظر في الوجود - كما يقول البعض فعلا و في قولهم حق حتما . فإن هذا يرجعنا إلى دور منطقي لا حل له . لأن تخير المنهج المعين هو بحد ذاته فرع لرؤيه وجوديه معينه . إلا لو قلنا : إن الرؤيه (أ) أعطت المنهج (ب) ، ثم باستعمال المنهج (ب) خرجنا بالرؤيه (ج) التي هي نقض أو توسيع للرؤيه (أ) ثم الرؤيه (ج) الجديده أعطتنا المنهج (د) ، و هكذا في ازدواجيه تفاعليه إلى أمد معلوم أو غير معلوم . و الواقع أن هذه الازدواجيه التفاعليه - على فرض صحتها - لها قوه و منطق راسخ يدعمها ، و الخبره الشخصيه تشهد إلى حد كبير لذلك . و لكن يوجد إشكاليه في هذا القول ، و هي أن الرؤيه لا تعطي منهجا ينقضها أبدا . فالنقض لا يكون إلا مما هو أعلى من المنقوض . فهذا يشبه إدخال رجل إلى منزل معين ، ثم بعد دخوله إلى المنزل و كنتيجه للنظر في حدود هذا المنزل فقط خرج بصوره لمنزل آخر مغاير له . طالما أنك في منزل معين فإنك لا تستطيع أن ترى إلا في حدوده فقط . و هذا تشبيه ، و ليس مثال ، إذ قد تملك في ذاكرتك صور لمنازل أخرى فتركب من المنزل الذي أنت فيه صور لمنازل أخرى . فالحل على ما يبدو لهذا الدور المنطقي هو أنه في الإنسان تكمن الحقيقه . و لكنه يسترجعها شيئا فشيئا ، أو يتوسع لها شيئا فشيئا. فتكون الرؤيه (ن) هي الحق الكامل ، و هي كامنه في أعماق قلب الإنسان ، إلا أنها لسبب أو لآخر تم إغفالها و نسيانها و دسها في تراب الدنيويات و الجهالات و مكر السوء من قبل شياطين الجن و الإنس ، فتوضع في الإنسان الرؤيه (أ) و التي يبدأ بعدها في المرور في الازدواجيه التفاعليه التي ذكرناها ، حتى يصل إلى الرؤيه (ن) الكامله ، ثم بعد ذلك يتفرع المنهج (ك) الكامل ، ثم بعد ذلك تخرج النتائج (ل) الحسنه . و قد يؤخذ على هذا عدم تحقق هذا النموذج أو النمط في كل الناس كما هو معروف و مشاهد ، بل و ثابت بالقرءآن . و الجواب من وجهين : أولا قوله " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " و قوله "الله يجتبي إليه من يشاء و يهدي إليه من ينيب " . فلا محاله سيرجع الحل إلى اجتباء و هدايه الله تعالى للفرد . و لا حل لكل ما في الكون إلا بالرجوع إلى وهب و فيض المكون سبحانه . و هذا مبدأ مطلق لا استثناء فيه بحال من الأحوال . فكل شئ يبدأ من الحق و يرجع إليه . " هو يبدئ و يعيد " . و حتى آيات من قبيل " و بلوناهم بالبأساء و الضراء لعلهم يرجعون " و " و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون " ، و التي تبين أن الألم الحاصل " لعله " يرجع الإنسان إلى (ن) و (ك) إن كنا سنستعمل الرموز الحرفيه التي ذكرناها قبل قليل . و لكن المشاهد هو أنه من الناس من يتعذب و يصاب بألوان من البأساء و الضراء و لكنه لا يرجع ، و يوجد لهذا سبعين سبب و سبب . لا أقل أن الشخص لا يرى بأنه يوجد علاقه بين الإصابه بالألم و بين الدعوه الإلهيه للرجوع . فهذا العقل من مختصات بعض الناس ، و هو نتيجه لمنهج في النظر و بالتالي لرؤيه معينه للواقع . نعم إن الإنسان الذي يصاب بالآلام في هذه الدنيا يوجد احتمال كبير أو شبه مطلق إن لم يكن مطلقا لأن يسائل هذه الدنيا عن سبب تألمه و سبب حلول هذه المصائب عليه أو غير ذلك . و لكن حتى لو فرضنا وقوع هذا التساؤل من الشخص المتألم ، فإن الرجوع إلى الحق تعالى ، بكل ما يعنيه ذلك من أمور وجوديه و عقليه و نفسيه ، ليس من الأمور التي تلزم بالضروره عن هذا الوعي بالألم . فكما أنه يمكن أن يصاب الإنسان بنعمه بعد ضراء مسته ثم يقابل هذه النعمه

بالشرك و الكفر ، فإنه كذلك قد يقابل الإنسان ضراء معينه فيقابلها بالكفر و الشرك فينسب وقوعها إلى سبعين سبب و سبب ، و علة و علل ، و يضعها في إطار معين يسلبها كل قيمه دعويه للرجوع إلى الحق تعالى . و لهذا كانت عباره القرءآن دقيقه جدا إذ قال " لعلهم يرجعون" و لم يقل : ليرجعون ، بالحتم . و كملاحظه سريعه في هذا المجال : من فقراء الذوق العقلي القرءآني من يريد أن يرد كل عباره تشكيكيه أو احتماليه منسوبه إلى الله ، و يحولها إلى عباره حتميه ناجزه لا محاله ، لأسباب كثيره لا نريد أن نخوض فيها هنا . و لكن حسبنا هذا المثال الذي ضربناه ليتأمل المتدبر في دقه العبارات القرءآنيه و لا ينقضها و يحرفها بعد عقلها ، بل إما أن يجد شئ من حكمتها أو يدعها و لا يقف ما ليس له به علم حتى يفتح له إن شاء الله تعالى . على أيه حال ، لنرجع إلى ما كنا فيه . فالحاصل من هذا الوجه الأول أنه لا يوجد سبب دون الله يمكن أن يفسر و يبين و يحل الأمور إلا بالله . و هذه المسأله التي نحن بصددها مثال مهم . و الوجه الثاني هو أنه حتى في الآخره حين سيشهد كل الناس الحقائق الخارجيه التي لم يشهدها في هذا العالم إلا القله ، فإن ذلك لن يكون كافيا بحد ذاته للتوبه النفسيه . فها نحن نقرأ في القرءآن عن أهل النار كيف حتى بعد أن رأوا ما رأوا لا تزال نفوسهم و نفسياتهم و عقلياتهم على ما كانت عليه و هم في الدنيا . فشهود الحقيقه الآفاقيه لا يعني بالضروره تغيير الحقيقه النفسيه . إذ يوجد برزخ بين الأمرين ، و منزله بين المنزلتين ، و هذا الجسر الرابط بينهما ليس بالضروره قائم و ليس بالضروره مستنير . و لهذا الأمر يرجع في المحصله العميقه إلى اصطفاء الله تعالى لأناس معينين ، بحيث أنه يسلك بهم في طريقته الكامله . و على العموم ، لا يوجد إطلاع للفرد على مثل هذا الغيب ، فيعرف هل هو ممن سبقت له الحسنى أم لا . و ما يمكن أن نسميه " وهم حريه الاختيار " هو "وهم" فقط من حيث الحقيقه المطلقه ، و لكنه " واقع " من حيث الحياه النفسيه للإنسان . فكل إنسان يجد ذلك من نفسه ، و لكن العين المحققه ، و هي التي ترى كل شئ في مبدأه الإلهي ، تعرف أنه في المحصله لا يمكن أن يتجاوز الإنسان أو أي كائن هذا البرزخ الفاصل بين الرؤيه (ن) و بين بقيه الرؤى الوجوديه ، إلا بهدايه و اصطفاء خاص من حضره الحق تعالى . و لهذا قال "يهدي الله لنوره من يشاء " . لاحظ أن النور الذي هو سبب لهدايه ، هو أيضا غايه لهدايه . فيوجد "يهدي الله" و يوجد "لنوره" الذي أيضا قال عنه " و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا " . فيوجد هدايه إلى النور ، و يوجد هدايه بالنور . و الهدايه التي إلى النور ، و هي الهدايه الأولى ، هي هدايه إلهيه " يهدي الله " فمبدأها ينبع من تلك الساحه المقدسه . ثم يوجد " نهدي به من نشاء من عبادنا " فهنا الأمر معلق على المشيئه الإلهيه . و لكن في آيه أخرى قال " لمن شاء منهم أن يستقيم " فعلق الأمر على المشيئه الإنسانيه . و لكن بعدها قال "و ما يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين " فجعل المشيئه الإنسانيه معلقه على المشيئه الإلهيه . و بين هذه المشيئه و تلك يكمن سر القدر . و كما قال الإمام عليه السلام " لا جبر و لا تفويض و لكن منزله بين المنزلتين " . هذه المنزله هي سر القدر . و هنا يكمن أعظم خطر . إذ بالإحاله العمياء على المشيئه الإلهيه كفر من كفر ، فأدخله الله إلى سقر ، التي لا تبقي و لا تذر . فقال بعضهم " لو شاء الله ما أشركنا " و قال البعض الآخر "أنطعم من لو يشاء الله أطعمه " . إن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بحركه و لا سكنه إلا بالمشيئه الإلهيه . و لكنه لا يستطيع أن يطلع على هذه المشيئه إلا بعد أن يقوم بالحركه و السكنه ، أو بالأحرى في نفس وقت قيامه بها . فالتساوق ذاتي بين القيام بالشئ و الوعي بمشيئه الله له . و لهذا لا حجه للإنسان في الاعتماد على دعوى المشيئه الإلهيه . لأن الإنسان يقوم بالعمل ، سواء كان عمل قلبي أو قالبي ، لأسباب معينه . فعمله فرع لنيته و باعثه و رغبته و فكرته . و هو يعي إلى حد كبير هذه النيه و الباعث و الفكره ، و " الإنسان على نفسه بصيره " و إن كان لا يبصر كل أبعاده إلا صاحب الوعي الكامل بالذات ، و هو نادر كندره

أهل الحق المتعالي . إلا أن كل إنسان يعي من نفسه على الأقل نيه واحده و دافع واحد للقيام بالأمر الذي قام به . هذه النيه هي دافعه ، و لهذا يحاسب على نيته هذه . و لا يستطيع أن يحتج بالمشيئه ، لأنه لم يقم بالعمل بناءآ على إطلاعه على هذه المشيئه التي لم يعرفها إلا بعد أن قام بالأمر و العمل . فالأعمال بالنيات و العواقب - كما هو معلوم و مشاهد . أما كون العمل عند الله بالنيه القلبيه و الباعث القلبي فهو معلوم عند الجميع من أهل الذكر و الفكر القرءآني ، إذ يقول " و لكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم " و غير ذلك من آيات كريمه في هذا السياق . و أما كون العمل أيضا بالعواقب ، فإنه مشاهد من العالم الأرضي لا أقل ، إذ الذي يأكل طعاما مسموما بنيه أنه طعام صحي و بباعث التقوي على الخير ، فإن هذا لن يغني عنه شيئا و سيؤتي العمل عاقبته الطبيعيه التي قدرها الله له . و حيث أن الوعي بالمشيئه مستحيل إلا عبد توفر النيه و الباعث الخاص ، فإنه لا حجه لأحد بذلك ، " فلله الحجه البالغه " . المشيئه من مقام وحده الهويه للحق تعالى ، " الله لا إله إله هو " ، و لكن الحريه من مقام الكثره الأسمائيه للحق تعالى " له الأسماء الحسنى" ، و المنزله بين المنزلتين هي العقل الكامن في سر "له" القائمه بين الوحده و الكثره . فلا يمكن اختزال الوجود في وحده أو عقل أو كثره . بل هو قائم بحسب التفصيل النظري من الثلاثه جميعها ، و هي الواحد المطلق سبحانه و لكن باعتبارات نظريه مختلفه ، و لها حتما ما يطابقها في الواقع ، إذ كل اعتبار نظري حق له واقع معين يطابقه . فمثلث وحده الأنا الإلهيه و العقل و كثره الأسماء الحسنى ، هو المبدأ الذي يتنزل في كل العوالم الكونيه فيجد أمثاله و آياته في كل مكان و زمان و شئ . و من تجلياته المشيئه الإلهيه و الحكمه القدريه و المشيئه الإنسانيه . و في نهايه المطاف الإنسان - كباقي المكونات - عبد يعيش ما قدره له ربه . طوعا أو كرها ، راضيا أم ساخطا . عرف ذلك من كان أقرب إلى أن يرضيه ربه بطاعته ، و جهل ذلك أو تجاهله من يظن أنه بتجاهله سيتخلص منه ، و هيهات ، و المآل بل الحال في النار . فأول درجه في سلم الرحمه الإلهيه هو الإقرار بالعبوديه المحضه كما قال عيسى بن مريم في أول ما قال " إني عبد الله " و لم يقل : أنا عبد الله . لأنه لا يوجد أنا إلا لله في هذا المقام . و لكن إنيته - و هي محض هويته - هي " عبد الله " . ثم تتسلسل و تتنزل الرحمات على عبد الله .
فإذن ، التعلم مبنى على رؤيه وجوديه . و على الإنسان أن ينظر في أكبر و أكثر عدد من الرؤى الوجوديه حتى يفعل كل إمكاناته الذاتيه و يثورها . فعليه أن يكون كالنحل و يأكل من كل الثمرات . و عليه أن يسأل الله تعالى أن ينوره و يعلمه . و فيما يخص حال المسلم ، فإن التعلم بالنسبه له مبنى على الرؤيه الوجوديه التي يقررها القرءآن . و لا يوجد " الواقع " في هذا الشأن . أي لا يمكن أن نقول عبارات غبيه من قبيل " في الواقع التعليم هو كذا " . لأنه يوجد " واقع " بعدد ما يوجد من رؤى وجوديه . و حتى الواقع " الواقع " قيمته بالنسبه للنفس ليست إلا بحسب الرؤيه الوجوديه و الكيفيه الخاصه لهذه النفس . فقيمه العلم عندنا كمسلمين هي " الواقع " و هي "الخير" عندنا . و لا يوجد طريقه لكي نوصل هذه القيمه لغيرنا بالاقناع و ما أشبه ، لأنه مالم يرى ما نرى ، أو لا أقل يفترض صحه ما نرى مبدئيا ، فإنه لا يستطيع أن يجد أي "منطق" في ما نقوم به و ما نشعر به . فمثلا ، نحن نرى العقل قيمه ذاتيه . بمعنى أن المعرفه مطلوبه لذاتها ، و لقيمتها النفسيه لنا ، و لقيمتها الأبديه فينا . و واضح أن كل هذه مقولات قائمه على اعتقاد أو قبول أو الإيمان بأمور كثيره . فإن لم يكن الطرف الآخر ممن يؤمن أو يفترض صحه هذه الأمور ، فإنه لن يجد في سعينا لتعلم العرفان مثلا ، إلا "مضيعه للوقت " أو "مخدرات نفسانيه " أو " تسليه " و ما أشبه . هو لن يستطيع أن يرى إلا هذا . و هذا طبيعي و متوقع منه . فكيف يرى مثلا من هو عاكف ليلا و نهارا على الأصنام الخمسه للدنيا ، قيمه أو ميزه أو منقبه أو مصلحه في صرف إنسان لمعظم وقته في قراءه القرءآن أو التعمق في كتب حضره الشيخ الأكبر ابن عربي ، أو في شراء كتب بكل ما يزيد من ماله

و لا ينفق هذا المال الزائد في شراء اللعبه الفلانيه التي يمكن أن يتفاخر بها على الآخرين أو يذهب إلى اللهو الكذائي الذي لا يتوفر إلا للنخبه الاجتماعيه - في المجتمعات السافله طبعا . كيف يمكن أن يفهم قيمه قضاء رجل أسبوعا كاملا في النظر في مسأله " لا تقدم و لا تؤخر في الواقع المعاش " . و كيف يمكن أن يحترم أو يقدر دعوه إنسان للآخرين لأن يدرسوا كتب الشيخ الكبير عبد الواحد رينيه غينون في هذا القرن الحداثي ، و هذا الشيخ لا يدع صفحه تقريبا من كتبه إلا و ينهال فيها مباشره أو غير مباشره على الحداثه بشتى صورها و أصولها، كيف و " نحن نريد أن نكون من الحداثيين و نواكب العصر و نتقدم و نتطور أيضا مثل الغرب المتقدم " . يوجد برزخ عظيم يفرق بين هذا و ذاك . بين صاحب الرؤيه العرفانيه و صاحب الرؤيه الحداثيه و أشباهه . و حتى في الرؤيه العرفانيه يوجد برازخ تقل أو تكثر بين أصحاب المناهج المختلفه و إن كانت الرؤيه العامه تجمعهم أو حتى لو افترقوا في الرؤيه العامه ، فالحاصل أن الاختلاف في الرؤيه و المنهج سيؤدي حتما إلى وجود برزخ أو برازخ بين الناس . و لهذا " لا حجه بيننا و بينكم " إلا إذا أسلمتم لما أسلمنا له و به .

و هنا تساؤل : هل يمكن لصاحب الرؤيه القرءآنيه للوجود أن يتعايش اجتماعيا بسلام مع من له رؤيه حداثيه مثلا ؟ أم أنه يجب أن يفترق هذا عن ذاك ، أم أنه يمكن في حال أن كان غالب الناس في المجتمع ممن يحيا بالرؤيه القرءآنيه نفسها ، فلا يبقى أثر فاعل لمن كان في خاصه نفسه و أهله و جماعته يعيش بأي رؤيه شاء ؟ الجواب : لقد انتظرت ثلاثه أيام في انتظار فتح في هذه المسأله ، فلم يأت الفتح ، و انشغل قلبي في أمور أخر . و إننا لا نكتب إلا بعد أن يفتح لنا و ينشرح صدرنا . فلسنا ننقل القال و القيل من البشر ، و لسنا ممن يسوق أي كلام في أي حال ظهر . و هذا يدعونا إلى التذكير بأمرين - خصوصا لمن يتعرض للتدريس و الكلام على الناس ممن يدعي أنه يقوم بالدعوه إلى سبيل ربه بالحكمه العاليه . الأمر الأول هو أن طريقنا هذا مائي ، و ليس صخري . و معنى أنه مائي أنه مرن و سلس و عذب لا تكلف فيه . و لهذا كلما أردت أن أقيم مجالس للدرس أو للاستمداد من القرءآن في حضره الخلق- ما يسميه البعض دروس تفسير القرءآن - فإنها لا تتيسر لي و ينقبض صدري بعد حين و يحول الحق تعالى بيني و بين القيام بها بدون أن سبب مباشر مني . و العبره هي أنه بمثل هذه الجدوله الصخريه يوجد شئ شبيه بالأغلال ، و يوجد بالإضافه إلى ذلك نوع من التألي على الله تعالى ، لأنه حينما أقول : سأكتب أو سأتكلم غدا في سوره كذا . فهذا يعني أنني أفرض على الله تعالى أن يفتح لي في سوره كذا في وقت كذا . فبدل أن أكون عبدا شكورا يتقبل ما يفيض من الحضره العليه في الوقت - و الصوفي ابن وقته كما قال شيوخنا الأعزه- فإنني بذلك أكون مدعي للربوبيه ، بل كأني أجعل عرش الرحمن تحت أمري و في خدمه أنانيتي . و لهذا كان من نعمه الله تعالى علي أنه يحول بيني و بين مثل هذا التصخير للدين ، سواء في الكلام أو الكتابه أو الأعمال المختلفه في شتى مستويات الوجود . فإني عبد الله ، و هذا يعني أنني أتقبل منه ما يفيضه في الوقت ، و لا أدري ما يفعل بي و لا بكم إن أتبع إلا ما يفيضه علي و يمدني به لا إله إلا هو . و الأمر الثاني هو وجود الاهتمام بالروح كأولويه . و معنى ذلك أن لا يكون الكلام - المكتوب أو المسموع - من الكلام الذي يشبه الصخر الأكاديمي و " العلمي " بالمعنى الحداثي أو الميكانيكي . و من لا يعرف التمييز بين هذين الأمرين فليحكم على لسان قلبه بالشلل و الجفاف و بالتالي بانعدام الذوق . الكلام العرفاني يبدو للعين الناظر في بادئ الرأي و كأنه كلام " ارتجالي " أو " من وحي اللحظه " . و يبدو و كأن المتكلم قد أخرج ما في قلبه بدون أي ترتيب مسبق في الفكر ، و بالتالي تبدو الفقره الواحده و كأنها تحوي " سحاب مركوم " من الأفكار التي لا يبدو بينها أي ترابط . و هذا

كثير جدا في كلام أهل المعرفه و كتبهم . و منه قول الشيخ الأكبر سلام الله عليه في كتبه و أنه لا يكتبها بناءآ على ترتيب فكري مسبق ، و إنما هو بالفتح و الكشف . و ليس هذا إلا لأنه وارث للقرءآن و يسير على نسقه بقدر وسعه تلقائيا . فمثلا ، حين يذكر القرءآن آيه " حافظوا على الصلوات" في سوره وسط آيات تتحدث كلها عن النكاح و الطلاق ، فإن صاحب العين الناظره قد يقول: لا تراتبط بل سحاب مركوم . و لكن صاحب العين الباصره يرى و يعقل الصله بين هذه و تلك . و هذا كثير جدا في كتاب الله تعالى ، و ليس فقط في الانتقال من موضوع عام لآيات لموضوع آخر ، بل في الآيه الواحده التي يكون أولها في شئ و أوسطها في شئ و آخرها في شئ ، و لكنه كلام مترابط متناسق معقول بعضه ببعضه لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد . و من هنا قال الشيخ الأكبر أن كل ما يكتبه إنما هو من حضره القرءآن و إليه يعود ، و كذلك مولانا جلال الدين في المثنوي مثلا حين يعتبره كتاب في تفسير و شرح القرءآن . القرءان هو السماء الواحده التي تمطر على أراضي قلوب العارفين أجمعين . و تختلف كتب العرفاء كما تختلف حدائق الأرض ، و كلها تسقى ب " ماء واحد " . و من الخبره أقول : أخذ أي نص من كلام الشيخ الأكبر مثلا ، نصا يبدو و كأنه يحوي أفكارا متعدده لا رابط بينها ، ثم تحليله و الترقي فيه يظهر العقل العميق في هذا النص بل إنه لا يقوم إلا بكل أجزائه كما هي في النص . و هذا كله يدخل بالأخص في الشق الثاني من قول المصطفى عليه الصلاه و السلام " خيركم من تعلم القرءآن وعلمه " .

" الله يصطفي من الملائكه رسلا و من الناس " . فمقامات الملائكه هي الممثول السماوي الذي على نسقه يجب أن يكون المثل الأرضي ، أي مقامات الناس . " الله الذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهن " . فالممثول في السموات ، و المثل في الأرض . و لهذا قص القرءآن علينا مقامات الملائكه و شؤونهم . حتى يعتبر الناس في هذه المقامات و يقيمونها في شؤونهم الدينيه و الحياتيه . " يصطفي من الملائكه " فالملائكه ليسوا كلهم على نسق واحد كما قد يتوهم البعض . فيظنوا أن كل الملائكه نورانيون تماما و يعرفون الله بالشهود المحض هكذا منذ النشأه الأولى لهم و نحو ذلك . و الواقع أن من الملائكه أولوا أمر و منهم عباد لهم كذلك ، "مطاع ثم أمين " . و لهم رسل و شرائع و كل ما للناس و لكن على مستوى يناسب تلك العوالم. و كما أن عالم الملائكه مفارق لعالم الشياطين ، كذلك عالم المؤمنين يجب أن يفارق عالم الكافرين . و هنا نشرف على تخوم تلك الإجابه التي انتظرناها ثلاثه أيام . و قد قرر الحق تعالى في شؤون الكفار من الناس كما قرر في الشياطين عموما ، فقال " شياطين الجن و الإنس " ، و غير ذلك من شؤونهم ، بل إنه ذكر في حق الشيطان أن له كيد ضعيف ، و لكن ذكر في حق بعض الناس أن كيدهن عظيم . و الشيطنه هي النفسيه و النزعه الناريه . و لها سمات متعدده منها " كلما أوقدوا نارا للحرب " و غير ذلك من الشؤون الناريه و الابليسيه . فعالم أهل المعرفه ينبغي أن يكون موازيا لعالم الملائكه ، و بالتالي مفارق لعالم أهل الشيطنه . هذه قاعده عامه ، و تنبني عليها أمور متعدده ينبغي استقصائها في كتاب خاص .
الملائكه لهم سمه أنثويه و سمه ذكوريه . و لهذا تجد " المرسلات " و تجد " المرسلون " .
فالمرسلات ملائكه بسمه أنثويه ، يعني أنهم في حال أخذهم عمن فوقهم . و لكن المرسلون ملائكه في سمتهم الذكوريه ، يعني أنهم في حال إعطائهم لمن تحتهم . فتحد الله تعالى حين يقرر مقام المرسلات يقول " و المرسلات عرفا " ، لأن الخلق كله أنثى - أي قابل - حين يكون موازيا لله تعالى - أي الفاعل المطلق . و لهذا لا تجد " هي " بالنسبه لله تعالى . و لكن دائما "هو " بالمذكر ، لأن المقصود هو الفاعليه و الوهب و الإعطاء ، و ليس فوق الله شئ حتى يعطي الله أو يفيض عليه .
و من هنا إنكارنا الشديد على من يزعم أن لله صفات . الله تعالى ليس له صفات . الله له الأسماء

الحسنى . و من البدع العقائديه الشنيعه نسبه الصفات إلى الله تعالى . لأن الصفه غير الموصوف ، و يمكن تصورها وجوديا - و ليس ذهنيا فقط - مفارقه له . كما أننا نقول إنسان شجاع و إنسان جبان . فالشجاعه و الجبن صفات للإنسان ، إذ يمكن تصور الإنسان بدون هذه أو تلك . و لكن وجوديا لا يوجد شئ إسمه " العزه " ، و دعك من الأوهام الذهنيه التي تجرد في خيالها ما لا يتجرد وجوديا في الواقع و نفس الأمر . لا يوجد عزه ، و لكن يوجد العزيز . و العزه كصفه للخلق إنما تفاض من نفس ذات العزيز . و لا يمكن بحال من الأحوال - و هو الطرف الثاني من الأوهام - تصور الله تعالى خاليا عن هذه السمات ، أي الأسماء الحسنى . وجوديا لا يمكن أن يبصر عقل حقيقه الله تعالى إلا و يجد أنه كما قص القرءآن " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " . و أما الأوهام الذهنيه التي تجرد ما لا يتجرد في نفس الأمر ، كأن تتصور " العزه " هكذا مجرده ، ثم تقول " الحق له عزه و الخلق له عزه " فإنه وهم ذهني لا يغني من نفس الحق شيئا . و كلامنا عن الوجود في نفس الأمر ، و أما الألعاب الذهنيه و اللفظيه فنتركها للصبيان لينشغلوا بها . و مما لا ينقضي منه العجب إنشغال الناس منذ القدم بمسأله " الأسماء و الصفات " . و كأن كلمه " الأسماء " الوارده في القرءآن و التي يصدقها البرهان و العيان لا تكفي ، فأضافوا " الصفات " عليها تكميلا لكلام الحق تبارك و تعالى . " سبحان ربك رب العزه عما يصفون " . السمه ذاتيه ، و الصفه عرضيه . فإن كان لله صفات فهذا يعني أنه استمد هذه الصفات ممن هو فوقه في المقام أو دونه أو مثله . فمن قال أن فوق الله شئ فقد ألحد . و من قال أن دونه غير خلقه فقد كفر . و من قال أن لله مثل فقد أشرك و كفر . فلا مجال للقول بالصفات لله تعالى بحال من الأحوال . إذ هو المطلق فلا فوق له ، و هو المبدأ فكل ما دونه منه ، و هو الأحد فلا شئ معه و إطلاقيته و مبدأيته التامه تنفي الشركه و المثليه نفيا عقليا شهوديا كاملا . و لكن الحق أن لله الأسماء الحسنى أزلا و أبدا . و هي عين ذاته ، و لا تظهر مفارقه له إلا بسبب الكلام و التقسيمات الذهنيه . و أما في نفس الأمر فواحد أحد لا إله إلا هو . و هذا معنى " هو " في حق الله تعالى . فهو الواهب المطلق ، و بالتالي بلسان الرمز البدني يكون هو " الذكر المطلق".
ثم يأتي مقام الحق الذي به خلقت السماوات و الأرض . و هنا نلاحظ أمر آخر ، و هو أنه لا يوجد في القرءآن استعمال لكلمه " حقيقه " بالتأنيث . الحق دائما مذكر . و إن كان المعنى من "حقيقه " هو غالبا معنى سليم ، و لكن كلامنا عن الدقه في العبارات القرءآنيه و كيف أن مظهرها يقص عن جوهرها بتناغم و تماثل عظيم . " خلق السموات و الأرض بالحق " . ما هو هذا الحق ؟ كقاعده نقول : كل ما يذكره القرءآن هو شئ موجود فعلا . و هذا ليس كلام بديهي. فالتعاطي مع العبارات القرءآنيه - و العرفانيه عموما - ينبغي أن يكون مبني على أنه تعاطي مع أمور حقيقيه واقعيه . فمثلا ، حين يقول هنا أنه تعالى خلق " بالحق " ، فإن هذا ليس مفهوم ذهني - عدمي في نفس الأمر - كمثل مفهوم " العداله " أو " الجمال " . بل إن هذا حديث عن كائن ما ، شئ ما له تحقق في الواقع الخارجي . نعم ، لا إشكال أن طبيعه هذا الشئ تختلف بحسب طبيعه الفلك أو المستوى الذي هو فيه أو هو هو أو هو منه و به . فالعوالم متمايزه . و طبيعه السموات و سكانها تختلف عن طبيعه الأرض و سكانها . هذا الاختلاف ليس حديه مطلقه ، بمعنى أنه لا توازي و لا تناظر و لا تماثل بينهما ، هذا مستحيل من الناحيه الوجوديه أصلا . إذ الموجودات و المخلوقات و المكونات كلها متناظره متماثله يرمز بعضها لبعض صعودا في الأفلاك حتى بلوغ حضره الحق المتعالي الذي إليه المنتهى كما أن منه المبدأ . فتعدد طبقات الموجودات و المكونات يعني وجود حدود بينها ، و لكن مجرد كون بعضها ينشأ عن البعض الآخر و يتنزل منه و على مثاله يعني عدم وجود حدود بينها . و بين نفي الحدود و إثباتها يقع الدين العرفاني كله . و هو يشبه نفي العزه عما سوى الله " فلله العزه جميعا " ، ثم اثباتها لما سوى الله " لله العزه و لرسوله و للمؤمنين " . و كذلك نفي القوه عما سوي

الله " القوه لله جميعا " ثم إثباتها لما سوى الله " علمه شديد القوى " و " أعدوا لهم ما استطعتم من قوه " و " إن خير من استأجرت القوي الأمين " . فمقام النفي و الحصر يختلف عن مقام الإثبات و النشر . ذاك قوس الصعود و هذا قوس النزول . و الوجود دائره و أفلاك ، و من لا يرى للوجود مراتب فهو زنديق . و هذا أحد أهم معاني الفوقيه . فالفوقيه هي السعه الوجوديه . إذ يقول " وسع كرسيه السموات و الأرض " و يقول " و هو القاهر فوق عباده " و يقول " و الله بكل شئ محيط " . فمن الناحيه الرمزيه يمكن تصور الوجود على أنه أفلاك بعضها داخل بعض . فيكون الأوسع هو الأعلى و " الفوق " . و الأضيق هو الأدنى و "التحت " . و لكن كل فلك أضيق هو نوع امتداد معنوي لفلك أوسع . و لهذا كان الفلك المطلق الذي هو الله تعالى " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " . فالأول و الآخر إطلاقيه في الزمان ، و الظاهر و الباطن إطلاقيه في المكان . فلا زمان و لا مكان في تلك الحضره المقدسه. و الواقع في أعمق أعماقيه ، ليس فيه زمان و لا مكان . و نقول " أعمق أعماقه " بالنسبه لمن ينظر بعين نفسه . و لكن من يبصر بعين ربه فإن هذا الواقع هو أظهر ظاهر . و في هذا الاعتبار الرباني لا يوجد فوق و لا تحت . و يفنى كل الخلق و يبقى الحق . و مما يخطر لنا في هذا المقام هو سفاهه من يسمون بأصحاب التجسيم . أي الذين يزعمون أن الله تعالى جسم و يثبتون لله تعالى حدا معينا . فبعضهم - و هم من علماء الأعراب - يقول : إن قول الرسول عليه السلام في مناجاته لربه " و أنت الظاهر ليس فوقك شئ " نص على أن خلقه دونه ! لا أدرى كيف استخرج هذه من تلك . أولا يبدو أنه كان ينظر إلى قوله عليه السلام "ليس فوقك شئ" و لكن قلبه كان يبصر عقيده " أنت فوق كل شئ " . و كم من ناظر إلى قرءان و لكنه لا يبصر إلا شيطان . طبعا هؤلاء حين يقولون " فوق " يعتقدون و كأننا إذا ركبنا صاروخا جسمانيا لمده بضعه آلاف من السنين سنصل إلى الله " هناك فوق " . فنحن و هم نقول " الله فوق " و لكن "فوق" عندنا زندقه عندهم ، و "فوق" عندهم كفر عندنا . فالمباني واحده و المعاني مختلفه . و ثانيا ، لعل هذا الأعرابي لو أكمل النص النبوي القائل " و أنت الباطن فليس دونك شئ " لما وقع فيما وقع فيه . فإن هذا النص ينفي وجود أي شئ "دون" الله حتى ، و حيث أن الدون جاءت مقابله للفوق ، فهذا يعني أن الدون هنا تشمل معنى التحت . و بالتالي لا يوجد تحت الله شئ كما أنه لا يوجد فوق الله شئ . و على ذلك مقوله " العرش تحت الله " - خصوصا بالمعنى الجسماني الغافل - باطله بنفس هذا النص الذي استدل به الأعرابي - وهو من كبار علماءهم فما ظنك بصغارهم - و لا قوه إلا بالله . لا يوجد اعتبار واحد لمشاهده الحق سبحانه ، بل يوجد اعتبارات و هي السبل ، " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين " . فمن اعتبار لا يوجد شئ دون الله ، و لكن من اعتبار آخر يوجد شئ دون الله . و باعتبار يوجد شئ دون الله بالله ، و باعتبار يوجد شئ دون الله من دون الله . و كل ذلك فيه حق . و للحق أوجه و هو حمال أوجه . و أكثر الخلاف في المعارف و الشرائع نابع من ضيق الحوصله و انقباض العقل . و هذا شأن العوام . لا يحسنوا النظر إلا من اعتبار واحد أو اثنين إن أكثروا . بل إنهم لا يحتملون وجود هذه التعدديه الصوريه في الشرائع فما ظنك في المعارف أو " العقائد " كما يسمونها . و من ذلك مثلا : هل لله حد ؟ فمن قائل نعم و من قائل لا . ثم كل فرقه تتشعب . و الحق الكامل هو نعم و لا . نعم لله حد و كل مؤمن بالله يعتقد و يدرك بأن لله حد . و القرءآن طافح بأن لله حد . و لو كان ليس لله حد مطلقا لما قال " أطيعوا الله و أطيعوا الرسول " - هذا كشاهد بسيط لمن له عقل . مجرد وجود تمايز بين الله و شئ يعني أن لله حد و لهذا الشئ حد أيضا . فالحد واقع وجودي لا يخلو منه إنسان في شأن الله تعالى كما في شأن من سواه ممن دونه . و لكن ليس لله حد . إذ لا يحده إلا ما هو أكبر منه أو أصغر منه أو مثله . و كل ذلك مستحيل . إذ هو الأكبر ، و لا مثل له ، و ما هو أصغر منه إنما هو به و منه و فيه و إليه . و حد الله أنه مطلق . و

كونه مطلق يعني أنه فوق كل الحدود ، و لكنه يعني أيضا - من نفس الإطلاقيه - أنه محدود بكل حد . فكما قال حضره الشيخ الأكبر " الله هو الوجود و الموجود " . فمن حيث هو الوجود يعني أنه يتعالى عن الحدود . و من حيث أنه الموجود يعني أنه عين كل محدود . بعباره سماتيه - إذ العبارات الذاتيه المحضه أبعد من نيل العقل الأدنى - نقول : عزه الله له وحده ، و هي عزه فوق عزه كل عزيز من خلقه بما لا يتناهى بل كل عزه دونه هي من عزته الذاتيه سبحانه و تعالى ، و لكن في نفس الوقت عزته منتشره في الموجودات المكونات و لا تفترق عزته الذاتيه عن عزته المنتشره، فحين يهب الله العزه لرسوله ، هذه العزه لا تفارق ذات الله و تصبح في رسوله ، هذا من الحلول الباطل - و ليت أعداء الحلول يفقهوا أبعاده و يعوا أنهم غالبا من الحلوليه و هم لا يشعرون . المبدأ الإلهي هو أن الله هو " العزيز " . لنقل باسم أقرب للعقل و هو " الحي " . فالله هو " الحي " . و بالتالي كل حياه لمخلوق هي فيض من هذا الاسم ، الذي هو نفس الله تعالى . و الآن حين يصبح (س) حيا ، و هو الآن حي بعد أن كان ميتا ، فهل هذه الحياه حلت فيه أم هي شعاع موصول به ؟ كتشبيه : " حلت " تشبه أن يأخذ رجل تفاحه من شجره و يعطيها لامرأه في قريه أخرى غير القريه التي كانت فيها هذه الشجره أصلا . و بعد انفصال التفاحه عن الشجره الأصليه تنقطع العلاقه بينها و بين الشجره . " شعاع موصول " تشبه شعاع الشمس و وصوله إلى الأرض . فإن الشعاع لا ينفص عن نفس الشمس ، بل هو مدد مستمر يخرج لحظيا من ذات الشمس و يصل إلى الأرض ، و إذا افترضنا التفات الأرض عن الشمس كما يحدث في الليل فإن شعاع الشمس لا يبقى في الأرض - ظاهرا . فهل علاقه أسماء الله بالخلق هي كعلاقه الحلول أو الشعاع ؟ الجواب هي أقرب للشعاع . و هي أدق من هذا التشبيه بالشمس . إذ ما أن ينسحب شعاع الاسم الإلهي لأقل من لحظه بل طرفه عين بل أقرب من لمح البصر حتى يغيب أثره من المخلوق كليا . و بالتالي أسماء الله لا تفارق ذاته ، و أسماؤه لا تفارق من تشرق عليه . فإذن ذات الله لا تفارق من تشرق عليه طرفه عين ، و هو كل موجود و مخلوق على الإطلاق - مع اختلاف التجلي باعتبار . فالوجود فاعل و قابل . و القابل أيضا من الله تعالى ، من " فيضه الأقدس " بعباره الشيخ الأكبر . فنفس الخلق من فيض إلهي ما ، ثم أعراض الخلق كلها من فيض إلهي آخر . فالموجود و المخلوق كله فيض في فيض ، و نور على نور . و ليس إلا الحق سبحانه . و هذا تحقيق " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " و " فأينما تولوا فثم وجه الله " . و لا يعقل إلا هذا . فمجرد وجود حياه في مخلوق يعني حضور الحي سبحانه في هذا المخلوق .إذ الحياه ليست "صفه" (و الآن تبدأ تفهم سبب الإصرار على كلمه الصفات) الحياه "سمه" قائمه بالإسم ، و الإسم ليست هذه الألفاظ العربيه ، و لا هي التصورات الذهنيه ، فهذه تشبه قطره من بحر الحقيقه التي تعبر عنها هذه الألفاظ و التصورات . الإسم هو الحقيقه الواقعيه ، الحقيقه الوجوديه القائمه في نفس الأمر . ليس فقط "في الخارج" و لكن أيضا "في الداخل" و في كل مكان و فوق المكان أيضا . إن من أهم أسباب الكفر بأنعم الله - و هي تجلياته الأسمائيه و عطاياه الربانيه التي تشمل الخلق و الحياه و الرزق و الموت كل الدورات في هذه الأركان الأربعه للتكوين - من أهم هذه الأسباب هو الغفله عن حقيقه هذه الأنعم . أي اعتبارها أنعم صفاتيه و ليس أسمائيه . نعم ، لعلك تقول : إن معظم الناس لا يفقه الفرق الدقيق بين صفاتيه و أسمائيه . أقول : بل إنهم يفقهونه ، و لكنهم لا يسمونه باسمه الاصطلاحي العلمي هذا . معنى " صفاتي " هو وجود فارق بين ذات المعطي و العطايا ، أي فارق حدي تام . فهم لا يشهدون الله في العطيه و الهبه. بل يرونه و كأنه شئ هكذا مجرد مستقل بنفسه . فيجدون أنهم أحياء مثلا ، و لكنهم لا يشهدون حقيقه هذه الحياه و سببها الواقعي . يجدون الرزق و لكنهم يعتبرون هذا الرزق موجود هكذا و قائم مستقل بنفسه إلى حد بعيد . و قس على ذلك . و حتى من يؤمن منهم بالله فإنه كما قال القرءآن " و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم

مشركون " . فيفرقون بين الله و أسمائه، فيعتبرون الهبه و الفيض الإلهي منفصل عن الذات الإلهيه . ففي الواقع يتعاملون مع الخلق و الكون و كأنه " صفات " نعم هي "صفات الله" و لكنها صفات على أيه حال . و هو المعنى الأكبر في فقه آيه " يريدون أن يفرقوا بين الله و رسله " . و التوحيد بين الله و رسله هو كالتوحيد بين عزه الرسول و عزه الله . فافهم . إنما هو توحيد شهود مطلق الوجود في كل محدود. و التسبيح هو عقل حقيقه كون كل سمه في الكون ، أي الكون بما و من فيه ، إنما هو شعاع من شمس الحق تبارك و تعالى ، فهو صوره و الحق هو ممدها بالمعنى و المبنى . و من الغرائب أيضا هو أن الأعراب الذين يبغضون الإغريق و الفلسفه الإغريقيه عموما بأفواههم على الأقل ، هم في الواقع ورثتهم في هذه المسأله التي هي أكبر مسأله في الوجود و الدين بل و في كل موضوع بلا استثناء . أي مسأله " الذات المطلقه " . فيقول الأعرابي : ما لا حد له غير معقول ، و كل موجود محدود . فهذا وارث لأولئك الإغريق - و الغرب المعاصر إخوته و أولو قرباه - إذ الإغريق عموما - و على عكس الروح الشرقيه - لم يفقهوا فكره " المطلق " بل كانوا يكرهونها و يخافون منها . " ما لا حد له غير معقول الوجود " هي عباره تعبر عن مبلغ هذا الأعرابي من العلم و مستواه في الشهود ، أكثر مما تعبر عن حقيقه الوجود . نعم فعلا مثل هذا لا يعقل إلا المحدود ، بل الجسم و الشئ الذي يشار إليه بالحس و الجهه و الحيز أيضا. و هذا يذكرنا بمصيبه من مصائب هذه الأمه - و هو من فضائلها أيضا !- و هي أنها تقبل كل أصناف الناس في دائرتها . بمعنى أن القائل بلسان حاله أو مقاله " الإله محدود و هو جسم محسوس " فإنه في الواقع ليس إلا أخ لملاحده الغرب الحديث الذي لسان حالهم هو نفس لسان حال أولئك و إن كانوا لا يستعملون هذه الألفاظ بعينها . فكلاهما من كلاب الدنيا الذين أخلدوا إلى الأرض . اللهم الفرق هو أن الحداثي أكثر رجوله فكريه من الأعرابي في التصريح بما عنده . إن تصورك عن الإله هو حدود وجودك و حياتك . و كل منظومه لها إطار ، و هذا الإطار هو رؤيتها لحقيقه الإله. بالإله أعني : الحقيقه الكبرى . ثم بعد ذلك كل شئ سيكون في حدود هذا الإطار . و لذلك - و في خصوص أمتنا و من يستعمل كلماتنا و لساننا - فإن من يقول " الإله محدود جسماني" فإنك لن تتعجب بعد ذلك حين ترى مثل هذا الفرد أو المجتمع الذي يقوم على مثل هذه الرؤيه هو أيضا مجتمع جسماني مادي سطحي غبي على العموم و ساذج ، و لا يبعد أن يتحول إلى عباده عجل الذهب و المال ، كما أنه لا غرابه في أن يجد صداقته مع الغرب الحداثي و صناعته و طرق تفكيره و أسلوب حياته و تنظيمه أقرب منه إلى من سواهم ممن قد يكونوا من نفس أفراد الأمه المحمديه . و كذلك تجد الروحانيه و العقلانيه أشد على العموم في الفرد و المجتمع الذي يقوم على حقيقه رؤيه أن " الإله مطلق " أو " الإله في كل مكان و فوق المكان " و ما أشبه . هذا مفتاح لخزائن هذا الباب من العلم فافتح به و انظر مافي هذه الخزائن.

فإذا رجعنا نقول : ما هو هذا الحق الذي به خلق الله السماوات و الأرض ؟ سيكون الجواب المبدئي هو ملاحظه . ملاحظه عقليه شهوديه تقول : إن ما يخلق به الشئ سابق في الوجود على وجود هذا الشئ ، و واقعيته إما تساوي أو هي أشد من واقعيه هذا الشئ . فكون الأرض خلقت ب (ص) يعني حتما أن (ص) كان قبل الأرض . و كذلك في السموات . و كون طبيعه الأرض غير طبيعه السموات ، و كون كلاهما قد صدر بوسيله هذا الحق ، فهذا يعني بالضروره أن يكون هذا الحق مشتمل على القدره الفاعليه لإخراج طبيعه السموات و الأرض . فإن كانت طبيعه الأرض هي الترابيه ، و طبيعه السموات هي النورانيه ، فإن طبيعه هذا الحق لابد أن تكون مما يحتوي على التراتبيه و النورانيه فقط أو ما هو أكثر و أكبر من ذلك أيضا. فهذا الحق هو خزينه السموات و الأرض ، و عنه صدرا . و كونه سابق عليهما حتما ، فهذا يعني أنه يوجد مستوى فوق عالم الخلق ،

بناءآ على أن عالم الخلق هو السموات و الأراضين و ما فيهن و من فيهن . " الله هو الحق المبين " . فهل الحق الذي خلق به هو عين هذا الحق الذي هو اسمه ، أي هل هو صدور من الحضره الأسمائيه ، أم أنه صدور من صادر من الحضره الأسمائيه ؟ فهل الحق - الإسم - تجلى في الحق - المظهر - و هذا الحق المظهر هو الذي به خلق الخلق . أم أن الحق - الاسم - هو الذي خلق الخلق مباشره ؟ واضح أن العلاقه طوليه . و لكن السؤال هو عن المرتبه . فكون الخلق صدر بواسطه الإسم الإلهي مباشره غير كون الخلق صدر عن صادر عن الإسم الإلهي مباشره . و الفرق دقيق و لكنه عميق . و اليقين عندنا أن الخلق بما فيه هو مرتبه ثالثه . و المرتبه الثانيه هي الحق المظهر ، و المرتبه الأولى هي الحق الجوهر . و الحق المظهر هو النور ، خاتم النبيين ، القرءآن ، الحقيقه المحمديه ، الكلمه الإلهيه ، العقل ، القلم ، الروح ، النبي ، الإمام ، الولي ، الصادر الأول ، رسول الله ، الإنسان الكامل ، مركز العالم ، الكعبه ، وجه الله ، يد الله ، عين الله ، العرش ، عبد الله ، العبد المحض. له أسماء متعدده و لكن حقيقه واحده . و كل شئ ظهر و يظهر و يمكن أن يظهر في الخلق كامن مسبقا في هذا الحق . و نسميه : الحق الوسيله . لأنه وسيله الخلق إلى الحق الغايه المبدأ لا إله إلا هو ، و هو أيضا الوسيله التي بها يفعل الله تعالى ما يفعل في الخلق . فهو واسطه الفيض على الإطلاق بالنسبه للخلق بسماواته و أراضيه و ما فيهن و ما بينهن . في الحق الوسيله كل الأشياء قائمه و متحققه و ناجزه . هو مصداق " فيكون " الوارده في " كن فيكون " . و لكن ظهور هذا في الخلق هو مصداق " في سته أيام " . ففيه التحقق لحظي ، و في ما دونه من الخلق التحقق تدرجي . هو يستمد من الأسماء بغير حساب ، و لكن من دونه لا يتنزل عليهم العطاء إلا بقدر معلوم . صلى الله عليه و آله وسلم .

...

من الأمور المتعلقه بهذا السياق موضوع : طبيعه الذات الإلهيه و علاقتها بالمشيئه الإلهيه . فإن المشيئه لا يمكن أن تناقض المقتضيات الطبيعيه للذات . و هذه حقيقه مطلقه . و لكن خرج من يقول بأن الله تعالى يستطيع لو شاء أن يستقر على ظهر بعوضه " كيفما شاء " . و إن كانت هذه العباره تمجها قلوب أهل الإيمان ، و يبدو لبادئ الرأي أنها باطله قطعا ، و هي من مقوله أهل التجسيم . فيأتي من ينتمي إلى اتجاه آخر و ينفي مثل هذا القول و لعله يكفر صاحبه بلا مثنويه و لا ترديد . و لكن هذا المستيقن من بطلان هذه المقوله لا يجد حرجا من أن يقول بدوره أن الله يستطيع أن يضع أبي لهب في الجنه و مولانا محمد في النار " لو شاء " . و يبدو في بادئ الرأي أيضا أن هذا القول باطل إلى حد ما ، أو لعله أقرب للقبول من الأول . فما السبب ؟ الظاهر أن السبب هو أن الأول متعلق بموضوع " الذات " و أما الثاني فمتعلق بموضوع " الفعل " . و يبدو أنه يوجد حريه أكثر في مجال الفعل من مجال الذات ، إذ الذات هي هي و لا يمكن أن تكون أي شئ على غير ما هي عليه ، و لكن الفعل ينتمي إلى مجال فيه اختيارات أكثر و سعه أشد . فإذا دعمنا هذا بفكره أن الذي يتصرف في ملكه لا يعتبر ظالما مهما فعل ، فإن كان هو الله تعالى الذي هو مبدأ العدل و تحديد معيار الظلم أصلا هو الفاعل ، فإن كونه قادر على أن يفعل ما يشاء كيفما يشاء بلا أي قيد يبدو و كأنه أمر مقبول لقلب المؤمن عموما . ما العامل المشترك بين صاحب المقوله الأولى و الثانيه ؟ الجواب : هو عدم فقه حقيقه المشيئه الإلهيه . و قبل ذلك عدم فقه حقيقه الذات الإلهيه . ثم تثليث ذلك بعدم فقه حقيقه الإراده الإلهيه . فإن القرءآن بوضوح يفرق بين نفس الله و مشيئته و إرادته . ففي باب النفس يقول مثلا " هو الله أحد " . فهنا الموضوع مطلق تماما و لا مجال حتى للشك لحظه واحده و لا

يوجد أي "حريه" في أن يكون هو الواحد القهار (أي بالوحده الغير عدديه الحديه ، بل بالوحده اللانهائيه التي يستحيل حتى تصور وجود ثاني له) و أن لا يكون كذلك. و هذا هو أعلى مستوى في الوجود و هو الحق المطلق ، و كل ما سوى ذلك فهو محاط بهذه الحقيقه الوجوديه المطلقه . و لكن حين يذكر القرءآن المشيئه فإنه يقول " لو شاء " لكذا أو لكذا. و لكن مشيئته هي كل ما يقع في عالم الوسيله و الخلق بغض النظر عن أي اعتبار شرعي أو ديني أو حكمي . ما يقع هو مشيئته حصرا . و حيث إن ما يقع هو احتمال من الاحتمالات الممكنه ، فإن دائره المشيئه أضيق من دائره الاحتمالات العلميه الممكنه (العلميه : علم الله بكل شئ أزلا و أبدا أي سرمدا) ، فالمشيئه تخصص بعض الاحتمالات بالظهور و التكوين العام . ثم تأتي الإراده فيقول " و لا يرضى لعباده الكفر " و لكنه يقول " فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر " و " و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين " فالحاصل أن الله يشاء الكفر و لا يريده . و بالتالي دائره الإراده أضيق من دائره المشيئه ، لأن المراد دائما واقعي تكويني ، إلا أنه ليس كل واقعي تكويني مراد . فالأفلاك الإلهيه بهذا الاعتبار أربعه : النفس و العلم و المشيئه و الإراده . النفس هنا بمعنى عين الذات . و الباقي ذكرناه . فمشيئه الله تعالى حين تستخرج موضوعها من فلك علمه التام بالممكنات ، على أي أساس تستخرج هذا الاحتمال دون ذاك ؟ لابد أنه يوجد أساس ما ، و إلا لما ترجح هذا الاحتمال على ذاك . فالمشيئه مربوبه و مقيده بأمر ما . و هذا أصل المسأله . و هو أن المشيئه ليست مطلقه ، المشيئه في الواقع و نفس الأمر مقيده و مربوبه لأمر إلهي آخر . و وهم من زعم أن تقييد المشيئه الإلهيه هو تقييد لله تعالى و هو صفه نقص ينبغي تنزيه الله عنها . و الحق أني أكره هذا النوع من الحديث عن الله تعالى و كأن كتب العقائد تصنع إلهها و تنحته بيدها ثم تعبده - هذا لو كانت تعبده أصلا و لعلها تسوقه للغير فقط . ترى هذا النوع من الكلام الذي أقل ما يقال فيه أن سوء أدب مع الساحه المقدسه للحضره المتعاليه . " ينبغي تنزيه " و كأن الأمر بيدنا حتى يكون داخلا تحت "ينبغي و لا ينبغي " . و لكن الأهم من ذلك هو كون المشيئه المقيده " نقص " في حق الله تعالى. و هذا غير صحيح بالمره . و يبدو أن هذا أمر دافعه سياسي أكثر منه عرفاني . و لكن بغض النظر عن تفسير الاعتراض بتفسير خارجي يدخل في النيه و الغرض و المكر ، و إن كان هذا كله في كثير من الأحيان - خصوصا عند من ليس من أهل العرفان و إنما هو موظف دوله و زعيم فرقه - إلا أن الأهم هو النظر في نفس الاعتراض . فهل كون المشيئه مقيده نقص في حق الباري تعالى ؟ الجواب : هي مقيده في نفس الأمر ، و ليكن بعد ذلك الحكم كما يكون . لأن مجرد وجود هذا الواقع الذي أنت فيه الآن ، لا أقل بجسمك و محيطك الأرضي، و كونه على هذه الشاكله و ليس على شاكله أخرى من الممكنات ، دليل في حد ذاته أن المشيئه مقيده واقعا و في نفس الأمر . كون البدن البشري له عينين و ليس سبعه أعين ، و له أنفس و ليس له خرطوم فيل ، يعني أن المشيئه الإلهيه تقيدت في إظهار هذا الاحتمال في هذا العالم . و الاعتراض الوجيه الوحيد هو أن يكون الحق تعالى قد خلق و أظهر كل ما في علمه من الممكنات المحتملات ، فأظهر العلم للانهائي في خلق لا نهائي ، فتكون المشيئه مطلقه من حيث أنها لم تقيد خروج معلوم ممكن دون غيره ، بل خلقت كل شئ ممكن . و هذا لم يذكره القرءآن بل ذكر خلق شئ معين دون أشياء كثيره ممكنه ، و لا شهود عندنا يضيف لهذه المسأله فوق ما ذكره القرءآن بنصه . و إن كنت قد اطلعت على مقوله لأحد العرفاء يشير لهذا الأمر ، و لكن ليس عندي شاهد قرءآني ، بل الشواهد ضده تماما . فعلى أساس العرفاني القرءاني كما تبين لنا منه هو أن المشيئه خصصت خلق بعض المعلومات دون بعض . و بعض الاحتمالات دون بعض . و هذا الكون بما فيه و ما كان فيه و ما سيكون فيه هو مجرد احتمال ممكن من بين احتمالات لا حصر لها و لا حاصر لها إلا الحق تعالى . و بالتالي يوجد قيد معين - أيا كان هذا القيد و لنسمه (ق) - على

المشيئه الإلهيه في الواقع . نعم إن طبيعه هذا القيد هي التي قد توهم البعض بالنقص . إي حين يتوهم أن المقيد لمشيئته تعالى هو كائن آخر غير نفسه . و حيث إن الله هو الأعلى العلي المتعال ، فإنه من اليقين حتما أنه لم يقيد مشيئته إلا نفسه . فالحق يقيد الحق . و هو من قوله " كتب ربكم على نفسه الرحمه " . فهو الكاتب و هو المكتوب عليه . فينتفي توهم النقص من أساسه . و سر المشيئه هو في معرفه هذا الذي رمزنا له بحرف ق . فإنه الباب الذي يطل منه علم الله على مشيئته ، و من ثم خلقه . قدم أهل العلم ثلاثه أجوبه عن طبيعه ق ، و قدم أهل الجهل جوابا واحدا بالاجماع . أما أهل الجهل فقالوا : لا نعلم و لا نريد أن نعلم و لا يهمنا أن نعلم أصلا . و أما أهل العلم فمنهم من قال - و هم الأدنى - : إن هذه مسائل نظريه " لا فائده " من البحث فيها و الكلام عنها ، لأنه بالإضافه إلا أننا "لم نكلف طلب علمها " فإننا لا نستطيع ذلك أصلا . و الجواب لهؤلاء الذين ألحقناهم بأهل العلم لأنهم إلى حد ما علماء من حيث أنهم قاده العوام في عصور الانحطاط و قرون الظلام : أما طلب " الفائده " فإن معرفه الله هي الفائده الكبرى . و كل الفوائده الأخرى عبيد عند أقدام هذه الفائده الكبرى . ثم إن القرءآن قد أمرنا بتدبره ، و لم يقل : ليدبروا بعض ءاياته . بل قال " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ءآياته " كلها . و القرءآن طافح بالآيات التي تتحدث عن نفس الله و مشيئته و إرادته ، فالزعم بأنه ينبغي أن نخر على هذه الآيات صما و عميانا ، ثم الزعم بأن هذا هو طريق السلامه ، إلا هو في الواقع إعراض عن أمر الله تعالى فضلا عن أنه انحطاط عن الإنسانيه التي هي مقام الخلافه الإلهيه ، و كيف يكون خليفه من لا يعرف المستخلف . يقولون : لم يأمرنا الله بالتعمق في شؤون ذاته و التفقه في أسمائه و أفعاله. نقول : الله قال " هو الله أحد " و " هو الواحد القهار " و " وسعت كل شئ رحمه و علما " فتدبروا ! أم يا ترى على قلوب أقفالها . و أما قولهم : لا نستطيع أن نفهم . فنقول : الله يقول " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " و " أم حسبتم أن تدخلوا الجنه و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين " و هذا هو الجهاد الأكبر ، الجهاد الأعظم . الجهاد الحق الذي أعرض عنه أكثر الخلق حتى صاروا كلما قرأوا في القرءان كلمه الجهاد أول ما يخطر في بالهم - بل الاعتبار الوحيد الذي يأخذونه على محمل الجد - هو الحرب و سفك الدماء . و هذا من الوزر الذي ستحمله دول الضلال و فرق الجهال الذي أغروا الناس بهذا الإفك و صاغوا حياتهم عليه . و لكن بالنسبه لمن يريد وجه الله تعالى ، فإنه عليه أن يعلم بأن جهاد العلم و العرفان هو الجهاد الأكبر ، هو الجهاد الذي ما بقيه أنواع الجهاد - بشروطها القرءآنيه - إلا خادمه له و وسيله لدفع ما يمكن أن يعكر صفوه . فهذا أولا . و أما ثانيا ، فإن الاعتذار بأعذار " قلوبنا غلف " و " لا نفقه كثيرا مما تقول " تعلمون هو من أي سنخ من القلوب قد خرج ، فاعلموا أنه بما أنكم قلتم مثل قولهم قلوبكم تشبه قلوبهم ، فتطهروا فإن الله يحب المتطهرين . لولا أن الحق تعالى يعلم بقابليه الإنسان لبلوغ تلك المراتب من المعرفه لما حدثه عنها في كتابه الذي أنزله هدى و نور له . ثم إن العلم بتلك الأمور العظيمه - والتي هي مدار حياه الإنسان الكامل- قد وقع فعلا ، فوجود من يفقه هذه الأمور و من يشاهد حقائقها دليل كاف لمن اعتبر ، فانقض وسوسه " ما نفقه كثيرا مما تقول " و "قلوبنا غلف" بماء معنى و شمس روح " و الذي جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " . و أما ثالثا ، فإنه لولا وجود العلم بالشئ لما استطاع أحد أن ينكر قابليه عقل هذا الشئ . أي لولا وجود علم بدرجه ما . فالذي يقول لك " س من الحقائق لا أحد يستطيع أن يعرفه " فسؤالنا لهذا القائل : و كيف عرفت أنه لا أحد يستطيع أن يعرفه ؟ لولا أنه قد اطلع على جانب ما من حقيقه س لما استطاع أن يطلق مثل هذا الحكم بالعجز أصلا . فقوله ينقض نفسه بنفسه . و كذلك قول القائل " س لا يمكن أن يصفه واصف " أيضا - من حيثيه ما - يناقض نفسه بنفسه ، لأن مقولته هذه هي بحد ذاتها وصف ل س . كونه " فوق الوصف " هو أيضا وصف و له دلاله واقعيه . فنفي قابليه عقل الشئ دائما تنبع من عقل معين لهذا الشئ . و

بالتالي النفي الذي ظاهره مطلق دائما نسبي. و إن كان غلبت نسبه العجز تعطي الأقليه حكم الأغلبيه فيطلق الشخص المقوله إلا أنها في الواقع مقيده ، فهو نوع سئ من الديموقراطيه إن شئت ، و لا أسوأ من ديموقراطيه المعرفه . و لهذا إذا رجعنا إلى القرءآن - و هو كتاب الكمال - نجده يقول في موضع " و لا يحيطون به علما " و في موضع آخر " فاعلم أنه لا إله إلا الله " و " هو الله أحد " و غير ذلك من الشؤون الإلهيه . فالنفي مقيد بحيثيه و اعتبار ما ، و لكن الإثبات أيضا قائم من حيثيات و اعتبارات أخرى . و أما رابعا ، فإنه بالنسبه للإنسان الذي قام من موت غفلته و استفاق من رقده جهالته و تشتت وعيه ، أي بالنسبه للإنسان الكامل - و من تشبه بقوم اقترب منهم - فإن الإنشغال بالعقلي في الشؤون الإلهيه هو جنته الكبرى ، هو فردوسه الذي لا يبغي عنه حولا . حرفيا . فهو حين ينشغل بأي شئ ما سوى معرفه الحق تعالى يقول " ما الفائده من هذا الانشغال؟ " و لا يدخل فيه إلا بعد أن يثبت فائده معينه محدوده ، و دائما تكون هذه الفائده هي التفرغ للعقل الإلهي أو في تجلي ما من تجلياته في مستويات الكون المتعدده من أكبرها إلى أصغرها . و لكن حين يدخل في دراسه القرءآن - الذي هو كتاب العرفان الأول و الآخر- و خصوصا حين يدخل في دراسه سيدات آي القرءآن - و قد علمتم أن السياده في القرءآن هي للآيات التي تتحدث عن حضره الحق تعالى و شؤونه الذاتيه و الأسمائيه بظاهرها و باطنها- فإنه يعلم أنه قد وقع على عين الفائده و روح الجنه . " و أن إلى ربك المنتهى " . هذه هي الحاله الطبيعيه بالنسبه للإنسان الكامل - الذي هو الإنسان الذي يحيا بالرؤيه القرءآنيه و وراثه الأنبياء و الملائكه . و الحمد لله على إنعامه . و لكن حين يتم قلب ال "منهج" فيصبح "جهنم" ، و تصبح عالي الأمور سافلها ، يبدأ البشر الذي يحيون في موضع ما من الوادي السحيق ، يقولون عن المعارف الإلهيه : ما هي الفائده . و لكن إذا جاؤوا إلى شؤون دنياهم السخيفه و التي سيعلمون قيمتها الحقيقه حين يأكل الدود أبدانهم التي يعبدونها ، فإننا نرى غفله شامله و لا تساؤل و لا مناظره و لا سؤال عن فايده و لا شئ من هذا القبيل، بل تسليم كتسليم الميت بدنه لمغسله ، و ليتهم يغسلون أبدانهم لهم و لكنهم يلقونها في المراحيض لو كانوا يبصرون . " لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون" . و من أراد " فائده" فليأخذ هاتين الفائدتين أو الثلاثه : أولا سعه وجودك تعتمد مباشره على سعه علمك بالله تعالى . ثانيا منزلك في الجنه الأبديه يعتمد مباشره على علمك بالقرءآن و خصوصا أعلى ما في القرءآن و الذي هو العلم بالله تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء " . ثالثا و هذا لأهل الدنيا ، فإن هذه المعرفه لمن اعتداها تسليه تسليك في وحدتك و خلوتك ، لا تكلفك شيئا يذكر في الجهد البدني و المالي ، و تدعم ثقتك بنفسك و قوتك المعنويه في الحياه الاجتماعيه. و حسبك هذا لو عقلت . فهذا هو القول فيمن جوابه هو عدم الجواب عن حقيقه القيد الموضوع على المشيئه الإلهيه . فلندخل فيمن قدم جوابا فعليا .

منهم من قال : حكمته . و هم الأعم . و منهم من قال : ذاته . و واضح أن الفرق بينهما هو في مستوى الجواب . فحكمته تعالى هي من ذاته بل عين ذاته في المحصله . و لكن إرجاع القيد إلى الذات يعني أن الذات تقتضي شيئا دون شئ ، و حيث إنه لا شئ فوق الذات ، فإن ترجيح هذا الشئ على ذاك يصبح بلا مرجح ، و ترجيح الممكن بلا مرجح محال ، و يبدو أن هذا هو السبب الذي عليه استند من قال بالحكمه . أما من قال بالذات ، فاعتبر أن ذاته مبدأ كل شئ ، و بالتالي لا بد أن يكون القيد الموضوع على مشيئته بدأ من ذاته ، إذ الحكمه نفسها هي صوره المشيئه ، أي إنه شاء هذه الحكمه دون سواها ، فالمسأله لا تزال قائمه ، و بالتالي تفسير القيد على المشيئه بأنه الحكمه هو دور منطقي فيما لا يجوز أن يكون فيه دور منطقي إذ هو من المستوى الأضيق الذي دائما يفسره مستوى أعلى و أوسع، أي هو كالقول بأن الحكمه قيدت الحكمه ، و بالتالي لابد أن يكون في نفس

الذات ما يقتضي هذه الحكمه دون تلك . فالحكمه ذاتيه . و بمثال أوضح ، حين نرى أن الباري قد خلق الكون بنظام السببيه العلوي السفلي ، و خلق الكون بتراتبيه و طبقيه ، و خلق الكون بحيث أن يكون الأدنى يمثل الأعلى و يرمز له . فما هو تفسير هذا الخلق بهذا النظام ؟ لأنه - من الناحيه النظريه الواقعيه- كان من الممكن و المتصور في الذهن أن يكون الكون طبقه واحده ، و يكون كل كائن قائم بنفسه في حياته و رزقه و لا يكون ثم موت أصلا . و من الممكن أن تكون الأرض فوق السماوات ، و السماوات ثلاثه و ليس سبعه . و عدد من هذا ما شئت . فما هو تفسير هذا الاختيار الواقع دون غيره ؟ الجواب : شاء ذلك . و لكن المشيئه تأتي في فلك العلم ، كما عرفنا من قبل . و هي تقيد العلم الإلهي فتأخذ بعضه دون البعض الآخر . و على ذلك يوجد شئ به أخذت المشيئه ما أخذت . فإن قلنا حكمه ما و سكتنا فهذا نصف علم . و هو من الناحيه "العمليه " حق ، أي إنه سواء عرفنا ما هي طبيعه هذه الحكمه أم لا ، فإن التعمق فيها و إدراك شئ من آثارها و علاقاتها سيكون قائما فعلا بإذن الله . و لكنه لن يكون علما بماهيه هذه الحكمه و مبدأها الواقعي . فإن قلنا بالإرجاع العام إلى المبدأ الكلي ، و هو أنها حكمه ذاتيه ، فإنه يعرض لهذا ما ذكرناه . فتأمل في هذا .

و يوجد شأن آخر من شؤون الحق تعالى و هو " الإذن ". فنجد في القرءآن أنه يذكر الإذن ، و الذي يبدو أنه متعلق بظهور شئ من مستوى أعلى في الكون في مستوى أدنى . و لهذا تجده مثلا في " تنزل الملائكه و الروح فيها بإذن ربهم " و في عيسى " أخلق لكم من الطين كهيئه الطير بإذن الله " . فالإذن يدل على مبدأ العمل و ممده ، و لكن يظهر في حدود الكون . و لا يحضرني الآن ذكر للإذن إلا فيما يتعلق بالكونيات ، و هذا حدس فليحقق في ذلك من يشاء . و بالتالي لا يرقى الإذن إلى مستوى النفس و العلم و المشيئه و الإراده ، و إن كان يمكن أن يضاف إليها من باب إكمال ظهور شؤونه تعالى في عالمي الحق و الخلق . فيكونوا خمسه شؤون : نفسه و علمه و مشيئته و إرادته و إذنه .

" وسعت كل شئ رحمه و علما " و من هنا يبدو أن الرحمه قبل العلم ، بالتالي قد يكون مفتاح المسأله فيها . إذ قوله " كتب ربكم على نفسه الرحمه " فيه إشاره إلى مدخليه الرحمه في هذا الأمر الذي هو تقييد المشيئه . فمشيئته رحمانيه بطبيعتها . و لهذا كان الاسم الذي استوى على مملكته كلها هو اسم الرحمن ، " الرحمن على العرش استوى " . و لنذكر هنا بمبدأ هام في تعلم القرءان : لا تنشغل بغير العرفان ، إلا كما لو كنت ستأكل لحم ميته أو خنزير ، للضروره بقدر الضروره . فمثلا هذه الآيه الكريمه التي تحتوي - فيما فتح لنا - على أهم مبدأ عرفاني فيما يتعلق بعالم التكوين كله ، أي قوله " الرحمن على العرش استوى " ، كانت على مر قرون محل نزاع عظيم بل تشتت و تفرق بسببها . و ليس هو من اختلاف الألوان و المستويات ، أو على الأقل لم ينظر له عموم العلماء و أتباعهم على هذه الشاكله و إن كان هو في الواقع على هذه الشاكله ، الواقع أي بحسب العين العرفانيه ، كما بينا فيما سبق في مسأله الحد و الجسمانيه ، و كون " كل موجود محدود " على أنها تعبر عن واقع فعلي ، و لكنها تنبئ على مستوى عقل المعتقد لهذه المقوله و ليست هي حاصره للوجود في نفس الأمر . و العين العرفانيه ترى ما يراه أصحاب الأعين الحصريه كلهم ، و زياده . و كذلك في قوله "الرحمن على العرش استوى" كانت هذه الآيه - و لا تزال عند طوائف الأمه التي ما تزال تحياه في نطاق الرؤيه الدينيه للوجود و تهتم بالتالي بما يتعلق بها ، لا تزال تثير موضوع "الأسماء و الصفات " و طبيعتها . و لا تكاد تجد كتاب واحد في التفسير ، أيا كان المشرب المدرسي الذي ينتمي له ، إلا و تجده عند ذكر هذه الآيه و الولوج في عالمها يقف عاجلا أم آجلا - و غالبا في

افتتاحيه الكلام - على موضوع الاستواء و ما هو و الاختيارات المشهوره بين التأويل - بالمعنى الخاص الذي أعطي له من قبل القائلين به - و بين التفويض و بين التجسيم و بين الوقف و عدم القول بأحد هذه الاختيارات - و الوقف موقف . و إن كانت هذه المسائل مهمه ، و لكن الأهم منها كلها و هو حقيقه المبدأ الذي صاغ و يصوغ الكون و الذي يحدد المشيئه الملكيه للملك سبحانه ، و الذي هو الرحمانيه ، و اللوازم الضروريه و الثانويه بل و الاجتماعيه أيضا لهذا المبدأ تم إما إغفالها بالكليه أو تم ردمها تحت ركام الاختلاف في موضوع الأسماء و الصفات . و كثيرا ما يتم الإعراض عن الأولويات المعرفيه بالانشغال بثانويات في أحسن الأحوال ، و الأسوأ الإنشغال بمحض أضاليل و أباطيل . فتنبه لذلك أيها العزيز . إلا أنه في الحين الذي يقرر مشيئته الرحمانيه في موضع ، يقول في الموضع الآخر مبينا الجانب الآخر من المشيئه و هو في قوله " ربكم أعلم بكم ، إن يشأ يرحمكم و إن يشأ يعذبكم " ، فالظاهر أن المشيئه رحمانيه بالنسبه للمؤمنين ، و لكنها عذابيه بالنسبه للكافرين. بمعنى أن الكون له وجهين بالضروره ، وجه رحماني و وجه عذابي . و للرحمانيه درجات كما أن للعذابيه دركات . و كل هذا ينشأ من حقيقه " الأسماء الحسنى " التي تطلب الكثره و التعدديه بذاتها . و كل اسم يطلب تعيناته بذاته ، بل هي مستكنه فيه و قائمه به منذ الأزل ، و التكوين هو اظهار لهذه المكنونات في ساحه الخلق و البرئ و التصوير . و من هنا كانت الجنه الأبديه و النار الأبديه . فزوال الجنه أو زوال النار - بكل أشكال و ألوان هاتين الحقيقتين - يساوي القول بأن الله يموت - و العياذ بالله . إذ هو نفي لحقيقه اسم إلهي ، سواء كان الإسم رحماني أو عذابي ، لطفي أو قهري . و كل إسم هو في الواقع و نفس الأمر كل الأسماء ، إذ كلها ترجع إلى الحق الواحد لا إله إلا هو . فنفي إسم هو نفي لكل الأسماء ، و نفي كل الأسماء هو نفي للذات المتسمه بها . و بالتالي لم يزل و لا يزال التكوين قائما ، و التجدد في الخلق مستمرا ، كما يشاء الحق ، فهو المبدئ و المعيد سبحانه و تعالى . فالمشيئه تتقيد بلوازم الأسماء الحسنى . و الأسماء الحسنى هي هي كما هي . و هي في المحصله الوجه المتكثر للواحد الأحد سبحانه . فالناس - بل المكونات كلها - بين متعلق بأسماء الرحمه و اللطف ، و بين متعلق بأسماء العذاب و القهر . و لتلك درجات ، و لهذه الآخيره دركات . و طريق الأنبياء هو على التحقيق الوسيله للتعلق و التعبد لأسماء الرحمه و اللطف ، و لهذا بدأ الكتاب بقوله الرحماني " بسم الله الرحمن الرحيم " . و الحمد لله .

بعد أن ذكر في سوره الإسراء المباركه مجموعه من العبارات الشرعيه العلميه ، قال " ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمه و لا تجعل مع الله إلها ءآخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا " . لاحظ أنه بعد أن ذكر أفكارا شرعيه علميه كثيره ، جعلها كلها تحت اسم " الحكمه " . فالحكمه هي الشرع المعقول بالعلم . و من هنا سماها " الحكمه " من الإحكام ، فالشرع يتم إحكامه أي ربطه و عقله و تثبيته عن طريق إظهار العلم و الأساس الواقعي العاجل أم الآجل الذي يستند عليه . فالشرع بلا علم كالفرع بلا أصل ، لا تقوم له قائمه . و الحق أن كل علم لابد و أن يحمل شريعته في نفسه ، كما يحمل الوالد ولده ، و كذلك كل شرع محاط بالعلم الذي ظهر عنه ، كما يحاط الفلك الأصغر بالفلك الأكبر . و هذا مطلق في كل شرع و علم و شرقي أو غربي أو زيتوني . فهذا في قوله " ذلك مما أوحى إليك ربك " و هذا هو العلم و الرؤيه الوجوديه الأساسيه التي يقوم عليها ما بعدها ، و هو الفلك الأكبر " من الحكمه " و هو ما تفرع عنها مما تفرع مما ذكره القرءآن . و لهذا من لا يرى " أوحى إليك ربك " و لا يعتقد بمضمونها ، سوف لن يعني له أي شئ فعلي قوله " من الحكمه " . و هذا طبيعي و منطقي . و لكن ما يهمنا في هذه الفقره هو ما ذكره بعد ذلك إذ قال " و لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم " . فبعد أن ذكر الكثره الفكريه - شرعيه و علميه - ختمها بالعوده إلى المبدأ

الأعلى و هو الوحده الإلهيه . و بين أن زوال هذه الوحده العاليه ينفي كل ما سوى ذلك " فتلقى في جهنم" . فالتوحيد هو الفلك الأعظم . ثم يليه العلم الذي هو الفلك الأكبر ، ثم يليه الشرع الذي هو الفلك الأصغر . و هذه أفلاك العالي منها يحيط بالداني ، و ليست دوائر منفصل بعضها عن بعض. و هذا المبدأ و النظام الكوني الناشئ عنه هو الحد الفاصل بين الأمه المقدسه و الأمه النجسه. فالأمه النجسه - و التي أهم و أحسن ممثل لها هو الحضاره الغربيه الهمجيه - لا تقوم على هذا المبدأ المتعالي ، و بالتالي ليس فيها نظام حقيقي ، و من هنا كونها " همجيه " بالمعنى الصحيح لهذه الكلمه . و بالطبع " من تبعني فإنه مني " ، أصل ثابت ينطبق على من يتبع الأمه المقدسه فيكون منها - كل بحسب قدره و منزلته - و كذلك ينطبق على من يتبع الأمه النجسه فيكون أيضا منها . و الافراد و المجتمعات التي تتبع المنظومه الحداثيه ، سواء في رؤيتها الوجوديه العامه أو ما يتفرع عن ذلك من أفلاك و في الواقع لا يتبع أحد فلك أصغر إلا بعد أن يكون قد أقر بنحو أو بآخر بالفلك الأكبر المحيط به بدرجه أو بأخرى - و حيث أننا نتحدث عن أمم نجسه عرفانيا فإن العباره الأدق هي " بدركه أو بأخرى " . و لا يوجد في التاريخ الأرضي للحضاره الإسلاميه - بمختلف ألوانها و أطيافها و التي يجمعها المبدأ المقدس العام - زمن انحدرت فيه حضارتنا بقدر هذا الزمن و بالأخص في القرن الفائت ، أي القرن العشرين . و حتى في أصغر الأمور تستطيع أن تطلع على هذا الانحدار . و لنضرب مثلا واحدا ينفعنا في أكثر من ناحيه ، مثل لموضوع صغير و لكن له دلالته الخاصه . و هو موضوع الفن .

كل أمه مقدسه ، أي قائمه على مبدأ و نظام نازل من العالم الأعلى ، تتمحور حضارتها عموما حول المظهر الأعظم - غالبا واحد أو اثنين - لهذا المبدأ و النظام الذي تنزل عليها و به قامت هذه الأمه . فيما يخص أمتنا المحمديه ، فإن الذي نزل هو كتاب و رسول . و الكتاب هو المحور الأعظم ، و لهذا قيل للرسول " اتبع ما أنزل إليك من ربك " و قال " إن أتبع إلا ما يوحى إلي" و لهذا حين جاء وقت الوراثه للرسول الأعظم قال عليه السلام " تركت فيكم ما لو تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي " . فكتاب الله هو الثقل الأكبر ، و عترته أهل بيته - و رأسهم حضره علي عليه السلام " من كنت مولاه فعلي مولاه " - هم الثقل الأصغر . فقرءان و إنسان كامل تابع للقرءآن . هذه هي قاعده و كعبه أمتنا. و لصياغه هذه الكعبه في عباره شامله قلنا " لا كتاب إلا كتاب الله و لا إمام إلا المعلم لكتاب الله " . و التي هي الشهاده الثالثه في المرتبه النفسيه ، التي تتبع الشهاده الثانيه في المرتبه الروحيه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، و التي تتبع الشهاده الأولى في المرتبه الإلهيه " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " . و الشهاده المطلقه هي " الوجود مطلق و له مراتب " . فالقرءآن في الأرض هو مظهر الله تعالى ، و هو العرش ، و هو جبريل ، و هو الرسول، و هو الولي . و ما سوى ذلك فيدور في فلك القرءآن . فالفنون الإسلاميه - و التي يجوز أن يطلق عليها هذا الإسم - هي الفنون التي تنبع من القرءآن و تدور في فلكه . هذه هي الفنون العاليه . أو الفن الأكبر . ثم تأتي دونها الفنون التي تنبع من الإنسان الكامل أو العارف أو الولي و ما يتعلق به - و من أبرز أمثله ذلك الأضرحه و المزارات المتعلقه بهم سلام الله و رضوانه عليهم أجمعين . و هذا هو الفن الأصغر . فإذا ركزنا على الفن الأكبر ، فسنجد أن القرءآن - كما ذكرنا في مقالات سابقه - يظهر لنا في صوره مكتوبه و مسموعه . و لهذا كان الخط و التجويد هما أعظم مظاهر الفن الأكبر في الأمه المحمديه . فإذا نظرنا في المحتوى القرءآني ، و الذي هو البحر المحيط ، سنجد أن أعلى القيم فيه هي المتعلقه بالعقل و شؤونه . و ما سوى ذلك فيتفرع عنه و يدور في فلكه . إذ عدم العقل يعني الكفر . " و ما كان لنفس أن تؤمن إلا

بإذن الله ، و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " . فمنزله فنون الخط و التجويد في المظهر ، توازي منزله العقل في الجوهر . و طبعا لا يستطيع أحد أن يعظم العقل إلا و يجد في قلبه حبا عظيما للكتب عموما ، فإذا أضفنا إلى هذا كون روح الأمه المحمديه تتمثل في كتاب ، فإن هذا الحب يتعظم و ينشأ تلقائيا . و فن المسموعات و الصوتيات سيكون منشأ اهتمام عظيم كذلك إذ القرءآن تم حفظه في السطور و الصدور ، و نشره في السطور يتم بالكتب ، و نقله بين الصدور يتم بالسماع و الصوتيات و الجماليات المتعلقه بذلك أي فن التجويد و الموسيقى الصوتيه - و إن كان التجويد لم يسمى موسيقى أو غناء لسبب مهم سنذكره بعد قليل إن شاء الله . فالحاصل أن الحضاره الإسلاميه تتمثل في أمور ثلاثه ، واحد جوهري و اثنان يمكن أن يسمى كل منهما أنه مظهري . الجوهري هو العقل . و المظهري الأول هو الكتاب . و المظهري الثاني هو التجويد . الأمه عموما في السابق ، كما اليوم و لكن إلى حد أضعف بكثير بسبب طغيان الهمجيه الحداثيه و جهل جماهير الأمه و قادتها إلى حد كبير بطبيعه هذا الطغيان و فلسفته فضلا عن الجهل بحقيقه الأمه المحمديه و مقوماتها و مظاهرها ، هذا إن لم نقل بسبب فساد القاده الفكريين و السياسيين جمله و تفصيلا ، و إن غفل الراعي شبع الذئب - كانت الأمه في السابق تعرف هذا و كان مغروزا في قلبها . و لهذا إذا نظرت إلى أحوال الأمه عموما ، و إذا نظرت في كيفيه تفاعلها مع غيرها من الحضارات ، ستجد أن هذا الأمر كان ثابتا و قائما . فمثلا ، ستجد أن ما أطلقنا عليه " الهوس بالكتب " كان و لله الحمد قائما على قدم و ساق . و ما يتفرع ذلك من مقدمات الكتابه كالتأمل و البحث و تيسير المعيشه لطالب العلم و تيسير سبل السفر بين البلدان الإسلاميه و احترام الناس عامه للعالم و الحكيم و غير ذلك من مقدمات الكتب و نتائجها كان قائما ، و قد كان في بغداد وحدها مثلا في القرن الثاني و الثالث الهجري من الكتب أكثر مما وجد في أوروبا كلها من الكتب لمده ألف سنه بعد ذلك مجموع بعضها إلى بعض . بل حتى هذه الكتب القليله التي وجدت في أوروبا بعد ألف سنه كان معظمها تقريبا من نتاج الحضاره الإسلاميه (و ليس الحضاره " العربيه " كما يزعم بعض الذي يهذون من الغرب و الشرق أيضا) . و لكن إذا نظرنا إلى ما " اقتبسه " المسلمون من الحضارات التي خالطوها ، سنجد أمر مهم جدا و هو أمر يغفله الكثير من الغربيين و الشرقيين أيضا - مع الأسف ممن ينتمي إلى صف المسلمين أحيانا . ما هو هذا الأمر ؟ الجواب : إنه اقتباس مع غربله مبنويه و معنويه .

ما معنى غربله مبنويه و معنويه ؟ الغربله المبنويه تتمثل في كون المسلمون لم يأخذوا لا من الإغريق أو الرومان أو الهنود مثلا ما يتعلق بالفنون المسرحيه بأنواعها ، و لا ما يتعلق بالنحت و التماثيل البشريه كما هي مشهوره في بعض هذه الحضارات ، و لا ما يتعلق بالبناء المعماري بالصوره التي كانت عليها الحضاره الإغريقيه أو الرومانيه و أسلوبها الميت روحيا في البناء . و لكن أخذوا منهم مثلا - و هنا الغربله المعنويه - ما يتعلق بأمور العقل و الفكر و المنطق و الشعر إلى حد ما و ما يمكن استعماله لتيسير الكتابه و شؤونها ، و كذلك ما يتعلق بالموسيقى و نظرياتها . طبعا الغربله سرت أيضا على كثير من موضوعات هذه الاقتباسات ، و تم طرح ما فيها من ضعيف و إضافه الأمور إليها ، و الفلسفه مثلا تم مضاعفه عدد مسائلها ضعفين أو ثلاثه على يد المسلمين ، و غير ذلك مما يتعلق بهذه الأمور . باختصار ، أخذ المسلمون ما يتعلق بالأمور الثلاثه التي تقوم عليها الحضاره الإسلاميه : العقل و الكتابه و الصوت . هذا لا يعني أن الأخذ محصور بهذه الثلاثه ، و لكنك ستجد أن عموم ما تم أخذه يتناسب مع طبيعه الأمه و روحها ، و في حال كان الشئ يمكن أن يتم " أسلمته " و إدخاله بلا تصنع أو تكلف في فلك الإسلام المحمدي فإنه يتم قبوله ، و لكن إذا كان الشئ يتنافى مع رؤيتنا الوجوديه أو طريقه تعاملنا مع العالم فإنه يتم رفضه كائنا ما كان . و منه تم

رفض الفن المسرحي التمثيلي ، و فن النحت البشري . و لذلك لم يظهر هذا الفن المسرحي ظهورا شديدا في أمتنا إلا في عهد قريب جدا ، أي في زمن الإنحطاط و الخضوع الأعمى لطغيان الحداثه. و هذا كاشف و شاهد من الشواهد على غفله الأمه عن حقيقه مقامها و مبدأها و نظامها . و أما عن الموسقى و الغناء ، فإن علم تجويد القرءان لم يتم تسميته بالموسيقى و إن كان يوجد روايات نبويه تتحدث عن التغني بالقرءآن ، إلا أن المحذور كان في أمرين : لا يمكن أن يتم نسبه للقرءآن - لا مظهرا و لا جوهرا - شئ منتمي إلى جسم غريب تماما عن الأمه ، و كلمه "موسيقى" ليست كلمه عربيه أصلا ، و الحفاظ على نقاوه القرءآن و ما يتعلق به أمر ضروري إلى هذه الدرجه . و ثانيا إن الموسيقى و الغناء من الأمور المشتركه ، أي يمكن أن تكون نورانيه أو ظلمانيه . و من أجاز " السماع " كعموم الساده الصوفيه - رضوان الله عليهم - إنما أجاز الجانب النوراني منه . و من حرم الغناء كبعض أصحاب الفقه الأصغر إنما نظر إلى الجانب الظلماتي . فلا يوجد خلاف في تحليل الموسيقى أو تحريمها ، فالكل متفق على تحريم الموسيقى الظماتيه ، و إنما الخلاف هو في نوع هذه الموسيقى و محيطها الذي تتم فيه . و أما من ضاقت حوصلتهم عن استيعاب هذه الفروق الذوقيه ، فإنه ليس باستطاعه كل إنسان أن يكون ذا حوصله واسعه و ذوق دقيق . و لكن نظر أهل الاعتبار و الفكر العالي ينبغي أن يرى في مقوله الضيق الحوصله ما هو أوسع من نفس مقولته ، سواء عرف هو ذاته هذا المضمون أم لا . و لكن على أيه حال ، بسبب هذا الخلاف الواقعي في نفس الموسيقى ، و التي تنتمي إلى المستوى النفساني على أيه حال ، سواء كانت موسيقى نورانيه أو ظلماتيه ، فإنها في كلا الحالين لا تتجاوز في ذاتها المستوى النفساني ، إذ الموسيقى طعام النفس السفليه ، كما أن هذا الغذاء طعام البدن ، و كما أنه يوجد طعام بدني حلال و حرام ، كذلك يوجد طعام نفساني حلال و حرام ، بحسب كون الطعام مما يدخل تحت حقيقه " الطيب " أو "الخبيث " ، و قد يكون الطعام طيبا في ذاته ، جائزا في الشرع ، و لكن ظروفه و محيطه يقتضي منعه ، كمن يعلم أن اللحم الذي قدمه له ضيفه هو لحم مسروق ، أو كان السياسي يقدم طعاما لعالم من العلماء حتى يمن عليه و تكون له يد عليه فيضغط عليه نفسيا ليعمل تحت إمرته و يسخر الشريعه له فيحرك هذا الطعام على هذا العالم حتى لو كان طعاما نازلا من الجنه . فالعبره ليست في ذات الطعام ، بل في الأعراض المحيطه به . كذلك في الموسيقى ، يجب اعتبار ذاتها و أعراضها . و من يساوي الموسيقى الصوفيه مثلا ، و الموسيقى الغربيه المسماه " روك اند رول " و التي تعبر بدقه عن نفسيه الغربي عموما و قيمه حضارته ، فإنه يظلم نفسه و غيره و يعترف بمساواته هذه أنه لا ذوق له . " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون " . فلم يسمى فن تلاوه القرءآن بالموسيقى أو حتى بالغناء عموما من أجل أن ذات كلمه موسيقى و شؤونها مما يدخل في العالم النفساني السفلي و الذي فيه نور و ظلام ، و مبدأ القرءآن من فوق هذا العالم . و الغناء عموما كان مرتبطا بالنوع الظلماتي منه و الذي كان ينغمس فيه جهال العرب و الأعراب من قوم النبي الأول عليه السلام ، فتم إطلاق الكلمه في بعض الروايات في سياق يقبلها ، كقوله " ليس منا من لم يتغن بالقرءآن " ، و لكن تم رفض الكلمه في بعض الروايات ، كالتي منعت من التغني به بأصوات أهل الفسق و ما لازم ذلك . و هنا نجد هذه الثنائيه فيما يتعلق بهذا العالم الذي تسبح فيه شؤون الموسيقى و الغناء ، و هو عالم ثنائي يحتمل نورانيه و ظلماتيه ، و لا يقرن عاقل القرءآن بشئ من هذا كله .

و خلاصه القول : إن الأمه في تاريخها الذي كانت فيه أمه قائمه فعلا عالمه بماهيتها و رؤيتها و قيمها ، تفاعلت مع كل الأمم التي حولها ، و لم تحجز نفسها عن أحد ، و لكن في كل الأحوال كان تتفاعل كأمه محمديه ، و ليس كأمه هلاميه . كانت شجره طيبه أصلها ثابت ، و لم تكن شجره خبيثه

اجتثت رؤيتها من فوق قلوبها فما لها من قرار و لا استقرار . و من كان يبتغي العزه باتخاذ الحداثه و الغرب كآلهه ، فليعلم أنه سيفشل على الأغلب ، و إن نجح في ذلك فإنه لن يكون - حتى في أعين آلهته و أربابه - إلا ككلب من كلابهم ، حاشا ، إنهم يحترمون كلابهم أكثر منكم حتى لو أطعتموهم كطاعه كلابهم لهم . فويل لأمه هي خير أمه أخرجت للناس ، حين تخسر روحها و مبادئها المقدسه ، و تخسر دنياها أيضا ، " خسر الدنيا و الآخره ألا ذلك هو الخسران المبين " . فهل من مدكر !

...

" و علمه " ما هي الطريقه المثلى لتعليم القرءآن ، أي من أين يجب أن يبدأ التعليم . هل تكون البدايه من الإنسان ، أم بترتيب معين للسور ، أم بالمواضيع القرءآنيه ، أم ماذا ؟ إذا نظرنا في الكتاب العزيز فسنجد "سبل" لله تعالى ، و إن كانت هذه السبل الكثيره هي أيضا "سبيل" واحد باعتبار آخر . فلسنا هنا في مقام الحصر ، و لكن لتأسيس تعليم قرءاني يكون هو الأفضل من اعتبار معين مبني على حكمه بينه و راسخه بحيث تكون أقوم من غيرها .

فإذا نظرنا إلى الايات التي تبين عمل الرسول ، و هي المذكوره في آيه المنه الإلهيه و الدعوه الإبراهيميه الإسماعيليه ، فسنجد أن أعمال الرسول خمسه : تلاوه الآيات و التزكيه و تعليم الكتاب و الحكمه و التزكيه و التعليم المطلق . فإذا نظرنا إلى قول النبي عليه السلام "و علمه" بمنظار هذه الايات الكريمه ، فسيخرج لنا التدرج التالي في التعليم ، أي هذا التسلسل الخماسي الذي ذكرناه . و نلاحظ أنه لا يوجد فيها " تحفيظ للقرءآن " ، التحفيظ هنا بمعنى الحفظ عن ظهر قلب ، و الذي هو الشغل الشاغل و يكاد يكون الأوحد - بالإضافه إلى التجويد الصوتي - للغالبيه العظمى من الناس . و هذا معقول ، إذ في الأعمال الرسوليه الخمسه ، باستثناء الأول ، جهاد استثنائي ، بل هو الجهاد الأكبر على التحقيق . و حيث إن الكسل هو الغالب على العوام ، فإن الفرار من هذا الزحف الأكبر على جيوش الظلمات النفسانيه بشتى عوالمها الفوقيه و التحتيه ، يعتبر من " الحر " الذي لا يريد أكثر الناس أن يخرجوا فيه . و حيث إنهم لا يعلمون أن " نار جهنم أشد حرا " ، فإن النتيجه تكون فرار من الزحف الأكبر . و لكن لا يريد من أسلم من الأعراب عموما أن يقطع صلته بالعمل الديني كله ، فيسعى إلى أن يتخذ بين ولوج الزحف الأكبر و بين الفرار منه سبيلا . و بما أن القرءآن و فقهه هو مدار الأمر كله ، فإنه هو الساحه المقدسه التي بها تظهر معادن الرجال و يتم وزن نفوس الناس في ميزان الحق تعالى فيعرف كل واحد ما هي قيمه نفسه إذ الله " اشترى من المؤمنين أنفسهم " و كما أشار مولانا جلال الدين في مجالسه السبعه ، فإن الله تعالى لا يشترى أي نفس ! إن كنا نقول أن الملك البشري إذا اشترى ثوبا و اشترى الفقير المدقع ثوبا ، فإن مجرد نسبه شراء الثوب إلى الملك تثبت عظمه و شرف هذا الثوب و قيمته الغاليه - في موازين الدنيا المتفرعنه طبعا - و نسبه شراء الثوب إلى الفقير تثبت بحد ذاتها من حيث حجيه الاقتران و دلالته على أن قيمه هذا الثوب - و إن لم يتم ذكر هذه الأمور في المقوله - لا شك أنها متدنيه و بائسه . فإن كان الحق تعالى يقول " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم " فإن هذا كاف لمن كان له عقل ليدرك عن أي نفوس هنا يتحدث القرءآن العظيم ، ثم إذا أضاف البيان التالي و هو ذكر ثمن هذا الشراء فيقول " بأن لهم الجنه " فعندها نعلم بأن نفوس المؤمنين المقصوده هنا و بحكم العداله لابد أن تكون قيمتها و مستواها من نفس مستوى هذه الجنه ، إذ عدم التطفيف في الميزان و عدم بخس الناس أشياءهم يقتضي أن يكون

ثمن شراء الشئ مواز لقيمه الشئ، و حيث إن قيمه نفس المؤمن التي اشتراها الله تعالى هي " الجنه " فإن نفس المؤمن المقصوده تكون هي عين الجنه . فانظر إلى ما ذكره الله عن الجنه و عظمتها لتعرف ما هي النفس التي يتحدث الله عنها و لا تظن أيها المسكين الذي لا تزال تتردد في اتباع أوليات طريق المعرفه أنك المقصود بهذه النفس بمجرد أن هززت رأسك بضعه مرات في اليوم . هيهات أن يستوى من خلع نعل الكونين مع من تلبس بل استغرق في الجهالتين ، جهاله الحقائق المقدسه و جهاله تجلياتها في العوالم المكرمه . و إن تأويل الآيات التي تتحدث عن الجنه بحيث تعطي دلالات عن النفس الطاهره يجد أساسه من هذه الآيه الكريمه لمن عقل الأمثال و تحرر قلبه من الجبال . فليس من مهام الرسول و لا من مهام المؤمنين التي ذكرها الله تعالى و لو مره واحده في كتابه كله أنهم من "حفظه" كتابه . و إن تعسفنا أو استنبطنا من هنا أو هناك أنه يدخل في اهتمامات المؤمنين حفظ القرءآن عن ظهر قلب ، و هو أمر عظيم و لا شك في ذاته من حيثيات معينه ، فإنه لن يكون له دور إلى دور ثانوي مقارنه بعقل القرءآن و التفقه فيه ، بل ليس " ثانوي " فقط ، إذ بناءا على آيات أعمال الرسول الخمسه ، فإنه سيكون عمل "سادسي" في أحسن الأحوال . و بحمد الله تعالى فإن كتاب الله تعالى محفوظ في السطور بحيث أن اجتماع الثقلين على رفع نصه من الأرض محال بإذن الله ، و " إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون " . و لكن لو قلنا بأن الإنسان سيبدأ تعلمه للقرءآن من سن صغيره ، كما هو واقع فعلا في كثير من بلاد المسلمين بحمد الله تعالى ، فإنه حيث أن مراتب التزكيه و التعليم تحتاج إلى بلوغ السعي أو ما فوق ذلك ، فإن انشغال الطالب بحفظ كتاب الله هو من باب تعلم تلاوته من جانب ، و من جانب آخر ملئ للصدر و المحيط ببركات القرءآن اللانهائيه ، فهو عمل محمود بهذه الاعتبارات . و خير لطلاب المسلمين من أن ينشغلوا بحفظ كتاب الله تعالى و تلاوته منذ الصغر ، من أن ينشغلوا بهذه الأمراض العقليه و النفسيه التي أسستها المدارس الحداثيه ، و التي " يندرس " فيها العقل العالي للإنسان الحر كما ينقبر الصقر إذا وضعنا فوقه سبعمائه كيس من الطين اللازب . و على كل حال فهذا مستوى أولي ، و يقرن به تعلم أوليات اللسان العربي ، قراءه و كتابه و خطا و تجويدا و فقها .
فالمرحله الأولى في تعلم القرءآن - خصوصا بالنسبه للتعلم من الصغر - يمكن جمعها في عبارتين : حفظ القرءآن و فقه شؤون اللسان .

أما المراحل التاليه لذلك فهي محل السؤال الأصلي الذي بدأنا به هذه الفقره . و الذي هو العمده عندنا هو أن يبدأ الإنسان بمعرفه الله تعالى . نعم ، يبدأ من الأعلى المطلق سبحانه . و يجاهد في سبيل هذه المعرفه ، و لو بقي عليها ما بقي ، حتى يرسخ فيها إلى حد كبير ، مع العلم أنه يستحيل أن يفرغ إنسان من معرفه الله تعالى تماما ، إذ " لا يحيطون به علما " ، و لكن حتى يرسخ في هذه المعرفه و شؤونها ، و يحيا بها و فيها ، و يدخل في أطوار المكاشفه و الفتح بمراتبه ، و يستغرق في عالم الذكر و الوحده ، باختصار : معرفه الله وعيا و عقلا و شعورا و قولا و فعلا . ثم بعد ذلك يذهب حيث يشاء الله تعالى له أن يذهب . إذ كل ما يكون بعد ذلك سيكون استناره و مزيد نور ، مهما كان و أيا كان إن شاء الله ، إذ بالله كل شئ يصبح إلهي . و هو قول حضره علي عليه السلام " أول الدين معرفته ".

أما السائد مع الأسف منذ القدم هو العكس تماما . فإن القوم بل الأقوام زعموا ما مفاده : آخر الدين معرفته ! و هذا كله من المثل السائد أي النمط و النموذج الجهنمي الذي جعل عالي الأمور سافلها . و عندما بدأ القوم من الأسفل ، كان كل ترقيهم - على فرض أنه ترقي فعلا - مقيدا و محدودا بمبدأهم

السفلي . و قد قال الحكيم السكندري من قبل لهم " من أشرقت بدايته أشرقت نهايته " ، و المشرق الحق لا يكون إلا من مطلع شمس الذات الأحديه في مرتبه الهويه المطلقه بالوحده الوجوديه الصرفه . فقول الحكيم الإلهي " أشرقت بدايته " يعني أن يبدأ الإنسان وعيه و عقله من ذاك المقام المطلق الأقدس لا إله إلا هو . فيكون كل سعيه التنزلي بعد ذلك في درجات و دركات الوجود و التكوين ثابته و معقوله و ظاهره بنور ذاك المقام الأقدس سبحانه و تعالى ، إذ " الله نور السموات و الأرض " و أما الأقوام فتزعم ما مفاده : الأرض و السموات نور الله ! فيزعم المساجين أن " النظر في الخلق يدل على الخالق " هيهات أن يدل عليه من هو النور الذي يكشفه و هو عين تعينه و مظهره . إن السموات و الأرض ، و من فيهن و ما فيهن ، ظلام في ظلام . و الله هو نور هذا الظلام . فمن زعم أنه يرى الشمس بظلمات المقابر فقد انتكس و ارتكس . و لا نعلم كيف يعقل شئ من هذا القبيل أصلا . و لهذا يؤول بهم الأمر إلى الشك الدائم في كل شئ ، ثم إلى الإلحاد العملي إن لم يكن النظري ، و قبل ذلك إلى ما هو أسوأ من السطحيه في التعاطي مع النفس و الوجود و القرءآن ، و هذا ليس بمستغرب ، إذ ألا ترى الغرفه المظلمه تماما لها لون واحد و سطح واحد " بسيط " . إن كل هذا الجهد - و الذي هو هباءآ منثورا في نفس الأمر - في السعي إلى تقرير مطالب الدين و "إقناع" الآخرين بها ، عندما يخرج من أناس من تشرق بدايتهم ، فإنها لا تثمر شيئا إذ هذا الخارج هو من مصاديق بل من ثمار الشجره التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فإذا أضفنا إلى هذا أن يكون المستمع أيضا ممن أظلمت بدايته ، فإن المشهد الإقناعي و الدعوي و " العلمي " هذا يبدو أشبه بمسرحيه كوميديه سخيفه ليس فيها حتى تمثيل يستحق الضحك عليه . فلنعرض عن هذا النمط المقلوب ، و هذه القلوب التي نكست فأصبحت بعباره النبي الأكرم عليه السلام " كالكوز مجخيا " . و هل ما يحدث في العالم المعاصر خصوصا إلا مصداقا من أوضح المصاديق لهذا الكوز المقلوب ، و الذي أصبح عاليه سافله ، و هل ما كان في الماضي قائما إلا عين ما هو اليوم أيضا قائم ، اللهم أن الفرق هو أن الناس في الماضي كانوا يحيون عموما في أجواء راقيه في ظل النظام الديني العام ، و أما اليوم فإنه بالإضافه إلى القلوب المنكوسه ، فإن التنظير قد قام على قدم و ساق و لا يزال و قرر للكثير من البشر أن هذا القلب المنكوس هو القلب السليم ، ثم أحاطوا المجتمعات بهذه القبائح الحداثيه التي لم تترك مجال تقريبا إلا و دخلته ، حتى لتبدو و كأنها عين فتنه الدجال في المرويات . و لكننا نعلم - على خلاف ما يعتقده البعض - من أن الحداثه و شؤونها ليست هي بالتحديد مصداق فتنه الدجال ، لأن الدجال " أعور " فله عين سليمه و عين عمياء ، و أما الحداثه و أهلها فإنهم عمي بالكليه ، فلا يمين و لا يسار ! اقلب الحداثه رأسا على عقب ، تجد نفسك في حضره الإمام المهدي عليه السلام .

" و الذين جهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " . لاحظ من أين بدأ و إلى أين انتهى . بدأ من نفسه سبحانه ، ثم ثنى بسبله و التي هي مظاهره و طرقه و تجلياته و صوره في خلقه . " جهدوا فينا " أولا ، " لنهدينهم سبلنا " ثانيا ، و كنتيجه من نتائج ، و ثمره من شجره الجهاد في الله و أسمائه الحسنى . و قد يقال : إن بدايه الطريق بالدخول في المعارف الإلهيه سيكون أمرا شاقا جدا على الناس خصوصا الذين يبتدأون في الطريق . الجواب : " و الذين جهدوا فينا" و إنما ذكر الجهاد لأنه يعلم أنه سيكون ثم جهاد . فليكف الناس عن مفاهيمهم الهمجيه عن الجهاد ، و ليسلكوا في هذا الجهاد ، فإنه هنا جهاد الرجال ، و أما ذاك الذي يزعمه من لا يزن عند ربي جناح بعوضه ، فإن المرتزقه و الجلادين يحسنونه منذ القدم ، على أيه مله أو نحله كانوا . قد يقال : إن عباراتك قاسيه ! الجواب : إن الحق تعالى سماها "صيحه" و لم يسميها "همسه" ، فاعقل إن كنت أهلا للعقل . و لسنا " نسوق " لأفكار ،

و لا نريد من أحد شيئا حتى نتملق له ، و إنما يفيض وجداننا على قلمنا ، و ليست القسوه بدقه العباره ، و لكن القسوه هي تعليم ما يقسي القلب و يميت اللب و يقتل الحب . و إلا لكانت " تبت يدا أبي لهب و تب " أيضا من قساوه العباره . و من أمراض الحداثه العاطفه الضعيفه . ففرق بين المشاعر و بين العواطف . المشاعر تنبع في قلوب العرفاء و من سلك في طريقهم ، و دمعه واحده أو انفعاله واحده من عارف تكفي لهز الكون من أعماقه . و أما العواطف و " الإيجابيه " التي هي أحد الأصنام التي يتعبد لها أهل الحداثه ، فإنها ليست من المشاعر في شئ ، و لا هي من الإيجابيه الراقيه في شئ . و إنما هي انعكاس للامتلاء بالسلبيه و الظلماتيه المعرفيه ، فيريد الشخص الحداثي هذا أن يهرب من هذه السلبيه التي تملأ قلبه و أعماق نفسه ، و هذا طبيعي من كل إنسان خلو من المبدأ الأعلى و تجلياته النورانيه العرشيه و الملكوتيه و الملكيه . و كثيرا ما تجد هؤلاء يتعلقون ب " اليوجا " أو ما يخرج من الهند و اليابان من أمور روجها بينهم دجاجله العصر ، بزعم أنهم يعلمونهم " التأمل " . و إن مجرد وجود هذه النزعه و التي انتشرت في الغرب منذ نحو قرن أو أقل ، و بدأت في هذه السنوات الأخيره بالدخول حتى إلى بلاد الحجاز الشريف و غيره من بلاد المسلمين ، هذه النزعه إلى التعلق بكل ما يؤدي إلى الاسترخاء الذهني ، و الهروب إلى شئ شرقي ، كافيه للتدليل على أن الناس بدأوا بشكل "عملي " في الفرار من هذه النيران التي أشعلتها الحضاره الغربيه في نفسياتهم- أقول "حضاره" مجازا، فلسنا نعترف أصلا بوجود حضاره تقوم على أساس همجي بتعبير النبي عليه السلام كما سنذكر إن شاء الله في الأبواب التاليه إن شاء الله . أضف إلى ذلك الانتشار العجيب و القبول الاجتماعي الشبه مبطن بل الظاهر في كثير من النواحي لتعاطي أنواع المخدرات المهدئه ، بل في أمريكا الآن أصبح تعاطي الماريوانا قانونيا حتى في العاصمه واشنطن ، و أما انتشار مثل هذه الأشياء في بلاد العرب و الخليج فحدث و لا حرج ، و نظره واحده في الكميات التي تقول الجرائد أن مكافحه المخدرات صادرتها على الحدود ، يدلك على أن تجار المخدرات يعلمون بوجود سوق هائله لمنتجهم في هذه البلاد - يبدو أن الجرائد التي تريد أن تعظم إداره الدوله بيد طعنت الشعب باليد الأخرى من حيث لا تحتسب . لاحظ أن الاسترخاء الذهني ، سواء بوسيله خارجيه كالمخدرات أو شخصيه كالتأمل الصوري ، أصبح من الأمور التي ينخرط فيها أعداد لا بأس بها من عامه الشعوب . و إن قبول الشعوب الإسلاميه بدخول المخدرات - قبولا ضمنيا أو غير ذلك - أو دخول طرق و صور مستورده من ديانات أخرى بحجه أو بأخرى و بتبرير أو بآخر ، و كذلك خضوع الغرب الأوروبي و الامريكي إلى السلطه الشرقيه للهند و اليابان مثلا أي السلطه المتعلقه بالراحه النفسانيه، و قبولهم لما انتجته تلك الحضارات ، بعد أن كانوا يرون أنفسهم " منوري العالم " و أصحاب "أعظم عقول و حضاره في التاريخ " و القادرين على "السيطره على الطبيعه و تطويعها للحاجات البشريه " - نعم يبدو أنهم قادرين على السيطره على كل شئ إلا أنفسهم و هواجسها و أذهانهم التي لا تعرف الهدوء و الاستقرار إلا قليلا أو حتى عدم هذا القليل . كل هذا من صور الاهتمام الزائد بالعاطفيه المبتوره عن ما هو أعلى منها ، كالأفكار الملكوتيه و الحقائق العرشيه و المبادئ الوجوديه و الهويه المحضه تقدست و تعالت ، كل ما هو أعلى من الذهن السفلي و النفسانيه الدنيه التي يضرب المثل لأهلها بالكلاب و الحمير و الخنازير و القرده و الثيران و السباع ، و هذا في كل التقاليد و الحضارات الحقيقه في التاريخ الإنساني إلى يومنا هذا ، نعم ، أصحاب هذه الذهنيه يريدون أن يخرجوا نورا من المغرب ، يريدون أن تشرق الشمس من تحت أرجلهم و ليس من فوق رؤوسهم ، فبعد أن مرت بضعه قرون من التعالي الصرف على الشرق و معطياته ، بدأت قبل فتره التنازلات و الخضوع النسبي لذلك الشرق ، و إن كان خضوعا سطحيا سخيفا يناسب الخاضع و ذهنيته و مستواه المعنوي و محيطه الاجتماعي الميت الميكانيكي . و لكن أخذهم لهذا النزر اليسير و

فرحهم به ذلك الفرح الشديد ، لدليل كاف لأهل البصيره لكشف مدى السوء الذي وصل إليه القوم و مدى التعاسه و الحيره التي هم فيها ، و هذا أيضا طبيعي و متوقع . فهذا يشبه سيدا عنده أربعه أنهار من ماء و لبن و خمر و عسل في جنه خضراء . فأعرض عنه عبده و أبق ، ففر منه و زعم أنه سيجد الجنه في الصحراء الميته ، فهام على وجهه فيها فتره طويله من الزمن ، حتى كاد العطش أن يهلكه ، كل هذا و العبد الآبق يزعم أن الصحراء هي الفردوس الأعلى ، فلما أشفق عليه سيده بعد أن اطلع على قرب موته من العطش و الحر ، فأرسل له قطره من الماء العذب الفرات ، فلما رآها العبد الآبق المتصحر أمسك بالقطره و وضعها في كأس زجاجي و راح يطوف حولها و يرقص و يدندن و يقول فيها الأشعار و الغزليات ، و لسان حاله يقول : ما الماء إلا أنت و الماء كله فيك ! فلما شرب القطره جزم بأن بئر زمزم تفجر فيه و جبرائيل نفخ في فيه. فنقول لهذا العبد الآبق : ارجع إلى الجنه ، و كل منها رغدا حيث تشاء ، و كيف عن هذا فإن رحمه الله لا تحل على العبد الآبق حتى يرجع إلى سيده و مولاه . و الغرب بدون الشرق لا يساوي صفرا على الشمال . و كلامنا لأهل الشرق و القرءآن هو نفس ما قاله الإمام علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفيه حين أعطاه الرايه في إحدى المعارك مع آباء القلوب المنكوسه و منظري شؤونها " تزول الجبال و لا تزول " . فاثبتوا على القرءآن ، بل تعلموه أولا ، و لا ترتدوا على أعقابكم القهقرى باتباع قوم لا يزنوا عند الله و رسوله جناح بعوضه ، و أنتم لا تزنوا عندهم جناح بعوضه ! " و إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " .

...

١٢ - " إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم "

فقدر عقول الناس هو قدر كلام الأنبياء ! و حيث إن كلام الأنبياء هو أعظم و أعمق و أعقد و أبسط و أكبر و أوسع و أحق و أصدق كلام ، فهذا يعني أن كل هذه السمات تنطبق على قدر عقول الناس كما هي في نفسها ، و ليس بالضروره كما تفعلت في هذا الإنسان أو ذاك .

لعله لا يوجد عباره أسئ استعمالها بقدر هذه العباره النبويه الشريفه . بل تم قلب معناها تماما. فبدل أن يكون المعنى الحق هو المتبع ، أي أنه يجب على العلماء - الذين هم ورثه مقامات و أحوال الأنبياء - أن يكلموا الناس على قدر عقولهم العظيمه التي توازي و تناظر قدر كلام الأنبياء و منطقهم العالي ، و هذا هو الطريق الذي سار عليه العرفاء فعلا ، فإن الأئمه الذين يدعون إلى النار ، و هم ليسوا العلماء حقا بل كاريكاتور العلماء حقا ، و مثلهم كمثل يوسف إذا وقف أمام مرآه مقعره ، فإن وجهه الجميل الذي يجعل الشمس تنكسف من شده جماله و إشعاعه و سلطانه النوراني ، يبدوا و كأنه مسخ ليس وراءه مسخ ، و يوسف هنا هو علم النبوه و منطقها ، و المرآه المقعره علماء الكذب و سحره فرعون ، و المرآه المستويه المصقوله الطاهره هي العلماء العرفاء الذين هم ورثه الأنبياء في المقامات و الأحوال و القوه المعنويه و السلطنه العقليه ، و الانقلاب هو أنه تم استعمال هذه العباره النبويه من أجل تبرير عرض الساذج و السخيف على الناس ، على المسلمين . فإن قيل لهم : لماذا تعرضون هذه الأمور السطحيه الساذجه بل السخيفه بل الكاذبه كما نعلم و تعلمون على الناس ؟ يقولون : إنا نحن العلماء ورثه الأنبياء، و قال النبي عليه السلام " إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم " و عقول الناس ساذجه و سخيفه و سطحيه ، فنحن نكلمهم على قدر عقولهم هذه. و بهذا وقعت الطآمه على رؤوس المسلمين من يوم وفاه سيدنا محمد الأول عليه السلام .

و مما يتضمنه هذا المنطق المجرم هو أن كلام الأنبياء ساذج و سخيف و سطحي . فحين يقال أننا أمرنا أن نكلم الناس بكلام الأنبياء ، ثم يقال أن عقول الناس ساذجه و سطحيه و سخيفه أي عاميه ، ثم يقال أن الذي يناسب الناس هو كلام الأنبياء ، فهذا يعني بالضروره أن أصحاب هذا المنطق يرون أن كلام الأنبياء - و بالتالي عقولهم - عاميه أيضا . بل تم التصريح من قبل البعض بهذا حين يقولون أن الأنبياء جاؤوا إلى عوام الناس بما يناسبهم . ثم يقال مثلا أن أصحاب الميتافيزيقا أو العرفان أو حتى علم الكلام و العقائد و تأويلاته هو من شأن الخواص فقط . طبعا نحن لا ننكر وجود عوام و خواص . هذا مفروغ منه ، قرءانيا و عيانيا و برهانيا . نحن ننكر أن يكون أتباع الطريقه المحمديه و أهل القرءآن هم العوام . و حين قلنا "لا عوام في الإسلام" لم يكن قصدنا - كما فعل بعض أهل الاجرام من المجسمه مثلا- أي أن يتم تسفيل الدين ليناسب العوام و يتم اتخاذ رأي العوام كحجه يتم الاستناد اليها ، سواء حجه قاطعه أو حتى حجه استئناسيه ، بناءآ على الزعم بأن العوام " أقرب إلى الفطره السليمه " . و بالتأكيد ليس قولنا هذا موافقه من أي درجه على " ديموقراطيه المعرفه " التي يعشقها أهل الحداثه و هي الصنم الجديد الذي يعكف عليه الجميع تقريبا - و مع الأسف من علماء أمتنا أيضا ممن دخل قلبه هوى هذا الصنم بل الوثن . فزعم " المعرفه للجميع " لا قيمه له ، لأنه في الواقع حتى أصحاب هذه النظريه بل الرغبه النفسانيه إنما استطاعوا أن يقوموا بها بعد أن قتلوا كل ما هو فوق مستوى العوام ، و كل ما لا يمكن قتله تم جذبه إلى الأسفل بأقوى قوه ممكنه ، و بشتى الوسائل الكلاميه و الصوريه المسرحيه و الصورتيه الغنائيه و الأحكام الاجتماعيه و العرفيه ، حتى تبدوا الحقيقه العاليه و كأنها انسان قوي البنيه تم جلده و تجويعه و قهره لمده سبع سنين في سجون

تحت الأرض لا ضوء فيها ، حتى خرج و هو بالكاد يلفظ أنفاسه و الفحم و العرق قد غطاه من أعلاه إلى أسفله . هذا ما قامت به "ديموقراطيه المعرفه" التي تريد أن تنشر العلم في العوم . رفض ما هو فوق مستوى العوام لا يعني أن المعرفه أصبحت في مستوى العوام . فهم على ما كانوا عليه ، اللهم بإضافه بعض الألعاب اللفظيه هنا أو هناك . القرءآن العظيم حين قال " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " فإنه قال حقا و صدقا . و لكن الفرق بين ورثه النبيين و بين المجرمين من الشرق و الغرب - مع العلم أن الإجرام غربي بطبيعته - هو أن الوارث المسلم يقول : أكثر الناس كالأنعام ، هذا مرض ينبغي علاجه . فيعمل على هذا الأساس . و أما المجرم فيقول : أكثر الناس كالأنعام ، فعلى هذا الأساس يجب أن نخاطبهم . ليس الفرق في الاقرار بالواقع الأول ، و إنما الفرق هو في التعامل معه . فالوارث يعتبر الأنعاميه مرض ، و كيف يعقل بل كيف يقبل مسلم أن يقرأ " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون " و يقرأ أن أهل النار يقولون " لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير " ثم يقبل بعد ذلك أن يكون في الإسلام عوام كالأنعام . إن كون أكثر الناس عوام ليس حاله طبيعيه للإنسان من حيث هو ، لأن الإنسان من حيث هو هو الإنسان الكامل الذي هو خليفه الله . هذه هي الفطره . أما الإنسان الممسوخ ، الذي قال عنه الإمام علي عليه السلام " الصوره صوره إنسان و القلب قلب حيوان " ، فإن هذا إنسان بالقوه و ليس بالفعل . و ما يحول بين أن يخرج ما بالقوه و الإمكان إلى ما بالفعل و العيان هو العقبات و الأسوار و الأمراض و الحجب التي تجاوزها و الظهور عليها و شفائها و كشفها هو الجهاد الأكبر المفروض على كل مسلم و مسلمه بل كل إنسان من قبل ذلك حتى . التعاطي مع الإنسان الحيوان و كأنه الإنسان الكامل هو أساس كل كفر و جاهليه أو "ديموقراطيه المعرفه" إن شئت ألفاظ حداثيه تحجب أكثر مما تكشف . اعتبار كل إنسان له معيشه على الأرض و كأنه " الإنسان " كما هو و كما يمكن أن يكون ، ينقض كل رساله الأنبياء من أساسها فضلا عن أنه باطل في نفسه . فأن نرى ذلك من فلاسفه الغرب أو من اتبعهم و أحبهم في المشرق هو أمر مفهوم إلى حد ما ، و لكن أن نرى علماء المسلمين - بعضهم - يقومون بذلك و يأتون على ذلك بما يدعون أنه شواهد و أدله من القرءآن و الكلام النبوي ، و اعتبار أن الدين من حيث هو ساذج و سطحي و " يناسب العوام" فهذا أمر غريب و غير مفهوم في ضوء اعتبارنا لسلامه عقول و نوايا الذين يقومون بذلك ، و أما إن افترضنا الخلل و المكر فأيضا تتوضح الأمور و لا نريد أن نفترض ذلك هنا . و عمادهم الأكبر هو روايه هذا الباب . و عند الشيعه مثل ذلك في قول حضره علي عليه السلام " كلموا الناس بما يعرفون - أو بقدر عقولهم - أتريدون أن يكذب الله و رسوله " .

أما قول علي عليه السلام ، فإنه أيضا أسئ فهمه كما أسئ فهم سيده و سيدنا رسول الله عليه الصلاه و السلام . فقوله " كلموا الناس بما يعرفون " عن أي أناس يتحدث هنا ؟ هل هم الأناس الذي يقول هو عنهم في الروايه المشهوره عند السنه و الشيعه أنه قال مشيرا إلى صدره " إن هها هنا لعلوما جمه لو أجد لها حمله " أهم هؤلاء الناس الذي أنكروا الحق العالي و أصبحت صورهم صور إنسان و قلوبهم قلوب حيوان ، أيا ترى الإمام عليه السلام يأمرنا بأن نكلم أصحاب القلوب الحيوانيه بما يعرفون ، و هم لا يعرفون إلا العلف و شئ من العقائد اللفظيه التي لا تتجاوز حد الذهن السفلي . فإن كان ذلك كذلك ، فما بال كل هذه المرويات التي لا حد لعمقها عن الإمام علي نفسه ، و هذا هي خطبه و مروياته و حكمه ، و مرويات أبناءه و ورثته من العلويين واسعه و عميقه و معقده و لها سمات كلام النبوه الأساسيه و النفحات القرءآنيه . فهل أمرنا الإمام بأن نفعل ما لم يفعله هو . و كما هو متوقع ، فإن أصحاب الفهم السافل لمقوله الإمام هم أيضا ممن بنوا على رأيهم هذا أن الكثير من

المقولات المرويه عن الإمام باطله ، إذ فيها تعقيد و عمق ! مقولاته في علم التوحيد كمثال . و كأن كلام علي في ذلك تجاوز بل دانى قرب عمق القرءآن في هذه الأمور ، و لو كان القوم يتدبرون القرءآن لوجدوا هذا العمق و البسط فيه و إنما تعلمه النبي أولا و علي ثانيا من القرءآن فإنه لا النبي و لا علي كان يملك نسخ من كتب أفلاطون و أفلوطين بالتأكيد . و هذا يدلنا على رأي آخر لهؤلاء ، و هو أخطر من كل ما سبق ، و هو رؤيتهم للقرءآن نفسه . فلا عجب أن يكون كلامهم في القرءآن و عنه يجعل القرءآن - و العياذ بالله - كتاب عامي . فكل هذا و غيره من الآراء و الأعمال يتفرع عن رأيهم الأول الذي هو عاميه الدين و بالتالي عاميه التدين . ثم إن علي حين قال " كلموا الناس بما يعرفون " كان يخاطب من ؟ من المخاطب بهذا الأمر ؟ واضح أنه ليس " الناس " الذين سيتم تكليمهم . فهذا يشبه قول النبي " لا تسبوا أصحابي " فإنه بالتأكيد لم يكن يقصد ب " أصحابي " - إن صحت الروايه - كل أصحابه بالمعنى الذي وضع لاحقا للصحبه ، إذ إنه كان يكلم " الصحابه " بالمعنى اللاحق . فكأنه يقول لهم - بناءآ على عدم الفقه الدقيق - : لا تسبوا أنفسكم ! إنما المقصود أصحاب معينين ، و هم " أصحاب محمد" في كثير من الروايات ، و حتى في كلام الإمام علي . و هؤلاء فئه لم تظهر أسماؤهم في كتب التاريخ ، و هم خواص أصحاب النبي ، و أهل السر ، و إن كان بعضهم قد ظهر اسمه و عرف ، فإن الغالب أنهم لم يعرفوا بتمام المعرفه ، و الإمام علي مثلا هو من الظاهرين من أصحاب محمد ، و لكن يوجد " أصحاب محمد " ممن لا يعرفهم إلا محمد و الخلص من الظاهرين من أصحابه . فكذلك قول علي " كلموا الناس " يعني بالضروره أنهم غير الناس الذين سيتم تكليمهم ، فهم أهل العلم الذين سيكلمون الناس الذين كان الإمام علي يربيهم لذلك . فجاءت العله في قوله " أتريدون أن يكذب الله و رسوله " . و السؤال هنا : العوام - سواء كانوا من الساده و الكبراء أو من العبيد و الصغراء - يكذبون الله و رسوله و لو كان الذي يكلمهم هو الله و رسوله . و هذا أمر مفروغ منه قرءآنيا . "و لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون " . فكلام علي هنا هو عن أناس لهم قابليه التصديق بالله و رسوله ، و لكن بسبب كلام معين من قبل هؤلاء الذين سيتكلمون معهم قد يكذبوا بكلامهم ، و حيث أن كلامهم الذي رباهم علي على أن يكلموا به الناس هو من الله و رسوله ، فهذا يعني أنه يجب عليهم أن لا يكلموهم بطريقه تؤدي إلى تكذيبهم . فقوله " الناس " يعني العلماء و من لهم قابليه التعلم . لقوله في الروايه الأخرى " الناس ثلاثه : عالم رباني و متعلم على سبيل نجاه و همج رعاع". فالهمج الرعاع لا اعتبار لهم أصلا . فبقي العالم و المتعلم ، و لهؤلاء الكلام . و المتعلم من حيث أنه متعلم فهو في سبيل أن يعرف ما يزال ، فقول علي " كلموا الناس بما يعرفون " أو "على قدر عقولهم " لا يعني به الفئه الثانيه أي فئه " متعلم على سبيل النجاه " لأن هذا من حيث أنه متعلم لم يكون رأيه و يمتلئ قلبه بعد ، فهو قابل لم يزل في بدايه أطواره التعليميه ، و سيقبل من العلماء ما يلقونه كائنا ما كان لأنه يتعلم منهم . فإذن تبقى الفئه الأولى ، أي " عالم رباني" و هو العارف و هو الذي عنده العلم ، و حيث أن العلم له أصل و فروع كثيره ، و الإحاطه بالعلم كله هي أمر يتكامل كشفه و إشراقه بالنسبه لمعظم العلماء على مر حياتهم، و ليس إلا القله الذي ينكشف لهم العلم كشفا كثيفا بحيث يقولوا كما قال علي في أن النبي علمه " باب من العلم ينفتح له منه ألف باب " ، أو كما قال محيي الدين ابن عربي " فأحطت علما بالوجود " . فالعالم الرباني أيضا على طبقتين : عالم كامل و عالم متكامل . الكامل كالنبي مثلا فإنه لا يتعلم من أحد من الناس شيئا . و المتكامل هو كالولي الذي يعلم و يتعلم و يعلم الآخرين . و الكامل لا يخشى عليه أن يكذب بالله و رسوله كائنا ما كان الكلام معه . فلم يبقى إلا العالم المتكامل . فهذا يعرف الأصول و المبادئ الأساسيه للعلم الحق ، و لكنه لا يزال في طريق التعلم بدرجه أو بأخرى . فلهؤلاء جاء كلام علي لخواصه " كلموا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله و رسوله " و

متى يكذب العالم المتكامل بالله و رسوله ؟ حين يسمع كلاما ساذجا سخيفا عاميا يتم نسبته إلى الله و رسوله ، فإنه يكذب بذلك و يقول : هذا كلام لم يقله الله و رسوله جزما . فعلي يقول لخواصه : لا تكلموا العلماء بكلام ساذج و كلام الرعاع ، حتى لو كان أصل كلامكم و الفكره التي تريدون إيصالها هي من الأفكار الحقه التي جاءت من لدن الله و رسوله ، فإنهم قد يكذبون بالفكره الحقه لأنها جاءت بطريقه عاميه إذ الطريقه العاميه تحرف الفكره العاليه في الغالب .

على العوام أن يرتقوا ليصبحوا من الخواص ، و ليس على الخواص أن يهبطوا ليسايروا العوام . هبوط الخواص إلى العوام يشبه معلم طفل لا يحادثه إلا بالمناغجه و الدغدغه و تحريك عضلات الوجه بحركات مضحكه ، فإن قيل له : لماذا لا تكلمه بكلام يرفعه عن حاله الطفوليه هذه ، لقد مرت عشرين سنه و أنت تكلمه بهذه الطريقه و تلعب معه بهذا اللعب . يقول : إني أخاف أن أكلمه بغير ذلك ، لأنه طفل و هذا قدر عقله ، و إنا معاشر العلماء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .

يقول النبي " أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم " ، فهذا هو القرءان العظيم بين أيدينا ، و هو الكلام الأول الذي الله تعالى كلم به عباده ، فهل يا ترى كلام القرءآن عامي أيضا عندكم . إن من أكبر الحجج التي جاءتنا على حقيقه قدر الإنسان ، أي قدر عقله و مستواه ، هو قدر عقل القرءآن و مستواه . فحيث أنه التكليم بقدر عقل المتكلم معه ، و هذا نقره بالحق ، فإن كان القرءآن هو أكبر عقل ، فهذا يعني أن عقل الإنسان هو أكبر عقل أيضا . و أهل العلم يعرفون أن أكبر و أعمق المعارف على الإطلاق ، هو علم الذات الإلهيه و شؤونها . و كل ما سوى ذلك فدونها . و بما أن علم الذات الإلهيه قد انكشف في القرءآن بما لا مزيد عليه في الواقع و ما سوى ذلك من شقشقات الفلاسفه - إن كان لهم حظ من ذلك - و علماء الكلام بل و العرفاء إنما هو دندنه حول آيات القرءآن لمن عقل عن الله و كان من المطهرين ، و بعد كل الشقشقات- المفيده حتما بدرجه أو بأخرى - فإن النتيجه التي يمكن أن يتم التوصل إليها إن كانت حقا فستجدها مذكوره في القرءآن بعباره لا أجمل و لا أدق و لا أعمق منها . و الأمثله على ذلك كثيره نحيل فيها على كتب العرفان القرءآنيه . و أهل العلم أيضا يقرون بأن القرءآن قد حوى العلم الإلهي بما لا مزيد عليه . فإذن القرءآن قد حوى علم الذات الإلهيه و شؤونها ، و ذكر مطالبها العاليه و العميقه بما لا مزيد عليه ، فإن كان القرءآن قد أمر رسول الله الجميع بأن يتعلمه و قال " خيركم من تعلم القرءآن و علمه " و هو كتاب موجود بيد كل المسلمين بل و غير المسلمين منذ القدم ، و إن كان القرءان قد حذر المؤمنين من أن يكونوا ممن " إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما و عميانا " ، بل أمرهم بأن يتدبروا القرءان و يدرسوه و يعقلوه ، و لم يفرق بين آيات منه دون آيات أخرى ، كل هذه المقدمات اليقينيه و المتفق عليها عند العلماء تعطي أن عقل الإنسان هو أعظم عقل ممكن في الوجود . أي حقيقه العقل ، و ليس هذا الإنسان الشخصي أو ذاك . و بما أن أعلى المعارف - أي الوحده الإلهيه و أسمائها - في القرءآن ، و قد أمر كل المسلمين بتدبره ، و من يقدر على علم الأعلى يقدر على علم الأدنى ، فهذا يعني أن كل مسلم عاقل و كل مسلم عالم ، و كل مسلم مشاهد ، و كل مسلم من الخواص . فإنما العوام هم الكفار و أهل الجاهليه . و لهذا نقول " لا عوام في الإسلام " . أي هكذا يفترض أن يكون الأمر ، و نحو هذه الغايه ينبغي أن يسير الناس و حولها تتمحور حضارتهم و حياتهم الشخصيه و الجماعيه . فنحن لا نقصد - حتما ! - أنه لا يوجد عوام الآن في الناس الذين يقرون بالإسلام و شؤونه عموما ، هذا سفه . بل نحن أول من يقر بذلك . و هل نقوم بما نقوم به إلا لرفع هذه الحاله .

مدار نظريه " وجود العوام " هو النظره إلى حقيقه الإنسان و مقامه في الوجود . فإن كان الإنسان - كما هو عندنا - هو خليفه الله ، الذي رأسه فوق العرش و رجله تحت الفرش و يده اليمنى في المشرق و يده اليسرى في المغرب ، و سره وراء الخلق و وعيه عين الحق ، و هذا هو الأصل ، و ما سوى ذلك تقزيم للإنسان و كفر به ، فإن إنكار نظريه العوام يكون هو القاعده . أي وجود العوام مرض طارئ على الإنسان . و لهذا يقول القرءآن مره " فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " و مره يقول عن الشياطين و أتباعهم " فليغيرن خلق الله " . التبديل مستحيل ، و لكن التغيير ممكن . التبديل جوهري ، و التغيير مظهري .الجوهر محفوظ و المظهر إما أن يكون مطهرا أو رجسا و بين ذلك مراتب . و هذا يشبه جوهره يتم لفها بخرقه باليه ، فإن الجوهره لم تزل جوهره لم تتبدل ، و لكن مظهرها قد تغير بما لا يتناسب مع قيمه المحتوى . أو يشبه من يعتقد أن البحر مختزل في كأس منه .

فإذن يمكن قراءه روايه معاشر الأنبياء بقراءتين ، قراءه عاليه و أخرى سافله . أما العاليه فمثالها أن يسعى إنسان في نشر كتب العرفان العميق على الناس و يتحدث بذلك معهم ، فإذا قيل له : يا فلان ، لماذا تكلم الناس بهذه المعارف العميقه ؟ فيقول : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .
و أما السافله - و هي السائده مع الأسف - فهي أن يتحدث أحد بكلام سخيف أو لا أقل من وراء حجب ظلمانيه كثيره ، فيقال له : يا فلان ، لماذا تتحدث مع الناس هكذا ؟ فيقول : لروايه " إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم " .

نحن من أهل القراءه العاليه . و نحن حرب على أهل القراءه السافله . حرب في حياتنا و حرب بعد مماتنا . و القتال بيننا لن يكف حتى تضع الحرب أوزارها بإسلامهم للقراءه العاليه أو بالوقوف أمام حضره الحق سبحانه يوم الحساب ، يوم يكون الوزن هو " الحق " فيظهر أهل الحق على أهل الباطل ، " و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " .

.....

١٣- قال أعرابي : يا رسول الله متى الساعه ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، و لكن أشراطها : تقارب الأسواق ، و مطر و لا نبات ، و ظهور الغيبه ، و ظهور أولاد الغيه ، و تعظيم رب المال ، و علو أصوات الفساق في المساجد ، و ظهور أهل المنكر على أهل المعروف . فمن أدرك ذلك الزمان : فليفرغ بدينه ، و ليكن حلسا من أحلاس بيته " .

لعله من أخطر الأمور في هذا القرن هو الكلام عن موضوع آخر الزمان . و ليس ذلك عندنا لأي سبب غير أن غالب من يتكلمون في هذا الموضوع يتكلمون بنيه باطله ، فضلا عن أن مقدار العقل في الطرح ليس بذاك الذي يرفع رأس المسلم أو يخشع قلب المجرم . فباستثناء الشيخ عبد الواحد رينيه غينون ، و من تبعه بصدق و فقه ، لا أعلم أحدا فقه شيئا له وزن في موضوع آخر الزمان . و كعادتنا ، فإننا لا نكتب فيما يمكن أن نحيل فيه إلى من كتب من قبلنا إن كان ما كتبوه كافيا من حيث المعنى و المبنى . و العلم بحر ، بل بحار ، فهو أمر لا يستنفد على كل حال . بل إن كتابه " لا إله إلا الله " لا يكفيها مداد البحار السبعه . ففي هذا الباب نريد أن ننظر في ما نعتبره أفضل روايه في موضوع آخر الزمان من الحيثيه التي تناسب كتابنا هذا خصوصا . فتعالوا ننظر .

...

لنبدأ بالمبدأ ، أي القرءان .

من المعلوم أن مطالب القرءآن كله يمكن تلخيصها في أمور ثلاثه - باعتبار ما - و هي الإيمان بالله و اليوم الآخر و العمل الصالح . و اليوم الآخر كما عرفنا يوجد له اعتبارات كثيره ، أهم ثلاثه منها هي : الحياه العليا أي العقليه الروحيه ، و الطور القادم للنفس بعد موت هذا البدن و الانتقال للنشأه التاليه إن شاء الله كالفراشه بعد التغير ، و آخر الزمان . في هذا الباب نحن ننظر في هذا الاعتبار الثالث . و العامل المشترك بين هذه الاعتبارات الثلاثه للآخره ، هو أنها متعلقه بموت القلب و حياته مره آخرى . و هذا ينبني على التفريق بين الوقت و الزمان أولا .

فالكفار حين يقولون " متى هذا الوعد " فإن سؤالهم هو عن الوقت . و قد حدد الله تعالى وجود وقت للآخره ، " يوم الوقت المعلوم " . و لكن كلمه " الزمان " لم ترد في القرءآن بصورتها هذه . الوقت هو كأوقات الصلوات مثلا ، و هو أمر يتعين بحدث خارجي معين أو دوره فلكيه معينه . فهو أمر أقرب للناحيه الكميه العدديه . فكل يوم مثلا من حيث الوقت هو أربعه و عشرين ساعه- بناءا على حساب معين له مرتكزاته ، و إن تغيرت المرتكزات تغيرت الناحيه الكميه لليوم. فإن اتفقنا أن من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس يعتبر يوما كاملا ، فإن هذا سيختلف عنه لو كنا قد اتفقنا أن من كسوف الشمس إلى كسوف الشمس يعتبر يوما كاملا ، أو أن نضج شجره الزيتون هو سنه كامله ، أو غير ذلك من الأمور الوضعيه الاتفاقيه ، أيا كان معيار هذا الاتفاق و أصوله الفكريه . فالوقت مسأله كميه ، تقوم على مرتكزات يحددها صاحب الوقت. أما نفس الوقت من حيث هو ، فإنه واحد ، فلا فرق بين المده العدديه- القائمه على حساب الثواني و الدقائق المعروفه للناس اليوم - ليوم في عصرنا هذا ، عن المده العدديه - القائمه على نفس الموازين - ليوم في القرن الأول الهجري ، أو القرن السبعه عشر ألف قبل الهجره . الثانيه اليوم هي الثانيه بالأمس و الثانيه غدا . و الساعه اليوم

هي الساعه أمس و الساعه غدا . فهذا هو الوقت الذي يمكن أن نسميه " الموضوعي المجرد " . و هذا غير الوقت الذاتي النفساني ، فالساعه - أي ستون دقيقه - تمر أسرع بكثير حين تكون مع شخص تحبه و تشتاق إليه ، عنها لو كنت تحضر محاضره في ماده الاقتصاد في أكاديميه معينه . و يقال أن " الحياه قصيره " ، لو حضر صاحب هذه المقوله بعض المحاضرات التي كانوا يجبروننا على حضورها في الجامعه لبدل رأيه السقيم هذا . فكلامنا ليس عن هذا الوقت النفساني و الذي هو حاله شخصيه بحته . هذا كله يدخل تحت الوقت ، و إن كان هذا الأخير يقع على مشارف الزمان بل يتداخل معه من حيثيه ما ، و هي الخاصيه الأساسيه للزمان ، أي الكيفيه . فالزمان موضوع كيفي ، و ليس كمي . و لهذا لا تجد روايات تتحدث عن " آخر الوقت " أو "آخر الأوقات " . و إنما الحديث دائما عن " آخر الزمان " . ثم تجد روايات كلها تتحدث عن كيفيات و صفات معينه . فالوقت ثابت بالكميه العدديه ، و الزمن متغير بالكيفيه الصفاتيه . و النفس يغلب عليها السمه الزمنيه ، و ليس الوقتيه . و لذلك حين ذكر القرءآن بعض شؤؤن النفس في سوره النجم قال " أضحك و أبكى " و غير ذلك من صفات متقابله . و هكذا وعي الإنسان بنفسه ترى الغالب فيه ، إن لم يكن دائما ، هو الناحيه الزمنيه أي صفه نفسه و أحواله و مقاماته في اللحظه . فالوقت فوق الزمن من حيث تجرد الوقت عن الصفات ، فهو مثال على الوعي المحض و التوحيد الكامل - كما قال علي عليه السلام " و كمال توحيده نفي الصفات عنه " . و لهذا قال العرفاء عن الصوفي و هو صاحب التوحيد الكامل " الصوفي ابن وقته " و لم يقولوا : ابن زمنه . بل بالعكس ، يغلب على عباره " أبناء الزمان " الصفه السلبيه الظلماتيه ، فيقال " فلان من أبناء الزمان " بالمعنى السلبي . و لكن يقال عن الإنسان الكامل "صاحب الزمان " فهو قد ملكه ، و بالتالي قد علا عليه ، أي ارتفع عقله فوق الصفات الجزئيه و المتقابلات الزوجيه .

فالزمان يمكن النظر إليه من حيث أنه زمان النفس ، و من حيث أنه زمان القوم . أما زمان النفس فقد ذكرناه و أشرنا إليه قبل قليل . و أما زمان القوم ، و زمان الأمم ، و زمان الدول ، و زمان المجتمعات ، كلها عبارات على حقيقه واحده و لكن من زوايا و حيثيات متعدده ، فإنه الذي يغلب الحديث عنه في روايات " آخر الزمان " . و أحد أهم الأسباب في تركيز الكلام عن زمان الأقوام و شؤونهم الصفاتيه و كيفياتهم الدينيه المعنويه ، هو لأنه لا يظهر شئ على مستوى القوم إلا بعد أن يكون قد ظهر بكثره على مستوى الفرد . فحال القوم هو حال غالبيه أفراده مجموعا بنحو جمع فواكه كثيره في إناء واحد ، فإن كان بعض هذه الفواكه حلوا و بعضا حامضا ، فإن النتيجه النهائيه ستكون بحسب الغالب من الطعوم ، فيظهر الشراب حلوا أو حامضا بحسب ذلك . فمعرفه حال القوم تتضمن المعرفه بحال غالبيه الأفراد . " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " . فحال القوم مرآه تعكس حال أنفسهم .

عباره " آخر الزمان " تتضمن أمورا عده . أولا أنه للزمان أول و أوسط و آخر و ما بين ذلك من درجات . و ثانيا ، حيث أن الحديث عن آخر الزمان يتضمن الحديث عن الحال القادم بعد حلول آخر الزمان هذا ، فهذا يعني أن بعد الآخر أول من جديد . و لهذين الأمرين ، إن تذكرنا قول النبي عليه الصلاه و السلام في حجه الوداع ، " إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض " . فالزمان من حيث التعبير عنه بلسان المثل له هيئه مستديره . فهو كالفلك. و ستجد أن روايات آخر الزمان دائما تتحدث عن حالات ظلاميه سلبيه سفليه كفريه عصيانيه . بعباره واحده : قمه الظلمات . " لا تقوم الساعه إلا على شرار الناس " و "لا تقوم الساعه حتى لا يقال في الأرض : الله الله " . و

نحو ذلك مما سمع به الجميع تقريبا . و حتى من لم يسمع بهذه الروايه أو تلك من روايات آخر الزمان ، فإن الطابع العام لهذه الروايات ، أي أن مضمونها ظلامي هو أمر معلوم للجميع . فإن كان آخر الزمان هو قمه الظلمات ، فهذا يعني أن أول الزمان هو قمه النور . و بما أن الزمان مستدير الهيئه ، و كل آخر يرجع إلى أول بعد ذلك ، و بما أنه يوجد تدرج في الهبوط من قمه النور إلى قمه الظلام ، بغض النظر عن سرعه قطع هذه المسافه المعنويه بين قمه النور و قمه الظلام، و كذلك في الصعود ، فهذا يعطينا تصورا للزمان على هيئه دائره ، تكون أعلى نقطه فيها تمثل النورانيه التامه ، و النقطه المناظره لها في الأسفل تمثل الظلمانيه الشامله ، و بين ذلك طبقات ، و التقلب يتم بين هذه القطبين هبوطا و صعودا . القطب الأدنى من حيث أنه مناظر للقطب الأعلى يعتبر كمرآه مقلوبه له . و بعباره القرءآن " جعلنا عاليها سافلها " . فيتم قلب الأمور تماما ، بحيث أن ما يكون له الأولويه في زمان النور يصبح في آخر القائمه في زمان الظلام ، و ما لم يكن له أي اعتبار يذكر في زمان النور يصبح في أعلى قمه الأولويات في زمان الظلام . و بعد أن يصلح الزمن إلى القطب الأدنى ، فإنه لا يوجد أمامه شئ إلا أن يبدأ في الصعود إلى القطب الأعلى، و هذا معنى مثل " بعد السحر يأتي الفجر " . و العكس صحيح ، فيروى أن عمر حين سمع قول النبي في كمال الدين ، بكى و قال ما معناه " بعد التمام النقصان ". فالزمان دول ، " و تلك الأيام نداولها بين الناس " فدوله عقل و جمال و جلال ، و دوله غفله و جهل و ضلاله ، و بينهما طبقات ، ففي قوس الهبوط من قمه النور إلى قعر الظلمات يوجد دركات متعدده ، و في قوس الصعود من قعر الظلمات إلى قمه النور درجات متعدده . و هذا مفتاح في فقه روايات الزمان ، فإنه يجب أن يدقق الناظر في كل روايه ، فإنه ليس كل روايه تتحدث بنصها عن " آخر الزمان " بالتحديد . و لذلك يقع الخلل حين يتم فهم كل هذه المرويات على مستوى واحد . و كأنها روايات مسطحه ذات بعد واحد . و هذا ليس إلا إنعكاس آخر عن الجهل بالمراتب الوجوديه و الطبقات الكونيه و المستويات النفسيه و المقامات القوميه و الأحوال الأمميه . إن نسبه الوحده المحضه إلى شئ غير محض الهويه المتعاليه لا إله إلا هو هو من الشرك فضلا عن أنه من الظلم و الجهل و سوء العقل . فتنبه لذلك في مواضعه ، و إن كان الغالب بحسب ما شهدناه هو أن روايات الزمان متعلقه بآخر الزمان . و لكن " آخر الزمان " لابد أن يكون قد سبقه أمور أيضا . فقعر الظلمات لابد أن يكون قد سبقه مقدمات قدمت لهذا الظلام و مهدت له ظهوره . فمثلا " لا تقوم الساعه حتى لا يقال في الأرض : الله الله " . إن عدم ذكر الله البته ليس أمر يتم في يوم و ليله و هكذا بعشوائيه لا منطق فيها . لا يوجد شئ أصلا يتم بهذه الطريقه في هذا الكون كله . فالناس اليوم يذكرون الله ، و مئات الملايين من الناس يوميا يقولون " الله الله " و يوجد مئات الآلاف بل الملايين من الناس من إذا قال " يا الله " استنفرت السماء لدعاءهم . و كذلك في الروايه التي تذكر شبه الغياب الكلي لقول " لا إله إلا الله " ، فإن مئات الملايين من الناس اليوم يقولون لا إله إلا الله يوميا بل لا تمر عشره دقائق ، بل لا تكاد تمر ثلاثه دقائق على الأرض إلا و يوجد من يقول " لا إله إلا الله " بل يوجد من يتنفس " لا إله إلا الله " و يدرس حقائقها ليل نهار و يحيا لذلك . فهل بلوغ زمن ينكسف فيه شمس " الله الله " و يغرب النجم الثاقب ل "لا إله إلا الله " ، سيتم بلا مقدمات و ممهدات و أصول و رؤيه وجوديه معينه و أسلوب معيشه ينزع ذلك من القلوب شيئا فشيئا حتى يبلغ حال الناس إلى ذلك الحال البائس الجهنمي . بالتأكيد لا . فلا الشمس تشرق دفعه واحده ، و لا هي أيضا تغرب دفعه واحده . ليس هذا من سنت الله في خلقه ، و " لن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا " . و لا الحروب العسكريه و لا شئ من هذا بقادر بنفسه على أن يقوم بهذا التأثير دفعه واحده ، فها هي حروب المغول في السابق و الحروب الكثيره و الاستعمار اللاحق لم يكفيا لمحو ذلك ، بل آل الأمر بالكثير من المغول إلى الدخول في الإسلام ، و الإسلام اليوم أشد انتشارا

في الأرض من زمن الامبراطوريه العثمانيه التي تسلطت على ثلاث قارات . أي الإسلام كفكره بالتحديد . فهذه التصورات التي تتخيل حدوث حرب سياسيه كبيره ، ثم وقوع أشراط آخر الزمان بعدها فجأه هو فهم ضعيف جدا ، و هذه عباره ملطفه في حقه . و حيث إننا نعلم أن الأمور في الأقوام تبدأ من النفوس ، و الأمور في النفوس تبدأ في العقول ، فإن أعقل الناس من يعرج إلى المعقولات في مرويات آخر الزمان ، و لا ينشغل كثيرا بالدراما المحيطه بها . فإنه إن عقل تلك المعقولات ، تخلص من الدراما التي قد تقع فعلا على مستوى نفسه و مستوى القوم بعد ذلك.

و من مآخذنا على الكثير ممن يتعاطى الحديث في آخر الزمان أمور :
أولا ، التركيز على التوقيت أو الإشاره إليه بنحو أو بآخر . كمن يقول مثلا " إن كل أشراط الساعه قد ظهرت في قرننا هذا " فإنه و إن لم يقل بالنص أن الساعه ستقوم اليوم أو في ظرف بضع شهور أو سنين معدوده ، فإن اللازم الضروري من كلامه هو هذا . فضلا عن سخف كل هذه المحاولات للتوقيت في ذاتها ، لأنه مهما حاول البعض أن ينزل روايات آخر الزمان - و التي كان عموم الأسلاف ينزلونها على أزمانهم أيضا و يرون أن كل ما ذكرته الروايات قد وقع فعلا ، فالأمانه قد ضيعت و الفساد قد ظهر و لا حول و لا قوه إلا بالله ، بل قد قامت جماهير الأمه مع محمد بن عبد الله بن الحسن المسمى بالنفس الزكيه و بايعوه على أنه المهدي المنتظر الذي سيظهر حين تمتلئ الأرض ظلما و جورا و هم قد اعتبروا أن كل ذلك قد وقع فعلا في زمانهم - و هكذا كلما تقدمت الأزمان - تقدمت إلى أسفل ، و ليس " التقدم " الذي هو وثن من أوثان الحداثه و خرافاتها و أساطيرها التي يداعبون بها أنفسهم الطفوليه - كلما رأى عوام الناس أن كل أشراط الساعه قد تحققت في زمانهم و لم يبق على قيام الساعه إلا ثلاثه أيام و نصف .

ثانيا ، عدم العلم بحقيقه مسأله الزمان و معنى " آخر الزمان " تحديدا . فيظنون أن آخر الزمان هو " نهايه العالم " بمعنى أن هذه الأرض ستتدمر كليا ، بالمعنى البدني للأرض . فالمسأله عندهم ليست رمزيه ، و لا هي عقليه معنويه . بل هم - و هذا طبيعي من العوام - يظنون بل يخرصون بلا علم أن آخر الزمان تعني تدمير العالم السفلي و انتقاضه بالكليه . و لا يفهمون أن حقيقه الأمر هي بين قطبي الإسلام و الجاهليه ، و "نهايه العالم " هي : نهايه عالم . أي نهايه عالم الجاهليه و الظلماتيه ، و العروج إلى عالم الإسلام و النورانيه . فالعوام طبقات في جهلهم بحقيقه هذا الأمر ، فمنهم من ذكرنا . و منهم - و هم أسوأ ممن سبق ذكرهم- هم الذين لم يصدقوا بأن آخر الزمان هو نهايه العالم بالمعنى العامي ، و لكنهم أيضا لم يعلموا الحقيقه العقليه لذلك ، فدخلوا في المسأله العسكريه السياسيه . أي أنهم اتخذوا الخيار العسكري الحربي لنقل العالم من الحاله الظلماتيه إلى الحاله النورانيه . و هذا ليس فقط في أمتنا ، و لكن حتى في بعض الأمم الأخرى التي فيها ما يشابه هذه الأمور ، كاليهوديه مثلا ، حيث أن الصهاينه اتخذوا الخيار العسكري أيضا بدل الخيار المعنوي للكابالا مثلا و بين الخيار السلبي الانهزامي لبعض اليهود الذين يعارضون قيام دوله في فلسطين على يد عساكر و لكنهم ينتظرون خروج الموشياخ الذي بطريقه ما سيرجعهم إلى الأرض الموعوده . طبعا مع الفارق الكبير بين ما نراه نحن و ما يراه هؤلاء ، و لكن نذكرهم فقط كتشبيه ، مهما كان بعيدا إلا أن له وجها إن دققت فيه . و الذي يبدو لي أن الذي اتخذوا الخيار العسكري في أمتنا ، أو السياسي الحزبي ، الأوائل كبعض جماعات القاعده و داعش مثلا ، و الثاني كمن يلقبون أنفسهم بالإخوان المسلمين مثلا ، هؤلاء و إن كانوا يعتقدون بأن أشراط الساعه قد وقعت و أننا على مشارف رؤيه القيامه فإنهم يريدون أن يقوموا بالأمر بأنفسهم على هذا النحو، فتسلسل منطقهم و فكرهم و عملهم من بعد ذلك في

إطار هذه الرؤيه . فهؤلاء حيث أنهم رأوا أن روايات آخر الزمان تتحدث عن أمور قوميه اجتماعيه في ظاهرها ، و قد صدقوا في هذه الملاحظه التي لا تحتاج إلا إلى أعين بدنيه ، فإن المشكله وقعت في أنهم - كالعاده - لم يتجاوزوا المظهر ، كمثل من قرأ آيه " مثل الذين حملوا التوراه ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " و راح ينشغل بالسؤال عن اسم هذا الحمار و عمره حين ذكره القرءآن و أين ولد و أين مات و من أبيه و أمه و من كان يركبه ...و مع العلم أن من يسأل نحو هذه الأسئله و يكون له مثل هذه الاهتمامات بدل عقل المثل نفسه يعتبر من مصاديق هذا الحمار الذي يسأل عنه .

ثالثا ، الغرق في الدراما بدل الاستغراق في العقل . و هذه العواطف التي تشبه الموج المهلك هي من أكبر الحجب على كل روايات آخر الزمان . حتى أن البعض - من الحداثيين من خونه الأمه و المنهزمين للغرب - قرروا إبطال كل هذه الروايات أو معظمها جمله و تفصيلا . و بعض أذكياءهم إلى حد ما يستند في نقاشه العلني على أن هذه الروايات " لم ترد في كتاب الله " . و كأننا و كأن علماء الأمه من الحاضرين و السابقين و عرفاء الحق تعالى سنقبل مثل هذه الروايات لو كانت " لم ترد في كتاب الله " . و مشكله هؤلاء أنهم - كالعاده أيضا - بالإضافه إلى أنهم يتناقضون بطريقه عجيبه من قبيل أنهم يقبلون كلمه " وضوء " بالرغم من أن نفس هذه الكلمه لم ترد في نص القرءآن ، و لكن لا يقبلون مثلا " المسيح الدجال " لأنها لم ترد بهذه الصيغه ، و مثل هذا كثير جدا في طرحهم و هم يقبلون آلاف الكلمات بل النظريات التي لا هي في القرءآن بنصها أو بمعناها و لكن هيهات أن تجد تناسقا في من فيه " شركاء متشاكسون " تنازعونه بينهم ، بالإضافه إلى ذلك كله هو أن هؤلاء لا ينظرون وراء السطوح ، مثلهم مثل من يظهرون عداوتهم لهم ليل نهار اللهم لكل منهم صوره في هذه السطحيه بل و لا حتى السطحيه إنما هو العمى .

رابعا ، ادعاء تقدير الله لأمور ظالمه يجب مقاومتها من قبل المسلمين . فمثلا حين يقول أحدهم أنه قبل أن يأتي المهدي " يجب أن تحكم الدوله اليهوديه الصهيونيه العالم ، ثم سيأتي المهدي و يدمر هذه الدوله بعد أن يجتمع فيها اليهود فيبيديهم المسلمون فيها " . عوام الناس ينظرون إلى الشق الثاني من هذا التكهن ، و من فرط حماسهم لمحتوى هذا الشق فإنهم يغفلون أو لا يرفعون رأسا بمحتوى الشق الأول منه . فما معنى أن يدعي أحد أنه من تقدير العزيز العليم الذي سيقع حتما بحسب " علم آخر الزمان " الذي يزعم هذا معرفته به ، ثم يقول أن من مضامين هذا التقدير الذي اطلع عليه هذا الكاهن هو أنه " يجب أن تحكم الدوله اليهوديه الصهيونيه العالم " و أنه سوف " يجتمع فيها اليهود " . أليس هذا القول هو عين قول أولئك الصهاينه ، بل أليس هذا هو حلمهم و هدفهم و خلاصه غايه سعيهم . فحين يأتي من يلبس العمامه المحمديه و يقول أن الله حكم في الأزل و قدر سبحانه أن هذا سيقع ، أيكون من المبالغه إذا وصفنا هذا الكاهن بأنه عميل صهيوني أو لا أقل أنه مغفل مهووس . ثم حين يأتي و يستنصر بالآيات القرءانيه على هذا التكهن ، و بروايات عن رسول الله عليه و آله الصلاه و السلام ، ألا يكون هذا قد وقع في بهتان عظيم . و بالتأكيد حين يعتقد الناس - المسلمون و العرب عموما - أن الله ربهم قد قدر للصهاينه أن يحكموا فلسطين من النيل إلى الفرات ، و أن الله ربهم قد قدر أن " يعود " كل يهودي عبراني أو معظمهم إلى تلك الأرض " الموعوده " ، و أن الله ربهم قد حكم في الأزل بأن هذا سيقع و وقوعه ضروره و لحكمه عاليه ، هل من المعقول بعد ذلك أن يقاوم هؤلاء مثل هذا التقدير الإلهي الذي اعتقدوه ؟ هل من الطبيعي بعد ذلك أن نرى اعتراض المسلم على الحكمه العاليه لله تعالى التي سحره بها هذا الساحر الذي يزعم علم آخر الزمان . أحسب أن الإجابه واضحه . و القرءآن بين في قوله " و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله " حين ذكر دعاء

بعض المستضعفين في الأرض ربهم من أجل أن ينصرهم ، فأمر الله تعالى عباده بأن يقوموا بهذا الأمر و ينصروهم . و مثل هذا كل أمر أمر الله تعالى عباده أن يقوموا به ، فإننا نقوم به إن توفرت شروطه التي حدها الله لنا ، و لا نتخاذل بزعم وجود تقدير إلهي معارض لهذا القيام ، فإن الله قد أمرنا بيقين ، و أما ما هو المقدر في ذلك المقام العالي فهو لنا - عموما و على أقل تقدير - غيب و مشكوك فيه ، و لا ينقض اليقين بالشك . و من الأمراض التي قد تنشأ عن دراسه و قراءه روايات آخر الزمان هو ترك العمل على أساس أن العمل لا فائده منه إذ أن وقوع هذه الظلمه المعينه هو بتقدير إلهي و إخبار نبوي . و إذا دققنا فسنجد أن تطبيق الروايه على مصداق معين هو من أهم أسباب هذا المرض . فمثلا إذا قرأنا في روايه أن من علامات آخر الزمان " تعظيم رب المال " فيأتي أصحاب كل قرن و يقولوا : ها هو رب المال معظم في زماننا فإذن نحن المقصودين بهذا الإخبار النبوي . أو " ظهور أهل المنكر على أهل المعروف " فيبدأ كل أحد بتطبيق هذا المضمون العام - مع قطعه عن سياقه الخاص أي الروايه و عن سياقه العام أي بقيه المبادئ القرءآنيه و الروايات النبويه الأخرى - على زمنه و على شخصه . و من الدراسات الجيده التي يمكن أن يقوم بها أحد أهل الفكر في هذا المجال هو أن يأخذ بضعه روايات من باب علم آخر الزمان ، ثم يتتبع كتب الشروحات على مر القرون - و لله الحمد الميراث محفوظ على حد كبير في شرق عالم المسلمين و غربه - ثم يرى كيف تعاطى أهل كل قرن مع هذه الروايه ، و هل طبقوها على زمنهم و كانوا يرون أنها تحققت أم لا ، و الحدس عندي أنه سيجد أن معظم الروايات - باستثناء ما يسمى بالعلامات الكبرى مثل خروج الدجال مثلا - قد تم تنزيله على قرنهم أو ما سبقهم ، بل حتى روايات المهدي قد تم تنزيلها كما ذكرنا سابقا على أشخاص من بدايات القرن الثاني الهجري ، و هذا يعني بالضروره أن من اعتقد بذلك من أهل ذلك القرن كانوا يرون أن الدجال قد خرج ، و لا ندرى لعلهم كانوا يرون معاويه أو بني أميه هم الدجال . ثم ابن تومرت الذي ادعى المهدويه و قامت دوله كامله على أساس دعواه هذه كما هو معلوم . و الاسماعيليه في مصر أيضا ادعى صاحبهم أنه المهدي و قامت الدوله على أساس هذا الأصل . و لعلنا إذا حصرنا عدد من ادعى المهدوي على مر التاريخ لن نكاد نجد قرنا إلا و فيه على الأقل مدع للمهدويه ، إن لم يكن أكثر من واحد ، و هؤلاء فقط الذين سجلت أسماؤهم و ظهر أمرهم ، و أما من لم تظهر دعواه و دعوته فلعل الله وحده هو الذي يعلم عددهم و أحوالهم. فالحاصل أن تنزيل مضمون الروايه على زمن بعينه هو أمر خطير ، ليس مستحيل و لكنه خطير . و بعض من عرف ما ذكرناه تحرج بالكليه من تنزيل أي شئ من هذه الروايات على زمنه ، اعتمادا على ما يشبه السابقه القضائيه ، أي حيث أن السلف أخطؤوا في التنزيل فالخلف أيضا سيخطؤوا في التنزيل . و يبدو أن الذي دفع هؤلاء هو تواضعهم في أنفسهم بحيث أنهم لا يجدون أنهم أعقل من كل هؤلاء الذين أخطؤوا من قبل ، و من باب الورع إذ الشريعه لم تأمر المسلم و تفرض عليه فرض عين بأن ينزل مضمون هذه المرويات على مصاديقها فإن هؤلاء يتركون هذا الباب بالكليه أو لا أقل في معظم الأحوال و الاستثناء هو حين يجدون أن في استعمال شئ من هذه المرويات سببا وعظيا يدفع جماهيرهم للالتزام بما يرونه من الدين ، فيحضون الناس على التزام الشريعه بتخويفهم من قرب قيام الساعه ، و كأنهم لم يعلموا أن موت كل إنسان هو قيام ساعته حتى يحتاجوا إلى مثل هذه السياسات الوعظيه العشوائيه لدفع الناس للعمل بالتكهن بقرب الساعه .

فإذن مع وعينا بكل هذه الأخطاء الأربعه و الحجب و العقبات ، فإننا مع ذلك نرى أنه من الضروري دراسه روايه هذا الباب و حين نفرغ منها إن شاء الله ستتبين الحكمه العامه من دراستها . و بعد هذا التمهيد ، تعالوا ننظر في نفس الروايه النبويه الشريفه .

...

" قال أعرابي : يا رسول الله متى الساعه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل و لكن أشراطها .."

من شأن الأعراب ابراز هذا النوع من الأسئله ، و من شأن العلماء عدم الاهتمام بها . "يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها " و أما الذين يؤمنون بها فإنهم " مشفقون " منها . فالساعه لا تقوم حتى تمتلئ الأرض بالظلام ، و هذه حاله غير مرغوبه أصلا و مقاومتها واجبه على المتقين . " لتخرج الناس من الظلمات إلى النور " . و لكن الأعرابي لا يفهم ظلمات و نور، الأعرابي يريد إثاره خارجيه ، يريد أن يرى العالم يتحول و يريد أن يرى التغييرات الجذريه تحصل ، يريد أن يرى ألوانا و أشكالا متعدده ، دم و قتل و غضب و قهر ، أليس لهذه النزعه الأعرابيه يعمل الإعلام بقنواته المكتوبه و الصوتيه و الصوريه المتعدده . الفقر المعنوي هو الدافع الأكبر للسعي إلى هذه البهرجه الصوريه و الهرج و المرج . و الأعرابي هو الفقير المعنوي كأصل ، و الاستثناء غير ذلك . و ذلك لأن الأعرابي يسكن الصحراء ، فالأصل فيه كالأصل في عوام الناس هو أن تتشكل نفوسهم بحسب محيطهم البدني ، و مقوله " الإنسان ابن بيئته " التي يعشقها أعراب هذا الزمان هي ليست إلا تنظير فلسفي لهذه النزعه الأعرابي و أعطائها غطاءا شرعيا و عالميه سننيه لا توجد إلا في أوهام أهلها و اعتبارهم الفاسد - و إن كان لمقولتهم وجه حق طبعا ، كما لكل مقوله . فحيث أن الأعرابي يحيا في محيط قاحل ميت و هو ينظر له بهذه العين ، و ليس العين القرءانيه التي ترى في الصحراء سمه الجلال و اللانهايه الوجوديه فإن من يرى بهذه العين هو الاستثناء من الأعراب و هم حكماؤهم ، فإن القاعده هي أن نفسيته ستكون صحراويه جافه أيضا . و بما أن الإنسان في ذاته كامل محيط ، فيجب أن يرى الجمال و الجلال ، الجنان و الصحاري ، المدن و البدو ، و ما بين ذلك ، فإن الأعرابي لكل يشبع جانبه الآخر يتجه إلى اتجاهات متعدده ، منها و هي الغالبه على العوام هي الانشغال بالسوء و الفراغ و " الأعراب أشد كفرا و نفاقا و أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله " بالإضافه إلى " مردوا على النفاق " . فالهرج و المرج المظهري هو وسيله تشغل الأعرابي العامي عن فقره المعنوي و قله ذوقه العقلي ، فينشغل بما هو خارجه حتى ينشغل عما هو داخله . و الإعلام الحداثي هو أيضا كذلك ، أي اشغال الجماهير بالبراني عن الجواني ، مع قتل كل علو جواني و تسفيله إلى أبعد مدى ممكن . و الأعرابي لا يعرف الرضا في عمقه ، فهو إن كان في خير انتظر وقوع الشر ، و إن كان في شر تأمل وقوع الخير . هو دائما يريد غير ما هو فيه ، لا لشئ إلا لأنه يريد التغيير الدائم و الترحال المستمر ، فقلبه كخيمته و بيته : لا يعرف الاستقرار ، و قره العين عنده خرافه . و من أبرز مظاهر هذا الأعرابي هو هذا الذي سأل الرسول الكريم عليه السلام . فهذا يقف في حضره الرسول ، الذي هو الجنه على الأرض ، ثم يسأل عن الوقت الذي سينتهي فيه هذا العالم الذي يحيا فيه. إنه يحيا في النور و ينتظر الظلام . و لو جاء الظلام لجأر إلى الله " يا الله أين النور ! " . و الأعرابي هنا يسأل عن التوقيت . " متى الساعه ؟ " فهو لا يسأل عن كيفيه الساعه ، و لا غير ذلك من شؤونها الكيفيه الصفاتيه . و ذلك لأنه لا ذوق له و لا عقل فيه . و لهذا ينحبس في الكميات ، و

ينسجن في الوقت العددي - و ليس الوقت بالتأويل الصوفي . و لاحظ أيضا أنه يسأل عن الساعه و كأنها أمر مفارق تماما لنفسه و نفوس الناس ، أي كأنها نيزك سيقع من السماء على الأرض في وقت ما . و الكلام هنا عن الساعه القوميه و النفسيه ، و ليس الساعه الكبرى التي هي من شؤون عالم آخر و لها مبحث آخر . و العجيب أن تصور أكثر الناس عن الساعه هو نفس تصور هذا الأعرابي ، فهم لا يرون أن لنفوسهم و أحوالها و أعمالهم و آثارها أي تأثير يذكر في انحدار الزمان أو صعوده ، أو لا أقل لا يبالون بذلك حق المبالاه .

فجاء جواب الرسول الرحيم " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " و هذه هي العباره الملطفه لما نقوله نحن بخشونه أحيانا و إن كان في بعض الخشونه لطف لمن عقل . فالرسول صرفه عن النظر إلى الأمر من هذا الجانب الذي لا يسمن و لا يغني من جوع . فما الفرق إن علم أن هذه الساعه ستقوم بعد ثلاثه أيام أو بعد ثلاثه آلاف سنه ؟ ما الفرق فعلا ؟ فكر في الأمر . فلنفترض أن هذه الساعه ستقوم في حال حياتك أولا ، ثم نفترض أنها ستقوم بعد مماتك في هذه الأرض . و لا يوجد احتمال ثالث . إن كان في حال حياتك ستقوم ، فإن المفترض هو أنك تسأل عنها من أجل أن تسارع إلى عمل الصالحات في حال كانت قريبه ، و هذا يتضمن أنك الآن تعمل السيئات و تحيا في الباطل ، مما يعني أن سؤالك عنها هو كما قال القرءآن " بل يريد الإنسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامه ". فإن كان هذا هو حالك ، فإن تصنع القيام بالعمل الصالح لا يغني عند الله شيئا ، إذ الميزان يوم القيامه ليس إلا " الحق " و " من أتى الله بقلب سليم " فأن تظهر عمل بعض الصالحات ببدنك هو وهم منك لا وزن له . فعملك و ما تحيا فيه هو انعكاس تلقائي و عفوي لحال قلبك و مستوى عقلك . و الوزن للجوهر و ليس للصور . " الوزن يومئذ الحق " و " يوم تبلى السرائر". فحيث أنك تعمل السيئات و تحيا في ما يخالف الرؤيه القرءآنيه و شؤونها ، فهذا يعني أن قلبك قلب مجرم ، قلبك ميت ، و عقلك متسفل ، فبدل أن تعرف أن الساعه ستقوم بعد ثلاثه سنوات ، و لنفترض أنك تعلم أنك ستحيا حتى ذلك الحين ، فتقول " سأحيا في السيئات و الباطل لمده سنتين و نصف ، ثم سأتوب في آخر نصف سنه قبل قيام الساعه " ، و أظن أن سخافه ما تفكر به أصبحت واضحه بعد التعبير عنها بالكلمات البينه ، فإنه حتى إن أردت أن تمشي في هذا السخف فإنك لا تدري إن كان الله سيوفقك أصلا للتوبه في ذلك الوقت ، بالإضافه إلى أن تصنعك بالعمل الصالح - الذي تحسب أنت أنه المقصود بعمل الصالحات في القرءآن و كما علمك إياه وعاظ الجماهير - سيعطيك قيمه في ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين . فعلى كل الأوجه ، و مع افتراض علمك بالكثير من الأمور التي لن تعلمها، مع كل ذلك لا فائده من السير في هذا الطريق . فأعرض عنه إن كنت من أولي الألباب . و أما الاحتمال الآخر و هو أن الساعه ستقوم بعد مماتك ، فإن هذا يعني أنه لا فائده من علمك بها أصلا ، فاطرح المسأله من البدايه . فعلى كلا الاحتمالين لا فائده من السؤال الأعرابي " يا رسول الله متى الساعه ؟ " و حتما لا منطق في سؤال الكفار " متى هذا الوعد إن كنتم صادقين " . و رسول الله عليه السلام حين أجاب بنفس الجواب القرءآني في المعنى " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " إذ هذا فيض من قرءآن " لا يجليها لوقتها إلا هو " ، قد أجاب بالحكمه العميقه كما هو متوقع من جنابه المقدس عليه الصلاه و السلام ، و حجب الله علم ذلك عن خلقه لأنهم سواء علموا أو لم يعلموا فإن الأمر من حيث الحق سواء . هذا أقل ما يقال في هذه المسأله .

" و لكن أشراطها " و معلوم أن هذا من قول القرءان " فقد جاء أشراطها " نصا و معنى . كل ما هو متعلق بأمور الزمان ، من أوله إلى آخره ، يتنزل من فيض سوره العصر . فسوره العصر تقول " و العصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين ءامنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر " . ماذا سيفرق لو كانت السوره بالعكس ، أي : إن الإنسان لفي فوز ، إلا الذين كفروا و علموا السيئات و تواصوا بالباطل و تواصوا بالجزع . مثلا ؟ إن سوره العصر تعطي القاعده و الاستثناء فيما يتعلق بالزمان الذي بعث فيه رسول الله عليه الصلاه و السلام . كلمه " العصر " من الأعصار و من عصر الشئ إذا عصرته كقوله " أنزلنا من المعصرات ماءا ثجاجا " . فالأعصار الزمنيه و التعصير المعنوي كلاهما حق في هذا السياق . فالعصر الزمني الذي بعث فيه رسول الله هو الذي قاعدته " إن الإنسان لفي خسر" و الاستثناء فيه " إلا الذين ءامنوا .." . فهو عصر ظلمات . أي في قوس النزول من فلك الزمان. ففي قوس النزول يكون الدفع إلى أسفل ، أي إلى جهه الهاويه و الابتعاد عن الهويه أي النورانيه و القطبيه العلويه . و لذلك أهل النور في هذا القوس الزمني يعتبروا ممن "يسبح عكس التيار " . فجيران النهر كالزمن ، و في كل زمن يوجد من يسبح مع التيار في جريانه و هؤلاء يجدون سهوله إذ الجو العام و صفته تدفعهم و تعينهم على السباحه بهذا الاتجاه بل تحملهم حملا . و أما الذين يسبحون عكس التيار ، فهم الذين يجاهدون و يجدون صعوبه . و هذا معنى " القابض على دينه كالقابض على الجمر " و غير ذلك فيما يتعلق ببعض الأزمان . كما أن السامري في حضره موسى و من قبل ذلك ابليس في حضره الروح الأعلى ، كان يسبح عكس التيار إذ التيار نوراني في تلك الحضره ، فكان ما كان . فالسؤال الآن : ما هو التيار في العصر النبوي ؟ الجواب : يقول القرءآن " و العصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين ءامنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر " . فالتيار إلى أسفل . و لو كانت بالعكس ، لكان التيار إلى أعلى . فهذه الأمور الأربعه التي ذكرتها سوره العصر هي المبادئ التي تحكم الزمان كله . فإن كانت الأربعه قائمه بالصيغه التي ذكرها السوره كقاعده ، فهو عصر النور ، و إن كانت قائمه بالعكس فهو عصر الظلام . أي أن الغالب على الناس هو الكفر و عمل السيئات و التواصي بالباطل و التواصي بالاستعجال و الجزع . و المبادئ من حيث أنها مبادئ تكون حاويه بالقوه لمصاديقها و ألوانها و صورها المتعدده . روايات آخر الزمان و ما بعده إنما هي ذكر لهذه المصاديق و الألوان و الصور المتعدده بعضها أو كلها . ففي عصر النور ، يتم عصر الإنسان أي أن التيار العام يضغط عليه ليكون نورانيا و يؤثر فيه تأثيرا معنويه و ليس سلطويا خارجيا بالضروره ليكون نورانيا . و في عصر الظلام يتم عصر الإنسان أي أن التيار العام للناس و المجتمعات و الأنظمه الاقتصاديه و السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه القائمه تضغط عليه و تلزه و تدفعه و تيسر له سلوك طريق الظلمات . ثم الأعصار من بعد ذلك درجات و دركات في النور و الظلمات . و لذلك المقابل القرءآني لكلمه " الزمان " في الروايات هي كلمه " العصر " ، و إن كان ذكر الزمان في الروايات هو لتبيين حيثيه من حيثيات كلمه العصر ، و هكذا الكثير من الروايات النبويه و الكلمات العلمائيه تأتي لتبيين جوانب قرءانيه ، و أما أعظم تفسير للقرءان فهو القرءان نفسه .

" أشراطها " ، حيث أن الحديث عن " آخر الزمان " و هو قعر الظلمات التي يمكن أن يقع فيها الناس في حالهم العام ثم بالتالي ظهور هذا الحال في حالهم في الأرض ، " ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس " و لا تكسب أيدهم إلا بعد أن تكسب قلوبهم و تتغير نفوسهم ، فهذا يعني أن أشراط آخر الزمان هي مقدمات بلوغ قعر الظلمات . فهي ليست قعر الظلمات بنفسها ، و لكنها مقدمات أوليه لبلوغها . و هذا الضوء ينبغي النظر في مضمون هذه الروايه من حيث الأشراط .

...
ذكرت الروايه سبعه أشراط : تقارب الأسواق ، و مطر و لا نبات ، و ظهور الغيبه ، و ظهور أولاد الغيه ، و تعظيم رب المال ، و علو أصوات الفساق في المساجد ، و ظهور أهل المنكر على أهل المعروف .

إنما ذكرت هذه الروايه بالتحديد لأنه قد فتح لي أن هذه الروايه يقع جزء كبير من موضوعها على زمننا هذا بالتحديد ، و لا يمكن أن يتم تنزيل مضمونها كله - كما سنرى إن شاء الله - على أي زمن قبل هذا الزمن ، و لا أقل أن انطباقها على هذا الزمن هو من الشده بمكان بحيث أنه لا يمكن تطبيق مثله على أي زمن سابق بمثل الكمال و الاتساق الذي تنطبق فيه على زمننا هذا . و ينبغي النظر إلى الروايه كما هي في النص النبوي ، و أيضا بالترتيب هذا، و أيضا بالمضمون كله و كأنه وحده واحده لأنه فعلا وحده واحده .

...

" تقارب الأسواق " . لعل هذه السمه هي من أبرز سمات هذا العصر ، و هو عصر السوق بامتياز . و " تقارب " تعني الكثره الكميه عموما ، و تعني قرب بناء بعضهم إلى بعض . و هل وجد في عصر سابق ، بل في أي قرن سابق ، و تحديدا في الخمسين أو سبعين سنه الفائته، أي قرن آخر لا يكاد يخلو شارع من سوق ، و بين كل سوق كبير و سوق كبير يوجد سوق صغير ، و بين كل سوق صغير و سوق صغير يوجد سوق أصغر ، و هكذا حتى تصل إلى العربات و الأكشاك على الأرصفه . و من أبرز تسميات الثقافه الحاكمه على جماهير العالم اليوم ، خصوصا في " البلاد المتقدمه " ، هي تسميه " ثقافه الاستهلاك " . و هذا متوقع إذ كثره الأسواق و تقاربها تعني ضروري وجود مقابل مستهلك لما تعرضه هذه الأسواق من بضائع . فالبضاعه بحاجه إلى جماهير مستهلكه . و مما يبنى عليه " تقارب الأسواق " بالضروره هو وجود بضائع كثيره ، بكل ما من شأنه أن يكون معروضا في الأسواق . و لكن ما هي هذه البضائع الكثيره و ما هو مصدرها حتى تملأ كل هذه الأسواق ؟ يأتي الوصف الثاني كقيد هنا إذ يقول " و مطر و لا نبات " . و إن كان هذا الوصف لم يتحقق بكليته في هذا القرن ، و لكن لا يخفى على مطلع أن الأمور تسير باتجاه هذا الوصف ، و لكن القدر الظاهر منه اليوم هو عدم الاعتماد الكلي على ما تخرجه الأرض " طبيعيا " . فالمتوقع من وصف " تقارب الأسواق " أن يكون المعروض في الأسواق هو من نتاج ما تخرجه الأرض بطريقه مباشره أو غير مباشره من نباتات . و لكن حيث أن " مطر و لا نبات " تقيد هذا ، فهذا يعني أن كثره البضائع التي ستملأ كل هذه الأسواق لابد و أنها قادمه من مصدر آخر غير مجرد نبات الأرض . و هنا يأتي التصنيع و الطرق الصناعيه المستحدثه حتى في استخراج نباتات ، كالزراعه الصناعيه داخل المباني المعده لذلك . بالإضافه إلى وجود عوامل غير طبيعيه بالمعنى العام لبروز هذه البضائع - المعنى العام اي التقليدي الذي هو استعمال ما تخرجه الأرض من نباتات بعد نزول المطر و نحو ذلك . و ظاهر للجميع أن مثل هذا التصنيع و صوره المتعدده هو من الشؤون الخاصه بهذا العصر عموما . و لكن يوجد حيثيه أخرى لوصف "مطر و لا نبات " و هو أن الأرض عندما يتم كتمها بالأسفلت و البناء عليها بما يقتل أي إمكانيه لزرعها ، كما هو حال البناء الحداثي كله تقريبا الذي قبل أن يبني البناء يجب أن يحفر في الأرض حفرا عظيما حتى يضع أساساته مثلا ، بالإضافه إلى انتشار المدن انتشارا عظيما و تعبيد الطرقات بالاسفلت ، مما يعني كتم الأرض و قتلها

من هذه الحيثيه ، و بالتالي " مطر و لا نبات " تدل أيضا على أنه في مرحله ما سيتم كتم الأرض كلها تقريبا أو كلها فعلا ، و حينها سيكون الناس قد توصلوا - بل قد توصلوا إلى حد كبير الآن - إلى طرق لصناعه الأغذيه البشريه باستقلال عن الحاجه المباشر إلى المطر و النباتات الطبيعيه .
فنستطيع أن نرى الأرض و قد ملأتها المدن الصناعيه ، و الأرض أصبحت ميته تحت اسفلت و زفت و أشباه هذه الأمور ، فتحتجب الأرض تحت هذا الموت عن ماء السماء ، و لا يبقى فوق الأرض إلا ما صنعه كفره و فجره البشر الذي احتجب الملكوت عنهم و احتجبوا هم عن كل ما هو غير أسفل سافلين ، بل حتى هذا العالم قتلوه عن كل حيويه فعليه بحيويه صناعيه لا يمكن تسميتها حيويه إلا مجازا . و من الضروري أن يتم غسل دماغ البشر في هذا السبيل ، إذ إن أرباب الأسواق " تقارب الأسواق " يريدون التسويق لبضائعهم ، و لن يشتري و يستهلك كالعميان إلا العميان فعلا ، و حيث أن هذه البضائع إما أنها متعلقه بشؤون البدن و تغذيته و لكنها على الأغلب صناعيه كيميائيه ، و إما أنها متعلقه باللهو المحض الذي لا يسمن و لا يغني من جوع إنما هو ألعاب طفوليه تناسب الكبار في السن و الصغار ، فالنوع الأول يمكن تسميته الأغذيه المميته ، و النوع الثاني الألعاب الطفوليه ، فهذا يعني أنه يجب على أرباب الأسواق أن يشحنوا كل طاقتهم و جنودهم في سبيل جعل هم الناس كله متركز على قبول هذين النوعين من الأمور . فالتغذيه المميته تحتاج إلى أناس لا يبالون إلا بالطعم و اللذه اللسانيه ، و لا يهتمون كثيرا أو أبدا بنوعيه و كيفيه الطعام الذي يدخل في معدتهم ، و معلوم أن آثار الأغذيه السيئه تظهر بعد حين ، و لكن اللذه اللسانيه من الطعم هي أمر عاجل و آني، فيجب إذن أن يتم برمجه البشر على أن يهتموا كل الاهتمام بما هو " الآن " فقط ، و حبذا لو تم نسف فكره السببيه الحقيقيه من عقولهم - بل أدمغتهم إذ في هذه المرحله من البشريه لا يوجد عقول بالمعنى القرءآني العرفاني . فالماضي عدم بكل المعاني ، و المستقبل مجهول بل المعاني ، و ليس بالتأكيد بالمعنى العرفاني لهذه المقولات و كثيرا ما يشبه الكفر العرفان لأن الأقطاب المتضاده تماما يعكس أحدها الآخر و لكن بالمقلوب و بالتأكيد مع عدم الوعي بكل حيثيات المقوله العرفانيه ، و المهم أن لا يكون في وعي الناس إلا الاهتمام بالعاجل المحض ، و اللذه الآنيه فقط . و كذلك في الألعاب الطفوليه ، سواء ما كان منها معقدا مثل الحرووب السياسيه و النزاع على المناصب في الشركه و ما أشبه من ألعاب " الكبار " و لكن هذه لا تعرض في الأسواق إلا أنها من لوازمها أحيانا ، أو ما كان من قبيل الأدوات التكنولوجيه المتعدده التي يعرفها الجميع تقريبا . و هذه الألعاب الطفوليه التي يمكن أن تباع في الأسواق تحتاج إلى ترسيخ ثقافه الاستهلاك في البشر على نحو عظيم ، إذ إن البضائع ستصدر كل يوم ، و بالتالي يجب أن يتم شرائها كل يوم ، و هذا يعني أنه يجب أن يرغب البشر في شراءها كل يوم . فيجب أن يكون " الجديد " قيمه في حد ذاته . يجب أن يكون وصف الشئ بكونه " جديد " دافعا ذاتيا لاعتبار الشئ ذو قيمه ، أو لا أقل أن يكون سببا فاعلا يؤدي بالمستهلك إلى الشراء حتى لو لم يكن المنتج قد أضيف إليه فعلا شئ كافي لأن يتم استبدال شبيهه الذي يملك الشخص من قبل . و من ناحيه أخرى ، ستحتاج الشركات بالضروره إلى أن تحجب كل ما عندها من علم في أمر ما ، و أن لا تصدر أحسن ما تستطيع أن تصدره في وقت امتلاكها للفكره المعينه ، إذ إنها إن أصدرت كل ما تستطيع أن تصدره ، قعدت بعد ذلك خاليه اليدين بدون مدد جديد للسوق ، فيجب أن يتم الاصدار بالتدريج حتى يبقى البشر أسارى لهذه الشركه و منتجاتها ، و لكن بما أن انكشاف الفكره للجماهير أو أهل الصناعه الآخرين قد يؤدي إلى زهد الناس في أول من أصدر المنتج ، فهذا يعني أنه يجب أن يتم وضع قوانين لحمايه الملكيه الفكريه و الانتاجيه للأول . و هذا يعني ثقافه الاحتكار بدل ثقافه الانتشار . و هذه الثقافه تحتاج - ككل ثقافه - إلى وضع رؤيه وجوديه تناسبها و مناهج فكريه تؤيدها و نقض ما يخالفها من رؤيه و مناهج . و كل

هذا يجب أن يتم في مصانع الأدمغه البشريه المستهلكه و العامله ، أي المدارس و الجامعات و منابر الإعلام المختلفه . و المدارس الحديثه ليست إلا هذه المصانع . و مهمتها الحقيقيه هي صناعه بشر يمكن أن يكونوا من الموظفين في هذه البشريه الممسوخه من جهه ، و أن يكون من المستهلكين لنتاجها الممسوخ من جهه أخرى . و التدقيق في قصه المدارس الحديثه ، بالإضافه إلى دراسه نفس أحوالها و قيمها و أساليبها و كتبها كاشف بحد ذاته عن هذه الحقيقه بالإضافه إلى حقائق أخطر و أسفل منها أيضا . و حيث أن هذا ليس موضع مثل هذا التفصيل فنكفي بالإحاله إلى من نرى أنه قام بعمل عظيم في هذا الكشف و هو الاستاذ جون تايلور غاتتو . و أحيل إلى رجل غربي امريكي بالتحديد - بالإضافه إلى خبرته و عمقه و حسن بيانه - لأنه من هناك بدأ انتشار هذه المدارس الحديثه بصورتها الأبشع .

فنرجع إلى وصف " تقارب الأسواق و مطر و لا نبات " و الذي يدل على أن الصناعه البشريه قد حلت حلولا عظيما محل الصناعه الطبيعيه الربانيه . و بما أن " تقارب الأسواق " يقتضي أن يتم نقل البضائع من هذه المصانع إلى هذه الأسواق في كل مكان ، فهذا يتضمن الكشف عن حدوث أنواع قويه من النقل .

" و ظهور الغيبه " . لطالما وجدت الغيبه ، و لكن الوصف هنا بقوله " ظهور الغيبه " في مثل هذا السياق له دلاله أكبر من مجرد كلام فلان عن علان بالمعنى الساذج . ففي القديم كان عموم الناس لا يعرفون إلا قله من الناس الذين يخالطونهم في القريه أو المصر و المدينه . و القله فقط من الناس هم الذين كانوا يسافرون كثيرا و بالتالي يعرفون الكثير عن غير أهل قريتهم أو مدينتهم المباشره .

فالغيبه لم تكن ظاهره بشده ، بالمعنى الذي تريده هذه الروايه الشريفه ، إذ إن سبب هذا الظهور لم يكن قائما . و الذين كانوا يسافرون كثيرا هم غالبا من العلماء أو من أهل السياسه كالسفراء ، و العلماء لم يكن لهم اهتمام عموما بالحديث عن الآخرين و اغتيابهم بالمعنى السلبي لذلك إذ شغلهم بالعلم و شؤونه ، و كذلك أهل السياسه الذي لهم هموم أخرى و لم يكونوا يخالطون في الغالب إلا أهل السياسه مثلهم و حديثهم محدود في ذلك . فوصف " ظهور الغيبه " في سياق موضوع آخر الزمان لا يمكن فهمه حق الفهم إلا في ضوء ما يسمى ثوره الاتصالات الحديثه . فعامه الناس أصبحوا يعرفون و يتحدثون بل و يسبون و يشتمون و يجرحون في شتى أنواع الناس و طبقاتهم ، فالعامه في الشرق يرون في التلفاز أهل الغرب ، و أي فرد في الغرب قد يقرأ في التويتر و الفايسبوك عن فرد آخر في الشرق ، و هكذا . و الغيبه هي الحديث السئ عن الآخر بدون حضوره ، و يوجد فرق بين الغيبه و البهتان كما بينت روايه أخرى . فالغيبه هي الحديث السئ بما في الشخص ، و البهتان هو الحديث السئ بما ليس فيه . فظهور الغيبه تعني الحديث السئ عن ما هو في الشخص فعلا . فما ظنك و أن البهتان أيضا قد انتشر . و "ظهور الغيبه" يعني انتشار ما أصبح يعرف ب "فضائح" الناس من الشرق و الغرب على كافه وسائل الإعلام الشخصيه و الاجتماعيه . و اليوم تجد شخص في الحجاز يتحدث عن ماذا فعل شخص في واشنطن قبل بضعه دقائق ، و يبدأ في التقييم الجيد أو الغيبه أو البهتان ، و هذا معروف للجميع . فإن كان " تقارب الأسواق و مطر و لا نبات " يدل على انتشار المدن و وسائل النقل بينها ، فإن "ظهور الغيبه" يدل على انتشار التواصل بين أهل المدن و وسائل التواصل السريعه نسبيا بينهم . و هنا ندخل على ما يعتبر من أهم ظواهر هذا العصر و هو ما يشبه بلسان القرءآن قوله عن السد الحاجز ليأجوج و مأجوج حين يتم دكه و هدمه و زواله، " و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض " .

في العصور التقليديه الأصيله - أي المرتبطه بالحق سبحانه بنحو أو بآخر - بالرغم من حدوث تواصل بين الشعوب ، فإن دين و شرعه و منهاج كل قوم كان منفصلا عن الآخرين إلى حد كبير . فالأقوام الهنديه حافظت على هويتها الهندوسيه العامه ، و كذلك الأقوام المسلمه و كذلك غيرهم . و كان عوام الناس في كل قوم منعزلون إلى حد كبير عن تفاصيل ديانه و شرعه بقيه الأقوام ، و إن كان لقله قليله من علماء الأقوام صله و تعمق ببقيه الديانات و المناهج الوجوديه فإن هذا ظل كما قلنا منحصرا في قله قليله . و لكن أحد أهم خصائص العصر الحداثي هو زوال هذه الحدود الفكريه و المنهجيه بين الأقوام . فأصبح لكل قوم إمكانيه الاطلاع على ما عند الآخرين . و حيث إن " الجماهير حمير " ، و هذا العصر هو عصر الجماهير بامتياز ، فهم الملوك على التحقيق و البقيه في خدمتهم و ساعيا لاستملاتهم بدرجه أو بأخرى ، فإن مستوى دماغ الجماهير - تلقائيا - سيكون هو " العقل " . و خصائص هذا العقل الجماهيري ستصبح هي المعيار الأساسي الذي على مقياسه سيتم تحديد الحقيقه و بقيه شؤونها . فلما تم الاطلاع على ما عند الأقوام تم التركيز - و لا عجب - على أسطح و أسفل شئ عند هذه الأقوام . أي بالتحديد تم اغفال الجانب الميتافيزيقي العرفاني ، بل حتى الميراث الفلسفي النظري العميق إلى حد كبير ، و تم التركيز على سطوح العقيده المبتذله ، مع تركيز على الشعائر أو الطقوس بالإضافه إلى شئ من الأخلاق و القصص . باختصار تم التركيز على دين العوام . و أصبح هو " الدين " ، و ما سوى ذلك من أمور في كل الأقوام هو إما بدع أو شطحات خارجيه من قبل أفراد مستقلين أو نحو ذلك من عناوين اقصائيه . فلما تم وضع عقائد الأقوام في صف واحد ، تم رؤيه تناقضها و اختلافها الذي يقصي كل منها الآخر . فهذا يقول " كتابي أفضل كتاب نزل من السماء " و ذاك يقوم نفس الشئ ، و الثالث يقول نفس الشئ . و حيث أن عنوان " أفضل كتاب " لا يمكن أن يتعدد - في الظاهر على الأقل و هذا هو المستوى الوحيد الذي يمكن أن ينظر فيه العوام - فإنه تم النظر إلى كل الديانات إما على أنها أمور " ذاتيه " أي حقائق ذاتيه ليست حقائق موضوعيه خارجيه ، فكل قوم يقولون ما يشاؤون ، و إما على أنها كلها كاذبه من اختلاقات السياسه و الضرورات الاقتصاديه ، أو سبعين عنوان آخر كلها تشترك في رفض الحقيقه الواقعيه لدعاوى الديانات ، و تختلف في ما سوى ذلك . و كل حضاره تقليديه قائمه على ديانه . هذا لا استثناء فيه . و كل ديانه قائمه على الحقيقه الواقعيه لمقولاتها و دعاواها . فقتل هذه الواقعيه هو قتل للمقولات ، و قتل المقولات هو قتل الحضارات . و قتل الحضارات التقليديه هو البوابه الرئيسيه للدخول في جهنم الحضاره الحداثيه . و هذا ما أرادوه و هذا ما قاموا به ، و إلى حد كبير - خصوصا في العقود السالفه - نجحوا في ذلك . فتداخل الشعوب ، و دينهم أصبح تقريبا واحد من الناحيه الفعليه ، و هو دين الحداثه ، و أما ما سوى ذلك من مختصات الشعوب فهو أمور ثانويه أو ثالثيه ، و هي مجرد " جزء من الحياه " ، كما يقول بعض كبار مشايخ أكبر المدارس الدينيه الإسلاميه في العالم الإسلامي مفتخرا بأن شعبه يرى أن " الدين جزء من الحياه " و كأن هذه العباره مفخره ، و هي مهزأه فضلا عن أنها مسخره . لأن الدين ليس جزء من الحياه ، الدين هو نفس الحياه . و أما مقوله " الدين جزء من الحياه " فإنها تكشف عن واقع أن بقيه الأجزاء ليست من الدين ، فإن لم تكن من دين الله فهي من دين الجاهليه إذن . و لا يمكن لرؤيه توحيديه أن ترى أن بعض الحياه لله و بعضها ليس من الله . يستحيل على عين قرءانيه أن تقبل بمثل هذا البرص الفكري و الاجتماعي . إلا أن هذه المقوله واقعيه من حيث انطباقها على حال الكثير بل كل الشعوب تقريبا . و هو النتيجه المنطقيه لقواعد الحداثه و أصول دينها. إذ الدين - أي دين يعتبر مظهرا للحق الإلهي و الملكوتي - بعد أن يتم تجريده من الحقانيه الواقعيه لمقولاته ، فإنه لا يبقى إلا شأنا " ذاتيا " بالمعنى الحداثي لهذه العباره ، أي مجرد شئ عاطفي نفساني يسلي كل امرء به نفسه ليمر في هذه الحياه التعيسه - و هي

حياه تعيسه فعلا مع وجود هذه البدعه الحداثيه و التي هي المصداق الأكبر للبدعه التي في النار. فهذا هو الجانب الظلامي الأساسي لتواصل الشعوب مع بعضها البعض . و بالطبع لكل جانب ظلامي جانب نوراني " إن مع العسر يسرا " و هو الذي سنذكره بعد ذلك إن شاء الله .

فالصفات الثلاثه الأولى " تقارب الأسواق و مطر و لا نبات و ظهور الغيبه " تدل على كل ما فات و أكثر . ثم تأتي الأوصاف الأخرى كمظاهر أخرى على الأمراض الحداثيه و منها "ظهور أولاد الغيه " . و هم أولاد الزنا و السفاح . و بالطبع كان هؤلاء - و هم لا ذنب مباشر لهم في تولدهم كما لا يخفى إذ " لا تزر وازره وزر أخرى " - موجودون أيضا في كل القرون. و لكن عباره " ظهور " تدل على أن في نفس موضوع النكاح و أحكامه قد حصل تغيير . فالظهور يدل على التغيير الجذري بحيث أن الأثر و الثمار الناتجه عن هذا التغيير أصبحت تتولد و تظهر بصوره اعتياديه و استمراريه تلقائيه . فما علاقه هذا الظهور بآخر الزمان ؟ إن ظهور أولاد الزنا و السفاح يدل على أن العلاقه بين الرجل و المرأه قد أصبحت مجرد علاقه متعه بحته ، أو أن الفرديه السلبيه قد أصبحت قيمه اجتماعيه عاديه . و كلا الأمران حق قد وقع . و أصلا العلاقه الزوجيه هي مسأله دينيه متعلقه بالرمزيه و ظهور مثل علوي في صوره سفليه . فلما يتم الجهل بل الكفر العنادي بكل ما هو رمزي و حقائق هذه الأمور ، و اعتبار الرموز مجرد وسائل أدبيه في التعبير عن أفكار معينه ، و ما سوى ذلك من تسفيل و قتل لحقيقه الرموز التي هي لسان القرءان و الوحي ، فإن نقض تمثلات هذه الحقيقه و التي منها موضوع النكاح في صوره الشرعيه يصبح أمرا متوقعا و منطقيا . إذ نقض الأصل نقض للفروع و لو بعد حين . فبدل أن يكون النكاح وسيله لتقريب الأسر المتباعده بعضها إلى بعض ، و هذا أحد أسباب تحريم نكاح المحارم ، يمسي الأصل في المدن أن يحيا كل فرد بنفسه أو مع فرد أو بضعه أفراد مما يمكن أن يسمى بأسرته الصغيره . و بدل أن تكون الفرديه هي الاستقلال بعقل الحقائق العاليه - كفرديه ابرهيم - تصبح الفرديه بعد تسفيلها هي التقاطع و التدابر بين الناس و انحصار كل واحد منهم في " شؤونه الخاصه به " و تصبح "الخصوصيه" قيمه ذاتيه في دين الحداثه و أحد أوثانها .

و بما أن العلاقه أصبحت متلاحمه جدا - في الظاهر - بين الأقوام ، و العلاقات الاقتصاديه هي الأساس الأكبر لذلك ، و العلاقه بين الأفراد في المدن أصبحت شبه معدومه من الناحيه العميقه ، فإنه لابد أن يكون يوجد عامل يوحد هذه الجماعات المتفرقه التي لا يجمعها مبدأ علوي و لا أصل سفلي . إذ يستحيل أن يوجد اجتماع بلا مبدأ جامع ، و الكلام كل الكلام في هذا المبدأ الجامع . فما هو في دين الحداثه ؟ الجواب المنطقي هو الوصف الخامس " و تعظيم رب المال " . فالمال هو هذا المبدأ الجامع ، ثم من يملك المال يملك التعظيم ، و تغيب شخصيه الإنسان في عينيه ما يملكه في الظاهر أو ما توافق المجتمع على صحه نسبته إليه للدقه ، فيصبح " رب المال " . فهويه الإنسان يتم تسفيلها حتى تغيب في هذا " المال " . و بالتالي يوجد أرباب بقدر ما يوجد مال منتشر بين البشر . و هؤلاء هم آلهه الحداثه التي تزعم أنها " موضوعيه واقعيه لا ربوبيه و لا إلهيه فيها " . و اعطاء هذه القيمه الربوبيه للمال هو من حيث أن الرب هو الفاعل الممد المعطي ، ففي عصر السوق يصبح ما يؤدي إلى امتلاك الشئ أي سببه هو المعظم ، إذ كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فكذلك ما لا يمتلك المحبوب إلا به فهو محبوب ، و ما لا ينال العظيم إلا به فهو معظم . فالأشياء لها أسعار ، و هذه الأسعار مقيمه بمال ، و بالتالي المال معظم ، هنا المال من حيث أنه نقود و وسيله للشراء. و لكن المال أيضا يأتي بمعنى الشئ نفسه ، فالأرض الزراعيه مال ، و الطعام من المال ، و هذا الشق

المتعلق بالبضائع نفسها . فالمحل الذي ينتج هذه البضائع هو أيضا يصبح معظم. و هذا ما أصبح يعرف في هذا القرن بالشركات العملاقه و الشركات التجاريه عموما . فيصبح "رب المال" هو الإنسان الكامل في دين الحداثه . و كلما كثر مالك كلما علت درجتك . و بما أن المال - بعكس العلم - هو من الأمور التي فيها مزاحمه شديده ، و لا يمكن أن تنتشر عند البعض إلا بعد أن تنحسر عند البعض الآخر ، فهذا يعني أن النزاع و التصارع الشعوري و اللاشعوري هو أيضا خاصيه أخرى تقوم عليها الحضاره الحداثيه ، بل هي صلبها ، إذ الإنسان من حيث فطرته مجذوب نحو الإنسان الكامل ، فعندما يتم تصوير هذا الإنسان الكامل في عين قلبه - إن كان له قلب أصلا - على أنه " رب المال " فهذا يعني أنه سينجذب نحوه تلقائيا و بلا تكلف . و طقوس جمع المال و الجهاد في سبيله هي الطقوس التي تمارسها الأقوام بنحو غائي ، أي أن المال قيمه في ذاته ، و ليس وسيله إلى شراء شئ محدد أو نحو ذلك كما هو الحال عند الإنسان العالي صاحب الذوق المعنوي ، أي الإنسان العاقل و المسلم. و لكن قيمه المال في الحضاره الحداثيه هو مرغوب و محبوب بحد ذاته ، هو المسيخ الدجال لمسيح قيمه العلم في الحضاره التقليديه . ففي الواقع عند الله ، القطب الأعلى هو العلم ، و القطب الأدنى هو المال . و لا يمكن أن يتوجه الإنسان نحو القطبين في آن واحد . و لهذا جمع النبي و حضره علي في روايات كثيره بين العلم و المال و المقايسه بينهما و تبيان قيمتهما و أولويه العلم في دينهما . و لهذا أيضا قال الإمام علي عليه السلام أن الدنيا و الآخره كالضرتين إن أرضيت أحدهما أسخطت الأخرى ، أو أنهما كالمشرق و المغرب إن سرت نحو أحدهما ابتعدت عن الآخر بنفس المقدار . طبعا هنا يوجد إشكاليه فكريه لطالما وقع الناس فيها في القديم و الحديث . و يمكن تلخيص هذه الاشكاليه في اعتراض يقوله العامي حين يسمع مثل هذا الكلام عن العلم و المال و أولويه العلم فيقول : فهل هذا يعني أن نعيش بلا مال. الجواب : بالطبع لا يعني ذلك بل هذا غير ممكن أصلا إذ المال هو في اللب الغذاء أو وسيله تحصيل هذا الغذاء ، فلا مال يعني الانتحار فعليا . و الجواب الأوضح هو في تبيان معنى القطبيه المتضاده بين العلم و المال . فإن هذه القطبيه تعني أنه إن كان أحدهما غايه فالآخر وسيله خادمه له . فقط لا غير . حين نقول أن العلم هو القطب في عالم المسلمين ، فهذا يعني أن المال و شؤونه كلها خادمه و عامله في سبيل العلم و العلماء و تيسير طرق التعليم و التفكير و الفنون المختلفه للناس ، و أن حياه الناس تتمحور حول العلم و التعلم و التفكير و الكتب و الصناعه الفنيه الصوتيه و الصوريه و الخطيه و الهندسيه و غير ذلك مما يتفرع عن هذا العلم الحق المتعلق بالمقدس و المتعالي في مبدأه . هذا معنى أن يكون العلم هو القطب الأعلى للمسلمين و في كل حضاره تقليديه . و لكن القطب الأسفل الذي هو المال ، و الذي هو القطب البديل تلقائيا للحضاره حين تترك قطب العلم و تهجره ، فإنه ليس " بعد الحق إلا الضلال" و ليس بعد الصعود إلا السقوط في الهاويه . و حركه البشريه نحو آخر الزمان ، و التي هي أيضا حركه الحداثه و من تجرهم خلفها ، هي عين هذا السقوط في الهاويه . و "تعظيم رب المال" ليس كتعظيم رب المال الذي كان موجودا في كل قرن عموما بدرجه أو بأخرى. بل هو وصف لظهور خاص لهذا الأمر . فهو قلب تام لموازين الفطره الإلهيه . بحيث أن البشر " نكسوا على رؤوسهم " فأصبحت رؤوسهم تحت ، و أوجلهم فوق ، و هذا أحد أسباب حكم الحق في أهل النار الذين يسحبون على وجوههم في النار ، فمن جعل وجه قلبه في الأرض و اتبع قطب المال و جعله هو الغايه بل أن يكون مجرد وسيله لخدمه العلم و الفن ، فإن جزاؤه الذي من من جنس عمله و على صورته المعنويه يصبح هو أن يتم سحبه في النار على وجهه إذ هو قد أسقط وجهه في النار بهذا الأسلوب في الرؤيه و الحياه . فالفرق بين الرؤيه التقليديه و الحداثيه في هذا المجال هو كالفرق بين تعظيم رب العلم و تعظيم رب المال .
فالإمام علي حين يقول " من علمني حرفا صيرني عبدا " ليس كمن يقول " من أعطاني خبزا

صيرني عبدا " . السقوط من الرؤيه الأولى للثانيه هو الحركه من الرؤيه التقليديه إلى الحداثيه . و طبعا حين يكون منزله الإنسان في الآخره و الأبد قائمه على مستوى العلم و مدى العقل و كيفيته ، كما قال الإمام العلوي " إنما يرتفع العباد غدا في الدرجات و ينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم " ، و حين نعلم قبل ذلك من سوره الكهف في مشرك الجنه الذي حكم الله بشركه حين تعلق تعلق عبوديه بماله أنه آل أمره إلى الإفلاس الحقيقي ثم إلى جهنم التي هي حظيره البهائم المفلسه عقليا ، فإنه ليس من العجب أن يكون الحكم الأبدي على الحداثه من حيث هي و بالتالي من يتبعها على أنه حكم بالإفلاس ، اللهم أن إعلان الحكم القضائي تم استئنافه حتى الجلسه القادمه حين يقوم القاضي المتعالي " يوم يقوم الروح و الملائكه صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا " . فتعظيم رب المال يعني أنه أصبح كعبه البشر ، و هذا يعني أن قلوب الناس أصبحت سفليه خارجيه إذ المال شئ تملكه أنت و تسيطر عليه أنت ، فهو دونك و دون دونك ، و هو أرضك بالنسبه لعقلك الذين هو عرشك و علم الذي هو سماواتك، و بالتالي يكون لازم تعظيم رب المال أن المستوى الوجودي للبشر قد أصبح فعلا في أسفل سافلين ، و حين يتم فلسفه ذلك التعظيم و اعتباره أمرا عاديا لا ينازع فيه إلا " متزاهد " أو "رجعي " أو " صوفي مخرف " أو " ماكر " أو نحو ذلك من عناوين تدل على سخف أصحابها فوق سخفهم الأصلي ، فإنه حينها يمكن أن يقف المسلمون و يكبروا أربع أو خمس أو سبع تكبيرات على البشريه ، و يقيموا مجلس عزاء على العقل الروحي . و ليس بعد هذا المجلس إلا الشفقه على هؤلاء البشر ، إذ إنك تنظر إلى سكان الجحيم لو كنت تنظر بعين اليقين و التي هي فيض من علم اليقين .
و ما الذي يحدث - منطقيا - حين يتم اتخاذ قطب المال - أو الدنيويات عموما - كغايه في ذاتها؟
الجواب : يصبح العلم وسيله للمال و الدنيا . و هذا غير أن نقول " نحتاج إلى علم لإصلاح الدنيا أو استعمالها " . فرق بين " علم لدنيا " و بين " العلم هو وسيله الدنيا " . ففي الحاله الأولى الأمر طبيعي و هو ما قامت به الحضاره الإسلاميه في شرقها و غربها ، و جمال الهندسه المعماريه و بقيه شؤون الدنيا الفنيه و الجماليه و الطبيه و الغذائيه و الرياضيه و غير ذلك من أكبر الشواهد على قيامها بذلك . و لكن العصر الحداثي في جذره لا يرى نفس هذه الرؤيه ، بل و كل إنسان دنيوي بحت و ليس فقط " حداثي " بالمعنى المعاصر . و لكن العلم وسيله الدنيا تعني أنه لا علم إلا ما كان كذلك . فما سوى ذلك لا يعتبر علما و إنما يعتبر ترف أو خرف و في كل الأحوال شئ ليس فيه شرف . فعبارات من قبيل " ما هي الفائده من هذا العلم " تعكس هذه النزعه المترسخه في ما تبقى من قلوب القوم- و الفائده هنا ليس من قبيل قول علماء أمتنا " فائده العلم " و إنما المقصود الفائده السياسيه أو الاقتصاديه أو الاجتماعيه أو أحيانا النفسانيه . فبدل أن يكون طائر العقل كالنسر يطير باتجاه شمس الحق و الإنسان الكامل ، أصبح كالنعامه تدفن رأسها فيرمل البدن أو كالعقرب خليل حجر الهوى .

فها قد عرفنا ما هو حال عموم البشريه في ذلك الزمان و لكن ما هو حال بعض أهل هذه الأمه في هذا الزمان ؟ يأتي الجواب في وصفين ، و الذي يدل على أن المسلمين في هذا الزمان على فرقتين عموما ، الفرقه الأولى هي " علو أصوات الفساق في المساجد " . و الفرقه الثانيه هي " ظهور أهل المنكر على أهل المعروف " . الوصف الأول يتحدث عن الحال " في المساجد" ، و الوصف الثاني يتحدث عن الحال خارج المساجد . فداخل المساجد " الفساق " و خارج المساجد " أهل المنكر " . و كلاهما يعبران عن فرقه واحده بطائفتين ، و إن كان الوصف الثاني يحتمل معنى عموم البشر أيضا من غير المسلمين . و يبقى " أهل المعروف" كحال أهل العقل الطاهر من بني اسرئيل في مصر

فرعون . " و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض " و هؤلاء هم الذين استضعفوا في الأرض .

" علو أصوات الفساق في المساجد " . أما عن " علو الأصوات " فبناءا على ما سبق يصبح علو الصوت هذا ليس بالنحو الذي يتبادر إلى ذهن من يقرأ هذه الروايه بعين زمان غير الزمان الذي تتحدث عن الروايه ، فيتخيل هذا القارئ أن علو الصوت هو الصراخ مثلا . و لكن علو الصوت هو بلوغ أصوات هؤلاء إلى مشارق الأرض و مغاربها و هم في المساجد . كما نرى شيخ سوء في مسجد في الغرب مثلا يفلسف الإسلام على نحو يجعله غربيا ميتا أيضا ، فيبلغ صوته إلى أهل المشرق . هذا هو علو الصوت من حيثيه . و من حيثيه أخرى ، و هي تتناسب مع الوصف الأخير ، فإن علو أصواتهم يعني أنهم الذين يسمعون الناس صوتهم بدل سماع صوت غيرهم ممن ليس من الفساق . أما عن " الفساق " فإن بادئ الرأي عند النظار أن الفسق هو عمل أخلاقي . و لكن الحق هو أن أساس الفسق عقلي ، و ما الأخلاقي إلا أحد تمظهراته السفليه . و لهذا قال القرءآن مثلا " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها ، فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، و أما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا و ما يضل به إلا الفاسقين ". فالفسق هنا متعلق بالخروج عن العقل ، " و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون " . نعم قال أيضا عن قوم لوط " إنهم كانوا قوم سوء فاسقين " و لكنه قال لوط عنهم قبل ذلك " بل أنتم قوم تجهلون " . فالفسق العقلي هو مبدأ الفسق الأخلاقي . إذ " كل يعمل على شاكلته " و شاكله الإنسان بحسب عقله و حال قلبه . و لاحظ أنه في ذلك الزمان ستكون المساجد موجوده من حيث ظاهرها ، و سيوجد فيها أناس يتكلمون و يحدثون الناس بالدين و قال الله و قال الرسول أيضا . فالنبي عليه الصلاه و السلام لم يقل أن المساجد ستكون معدومه في هذا الزمان الذي تتحدث عنه الروايه الشريفه . بل لا يوجد مسجد واحد فقط ، و لكن مساجد كثيره. و لكن الغالب على هذه المساجد هو " أصوات الفساق " . و يوجد إشاره عميقه في وصف ما يخرج من هؤلاء بأنه " أصوات " و ليس كلاما أو غير ذلك . فالصوت من حيث هو لا يدل على المدلول الذي يدل عليه الصوت بالكلام . فكأن هؤلاء الفساق لا يتكلمون أصلا ، أي حيث أنهم لا يعلمون الحق و لا عقل عرفاني لهم ، فإنهم عند الله في حكم الأبكم الذي لا يتكلم أصلا . فما يخرج منهم إنما هو أصوات فقط . و قد قال القرءآن عن أقوام أنهم موتى ، و حكم عليهم بأنهم عمي ، و لكنهم كانوا أحياء من حيث بشريتهم ، و نظار من حيث أعين أبدانهم كما هو معلوم . فالله تعالى " يقول الحق " أي قوله يتناسب مع حقائق الأمور ، و ليس ظلالها العرضيه . فهم عند الله عمي ، أي قلوبهم عمي ، و أما قوالبهم ما حالها فهو أمر عرضي لا يقدم و لا يؤخر حين توضع الموازين العاليه و يكون " الوزن يومئذ الحق " . أساس الفسق هو عدم عقل الأمثال و بالتالي غياب الرؤيه التوحيديه للوجود ، و غياب الصله التي تربط العالي بالداني ، و تلحم المبادئ الشرقيه بالصور الغربيه . و الفسق عدم العقل ، فهو الجهل بحقيقه القرءآن . و في ضوء ما سبق من أوصاف ، فإن هؤلاء الفساق - إذ ذكروا في عرض باقي الأوصاف - يكونوا هم الذين يمثلون من ينتمي ظاهرا إلى هذه الأمه الإلهيه و لكنه في الواقع قد خضع فكريا للأنماط و الأطر و الرؤيه و المناهج التي يقوم عليها ذلك العصر الظلامي . فهو منهم و لكنه قد يريد أن يكون منا ، فهو كالمنافق الذي لا هو إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء . فهو يجلس في المسجد - لعله لأنه يعلم أنه بدون المسجد لا يساوي فلسا عند الآخرين - و لكنه لا يريد أن يكون من المسلمين قلبا و قالبا ، إذ إنه سماع للقوم الآخرين و قابل عنهم شئ من قيمهم و رؤاهم للوجود و مناهجهم في التفاعل معه و العمل فيه . و حين يتم احتلال المساجد التي

هي بيوت اشراق شمس القرءآن و بروز قمر العرفان على قلوب المسلمين ، حين يتم احتلالها و غزوها من قبل من لا عقل عالي لهم ، من قبل الفساق بعباره الرسول الأكرم عليه السلام ، فإن مصادر طاقه المسلمين من الحيثيه الاجتماعيه تكون قد انكسف و انخسفت . إذ الأصل هو أن الأرض كلها " مسجدا و طهورا " كما قال النبي عليه السلام . و لكن حيث أن الأرض أصبحت دنيويه بدل أن تكون علويه التوجه ، فإن بناء المساجد أصبح ضروره للحفاظ على طهاره الأرض قبل أن يدنسها البشر بسفالتهم ، فبقيت المساجد هي الحصون الإلهيه و القلاع النبويه و مرايا الجنه على الأرض . فخارج المساجد يوجد " تقارب الأسواق و مطر و لا نبات و ظهور الغيبه و ظهور أولاد الغيه و تعظيم رب المال " و لم تبق إلا المساجد كمكان خالص للتوجه للعقل العلوي و النور القدسي و لدراسه القرءآن و التفرغ للرحمن . فهل سيترك أعداء الله و أعداء المسلمين لله هذه المساجد بلا أي تدخل ؟ هيهات ! لابد أن يتم هذا التدخل . إما مباشره من قبلهم و من قبل تعيين الفساق - من انكسف شمس العقل عن قلوبهم و بالتالي كل حياتهم - مباشره أو غير مباشره من قبل دخول هؤلاء الفساق - الذين خرجوا عن دائره الملكوت - بإرادتهم و لعله بحسن نيه و من أجل " تثقيف الناس و تنويرهم " أيضا . و آيه كل هؤلاء - أحد آياتهم - أنك لا تكاد تشم رائحه عرفان ، كما أنك ترى أنهم ينظرون و يفلسفون للحياه الحداثيه و كأنها حياتهم و كأنها " الأمر الواقع " الذي يجب أن يتم " التعايش معه ". على أساس أنه يمكن لمحمد أن يتعايش مع أبي لهب ، و فاطمه مع حماله الحطب ، و علي مع جرو الكلب الثعلب و الحسين مع ذاك الذي ليس له أدنى قلب . و لكن أي فائده من هذا الكلام مع من هم بحكم الرسول " الفساق " الذي خرجوا عن دائره العقل و الطاعه و سقطوا في مربع الجهاله المركبه . فالحاصل أنه حين يتم هذا الاحتلال ، سيتم تحول العلماء إلى دور الستر ، فتحل الصفه السابعه و هي " ظهور أهل المنكر على أهل المعروف " . المنكر ما أنكره الحق ، و المعروف ما عرفه الحق . و لهذا قال " و هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون " و قال " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " . فأهل المنكر هم الذين ينكرون المعروف عند الله و القرءآن و يعرفون ما أنكره الله و القرءآن . و هذا من قلب الموازين بجعل عالي الأمور سافلها . و هذا الظهور هو ظهور خارج حدود المسجد ، إذ ما فات كان في المسجد في شأن الفساق ، و أما هذا فهو في الساحه الاجتماعيه الشعبيه عموما . فينتقل أهل الله إلى دور الكهف كالفتيه على اعتبار ما في تلك القصه يدركه أهل العقل القرءاني .

فما العمل إن فتحت أبواب جهنم السبعه بوقوع هذه الصفات السبعه في زمان ما ؟ الجواب من النبي صلى الله عليه و آله هو " فمن أدرك ذلك الزمان : فليفرغ بدينه و ليكن حلسا من أحلاس بيته " . و هذا الأمر ينبغي أن يقرأ في ضوء أوامر قرءانيه و روائيه أخرى ، و ليس معزولا عنها ، بالإضافه إلى أنه يجب أن يقرأ في ضوء الروايه نفسها و ما تم استنباطه منها. ففي القرءآن أن النبي أصلا لا يظهر إلا في أهل ظلام و سقوط معنوي . فإن كان وارث النبي لن يظهر ما عنده إلا بعد أن تكون الأمور ميسره و قابله بحب لما عنده ، فهذا يعني أنه تقريبا لن يظهر أحد ما ورثه من العلم . فإن الشمس تشرق في الليل فتبدل الحال . و المريض هو الذي يحتاج إلى الطبيب . فإن قال الطبيب " لا أذهب إلا إلى أصحاء " فما فائده طبه أصلا ، و قد وصف الإمام علي عليه السلام النبي بأنه " طبيب دوار بطبه " . فهو ليس طبيب قابع في موضع ما ، و لكنه أيضا " دوار بطبه " أي متحرك به و ساعيا به نحو المرضى الذي يرغبون بالشفاء . و لكن مع ذلك فإن أهل الكهف الذين كانوا في عين الله " فتيه " و معلوم أن الفتوه هي الاستقلال العقلي و الاستمداد العلمي من الحق تعالى بالنظر و التبصر و رؤيه ملكوت الأشياء ، كما هو حال ابرهيم " إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم " و قد

وقف ابرهيم مواقفه التي يعلمها أهل القرءان و غيرهم . فأهل الكهف لم يقولوا : لنكن كابرهيم و نخرج على الناس . و لكنهم قالوا " و ليتلطف و لا يشعرن بكم أحدا . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم و يعيدوكم في ملتهم و لن تفلحوا إذن أبدا " . و في هذه الآيه الأخيره العله من عدم ظهورهم . فحيث يوجد الرجم و الإعاده في المله جبرا و قهرا فإن في الخروج بالعلم و المظاهره بالفتوه نظر . فمن نظر في كل هذه الايات و الروايات علم أنها لا تنطبق على كل الناس بنحو واحد . أي أن بعض الآيات يتحدث إلى طبقه معينه من الناس ، و البعض الآخر إلى طبقات أخرى. فالعلماء ليسوا كالمؤمنين المطيعين ، و هكذا العلماء فيهم طبقات أيضا . و لهذا قال النبي عليه السلام " إذا ظهرت البدع فعلى العالم إن يظهر علمه و إلا فعليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين " . و لا أحد يستطيع أن يعرف مدى التأثير الذي يكتبه الله له إلا بعد أن يظهر أسبابه بالعمل ، إلا إن أخبره الله بذلك بطريق ما ، كما قال للنبي " و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا " في بدايه أمره .
هذه قبسات عامه ليتأملها كل فرد و ينطلق منها ليعرف موقعه هو و الحكم اللازم له .
أما قول النبي في هذه الروايه " فليفرغ بدينه و ليكن حلسا من أحلاس بيته " فإن فيه معنى هام في ضوء ما قررناه سابقا من دلاله الأوصاف على حدوث قدرات عظيمه في التواصل بين الناس و التنقل عموما . و هذه الدلاله هي التالي : إنك تستطيع أن توصل ما تشاء من علم إلى مشارق الأرض و مغاربها بدون أن تغادر بيتك أصلا ، ثم من أراد أن يستفيد فإنه سيأتي إليك و من لم يرد فلا فائده من الذهاب إليه . هذا هو الأصل في هذا العصر . فالروايه ليست أمر مطلق بالسكوت للعلماء ، و أصلا هي للعلماء إذ عموم المؤمنين ليسوا من المكلفين و لا لهم القدره على إظهار ما يمكن ان يغير الوضع الذي وصلت إليه البشريه من تلقاء أنفسهم إلا بتوجيه العلماء و إمامتهم .
فالروايه تعلم أنه على العلماء في هذا العصر أن يفعلوا الأمر القرءآني النافع في كل عصر أيضا و هو " اجعلوا بيوتكم قبله " قبله لأهل العلم ، لأهل الذكر، لأهل الفكر ، لأهل الوعي ، لأهل التدبر ، لأهل الحب ، لأهل العشق ، لأهل التنور . إذ في ذلك العصر ستبلغ قلوب الناس مبلغا بحيث أن الظلام سيخيم على قلوبها و يغشيها بغشاء عظيم، و بما أن الميزان الكوني يقتضي أنه كلما اندفعت النفس إلى طرف فإن رده الفعل إلى الطرف الآخر تكون بنفس مقدار اندافعها إلى الطرف الأول ، فإن ضغط المحيط السفلي على قلوب الناس من أجل أن يتسفلوا و يقلبوا تجلي فطرتهم قلبا تاما ، سيؤدي بالبعض إلى أن يندفعوا باتجاه العلم العلوي و العقل القدسي بتوجه عظيم جدا بقدر عظمه سحر التسافل و لكن بالعكس. فكلما ضغط الفراعنه على الأقوام بالتوجه إلى أسفل ، كلما أخرج الله تعالى من الأقوام من يتوجه إلى الأعلى . و هذه هي البشرى للمسلمين في هذا العصر الظلامي . و تتويج هذه البشرى هو ما قال عنه النبي عليه السلام أي في حق المهدي " يبايع المهدي بين الركن و المقام ، لا يوقظ نائما و لا يهريق دما ، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان " .
و هذه الروايه - التي دمجنا اثنان منها في واحد- تحتاج إلى تفصيل خاص ، فلنخصص لها بابا خاصا .

...

١٤ - " الخلفاء من بعدي اثنا عشر/ يبايع المهدي بين الركن و المقام / لا يوقظ نائما و لا يهريق دما ، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان " .

يقول القرءآن " إن الدين عند الله الإسلام " و " من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخره من الخاسرين " و " اليوم أكملت لكم دينكم " و " له أسلم من في السموات و الأرض طوعا و كرها " و " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يؤمن بالله و يكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروه الوثقى لا انفصام لها " و " قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون " و " قل يأهل الكتب تعالوا إلى كلمه سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " و " من ءامن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون" و " لكل أمه جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمه الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا " و " لكل جعلنا منكم شرعه و منهاجا " و " من أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله و هو محسن و اتبع مله ابرهيم حنيفا " و " حنفاء لله غير مشركين به " ، " يسقى بماء واحد و نفضل بعضه على بعض في الأكل " .

..

من النظر في الآيات السابقه و الجمع بين مضامينها نخرج بالتالي : إن للإسلام ، الذي هو الدين الوحيد و بالتالي الجامع للحقائق كلها و السنن كلها ، درجات و طبقات و مستويات . فهو قابل للكمال و النقصان . و للإسلام حقيقه عند الله ، و حقائق في بقيه الطبقات التكوينيه . فهو حق عن الحق و حقائق في الخلق و هذه الحقائق تتفرع عن ذلك الحق الواحد المتعالي . فهو " الدين " من حيث أنه عند الحق و في ذلك المستوى ، و لكنه " دينكم " من حيث ظهوره في الخلق و تجليه لكل أمه بحسب لونها و لسانها و ظروفها الخلقيه . فالشرائع مختلفه ، و المناهج مختلفه ، و المناسك مختلفه ، و لكن الحق واحد . و من حيثيه أخرى ، فإن نفس ظهور هذا الحق الواحد ، و الحقائق المتعدده عقلا التي يعبر عنها هذا الواحد بجمعيته الذاتيه ، هو أيضا مما يظهر في الخلق على درجات ، و ليس بالضروره أن يكون كاملا لكل إنسان أو لكل أمه و قوم . فقول " اليوم أكملت لكم دينكم " يعني أنه لم يكن كاملا قبل اليوم . و حيث إنه قائم بذاته عند الله " إن الدين عند الله الإسلام " ، فهو في تلك المرتبه فوق الكمال و النقصان ، و يمكن أن يقال كامل من حيث قيامه التام و لكن كلمه كامل تحتمل أن لا يكون كامل و لهذا في نفس الأمر هو فوق الكمال و النقصان ، و إنما تعدد مستويات الظهور في الخلق هو الذي يأتي بعبارات الكمال و النقصان . و لذلك لا يسمى الله في القرءآن بأنه "الكامل" لهذا الاعتبار الوجودي الأساسي . و إن كان باعتبار آخر يمكن أن يسمى بذلك سبحانه . فالله تعالى لم يكمل دين كل مسلم بعينه ، و لهذا تسمى " الطريقه " طريقه ، و لهذا يوجد "صراط مستقيم " إذ الأمر في تكامل ، و لذلك يقول النبي و من معه في الآخره- جعلنا الله منهم - " ربنا أتمم لنا نورنا " . بالرغم من أنه قال " و أتممت عليكم نعمتي " ، و ذلك لأن قول " أتممت عليكم نعمتي " متعلق بقابليه الإتمام فيما يتعلق بهذه النشأه و هذا الطور التكويني ، و أما في النشآت القادمه بإذن الله فقابليات الإتمام لها شأن آخر و مستوى آخر . فقوله " دينكم " مقيد بهذه الكاف و الميم ، و هو غير " الدين " الذي عند الحق سبحانه من حيث حجاب الكاف و الميم ، و هو قيد ضروري إذ لا يظهر في عوالم التكوين - التي هي مقيده بذاتها - إلا ما هو مقيد . فالأمر يشبه حقيقه الدائره في ذاتها عند الحق ، و صور و مظاهر الدائره الهندسيه في تمثلاتها في عوالم الخلق . فلا يستطيع أحد من الخلق أن يرسم الدائره الكامله التي عند الحق . لأن تلك من حيثيه لا يمكن أن يعرفها أحد ، و لكن من

حيثيه أخرى - و هي الجوهريه - يعرفها كل عاقل للرياضيات و الهندسه . فجوهر الدائره معروف للجميع ، و لذلك يستطيع كل عارف لها أن يميز كون الصوره الهندسيه التي أمامه أنها دائره أم ليست دائره ، و لولا علمه بجوهر الدائره - في ذاتها - لما استطاع أن يميز كون هذه الرسمه الهندسيه التي لم يطلع عليها من قبل أنها دائره أم مربع أم شبه دائره . و كما قال سيد حسين نصر - بارك الله في عقله و عمره - في كتابه عن الإنسان و الطبيعه ما معناه : إن حقائق العرفان مباشره و يقينيه و دقيقه كحقائق الرياضيات . فحين يريد أحد أن يرسم دائره يعني أنه يريد أن يظهرها في عالم الخلق ، و بالتالي لابد و أنه سيرسمها بحدود كميه معينه ، و بلون معين ، و بشئ معين ، و غير ذلك من قيود . و لهذا قال سبحانه عن المناسك مثلا ، التي هي ذكر اسم الله ، " لكل أمه جعلنا منسكا ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمه الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا " لاحظ هذه الفاء فلها دلاله مهمه فوق دلاله مجمل الآيه المباركه . فهو يرتب بالفاء و يفرعها على ما سبق . فما وجه هذا التفريع بين ذكر مناسك مختلفه ، و الإله الواحد ؟ الجواب : إن اسم الله يظهر في كل لسان على نحو غير ما يظهر في اللسان الآخر ، و كذلك مثلا بهيمه الأنعام فما رزق الله سكان الغابات ليس بالضبط ما رزق سكان الصحاري ، و كيفيه و كميه الرزق تختلف كذلك ، و بقيه شروط المناسك و كيفيتها و كميتها و أوقاتها تختلف ، فكل هذه اختلافات ، و لكنها كلها مظهر لحقيقه الإله الواحد في هذه الصور المتعدده ، فينبغي على العاقلين أن يرجعوا بكل هذه الألوان و الصور إلى أصلها الواحد الثابت ، فلا يعتبر من رسم دائره قطرها متر من رسم دائره قطرها ألف متر أنه كافر أو جاهل أعرض عن حقيقه الدائره ، فطالما أن الجوهر حاضر فاختلاف الصور هو من السعه الإلهيه . هذا على مستوى الشرائع و المناهج و المناسك . و هو أمر يعرفه إلى حد ما الكثير من الناس و يقرون به . و لكن الأهم من ذلك هو مستوى الرؤيه الوجوديه و الحيثيات الفكريه ، أو ما يسمى ب " العقيده " عند عموم الناس . فإنه قد يظن البعض أن العقيده يجب أن تكون واحده من كل الجوانب ، و إلا فهي عقيده باطله . و هذا حكم قاصر . لأنه أولا الكلام عن الرؤيه الفعليه ، و الشهاده العقليه ، و ليس الكلام عن تكرار و اجترار عبارات فارغه لا يفقه حاملها شئ منها تقريبا ، و يظن أنه على " العقيده السليمه " أو نحو ذلك . إن العبره هي بحصول شرطين " إلا من شهد بالحق و هم يعلمون " . فالشهاده بالحق لا تكفي ، و لكن يجب أن يكون العلم بها قائم فعلا . فقد يشهد أحد ب " العقيده السليمه الكامله " ، و لكنه لا يعلم منها شئ يذكر ، فهذا قد أسقط الشرط الثاني لقبول الأمر عند الله حين يضع الموازين و يكون الوزن هو الحق و البصيره ، كما قال مولانا جلال الدين " لا ينج إلا البصير " ، و هو فرع قوله سبحانه " من كان في هذه أعمى فهو في الآخره أعمى و أضل سبيلا " . فالرؤيه الوجوديه و الحيثيات الفكريه هي في مستويين . مستوى الحق في ذاته و الحق في تجلياته . أي طبيعه الوجود و الموجود و حقيقه ذلك ، ثم طبيعه التكوين و أحكامه و حقائقه و غاياته في عين الله سبحانه و التي أظهرها خصوصا في القرءآن العربي و على لسان ورثه الأنبياء الذي هم أهل القرءآن و فقهاءه . و الشهاده الكامله هي " لا إله إلا هو ..قائما بالقسط " على اعتبار . و الكلام هو في حقيقه هذه الشهاده و مستوياتها و أبعادها . و لنلخص و نقول " العلم " . فالإسلام علم . و هذا العلم يظهر بالتدرج و يتنزل على مكث على قلب الساعي في سبيل الحق سبحانه ، و التعلم مستمر و هو كعبه الحياه الإنسانيه " و قل رب زدني علما " . و لهذا كما أنه لا يوجد عالم كامل إلا بعد سعي و في سعي و في الواقع كل حي يزداد علما من حيثيه و إن كان علمه قد اكتمل من حيثيه أخرى ، كالعلم بالجوهر و الصور ، فمن حصل العلم الأول الجوهري لا يعني أنه أصبح كاملا لا يطلب الزياده في العلم الصوري ، و لهذا قال الشيخ الأكبر في الفص السبوحي النوحي " و صور العالم لا تنضبط و لا يحاط بها و لا تعلم حدود كل صوره منها إلا على قدر ما

حصل لكل عالم من صوره ، فلذلك يجهل حد الحق ، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صوره ، و هذا محال حصوله ، فحد الحق محال " . و بالتالي لا يوجد مسلم كامل من كل الجهات ، كما أنه لا يوجد عالم كامل من كل الحيثيات ، " و فوق كل ذي علم عليم " و يستحيل أن يساوي أحد في علمه علم الله سبحانه ، و لهذا الخلق دائما دون الحق في العلم كما قال سبحانه " و لا يحيطون به علما " إذ يبقى مدلول " به " غير معلوم كما فصل ذلك الشيخ الأكبر ، و لكن مع تذكر أن عدم الإحاطه لا تعني الجهل التام ، فعدم الإحاطه بالسماء بالعين البدنيه لا يعني أن كل ما تنظر إليه العين ليس السماء أو بعضها . فيوجد مرتبه بين عدم الإحاطه به سبحانه ، و بين الجهل به ، و هي مرتبه العلم به و معرفته ، و التي هي مدار علم الرجال من أهل الله و فيها تسعى هممهم " فاعلم أنه لا إله إلا الله " .
و على ذلك لا يوجد عندنا كمسلمين " أديان " إلهيه أو سماويه . و لكن يوجد ملل . و قد ذكر القرءآن خمسه ملل ، و دين آخر ، فالخمسه ، و هم واحد و أربعه : الذين ءآمنوا ، الذين هادوا و الصابئين و النصارى و المجوس . ثم السادس : الذين أشركوا . فالذين ءآمنوا هم "السابقون ..المقربون " إذ هم أهل الروح و العقل العالي الذي يرى الحق في ذاته و يعرف جوهر الأشياء فوق مجرد ألوانها و ألسنتها ، بل يعرف الجوهر و الصور . فهم أهل الوحده الكامله . ثم الذين أشركوا هم النقيض ، و هم الذي سقطت عقولهم في عوالم التكاثر و الكثره، و أنكروا أصلا وجود الأصل الثابت و الواحد المتعالي ، و نظروا إلى الكثرات على أنها أشياء قائمه بنفسها فهم في تيه و حيره جاهله كالذي " استهوته الشياطين في الأرض حيران " . و بين قطب الإيمان القرءآني ، و الشرك الجاهلي يوجد طبقات . فهذه الطبقات فيها درجات و دركات أيضا . و لكل منهم سمات معينه ، و لكن من ءآمن منهم بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا " فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون " كما قال القرءآن . و هؤلاء فيهم ما يمكن أن نسميه بالأمراض التوحيديه . فهي أمراض تصيب أهل التوحيد و تصيب أنفسهم و قلوبهم و كيفيه عقلهم و نظرهم للأمور . فمثلا منهم من يعتبر لونه و لسانه هو عين الحق ، بل أن يكون صوره من صور الحق ، فيقول سفيههم " لن يدخل الجنه إلا من كان هودا أو نصارى " ، أو يقول اليهود " ليست النصارى على شئ " و يقول النصارى " ليست اليهود على شئ " . و هذا كله ينبع من أسباب متعدده ، المعرفي منها هو عدم الفرقان بين الحق في ذاته و الحق في تجلياته . و عدم التمييز بين الجوهر و الصور كما ضربنا لذلك مثل تقريبي عن الدائره فيما سبق . و أسباب أخرى أيضا عددها القرءآن - الذي هو الطب الأكبر - في ثنايا آياته المباركه . و لو دخلنا في ضرب الأمثله لما فرغنا ، و لكن نشير إلى قاعده لأهل القرءآن و دراسته فنقول: حين دراسه شؤون الذين هادوا و النصارى في القرءآن مثلا يجب أن يتم النظر إلى هذه الحيثيه ، أي سمات هذه الأمثال التي ضربها الله و ليس الانحراف الفكري القديم مع الأسف و الذي لا يفهم من هذه الكلمات إلا اسقاطها على الصليبيين أو العبرانيين مثلا ، بالرغم من أن اليهوديه و النصرانيه التي عبر عن سماتها القرءآن - الذي هو كتاب أمثال و سنن لقوم يعقلون و يحبون أن يتطهرون - تملأهم من رأسهم إلى أخمص أقدامهم . فانظروا في هذه السمات على المستوى العقل العرفاني ، و ليس الفكر الكلامي الذي يريد أن "يدافع عن العقيده الإسلاميه " فضلا عن الفكر المريض الذي لا يرى فيها إلا المؤامرات السياسيه الاجتماعيه الدنيويه . اعرفوا عرفان هذه الأمور ، و سينصركم الله في دفاعكم الكلامي إن أصررتم على القيام به و كذلك في ما سوى ذلك من اهتماماتكم السفليه

و حين نقرأ كلمات المناسك و الشرعه و المنهاج لا ينبغي أن يتم حصر هذه الكلمات في معانيها البدنيه السفليه التي تتبادر أول ما تتبادر لذهن من أخلد إلى الأرض ، فإن أضاف إلى هذا الاعتقاد

بأنها لا تنطبق إلا على هذا المعنى الأرضي ، فهو من عباد الأصنام ، إذ بتر الصوره عن حقيقتها العلويه و مصاديقها الصوريه المختلفه . فمثلا ، المنسك الذي هو " ليذكروا اسم الله " ، فإنه من المعلوم أن الذكر له مراتب و مظاهر . و ما الذكر باللسان البدني هذا إلا أدنى مرتبه من الذكر كما يعلمه أهل الذكر . بل إن قوله عن أولي الألباب " يذكرون الله" يعني أن الذكر في الحقيقه متعلق بمقام الله تعالى ، فهو في ذلك الفلك المطلق ، و بالتالي هو فوق حتى السموات العلى و الأرض السفلى و التي هي ساحه الخلق و متعلقها الفكر ، و حتى الفكر ليس فقط الفكر في الأرض و ما كان بوسيله أرضيه ، إذ إنه قال " و يتفكرون في خلق السموات " و لا يمكن التفكر في شئ إلا بشئ من هذا الشئ المتفكر فيه و من نفسه مستواه أو أعلى منه . فالأدنى لا سبيل له إلا الاتصال بالأعلى ، و لكن الأعلى يمكن أن يتصل بالأدنى . فذكر الله هو بحقيقه من الله ، من مرتبه الإلهيه ، فبالله فقط يمكن أن يتم يذكر الله . فالمناسك لها مراتب بقدر مراتب ذكر الله ، بدايه من ذلك الفلك المطلق الإلهي نزولا إلى البدن الدنيوي . و كذلك مثلا في الشرعه ، فإن الشرعه من شرعه الماء ، و الماء هو سبب الحياه " و جعلنا من الماء كل شئ حي " . و معلوم أن الحياه لها مراتب ، فالماء الذي هو سببها الوجودي و التكويني كذلك ، فالماء الذي ينتج قوله تعالى " أومن كان ميتا فأحييناه " ليس كالماء الذي يحيي بهيمه الأنعام . و بالتالي يوجد شرائع بقدر ما يوجد مراتب في النفس الإنسانيه ، بل ما فوق الإنسانيه و ما دونها كذلك . و قل مثل ذلك في بقيه الأمور . فالإنحصار في طبقه هو السجن ، و الاعتقاد بأنه لا يوجد إلا هذه الطبقه في الإمكان - سواء كان الإمكان في ذاته كمن لا يعتقد أصلا بوجود عوالم فوق هذه الطبقه أو تحتها ، أو كان الإمكان النسبي كمن يعتقد بوجود عالم الملائكه مثلا و لكنه لا يعتقد بإمكانيه ولوج النفس و عروجها إلى عالم الملائكه - فهو الكفر ، و الاعتقاد بوجود هذه الطبقات و إمكانيه ولوجها و لكن عدم السعي لذلك هو كفر النعمه و العجز و الكسل النفاقي . و العياذ بالرحمن من كل ذلك. فالكمال هنا هو العلم بهذه الحقائق و التحقق بها شهودا و عيانا ، كعيان النبي القرءآني " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و من في الأرض " .

...

النبي يقوم بالكمال ، بالإسلام التام في هذه النشأه ، فهو صوره القرءآن . فالقطب الأعلى في الزمان هو " الذين ءآمنوا " بالمعنى الذي سبق تقريره خصوصا ، و يبدأ السقوط باتباع سنن اليهود و النصارى و الصابئين و المجوس ثم آخر الزمان هو ببلوغ البشر مستوى الذين أشركوا في عقليتهم و نظرتهم إلى الأمور و تعاطيهم معها ، و هم القطب الأدنى . ثم تشرق الشمس من جديد فيرتقي الزمان حتى يبلغ مقام الوحده العاليه الجامعه للصور و هكذا . هذه سنه الله في خلقه و لن تجد لسنت الله تبديلا و لا تحويلا . فأول ما اقتضته رحمه الله سبحانه هي أنه أثناء القوس الهبوطي للزمان ، أي حين يكون التيار العام للبشريه في إعراض عن العقل ، سيكون في المسلمين خصوصا من هو قائم بالحق و ممد به حتى يخلص القله التي لها القوه على أن تسبح عكس التيار العام . و هذا القائم بالحق له صور متعدده لها مراتب متعدده . فأعلى مرتبه هي مرتبه الذي قال عنهم النبي الخلفاء الاثنا عشر . ثم علماء الأمه الذين هم ورثه الأنبياء . هذا من الناحيه الإنسانيه التي هي استمراريه لركن البينه الأول الذي قال فيه القرءآن " البينه : رسول من الله " و لكن من الناحيه الكتابيه ، أي الركن الثاني للبينه فإنها " يتلوا صحف مطهره فيها كتب قيمه " . فلن يزال في الناس من يقوم بالخلافه عن النبي و من يقوم بالخلافه عن الأنبياء من ناحيه ، و لن يزال في الأمه كتاب الله الذي نزل على النبي، و

كتب لله تعالى تنزلت بإذنه على أولياءه و فيها بركه القرءآن و روحانيه الأنبياء و العلم المقدس. أما استمراريه القرءآن ، فها هو و لله الحمد قائم و حاضر في مشرق الأرض و مغربها و هذا يعرفه الجميع . و لكن الأمور الثلاثه الأخرى هي التي تحتاج إلى بسط بما يناسب هذا الكتاب .

أما عن خليفه النبي . فإن الخلفاء اثنا عشر . و كلهم من عترته أهل بيته و أولهم الإمام علي عليه السلام و آخرهم المهدي و هو حي قائم في مركز عالم الأرض ، و شعاع نفسه هو الذي يضئ و يمد قلوب أولياءه و ورثه القرءآن في كل مكان في الأرض . و النفوس الطاهره لبقيه الخلفاء العلويين قائمه حيه في سماء الملكوت ، و هي كالكواكب و النجوم لأرض الملكوت ، الأرض المقدسه التي لا يدخلها إلا أهل الله ممن بلغ مقام الملوك الذي هو العباده المحضه لله تبارك و تعالى . و الإمام المهدي - عليه السلام - قائم في مركز الأرض الملكوتيه المقدسه . و شمس الملكوت هو النبي ، و قمره فاطمه ، و بروجه الأئمه الاثنا عشر و هم اثنا عشر في كل زمان و إن كان الظاهر منهم واحد في كل وقت بعينه. و المهدي هو البرج الثاني عشر ، الذي هو أقربهم إلى الإمام الأول علي عليه السلام ، الذي هو أقرب الناس بل الخلق إلى النبي محمد عليه الصلاه و السلام . و نفس الإمام لا تنزل إلى الدنيا قط ، بل هي دائما في الأرض المقدسه ، حتى نفس النبي عليه الصلاه و السلام . فتلك نفوس تمكث في أرض الملكوت المقدسه ، و إن ظهر شعاع نفوسهم في هذه الدنيا في الأبدان البشريه و لكن هذا التمثل يشبه إلى حد ما قوله عن الملاك " فتمثل لها بشر سويا" بحيث تبقى الحيثيه الطاهره قائمه لا يشوبها شئ ، و لهذا قال للنبي " و تراهم ينظرون إليك و هم لا يبصرون " فأنظارهم الدنيويه تبصر " أنا بشر مثلكم " و لكنها لا تبصر "أنا أول المسلمين " و "خاتم النبيين " و " لا يمسه إلا المطهرون " و " سراجا منيرا" . فالنبي لم ينزل إلى هذه الأرض الميته قط ، و لكن شعاع نفسه أشرق عليها حتى يجذب أولياءه إلى تلك الأرض المقدسه ، ليرفعهم فوق هذا العالم بسر الإيمان الذي هو العقل و الاتباع إذ يقول " و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " . و هو قول الإمام علي عليه السلام عن وصف أهل الله " صحبوا الدنيا بأبدانهم و أرواحهم معلقه بالملأ الأعلى " . و لكن نزولهم هو من سماء الملكوت إلى أرضها المقدسه عن رجس و نجس البدنيات التي بالهبوط فيها استحق أهل الشرك حكم " إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " . و لكن بسبب ظلام و ظلم و كفر نعمه خلفاء أهل البيت ، و قتلهم بالإعراض عنهم و عدم اعتبارهم ثم قتلهم البدني بسمهم و ذبحهم و التشريد بهم و سجنهم و بقيه المظالم الفرعونيه التي وقعت عليهم ، و قد أمهل الحق سبحانه الناس حتى مر أحد عشر خليفه منهم ، فأمر الإمام المهدي بأن يحجب شعاعه عن هذه الأرض و لم ينزله فيها و غيبه عن العمي من الناس ، فبينه و بينهم حجابا مستورا. و قد كان أصلا تنزلهم في هذه الدنيا مزيد نعمه على الناس ، و الأصل أنه حتى لو كان النبي نفسه حاضرا بين الناس فإن العمي " ينظرون " إليه و لكن " لا يبصرون " حقيقته . فحجبت أشعه شمس الولايه إلا عن من لا يحتاج أصلا إلى الظهور الدنيوي من أجل أن يستمد ، بل يستمد من الحقيقه الملكوتيه رأسا ، و إنما كان التمثل الدنيوي مزيد رحمه و تنزل ، و كان الواجب أصلا التأويل و المعراج من هذه الصوره إلى الصوره العليا في الملكوت، و لكن لما تبين كفر الأمه بهم رفعهم إليه كما رفع عيسى بن مريم حتى يطهره من هذا الرجس و النجس الذي أحاط به من كل مكان بهذه النفسيات اليهوديه التي ورثت قتل الأنبياء و الأولياء و الكفر بهم كابرا عن كابر . فالأقرب وجوديا إلى أهل الدنيا و من أخلد إلى الأرض السفلى هو الإمام المهدي ، و لكن من ارتقى و سافر عقله بمعراج " الصلاه معراج المؤمن " فإنه ببلوغ الملكوت يلقى النبي و فاطمه و علي و الأئمه الكبار و بقيه أئمه أهل البيت و القربى الذين هم أبواب مدينه علم القرءآن ، فيشهد في تلك الحضره الأنوار النبويه و

الولائيه ما شاء الله له أن يشهد . فقد مد النور العالي يده إلى الناس فعضوها و بصقوا عليها ، فقال لهم بعد ذلك : من أرادني فليصعد إلي . فهؤلاء هم الخلفاء الاثنا عشر . و حقيقتهم حقيقه الإمامه ، "قاما أو قعدا " كما قال النبي عليه السلام عن الحسن و الحسين عليهما السلام . و قد ضل بعض أهل الغفله ، حين زعموا أن الخلفاء الاثنا عشر رجال سياسه ! حاشا لله . إن مرض هؤلاء له أسباب كثيره ، لا أقل أنهم لم يفقهوا حقيقه الرساله النبويه ، فظنوا - شعوريا أو لا شعوريا- أن الله بعث النبي من أجل أن يؤسس لهم دوله سياسيه ، شئ كأنه كسرويه أو قيصريه بثوب اسلامي - و لا أدري أي ثوب هذا إنما هو من مصاديق " قعطت لهم ثياب من نار " . فلما جهلوا معنى الخلافه و الإمامه ، و أسقطوها و سفلوها إلى دركه السياسه ، ثم مع تقادم العهود أصبحت كلمه خليفه و أمير المؤمنين تساوق كسرى و قيصر ، أي الإمامه أصبحت السياسه ، نظروا في روايه الأئمه الاثنا عشر ، و الخلفاء الاثنا عشر ، و الأمراء الاثنا عشر، فقالوا : إن الحسين لم يحكم سياسيا ، إن جعفر لم يحكم سياسيا ، إن الرضا لم يحكم و لا قريه نائيه سياسيا ، فإذن لا يمكن أن يكونوا من مصاديق الأئمه الاثنا عشر الذين بهم قيام دين الله و كشف أنوار الحقائق الإلهيه ، نعم هؤلاء ليسوا منهم ، و لكن منهم مثلا جرو الكلب و ملاعب القرود و لعل منهم أيضا من هو دون ذلك - إن كان يوجد دون ذلك أصلا ، و الحجه أن هؤلاء حكموا سياسيا و " نصروا الإسلام في الأرض " بزعمهم . و العجيب أن بعض هؤلاء من "مفسري القرءآن" ! و كأنه لم يقرأ شئ عن سبب خلافه ءادم ، أو عن أصل أعمال الرسول "يتلوا عليهم ءايتك و يعلمهم الكتاب و الحكم و يزكيهم " و كأن ابرهيم حين دعا و الله حين امتن علينا بأنه بعث فينا رسولا منا قال : يؤسس لكم دوله سياسيه و امبراطوريه كسرويه . و هذا أحد الأمراض التي بلغت حتى نخاع جماهير الأمه و بدأ المرض كالعاده من الذي يلقون العلم إليهم - أو ما يظنون أنه علم . و هل يفسد دين الأنبياء إلا من أشباه العلماء - و ليسوا حتى بأشباه . و ضل البعض الآخر حين قال : إن الخليفه و الإمام يجب أن يكون في هذه الدنيا حصرا و يجب أن يكون ظاهرا للناس و يجب أن يخرج بالسيف . و كأن هؤلاء لم يقرأوا عن أنبياء القرءآن الذي لم يحمل و لا واحد منهم سلاحا باستثناء طالوت في حاله معروفه ، و ما سوى ذلك تابع لهذه الحاله و ما يشبهها من أحوال . و كأنهم لم يقرأوا أو يسمعوا أن المهدي "لا يوقظا نائما و لا يهريق دما " و هم يعتقدون أن المهدي سيصنع بحارا من الدماء . و كأنهم أيضا لم يقرأوا عن أهل الكهف الذي جعلهم الله نورا لأهل القرءآن إلى الأبد و سميت السوره باسم قصتهم بالرغم من احتواء السوره على قصه آدم و قصه موسى و العالم ، فقدم الله ذكرهم على ذكر آدم و موسى في هذا الموضع ، بل إنه حتى لم يذكرهم في اسم السوره و إنما ذكر المكان الذي غابوا فيه عن أعين ضلال الناس و هو " الكهف ". و لا حاجه إلى الإطاله بتعليم القوم عن القرءآن و كلام النبي الأكرم ، فإن أصل نصبهم العداء للنبي و آله -و كل عداء للآل هو عداء للنبي و ليزعم بعد ذلك الزاعم ما شاء من المحبه و الولاء للنبي و عما قريب يعلم عاقبه عمله و أليس الصبح بقريب - ليس منشأه قرءاني حتى يكون علاجه قرءآني ، و إنما منشأه نار سقر التي لا تبقي على عقل و لا تذر . فالحاصل أنه يوجد أسباب كثيره دفعت بالبعض لأن يعرض عن حقيقه الخلافه و الإمامه و الولايه ، و التي هي من شمس النبوه ، و التي تبعضت في النفس الفاطميه - عليها السلام - " فاطمه بضعه مني " ، و أشرقت على وجه الذات العلويه " من كنت مولاه فعلي مولاه " و " أنا مدينه العلم و علي بابها " فكان علي صاحب مقام " كرم الله وجهه " بهذا الإشراق الذي أحد لمعاته هو قول علي " علمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب " ، و أحد سطواته " سلوني قبل أن تفقودني " . ثم باجتماع البضعه الفاطميه مع الذات العلويه خرج سيدا شباب أهل الجنه ، الحسن و الحسين ، و لو كانت الإمامه لا تكون إلا بحركه عرضيه مظهريه لما قال النبي عليه السلام أن

الحسن و الحسين أئمه " قاما أو قعدا " . بل بذلك أظهر لمن كان له بصر أن الإمامه في حقيقتها لا تستلزم حتى الكلام ، إذ الكلام كلام الله و هو في القرءآن كله ، و إنما الزياده في الإفاضه هي بإشراق نور الإمامه على قلب الموالي الذي هو عبد من عباد آل محمد، فيصبح قلبه شبيه بالقلب المحمدي و الذي به يمكن أن ينكشف له القرءآن فقط لا غير، و لذلك كان التمسك ب " كتاب الله و عترتي أهل بيتي " . فحتى لو لم ينطق علي و المهدي و ما بينهما بأي كلمه ، لما نقص الدين حرفا واحدا من العلم ، بل إن هؤلاء يأخذون من القرءآن، "علي مع القرءآن و القرءآن مع علي يدور معه حيثما دار " . و هذا مما ضل فيه الكثير من الشيعه ، فإنهم يظنون أن الأئمه يجب أن يخرجوا بالسلاح و يقوموا - كالزيديه و الاسماعيليه إلى حد ما - أو يقعدوا لإلقاء الدروس و الكلمات - كالإماميه و الاسماعيليه أيضا إلى حد ما، أو غير ذلك من الأعمال الكلاميه أو ما دونها ، و الحق أن وهب الإمام ليس كلامي فضلا عن أن يكون سياسي عدمي ، أي الأصل و القاعده في هذا الوهب ، إنما هو وهب حضوري . و فيض نفسي . و إلقاء قلبي . أي أن تصبح أنت عين الإمام ، بقدر سعتك طبعا و ليس بسعه الإمام . أما الكلام الذي عليه مدار العلم ، فهو في القرءآن حصرا ، و ما سوى ذلك من كلام هو كلام حول القرءآن و منه و به و فيه و إليه . إن الإمام يغسل القلوب حتى تستعد لإظهار حقائق القرءآن . هذه هي الإمامه ، و هذه هي الخلافه . و هي مقام " و يزكيهم " . أما تلاوه الايات فحتى ابليس يمكن أن يتلوها ، و أما تعليم الكتاب و الحكمه فهو كما هو ظاهر تعليم للكتاب و الحكمه و كلاهما في القرءآن و منه إذ هو " تبيانا لكل شئ " و أما الفتح المطلق "و يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون" فهو نقل علم الذات الإلهيه بلا حروف و لا أمثال و لا آيات و لا حجج و لا بينات ، بل كشف شهودي مباشر يغرق النفس في البحر المطلق لا إله إلا هو ، و ظاهر أن هذا فوق كل كتاب ، و هو آخر مواهب النبويه و الولايه و به تتم النعمه مطلقا. و إن الله ليقول " لا تزكوا أنفسكم" ثم يقول عن النبي - و خلفاءه بالتبع - " و يزكيهم" ، فالنبي و آله هم أسباب التزكيه ، و هو عليه الصلاه و السلام كعبتهم و مفيض النعمه الولائيه عليهم ، و بالتالي كل مبتور عن النبي و آله هو رجس و نجس ، إذ إنه إما أن يظن أنه يستطيع أن يزكي نفسه بمحض نفسه ، و هذا مستحيل منطقيا إذ هذا يشبه غسل اليد المتسخه بنفس اليد المتسخه التي تحتاج إلى غسل ، بالإضافه إلى أنه عصيان لأمر " لا تزكوا أنفسكم" و جاء هذا الأمر كتذكير لتلك النتيجه المنطقيه ، و إما أن يذهب إلى غير النبي و آله ليتزكى فيكون قد كفر نعمه " و يزكيهم " التي من الله بها علينا ، و كما ترى الاحتمالات مظلمه . و النبي شمس العالم ، و النار من الشمس لمن عقل و لكن هبوط مستواها جعل نورها مصاحب للحرق. و هل عذاب " الحريق " إلا " الحق " و لكن بين الحاء و القاف حجاب الراء و الياء . فمن احتجب عن الحق بذاته احترق بعين ابتعاده ، و لذلك قال " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم " . و لكن حيث أن من عرف الأعلى فقد عرف الأدنى بالتضمن ، فإن من كان موصولا بالرسول الحي ، الذي هو النبي الأول عليه الصلاه و السلام ، فإنه يكون موصولا بفاطمه و علي حتى المهدي ، فالتحقق بمحبه الرسول و شهود الله فيه و اتباعه و سماع صوت وحيه أثناء دراسه القرءآن و انتظار فتوحاته ، أي بقبول الفيوضات الخمسه التي هي العمل الرسولي النبوي الذي لا يبطل : تلاوه الايات ، و التزكيه القبليه و تعليم الكتاب و الحكمه و التزكيه البعديه و التعليم المطلق ، فإنه من المحقق بإذن الله أن يكشف له عن حقيقه الخلفاء و الأئمه الذين يهدون بأمر الله و ملائكته . و الرسول هو رسول الأولين و الآخرين ، فمن زعم أن هذه الأعمال الرسوليه الخمسه قد انقطعت كليا عن نفس الرسول ، فقد كفر بالقرءآن و زعم أن آياته قد ابطلت ، و هي من أهم آياته إن لم تكن أهم آياته في هذا المجال إذ مدار الأمر على بعث الرسول و إشراق نوره على الخلق . بغض النظر عن التجليات الوراثيه في الدنيا لفلان أو علان الذي يتلوا ظاهر آيات

القرءآن على الناس . فإن التزكيه الفعليه لا تقع إلا بالنبي ، و ليس قولك لأحد " لا تزني " مثلا بتزكيه ، و إنما التزكيه الفعليه غسل القلب عن أصل النجاسه و الرجس ، بالتمكين في مقام العقل و بسط حقيقه المعرفه ، " و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " . و الجهل بحقيقه النبي هو المقدمه الكبرى للجهل بمقام الخلفاء ، و هل الخلفاء إلا تجليات للمستخلف . و هل يمكن أن يسجد لآدم على أنه خليفه الله من لا يعرف مقام الله أصلا . و عندما ظن إخوه يوسف أنه سرق محبه أبيهم باختلاق الرؤيا التي قصها على أبيه ليوهمه و يضله و يجعله يعتقد بأنه الوارث و الإمام القائم بإذن الله ، فهل يعقل أن يبكوا حتى تبيض أعينهم من الحزن على فراق هذا الجمال الذي جعل أعينهم السوداويه لا ترى منه شيئا حتى ألقته في غيابات الجب حتى لا تراه بالكليه ، و هكذا يشمئز من الجمال الصوريمن لا يعرف مبدأه الذي هو الجمال الحقيقي " الله جميل يحب الجمال" . من عرف النبي فقد عرف فاطمه و علي حتى المهدي . كما أن من عرف الله فقد عرف الملائكه و الأنبياء و الأولياء . " يا الله ماذا وجد من فقدك و ماذا فقد من وجدك ". " إليه يرجع الأمر كله " كما يبدأ منه .

أما مرتبه ورثه الأنبياء من العلماء العرفاء و كتبهم ، فهؤلاء لا يمر عام إلا و يخلق الله واحد منهم . فعدد كمل العلماء الأولياء المحمديين هو على الأقل بعدد مرات حضور ليله القدر من بعثه النبي عليه السلام إلى يومنا هذا و إلى ما شاء الله . إذ إنه في كل ليله قدر " تنزل الملائكه و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر " و هو التنزل بتأويل القرءآن و أسراره و علومه و السبب السماوي الذي لا تنقطع المواد العقليه عن مالكه أو المملوك به للدقه ، فالقرءآن في ظاهره هو مصداق " إنا أنزلناه في ليله القدر " و لكن في باطنه هو مصداق "تنزيل من العزيز الرحيم " فهو لا يزال أبدا يتنزل و يتنزل ، و هو حي لا ينضب و لا ينفد ، و الملائكه و الروح تتنزل على قلب المصطفى من أولياء الأمه في كل ليله قدر على الأقل ، و على واحد منهم على الأقل. فإن كانت كل سنه على الأقل تحوي ليله قدر واحده ، فعدد العلماء الكمل من ورثه الأنبياء و حمله القرءآن الذي كانوا و ما زالوا إلى يومنا هذا نحو ألف و أربعمائه و خمسين عالما. و لا تخلوا الأرض من ثلاثه من الصادقين ، إذ يقول الله " و كونوا مع الصادقين" و لا أمر بمعدوم إذ " لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها " . فالله ضامن لوجود ثلاثه فما فوق من هؤلاء الصادقين في كل زمان . و عليهم مدار حياه الأمه و معراجها العقلي في سلم القرءآن إلى حضره الأحديه المطلقه فما دونها . و كتب هؤلاء الكمل ، من قبيل الشيخ الأكبر ابن عربي ، و مولانا جلال الدين الرومي ، و شيخ الإشراق السهروردي ، و حكيم الصوفيه السكندري ، و كليم الأمه النفري ، فكتب هؤلاء و غيرهم هي كتب ربانيه موصوله بالقرءآن و مستمده من بركته بل و من الحضره الإلهيه نفسها و لذلك من دخل فيها وجد نفسه في رحاب ساحات القدس و شم رائحه النبوه الحيه و من مارسها و تمرس فيها و عقلها لا أحسب أن مسأله تستغلق عليه بعد ذلك في العلم العالي . و من أفضال الله علينا نحن أمه سيد العالمين محمد أنه لم يقطعنا عن إمداد من الناس و الكتب حتى في المستوى الأرضي من الظهور. فصدق فينا قوله الحق " لله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم " فمن نظر إلى مشرق الملكوت وجد وجه الله متجليا في النبي و آله و حقيقه قرءآنه ، و من نظر إلى مغرب الملك وجد وجه الله في علماء أمته و أولياءه و صوره كتبهم و كتابه . فهو المبدأ و المعاد لا إله إلا هو .

...

" يبايع المهدي بين الركن و المقام "

إن ميزان هذه الأمه في أمرين : القرءآن و المساجد . فانظر كيف يتم التعامل مع القرءآن و ماذا يحدث للمساجد و فيها ، تستطيع أن تعرف مستوى الأمه في كل حقبه زمنيه . و لهذا يخرج المهدي في قلب العالم الإسلامي . لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد ، و إذا فسد فسد سائر الجسد . و كذلك في الصلاه قال النبي عليه السلام أنها أول ما يسأل عنه العبد ، و استعمل عباره مشابهه جدا لعباره القلب ، أي إذا صلحت صلاته فعلا كان سائر عمله كذلك و إذا فسدت فكذلك ، طبعا الصلاه هنا صلاه عقل الحق و ليست الصلاه في صورتها الدنيويه التي قال عنها " حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب و النساء و جعلت قره عيني في الصلاه " فهذه الصلاه الدنيويه ، و التي هي في عرض الطيب و النساء ، و قد يقوم بهذه الصلاه حتى المنافق و المرائي بل و الشاك و الجاحد السياسي . إنما الصلاه التي هي ميزان الأعمال هي التي تكون سببا مباشرا في تحقيق معنى " إلا من أتى الله بقلب سليم " . و من صلى صلاه القلب فعلا سيصلي صلاه القالب تناغما . و التشديد على صلاه القالب دليل قوي ، بل يكاد يكون يقيني على موت القلب و فساد صلاته التي هي معيار النجاه و الفاصل بين المؤمن و الكافر . و إنما يفصل بين المؤمن و الكافر عقل الحق - العقل الذي هو اتحاد بين العاقل و المعقول ، و ليس الاتحاد بالتماهي فتأمل . فإذن يوجد عندنا ثلاث أمور متناظره ، حال الحجاز و خصوصا مكه المكرمه ، و حال صلاه القلب التي هي عقل القرءآن ، و حال المساجد عموما و ما يتم فيها .

فأول معاني خروج المهدي في مكه ، هو إشراق نور المعرفه في القلب . و قوله " بين الركن و المقام " يدل على ثلاثه أمور على الأقل . أما " الركن " فمتعلق بالبيت ، و إن كان للبيت أكثر من ركن ، و لكن تسميه واحد منهم ب " الركن " يدل على أن المقصود ليس قالب هذا البيت الذي يراه الجميع ، و لكن المقصود هو " الركن " الذي هو الأساس الحقيقي الذي يقوم عليه بيت الله . يقول القرءآن " إذ بوأنا لإبرهيم مكان البيت ، أن لا تشرك بي شيئا " . فحقيقه البيت هي التوحيد التام . و " الركن " الذي يقوم عليه التوحيد التام هو العلم التام هو العقل التام . و من هنا يقول " و ليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم " . فأولا العلم فالإيمان فرع له فالإخبات فرع للإيمان . و ليتأمل هذه الآيه المباركه ورثه الصليبيين الذين يزعمون أن الإيمان عند أمه محمد هو مجرد القبول الذهني لحصول أمر ما أو نحو ذلك من أمور لا يمكن شرحها ببيان واضح لأنها أصلا ليست مفاهيم واضحه و لا واقعيه لها و إنما هو مجرد تسليم بل عدم معارضه -و هي دون التسليم الأعمى- من البهائم و الأطفال (هكذا كان يسميهم ربهم يشوا العبراني) . الإيمان فرع العلم ، و إلا فليس بإيمان أصلا ، و إنما هو تسليم أعرابي ، " و قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم " . و هو ما يمكن أن نسميه قبول افتراضي ، كما يقبل علماء الطبيعه السفليه فرضيه معينه " على فرض أنها صحيحه " ثم ينظروا بناءا على هذه الفرضيه فيقرروا بعد ذلك مقدار صحتها أو قوتها من عدمها أو ضعفها بالنظر إلى آثارها و مقدار قوتها التفسيريه - طبعا هذا مجرد تشبيه و إلا فهذه المنهجيه فيها ما فيها و لسنا هنا بصدد النقد . فالحاصل أن بيت الله هو واحديته و أحديته . و ركن هذا البيت ، بالنسبه للإنسان الإبراهيمي ، هو ما يقيم هذا البيت أي هذه الحقيقه في قلبه هو ، و الركن ما يقوم عليه الشئ و يعتمد عليه في قيامه ، و ما يقوم عليه علم الوحده الإلهيه هو العلم ، " فاعلم أنه لا إله إلا الله " ، و طريق العلم هو العقل ، " و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " ، و "لهم قلوب لا يعقلون بها ". و لهذا كان الطرف الثاني هو " المقام " الذي هو مقام ابرهيم ، "و اتخذوا من مقام

ابرهيم مصلى " و مقام ابرهيم هو حيث كان يقيم ، و المعتبر الحق في ابرهيم هو محل إقامه قلبه ، و بالتالي المنطلق الذي عرج منه إلى تلك الحقيقه التوحيديه العاليه ، " و كذلك نري ابرهيم ملكوت السموات و الأرض و ليكون من الموقنين " . فهذه الرؤيه الوجوديه ، و هذا اليقين ، هذا هو مقام ابرهيم الفعلي ، و العارف - المسافر في الملكوت - يتخذ هذا المقام مصلى . و المهدي يبايع " بين الركن و المقام " ، فالركن هو العقل العالي المقدس ، و المقام هو المثال السماوي لبلوغ هذا العلم بالوحده الإلهيه و هو ابرهيم و من هنا كان أبو المسلمين و قال الحق سبحانه " و من يرغب عن مله ابرهيم إلا من سفه نفسه " لأنه يقيدها في ما هو دون الوحده الإلهيه المطلقه ، سيسجنها في صنم أرضي أو وثن سماوي ، بدل أن يحررها في السعه المطلقه للواحد لا إله إلا هو و رؤيه الحق كما هو في ذاته و تجلياته . فالركن هو الطريقه، و المقام هو الوسيله . الركن هو ما فيك ، و المقام هو المثال الذي يهديك . فيخرج المهدي من بين هذين الجناحين ، في نقطه الوسط ، و التي هي الجامعه بينهما ، فيبايع "بين الركن و المقام" . و من بعد انكشاف نور الواحد تعالى ، ينكشف النور و الحق في باقي الموجودات الممكنات و المخلوقات المكونات ، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، فيصبح المهدي بالهدايه الخاصه التي هي " المهدي منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليله " على وزن " سلمان منا أهل البيت " ، يصبح مظهرا للرسول في زمانه ، فيكون أهلا للبيعه ، و التي هي بيع النفس له فتكون عابده لحضرته كما أن كل متعلم للعلم الإلهي عابد لمعلمه ، كما قال حضره علي عليه السلام " من علمني حرفا صيرني عبدا " و " أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه و آله ". و هي عبوديه الاتباع من أجل العلم الذي فيه و الذي يمكن أن يرقيه فيه ، و لا اتباع عندنا كمسلمين لأحد ، و لا اهتمام لنا أصلا بأحد ، إلا للعلم العالي الذي عنده ، " يأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني " و " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا " و الرشد هو " أتينا ابرهيم رشده من قبل " ثم كان هذا الرشد هو العلم بالوحده الإلهيه و حقائق عوالم النور و الظلمات إلى الأبد " و اجعلني من ورثه جنه النعيم " . و غير أهل هذا العلم ، و الذين يتعلمونه ، هم في أعيننا كما هم في عين ربنا و رسولنا الذي قال " الناس اثنان ، عالم رباني و متعلم على سبيل النجاه و و سائر الناس همج " رعاع لا يساوي أحدهم إلا كما يساوي الهباء المنثور في سوق الياقوت و الذهب و الفضه و المرجان ، أو كما يساوي القطران في عند أهل الحرير و سوقهم . إن البيعه متعلقه بالإمامه و ليس بالسياسه . و لا بيعه لسياسي ، و إنما البيعه للإمام الإبراهيمي . و على أي أساس تتم بيعه لسياسي كائنا من كان ؟ إن هؤلاء لا يفقهون معنى البيعه فعلا ، أو أنهم من عبيد الفراعنه ، و لا ثالث . هذا لا يعني معاداه السياسي ، بالطبع لا ، بل بكل بساطه إنه لا قيمه لهذه الأمور في ميزان أهل الله . فبين البيعه للسياسي و بين معاداته منزله ثالثه ، و هي اللامبالاه ، كما لم يبالي أهل الكهف بشؤون السياسه ، إذ همهم متوجه بالنظر إلى الأعلى و الخلود . و أما عباده هذه الظلال التي يعشقها من عقولهم بقدر حبه الخردل ، فعما قريب سيدركوا قيمتها حين يسكن الله هذا الظل و ينسخه . و لا بيعه كذلك لرجل صالح " من أجل أنه رجل صالح " أو "شيخ طريقه " فقط . البيعه تكون لعالم وارث محمدي ، و تكون بنيه و عزيمه الاتباع من أجل تلقي هذا العلم منه . فإن لم يصبح التابع عالما بقدر قريب من معلمه بسبب تعليمه ، فهذا إما بسبب فشل المعلم أو كسل المتعلم . و كون المهدي يبعث في مكه ، التي هي قلب العالم الإبراهيمي ، فهذا يعني أن جهاد علماء الأمه يجب أن ينصب كله تقريبا في شؤون القلب و العقل العالي . و أيما متكلم أو كاتب أو مدرس ينحرف عن هذا الخط ، هذا الصراط المستقيم ، فهذه علامه على كونه مشرقا أو مغربا .

" المهدي منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليله " في آخر الزمان ، حيث ينتشر الظلام ، و من الظلام عدم المبالاه بشؤون أهل البيت أصلا ، بل عدم العلم التحققي بكون فلان من العلويين أو لا ، فضلا عن عدم الاهتمام بذلك إذ ما هو أكبر من ذلك تم الغفله عنه ، فكيف سيعرف الناس أن الرجل الفلاني هو مصداق " المهدي منا أهل البيت " ؟ ثم من ناحيه أخرى ، ما معنى " يصلحه الله في ليله " ؟ هذا يعني أنه كان غير صالح قبل ذلك ، و تم إصلاحه في ليله. و نحن نشهد على صحه هذا و إمكانيته ، و " ما أمرنا إلا واحده كلمح بالبصر " ، و إن كان تتابع ظهور هذا الصلاح يأخذ أكثر من ليله ، كما أن وجود الشجره في البذره يتم في لحظه واحده ، و لكن ظهور الشجره من البذره يتم بعد حين و برعايه خاصه لها . و لكن ما يهمنا هنا هو كيف سيعرف الناس أن هذا الرجل أصلحه الله في ليله ؟ لعلهم يعرفون أنه كان غير صالح ، و اشتهر أمر عدم صلاحه في مجتمعه الخاص ، فهذا ممكن و لكن في دائره محدوده ، و قد تكون دائره كبيره إن كان فساده مشهورا بالإعلام العالمي ، و لكن صلاحه في ليله كيف يمكن أن يعرف بيقين أو شبه يقين حتى يعرف الناس أنه مصداق لقوله " يصلحه الله في ليله " و ما معنى هذا الوصف و فائدته أصلا ؟ الذي يظهر لنا هو التالي : إن المهدي هنا هو كسلمان الفارسي ، أي هو من أهل البيت بالقلب و ليس بالقالب ، أي بالدم المعنوي العقلي و ليس بالدم البدني السفلي . و معنى أنه من أهل البيت ، هو كون نفسه - التي هي مؤنثه من حيث قبول الفيض من العقل الفاعل - زوجه للنبي ، أي أنه قبلت نفسه الإفاضه المعرفيه من قلب النبي ، و استمد النور من قلب النبي في العالم العلوي ، و هذا بالمناسبه هو حل الخلاف القديم بين من يرون أن قوله " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " متعلق بزوجات النبي أو بأصحاب الكساء الأولياء . الجواب عنه : هي في أصحاب الكساء و ورثتهم بالاعتبار العلوي ، و في الزوجات الدنيويات بالاعتبار السفلي . فالنساء من شأن الدنيا ، " حبب إلي من دنياكم ثلاث..النساء" . و التأويل هو أن المرأه هي النفس من حيث قبولها الإفاضه من الرجل الذي هو العقل ، و أصحاب الكساء و الأولياء هم الذين قبلت نفوسهم فيض العلم من قلب النبي الخاتم فهم أزواجه بالمعنى العلوي الذي هو المعنى الأخروي المعتبر عند الحق بالأولويه . فأهل البيت هم خلص أتباع النبي بالأولويه ، و هم زوجات النبي من حيث الصوره الدنيويه التمثليه . أي هم أزواجه بالروحانيه أولا ، و أزواجه بالبشريه ثانيا . و المهدي ، كسلمان الفارسي مثلا ، هو من الروحانيين من أهل البيت . و الضلال في آخر الزمان سيكون بحيث أنه لن يثق أحد و لن يكون له طريق لأن يعرف كون فلان فعلا من أهل البيت البشريين أم لا . فضلا عن أنه أصلا لم يستمر نسل سيدنا محمد عليه السلام إلا من فاطمه و علي بالحسن و الحسين ، ثم ثلاثه أولاد من الحسن و الحسين ، اثنان من الحسن ، و علي زين العابدين من الحسين ، و كل من بعد ذلك من العلويين يرجع إلى هؤلاء الثلاثه (كما سمعناه من شيخ الأزهر علي جمعه - بارك الله فيه) ، الذين يرجعوا إلى الاثنين ، الذين يرجعوا إلى اثنين ، و فاطمه بضعه الشمس و علي قمره . فأصلا لا يوجد أبناء للنبي من أي واحده من زوجاته الذي يجادل فيهم من يجادل . فالحيثيه البشريه استمرت بأصحاب الكساء. فإن ظهر منهم - أي من العلويين الحسنيين أو الحسينيين - من كان من أهل العقل النبوي ، فهو نور على نور ، و لكن من كان صاحب عقل نبوي فهو محمدي كائنا ما كان بعد ذلك ، و الاعتبار الأعلى لا يضره عدم وجود الاعتبار الأدنى ، لأن الأعلى يتضمن الأدنى بالضروره ، و العكس غير صحيح ، فكم من فاسق خبيث من العلويين ، و لكن إن ظهر فيهم النور كان نور قالبه سببا إضافيا لشده نورانيته . و من هنا تضاعف حسناتهم إن أحسنوا ، و تضاعف سيئاتهم إن أساؤوا . كما تضاعف في العمل في مكه و المدينه ، و تضاعف لزوجات النبي ، و هكذا كلما اقترب الإنسان من الله كلما تضاعفت حسناته و سيئاته. و الله المستعان و عليه التكلان . و أما إصلاحه في ليله ، فهي كلمه موجهه من النبي إلى المهدي هذا نفسه .

فالمقصود بها أن تبين للمهدي أنه و إن كان غير صالح من قبل ، فإنه لا تؤثر تلك الغفله السابقه على المعرفه اللاحقه ، بل الإسلام يجب ما قبله . فإن المهدي ، بل و غير المهدي قد يستعمل هذا كما استعمله فرعون مع موسى ، و هو أن يقول في نفسه : إني كنت غافلا من قبل هذا ، فأنى لي أن أخرج الآن و أتكلم بإسم الله و الرسول و أنشر هذا العلم و النور و قد كنت من كنت من قبل و أنا لست معصوما عن الخطأ من قبل . و فعلا هذا المنطق السخيف الذي هو من آثار الفرعنه و ميراثها ، هو منطق منتشر . و تجد ذلك أوضح ما تجده في فرعون و موسى . فحين ذهب موسى إلى فرعون و قال له ما قال عن رسالته و مقامه من الله تعالى و أنه مجلى ذلك النور ، قال فرعون له " أولم نربك فينا وليدا و لبثت فينا من عمرك سنين . و فعلت فعلتك التي فعلت و أنت من الكافرين " . لاحظ أنه أولا ذكره بنعمته الدنيويه عليه ، و هنا نجد أساس نظريه " إذا أطعمت بدنك فقد ملكتك " و فكره " ولي النعمه " التي تقال عن السياسي أحيانا هي من فضض هذه اللعنه الفرعونيه . و لاحظ ثانيا ، و هو محل الشاهد هنا ، قوله لموسى " و فعلت فعلتك التي فعلت و أنت من الكافرين " يعرض بقتله لذاك الرجل " فوكزه موسى فقضى عليه " . و قبل أن نكمل التعليق ، يجب أن نقف وقفه سريعه للرد على منظري الفرعنه في المسلمين من القديم ، و هم أرباب نظريه العصمه المطلقه الذي يزعمون أن الأنبياء - فضلا عن الأولياء - لا يخطؤون و لا يعصون و لا يذنبون قبل نبوتهم و بعدها . و هذه الفكره الكافره بالقرءآن طولا و عرضا ، هي الأساس التنظيري الذي على أساسه يتم إحباط الناس الذين كانوا في الظلمات و نقلهم الله إلى النور . فيظنوا أن الظلمات التي كانوا فيها في السابق لاصقه بهم إلى الأبد و هي تحكم قيمتهم دائما كائنا ما كان حالهم بعد ذلك . و الآيات القرءآنيه التي ترد على هذا السفه الفرعوني - الذي يظن بعض من ورثها أنها ضروريه من أجل أن نثبت أن الوحي القرءآني قد وصلنا كاملا و نحو ذلك من تبريرات وضعت لاحقا - كثيره جدا . لا أقل " و عصى آدم ربه فغوى " نزولا إلى قوله عن نبينا محمد "و وجدك ضالا فهدى " و " إن كنت من قبله لمن الغافلين " و " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر " فهذا يعني وجود ذنوب متأخره أيضا فضلا عن المتقدمه ، و لكنها مغفوره ، و أحد الأسرار في هذه المغفره هو قول النبي " من أحب العلم و العلماء لم تكتب خطيئته قط " مرورا ببقيه القصص القرءآني ، و قبل ذلك بالآيات الحاكمه على هذه المسأله من قبيل " الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور " فهذا يعني أن الذين ءامنوا كانوا في الظلمات من قبل . و حتى في عيسى قال " و يعلمه الكتاب و الحكمه و التوراه و الإنجيل " فهذا يعني أنه كان من حيث نفسه غير عالم - و لا نقول جاهلا من باب الأدب - بالكتاب و الحكمه و التوراه و الإنجيل حتى علمه الله ، فقد كان في ظلمات من هذه الناحيه ثم نقله الله إلى النور . و هذا لأن الله هو النور، و كل عبد ظلمه ، ثم يفاض عليه النور بعد ذلك . و الله هو الغني ، و كل عبد فقير ، ثم يفاض عليه الغنى بعد ذلك . بل حتى الملائكه تمر بطور ظلماتي كما قالوا هم أنفسهم " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " فقد كانوا يجهلون هذه المسأله المعينه في الأسماء ، فقد كانوا في ظلمه ثم نقلهم الله إلى النور و أفاضه عليهم . و مثل أخير قوله لموسى " إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم " و أما من يريد أن يحرف بل يبطل كل هذه الايات و يقول أنها من باب "إياكي أعني و اسمعي يا جاره " فلينتظر الحساب على هذه الشهاده حين يجمع الله بينه و بين الجاره التي يدعيها . و كأن الله كان يكلم موسى - و هو معه وحده ! - بالأباطيل حين قال له " إلا من ظلم " و كأن هذا الاحتمال غير ممكن ، و كأنهم لمن يقرأوا ما فعله يونس مثلا ثم ما قاله يونس نفسه عن نفسه بعد ذلك " إني كنت من الظالمين " كان ينبغي ليونس أن يدرس نظريه العصمه المطلقه قبل الرساله و بعدها حتى لا يقوم بذلك اللهم إلا إن كان قد قالها بنيه "اسمعي يا جاره" فتكون الجاره هي الحوت أو الشعب المرجانيه

التي كانت مجاوره له . بل كأن الله كان يكلم موسى بالأضاليل المستحيله حين نبهه أول ما نبهه عن أن " لا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى " ، لا ندري لعل على هؤلاء الحاخامات أن يقدموا استشاره عقائديه لرب العالمين سبحانه من أجل أن يعلموه بأن الرسل معصومه و لا يمكن أن تتبع هواها أصلا بعد النبوه و لا يمكن أبدا أن تردى . و الأمثله لا تحصى كثره ، و يكتفي بهذا القدر من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد . فالمهم أن هذه النظريه الفرعونيه ، و التي تعرف هذه السنه ، أي سنه السفر من الظلمات إلى النور و أن النور مفاض و الأصاله في العبد للظلمه ، فتستغل هذه السنه ككلمه حق يراد بها باطل ، من أجل كسر معنويات أهل الله و تحطيم مصداقيه عباد الله ، فيقول فرعون لموسى " و فعلت فعلتك التي فعلت و أنت من الكافرين ". فبماذا رد موسى ؟ ألعله قال : إني قتلته بالخطأ ! اذهب يا فرعون و اقرأ كتب علماء الكلام حتى تتأكد أني قتلته بالخطأ لأني معصوم ! فإذا قال فرعون له : و لكن أليس الله قال لك حين كلمك " و قتلت نفسا فنجيناك من الغم " و لم يقل لك : و قتلت نفسا بالخطأ بل أثبت أنك قتلته فعلا . فلعل موسى سيقول لفرعون - بناءا على مباني القوم : إن هذا من باب " إياك أعني و اسمعي يا جاره " أو من باب " حسنات الأبرار سيئات المقربين " . فهل أجابه موسى بأي من ذلك من أجل أن يتخلص من ظلمه التقل و تهمه الكفر السابق ؟ الجواب : قال موسى " فعلتها إذن و أنا من الضالين . و فررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربا حكما و جعلني من المرسلين " . اقرأ و دقق " فعلتها إذن " . و لكن التصحيح الذي قام به هو على تهمه أنه كان من الكافرين ، فقال " و أنا من الضالين " . و لا يوجد في القرءآن أن نبيا كفر بالله . و هنا أثبت موسى الضلال . و الفرق أن الكفر لا يكون إلا بعد إيمان " و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات". و لكن الضلال هو الحاله الأساسيه للعبد الذي لم يمده الله بعد بالمدد النوري . و في جميع الأحوال موسى أثبت على نفسه أنه قتل ، و أثبت أنه كان من الضالين . و إن كان يمكن لغافل أو محرف أن يصرف شهاده موسى على نفسه بالقتل في موضع كان ينبغي عليه أن ينكره أو يتخرج منه إن كان له حق ، بل و قبل ذلك أن يصرف شهاده رب العالمين على موسى بأنه قتل نفسا ، و لم يقل له حتى أنه لم يقتله بل الله قتله ، كما قال في حق المؤمنين " فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم " بل ثبت القتل له ، فإنه لا مجال أبدا أن يتم صرف إقرار موسى " أنا من الضالين " عن معناها . فكل هذه الآيات و المعاني هي التي على أساسها قال النبي عليه السلام عن المهدي، و خصوصا للمهدي ، " يصلحه الله في ليله" . فحتى إذا جاء أحد إلى المهدي و قال له : لقد كنت من الظالمين و الآن تدعي المهدويه أو تنوير الناس . يرد عليهم المهدي بالقرءآن ، و بقول النبي عليه السلام هذا لمن ثبت عنده . و الخلاصه : لا يكون العقل إلا بعد عدم عقل ، لمن عقل . و حتى الوعي بالعقل القائم يكون بعد عدم وعي و غفله . و الليل و النهار سنه فوق رؤوس الخلق ، " و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير " و " إن كل من في السموات و الأرض إلا آتي الرحمن عبدا " . فالعبد من حيث هو خال عن الرحمه ، و لكن الرحمه مفاضه من الرحمن عليه . و من هنا قال أحد العارفين عن مغفره الذنوب أن أول الذنوب هو " ذنب وجودك " و " أنت الصنم الأكبر " . هذا بالنسبه لعين أهل الذكر ، التي تنظر بعين " لا إله إلا أنا " و هي الوحده القهاريه ، الوحده الغير عدديه التي تقهر كل ما سواها فهي المطلقه بإطلاق . و أما في عين أهل الفكر ، و لا يوجد عندنا أهل فكر ليسوا من أهل الذكر و إنما الفكر الحق النافع في ميزان " يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم " هو الفكر المتفرع عن الذكر و المستمد أصل حياته و مبادئه منه ، فإن النظر يكون بعين " رفيع الدرجات ذو العرش " و " لتركبن طبق عن طبق " أي الكشف عن مستويات و أبعاد النفس . و المبدأ هنا هو أنه من المستحيل أن يتصل بالشئ إلا شئ منه أو أعلى منه . فكما أنه لا يتصل بالأرضي إلا الأرضى أو ما فوقه " فتمثل لها بشرا سويا " ، فكذلك

لا يتصل بالسماوي إلا السماوي أو ما فوقه ، و لا بالعرشي إلا العرشي أو ما فوقه، و هكذا حتى بلوغ مقام الوحده القهاريه المحيطه بالكل . و بما أن الإنسان قابل لأن يكون من الذين " يذكرون الله " فهذا يعني أن في نفسه ما هو من الله ، و حيث أنه قادر على أن يتفكر في خلق السموات فهذا يعني أن في نفسه ما هو من السموات ، و كذلك في الأرض ما هو من الأرض .فالنفس مبسوطه من أعلى مقام الوحده القهاريه إلى أسفل دركات الهاويه الجهنميه " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار " . و أساس الكفر هو تغطيه الأبعاد الواحديه القهاريه و العرشيه و السماويه من النفس الإنسانيه . و الاعتقاد بتماهي النفس مع البدن الترابي الأرضي . و من هنا يقول الكفار " أءذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد " أو " قال من يحي العظام و هي رميم " و نحو ذلك من مقالات تفترض انحصار وجود الإنسان في هذا البدن الترابي . فيرد عليهم الحق من باب " فلنفترض أن كلامكم صحيح" فيقول " قل يحييها الذين أنشأها أول مره و هو بكل خلق عليم" . و لكن يأتي الرد من باب " الحق في نفسه " فيقول " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون" . و لهذا قال عن الشهداء " لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم ربهم" الآن . و ذكر " تحسبن" كما ذكر في الجبال مثلا " و ترى الجبال تحسبها جامده و هي تمر مر السحاب" فهذا الحسبان من النظر إلى المظهر بعين قاصره عن التحقيق و إدراك الأمر في نفسه . فالنفس التي قيل عنها " الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها "هذه النفس فوق و غير البدن، إذ البدن قابع في محله أثناء الموت و أثناء النوم ، و لكن الله قرر توفي النفس في النوم ، فالنفس غير البدن . و مدار الأمر على النفس ، " ووفيت كل نفس ما عملت " . فهؤلاء الكفار - و من هنا اسم الكفر عليهم من تغطيه حقيقه مستويات النفس الوجوديه و التكوينيه و إمكاناتها الكامنه فيها - من الغافلين عن حقيقه نفوسهم. و لهذا قال " نسوا الله فأنساهم أنفسهم" لأن حقيقه النفس من عند الله و حضرتها الأساسيه الأصليه الثابته هي في ذلك المقام المتعالي، و هو المقام الذي فيه يتم ذكر الله "الذين يذكرون الله " . و مقام ابرهيم هو مقام الذكر هذا ، و هو مثال هذه الحضره، هو المثل الذي يهدي النفوس لتلك الحضره القدسيه ، و سميت في بعض المرويات " حظائر القدس " من حظيره لأنها تحظر من ليس من أهلها أن يدخلها . أما السموات فقد دخلها ابليس ، و أما الأرض ففيها يجتمع موسى و فرعون . ففي عوالم الفكر يصول الخلق و يجلولون إلى أجل معلوم ، و أما في حضره الذكر فأهل الله الخلص حصرا . و من هنا قيل " و من يرغب عن مله ابرهيم إلا من سفه نفسه ". و كل وارث لابرهيم في هذا المقام فهو مهدي .

...

" لا يوقظ نائما و لا يهريق دما " . قوله " لا يوقظ نائما " يختص بمن في بيته ، و قوله "لا يهريق دما" يختص بمن هو خارج بيته . و معنى ذلك أن المهدي لا يدخل بيت أحد ليزعجه و لا هو يعتدي على أحد من الشعوب و القبائل ليخضعه . و هذا بديهي ، إذ من كانت رسالته هي المعرفه ، و المعرفه لا تؤتي أكلها إلا بوجود إراده حيه من الطالب ، و بوجود سلام قدر الإمكان في حياه الناس ، فإنه لا يمكن إلا أن يكون مصداقا ل " لا يوقظ نائما و لا يهريق دما " . فالإمامه هكذا ، و أما السياسه ، و التي يعتقد من يعتقد أن المهدي شأن سياسي ، فإنه الإنحطاط التام و القلب - أي العكس - من هذا . فالسياسه كمصاصي الدماء ، تعيش على جرح الآخرين في منازلهم ، و قتل المخالفين لهم و سفك دماءهم . و لهذا كانت السياسه "دوله". لأنها لا يمكن إلا أن تكون مما يتداول بين الناس ، فمتسلطي اليوم ليسوا متسلطي الأمس ، و لا هم متسلطي الغد . و أما أهل العلم و

المعرفه ، و هم الجماعه و الطائفه الظاهره على الحق - و ليسوا عوام الخلق و ما أشبه من التأويلات الكاسده - فأهل العلم هم الذين لا يتغيرون ، و لا يفنون ، بل يبقيهم الله بسر بقاء وجهه الأعلى ، إذ كل موصول و مستمد من العلي الحي لا يهلك و لا يموت . و أما الذين يلعبون في تراب الأرض ، و يبنون قصورهم على أمواج بحر الظلمات ، فإنهم كما قريب ، و في الدنيا قبل الآخره في الغالب ، يتبين لهم سوء عملهم و عاقبتهم . لن تنتصر هذه الأمه حتى تفرق بين الإمامه و السياسه ، و حتى تكون حياتها مهديه بنور الإمامه و ليس سيف السياسه ، بل يكون السيف - إن وجد - خاضعا و عابدا و خادما للنور . فرقبه السياسه تحت قدم الإمامه ، و إلا فهي فرعنه ، و أنتم تعلمون ماذا يحل بالفراعنه ، حتى لو كان الفرعون " ديموقراطي " .

و إذا تأمل البصير الحر في انقلاب الزمان بعد وفاه رسول الله الأول صلى الله عليه و آله ، سيجد أن الرزيه كل الرزيه كانت في هذا الفرق بين الإمامه و السياسه ، و انحطاط الأولى إلى الثانيه في أذهان الكثير من الناس حتى وقع ما وقع . و من العجيب أن الذين يسمون القرون الأولى ، بل القرن الأول خصوصا ، على أنه " القرن الذهبي للإسلام " بل حتى أصبح يوجد طائفه تتسمى بالسلفيه نسبه إلى أولئك السلف - بغض النظر عن هلاميه و ضبابيه بل رقاعه هذه التسميه - فإنه إن نظرنا إلى أهل ذلك القرن ، و " الصحابه " خصوصا ، فسنجد أن من هؤلاء من كان يرى و يقول بحدوث هذا الانقلاب التام ، بل إن منهم من كان قد بدأ يرى علامات نهايه الزمان من شده ما بلغه الناس من الفساد و الضلال و التفرق ! بل إن منهم من كان يقول مخاطبا للطاعون " يا طاعون خذني ! يا طاعون خذني ! يا طاعون خذني ! " بسبب هذا الانقلاب في الحال . و منهم و منهم الكثير ممن يتتبع ذلك . و ذلك كله بدأ حين تم التفريق بين الإمامه و السياسه ، و أصبحت بالتالي مطالب الأمه و نظر جماهير الأمه إلى "الانتصارات السياسيه " و هي مدار حكمهم و تعظيمهم . و ليس من المستغرب بعد ذلك أنه لا تكاد تجد عالما من علماء الأمه ، من ابن عربي فوق إلى ابن تيميه تحت و ما بينهما من علماء الأمه على اختلاف طرقهم و درجاتهم و مشاربهم و توجهاتهم ، إلا و تجد أنه ابتلي بسبب السياسيه و أهلها لسبب أو لآخر . و ليس أيضا بمستغرب أن يقول عالم مثل شيخ الإشراق السهروري - قدس الله نفسه - و الذي كان كثير الأسفار في سبيل طلب العلوم الشريفه ، أنه لم يلق أحدا في كل أسفاره هذه ممن عنده خبر عن هذه العلوم أو حتى يؤمن بها أصلا . و لا تكاد تجد في كتب عالم من علماء الأمه ، كائنا من كان - هذا بحسب تتبعي القاصر و الحدس الذي جاءني من كثر المطالعه عموما - إلا و تجده يذم أهل عصره و جهلهم و زهدهم في التفقه الحق و انغماسهم في ظلمات الدنيا . و الاستثناء هو أن تجد عكس ذلك كله . فالقاعده في حوادث الزمان - إلى يومنا هذا - يمكن تلخيصها في ثلاثه أمور : الأول هو انغماس و انحطاط همم جماهير الأمه في شؤون الدنيا و زهدهم عن شؤون العليا و العلم و المعرفه . الثاني هو الزهد في علماء الأمه و عرفاءها و تفضيل الخضوع الفعلي لأرباب السياسه - و إن كانوا أحيانا كثيره كما قال أحدهم للحسين عليه السلام " قلوبهم معك و سيوفهم عليك " . و الثالث اضطهاد أهل السياسه لأهل الإمامه و المعرفه و تشريدهم و قتلهم و التمثيل بهم و صلبهم و سجنهم و محاربتهم في أرزاق أبدانهم و تبغيضهم إلى الناس ، و من يسمون " الفقهاء " بالمعنى السلبي كانوا في الغالب الأعم أيادي للسياسيين و إن كان الكثير منهم قد نال حظه من الاضطهاد و العذاب أيضا . و إذا تأملت في هذه الخلاصه ، فستجد لها شواهد لا حصر لها على طول الزمان . تبدأ من قرن الصحابه أنفسهم ، مرورا بباقي القرون حتى يومنا هذا الذي يبدو أنه مع مناصره الحداثه و سمومها الإضافيه قد قاربت على الاجهاز على ما تبقى من شعله النور النبوي في قلوب الأمه ، و لكن الله أعلى و أجل و لن يأذن بذلك إذ سيتم نوره و لو كره من

كره . و أشير هنا لأهل التتبع و دراسه حوادث الزمان ، أو التاريخ كما يقولون ، بأن يكتبوا ثلاث كتب . لكل أمر من الأمور الثلاثه كتاب ، يجمعوا فيه من مشرق العالم الإسلامي المحمدي و غربه ، كل أو كل ما يستطيعوا أن يجدوه من شواهد على هذه الأمور . و ما أكثرها ، و لعلها ستصبح مجلدات ضخمه تشكل موسوعه بحد ذاتها ، و لعلهم يسمونها : موسوعه الانقلاب . حتى يظهروا كيف حدث الإنقلاب التام في الموازين و المعايير النبويه ، و جعل عالي الأمور سافلها ، و تفرقوا عن المبادئ المقدسه و الأولويات التي تتفرع عن الرؤيه الوجوديه للقرءان . و بالطبع باقي الأقوام ليسوا بأحسن حالا من هذا ، بل إن أولئك في الضلال البعيد جدا ، و إنما هذه الأمه تنادى من مكان قريب ، و لله الحمد فإن شمس القرءآن لم تغادر و لن تغادر بإذن الله قلوب المسلمين ما بقيت الأرض أرضا للإنسان .

و لكن في كل هذا الظلام المظهري ، فإنه لطالما بقي الحق و الحقائق الوجوديه التي كشفها الله سبحانه لنا كمسلمين و من عباد خاتم النبيين ظاهره في مشرق العالم و غربه . فإن كان ذاك هو حال الكثره ، فهذا هو حال القله . و " ما ءامن معه إلا قليل " و إن كانت الكثره لها حظها بحسب حدها أيضا ، و كلامنا عن أصحاب الهمم العاليه ، " إن سألتم الله فاسألوه الفردوس . فإنه أعلى الجنه ، و أوسط الجنه " . و أصحاب هذه الطائفه في الغالب الأعم هم إما من الطرق الصوفيه ، أو من متأثر بهم بنحو ما ، أو من سائر على نهجهم عن وعي أو بغير وعي . و لن تكاد تجد خيرا في الأرض ، قديما و حديثا ، و تجد إسلاما انتشر بناءا على معيار " لا يوقظ نائما و لا يهريق دما " و هو النهج المهدوي ، إلا و ستجد أن أهل العرفان و التصوف هم أئمته و قادته ، و أصحاب السبق فيه . و لن تكاد تجد تبغيضا في الدين ، و تكريها للخلق في الحياه في ظل عرش سيد المرسلين ، إلا و ستجد أعداء التصوف و العرفان هم أئمته و قادته و أصحاب السبق فيه . و أعداء العرفان الصوفي ، هم إما أهل السياسه مباشره أو عبيد أهل السياسه كبعض الفقهاء الذين هم " فراعنه الأولياء و دجاجله عباد الله الصالحين " كما قال الشيخ الأكبر سلام الله عليه . و لن تكاد تجد دوله آوت العرفاء و الصوفيه ، إلا و ستجد لها قوه و جمالا و روحا خاصه تستطيع أن تميزها عن غيرها . و لن تكاد تجد دوله آوت أعداء العرفان و الصوفيه إلا و ستجد فيهم الغلظه و الفظاظه و معاداه أهل العقل و طلاب الفقه الأكبر و تجد أنهم أقرب لأعداء المسلمين جهارا نهارا منهم إلى بقيه المسلمين على زعم غالبا بأن هؤلاء " يفسدون العقيده من داخلها فشرهم أكبر " . و إني لأسمع صوت فكره في عقل القارئ تقول : لعل كاتب السطور يشير إلى السلفيه و الوهابيه من قومه . و جوابي: إن هذا غير محصور لا بهؤلاء و لا بغيرهم ، بل إنه نزعه خاصه أظهرت عن وجهها القبيح على مر الزمان في أمتنا العزيزه . و لأضرب مثالا - مره أخرى و ألف مره أخرى تمجيدا لذكراه - بشيخ الإشراق السهروردي . تأمل في هذا النص الذي ننقله من مؤرخ يذكر فيه خلاصه ما حدث له و كان سببا في قتله . يذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء التالي :

" ثم رحل إلى حلب ، فدخلها في زمن الظاهر غازي بن أيوب سنه ٥٧٩ هجريه ، و نزل في المدرسه الحلاويه ، و حضر درس شيخها الشريف افتخار الدين و بحث مع الفقهاء من تلاميذه و غيرهم و ناظرهم في عده مسائل فلم يجاره أحد منهم و ظهر عليهم . و ظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه و أدناه و عرف مكانه في الناس ، و من ذلك الحين تألب عليه الفقهاء و كثر تشنيعهم عليه . فاستحضره الملك الظاهر و عقد له مجلسا من الفقهاء و المتكلمين ، فباحثوه و ناظروه ، فظهر عليهم بحججه و براهينه و أدلته ، و ظهر فضله للملك الظاهر فقربه و أقبل عليه و

تخصص به ، فازداد تشنيع المناظرين عليه و رموه بالإلحاد و الزندقه و كتبوا بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين (الأيوبي) و حذروه من فساد عقيده ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردي ، و فساد عقائد الناس إذا أبقى عليه . فكتب صلاح الدين إلى ابنه الظاهر و شدد عليه بذلك و أكد ، و أفتى فقهاء حلب بقتله . فبلغ ذلك الشهاب فطلب من الظاهر أن يحبس في مكان و يمنع من الأكل و الشرب إلى أن يموت ففعل به ذلك . و قيل : بل أمر الظاهر بخنقه في السجن فخنق سنه سبع و ثمانين و خمسمائه " .
لاحظ بدايه الأمر كان بسبب غلبه حجته على الفقهاء في مجلس درس و في مدرسه ، ثم غيرتهم منه و حسدهم له . ثم سعيهم إلى صاحب السياسه و هذه عاده في أمثال هؤلاء مستمره و العياذ بالرحمن . ثم لما كان في صاحب السياسه شبه عقل ، و نقول شبه لأنه من هذا الشبه استمع له و أعطاه فرصه للدفاع عنه نفسه و لم يتلفه فورا كما فعل أبوه صلاح الدين الذي لم يستحضره عنده و يسمع ما عنده (و من المخزي أن ينسب مثل هذا إلا الصوفيه - كيف يكون و هو ممن لم يتورع عن سفك دم مثل الشهاب ، و لو كان مؤمنا من عرض المؤمنين لورد في حقه وعيد " و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذابا عظيما " فما ظنك بمثل هذا العالم الذي لم يزل نوره مشرقا حتى يومنا هذا ، و إن سكن في المقابر من سكن) ، إلا أننا نقول "شبه " عقل فقط ، لأنه من ناحيه أحضر " الفقهاء و المتكلمين " من أجل مناظره متعلقه بمسائل الحكمه و الفلسفه العاليه و التي لا يحسن هؤلاء فيها إلا كما تحسن الجده العجوز . فالفقيه - بهذا المعنى - شأنه في أحسن الأحوال هو الفقه الأصغر المتعلق بالواجب و المحرم و ما بينهما . و المتكلم شأنه في أحسن الأحوال هو الدفاع المنطقي عن ظاهر عقائد و أحكام الإسلام ضد أعداء الإسلام - و نشدد على " أعداء الإسلام " ، و من أخطاء إخوتنا في الإسلام تعلم " العقائد " من علماء الكلام ، بدل أن يأخذوها من العرفاء و طريق أهل الله تعالى الذي هو الطريق الحق و الحي ، و ما علم الكلام إلا درع ضد العدو و ظاهر يحارب به الظاهر الذي يلقيه العدو على عوام المسلمين في هذا الشأن . و لكن في جميع الأحوال ، لا مناسبه بين العلم و المنهج الذي يسير عليه شيخ الإشراق لا من قريب و لا من بعيد ، و بين الفقهاء و أهل الكلام ، فلو جمعه بعارف أو بفيلسوف باحث في الحكمه الإلهيه و تفرعاتها لكان أقرب إلى العقل . و على أيه حال ،فإنه حصل ما حصل ، و مع هذا الظلم في المعركه الفكريه ، أي مجلس المناظره ، فإن الشهاب قدس الله سره استطاع أن يغلب حججهم حتى على مستوى أذهانهم ، و هذا من آيات التمكن في العلم الشريف إذ إن الحائز على الأعلى حائز على الأدنى . فهل تورع هؤلاء ؟ بالطبع لا . لأن هؤلاء لم يشنعوا عليه في البدء من أجل فكر أو علم ، فالسبب لا يعالج إلا بسبب من جنسه. و حيث أن السبب الحقيقي الذي دفعهم لما دفعهم كان الرغبه في الرياسه و ظهور أنهم على الطريقه المثلى و الحجج القصوى ، و ليس كما ظن هذا السياسي الذي كان له شبه ذهن راجح فقط ، فإنهم بديهيا سوف لن يرتدعوا بظهور حججه الفكريه عليهم . فاستمروا في غيهم و رفعوا الشكوى - أو لنقل سقطوا فيها - أكثر حين بلغوها إلى صلاح الدين . و الآن ما هي الحجه التي ستقدم لصلاح الدين - و هنا نجد التشابه العظيم بين كل أتباع مثل السوء هذا على مر الأزمان ؟ يقولون : فساد عقيده ابنه ، فساد عقيده الناس . لاحظ أولا "ابنه" ثم "الناس" . و المحور " عقيده " . ثم وقع ما وقع عليه ، و ها هو اليوم في مجده في الملكوت كوكبا دريا يشرق على أولياءه ، و ها هم أعداءه باستثناء من باء باثمه بتحمل سفك دمه ، قد ذهبوا هم و السلطان و الرياسه التي كانوا يسعون اليها مع ادراج الرياح .

يدعي البعض من " المفكرين " أنه لا يوجد في تاريخ المسلمين عمليات قتل للعلماء و أهل الفكر. و يدعون أن الأصل كان هذا ، و أن الاستثناء هو العكس ، و يضربون المثل بالاستثناء بالحلاج و السهروردي - قدس الله أنفسهما . ثم يرتقون درجه ، أو يهبطون دركه ، فيدعون أن هؤلاء إنما قتلوا بسبب " تهم سياسيه " ليس لها علاقه بفكرهم و علمهم . فالحلاج كما يقولون كان متهما بأنه موال لدوله أو تنظيم سياسي معين ، و كذلك السهروردي . و أن هذه التهم كانت هي السبب الحقيقي في القتل ، و أن التهمه الدينيه كانت مجرد " غطاء شرعي " على السبب الحقيقي الذي هو سياسي محض ، و لكن العوام تحب الأغطيه الشرعيه . فما الجواب على هذه الدعوى ؟ الجواب : أولا إن الدعوى تحوي إقرار كاف لنقضها ، و هي ما سموه هم "غطاء شرعي" . فالتهم التي قدمت ضد الحلاج و السهروردي كانت تهما دينيه ، و هي "فساد العقيده" كما رأينا قبل قليل مثلا . اللهم أن أصحاب الدعوى يقولون أن هذه كانت مجرد غطاء ، و نحن نقول مثلهم من ناحيه ، و نخالفهم من جانب آخر و هو أنه لولا أن العوام كانوا بدرجه من السذاجه العلميه بمكان بحيث أنهم يمكن أن تنطلي عليهم هذه الخدعه السياسيه لما فعلها أهل السياسه أصلا . و هذه السذاجه العقليه هي بالضبط ما ندينه نحن هنا و نحارب جذوره . ثانيا ، إن أهل السياسه في تلك الأيام خصوصا لم يحتاجوا إلى اصطناع مثل هذه الأمور ، فقد ذبحوا أعدائهم السياسيين بدون أن يطرف لهم جفن فضلا عن أن يهتموا بما سيظنه العوام فيهم إن فعلوا ما فعلوا في العلماء . و ثالثا ، يكفي لرد هذه الدعوى النظر في عدد العلويين - فضلاء العلويين و عبادهم و علماءهم - الذين ذبحوا من شردوا و قتلوا ، و حسبك كتاب (مقاتل الطالبيين) للأصفهاني في هذا المجال . ففي القرون الثلاثه الأولى ، " خير القرون " كما يقول البعض ، المعدل المتوسط في ذبح آل محمد و ارتكاب الفظائع فيهم و التي أصبحت مضربا للمثل في البلايا و الرزايا ، هو نحو علوي في السنه ، هذا فقط بحسب ما ورد في كتاب الأصفهاني . و رابعا و أخيرا حتى لا نطيل ، يكفي النظر في عدد العلماء و الأولياء الذين قتلوا فعلا ، أو كانوا على وشك أن يقتلوا أن يسجنوا أن ينفوا بسبب أو بآخر في مشرق عالمنا و غربه . فمثلا ، ابو حنيفه و مالك و الشافعي و ابن حنبل كلهم تعرض لعذاب أهل السياسه بدرجه أو بأخرى ، و لكنهم لم يقتلوا فعلا ، باستثناء أبوحنيفه الذي يقال أنه سم في سجون العباسيين ، و لكنهم كلهم ضربوا و أهينوا أمام الناس كما يعلم الجميع أو أوشك أن يقع فيهم مثل ذلك هم و غيرهم من أهل الفقه الأصغر و الروايات و نحو ذلك . ابن عربي كانت ستقع عليه مصيبه و أحسبها القتل و هو في مصر في إحدى أسفاره لولا أن من الله عليه و علينا فنجاه حتى يتم مهمته العرفانيه التي أنزله من أجلها إلى الأرض . ذو النون المصري له قصته أيضا . و هكذا الأمثال لا تحصى كثره و هذه فقط المشهوره منها و التي سطرتها الكتب الباقيه بيننا . و ليس قتل العلماء هو فقط بقتل أبدانهم كما لا يخفى ، فإن عدد المرات التي حرقت فيها كتب العلماء ، أو تم تشويه علمهم و فكرهم في أعين الناس حتى لا يقربوهم ، أو حرق عالم كتبه لسبب أو لآخر غالبا متعلق بالسياسه أو الفقهاء عبيدهم أو الخوف من جهل الناس بمضمون كتبه فيتحمل هو وزرها عند الله بحسب ورعه و نظره .
باختصار ، هي جريمه ضد المعرفه ، المعرفه من أعلاها إلى أدناها و ليس في المعرفه دان إلا و هو عال بالنسبه إلى عدم المعرفه به . و حيث أن المعرفه هي كعبه القرءآن و رساله النبي ، فإن هدم الكعبه كان و لا يزال هو المسعى الأساسي لأعداء الأمه من داخلها و خارجها ، بعناد و علم أو بسذاجه و هبل .

" لا يوقظ نائما " هذا يعني أن اليقظان فقط هو الذي يأتيه . ليس يقظان البدن و حسب ، بل يقظان الوعي . فهو لا يذهب إلى أحد ، بل الناس تأتي إليه تطلب ما عنده أو تذهب بإراده خالصه للشرب

من ماءه و من أنهار جنته . و حيث أنه سيهدي أهل الأرض ، أي يوجد عالميه في التعليم ، فهذا يعني أنه يوجد إحدى ثلاث أمور أو بعضها أو كلها . إما أنه سيكون بنفسه متوجها بقنوات اتصال للجميع ، و هذا أصبح أمرا ميسورا تصوره بسبب وجود قنوات الاتصال العالمي و الإعلام . و إما أنه سيبعث أتباعه الخلص إلى كل مكان في الأرض . و إما أنه سيكتب علمه و ينشره في الأرض . و في هذه الثلاثه تتحقق علامه " لا يوقظ نائما " . و كذلك من باب أولى تتحقق ، " لا يهريق دما " . فمن قبل منه قبل ، و من لم يقبل قال له " لست عليكم بوكيل " و " لست عليكم بحفيظ" . أما روايات الحروب ، فإنها تحمل على أمرين : الحروب التي هي الجهاد الأكبر الذي قال عنه النبي " جهاد النفس " و فعلا هذه الحروب قائمه الآن و ستقوم أكثر حين يظهر التمثل الكامل للمهدي ، و هو قائم الآن بالأمثله الجزئيه للمهدي . و يحمل أيضا على الجهاد الأصغر ، و هذا حصرا حين يبعث المثل الكامل للمهدي، و سيكون بسبب عدوان تلك الأقوام على شروط القتال في القرءآن و التعامل مع الأقوام بناء على التقسيم الثلاثي : منكم ، بينكم و بينه ميثاق ، غيركم . و هذا الغير الأصل فيه أنه إن لم تكن فيه أحد هذه الشروط الثلاثه : قاتلنا ، أخرجنا من ديارنا ، ظاهر على إخراجنا ، فهو على أصل الاقساط و البر منا إليه . و غير ذلك من شروط و قيود يعرفها أهلها و من استقرأ القرءآن و استفتح ربه فتحها له إن شاء الله . و أما ما يتوهمه عوام الشيعه قبل السنه ، من حروب هوجاء لا تبقي و لا تذر ، فخيال فاسد يدل على عدم علم بالموازين الإلهيه و لب الرساله المحمديه . و أما ما ينكره المحدثين من السنه و الشيعه من إنكار قضيه المهدي و الدجال جمله و تفصيلا ، فهو لا يحتاج إلى رد لأن هؤلاء يتحدثون من خارج الإسلام و تقاليده المحفوظه ، فهم كغربي يتحدث عن الشرق ، لا قيمه لكلامه في هذا المجال .

...

" يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان " .

" آخر الزمان " و " أول الزمان " هما آخر و أول من حيثيتين ، و لكن النقطه واحده ، إن كنا سنمثل الزمان في صوره دائره . و يمكن اعتبار نقطه المركز ، القطب ، هي رمز النورانيه التامه ، و محيط الدائره و قطرها عباره عن أبعد نقاط عن المركز و بالتالي عباره عن الظلمات . و لكن يمكن أيضا أن نمثلها بالنقطه العليا و النقطه الموازيه لها من الأسفل ، و الجانب الأيمن عباره عن قوس الصعود من الأدنى إلى الأعلى ، و الجانب الأيسر عباره عن قوس النزول من الأعلى إلى الأدنى . و لاحظ أن النبي عليه السلام هنا يقول أن " أول الزمان " أيضا كان عصر ظلمات ، إذ هو يساوي بين أول الزمان و آخره ، و معلوم أن آخره هو حين تمتلئ الأرض بالجهل و الظلم و الجور ، أي الظلمات ، و بالتالي أوله كذلك . و لهذا نجد القرءآن و النبي و الإمام علي حين يصف حال الناس قبل بعثه النبي يصف على أنهم في ظلمات بعضها فوق بعض . فيمكن أن ينظر أحد إلى أول الزمان و آخره من منطلق النور التام ، أي النقطه العليا في الدائره ، و يمكن أيضا أن يتم النظر إليهما من من منطلق الظلمه التامه ، أي النقطه السفلى في الدائره . لا يوجد صح و خطأ في مثل هذا ، إنما هو اعتبارات مختلفه لحقيقه واحده . و يبدو هنا أن النبي عليه السلام نظر باعتبار النقطه السفلى و الظلمه . فإذن الترتيب هكذا : الزمان يبدأ في الظلام ، إذ الخلق ظلمه حتى يفيض الله عليه من نوره ، و لهذا قال القرءان " و جعل الظلمات و النور " فقد الظلمات . فالزمان يبدأ من النقطه السفلى إذن . ثم يبدأ النور بالإشراق ، فيبدأ الزمان بالصعود ، حتى يصل إلى قمه النورانيه ، و بالتالي

يكون آخر الزمان بهذا الاعتبار هو قمه النورانيه و امتلاء الأرض علما و قسطا و عدلا بلسان الروايه الشهيره . ثم يبدأ بالسقوط مره أخرى ، فيكون التيار الظلماتي هو الغالب ظاهرا ، " يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض " ، حتى يصل إلى القاع ، فيكون آخر الزمان بهذا الاعتبار تحولا من النور إلى الظلمات " بدلوا نعمت الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها و بئس القرار " . و الروايات التي تتحدث عن آخر الزمان و كونه ظلاما ، تتحدث بالتالي من منطلق تحول الناس من النور إلى قاع الظلمات ، و قمه النور تتمثل في " الجنه " التي كان فيها آدم ، ثم "اهبط" منها ، ثم غلبه تيار الظلمات ممثلا بأقوام نوح و عاد و ثمود و فرعون و قوم لوط حتى قريش الذي اتخذوا هذا القرءآن مهجورا ، فيصل الأمر إلى القاع بذلك ، ثم يبدأ شروق شمس النبي من ذلك القاع. و هنا معنى عظيم . و هو أن قول النبي " كما قمت به في أول الزمان " متعلق ببعثته الروحانيه و ليس البدنيه . و ذلك لأنه إن فرضنا أن " كما قمت به في أول الزمان " متعلق ببعثته البدنيه ، فإن هذا يعني أن نور النبي قد انبسط على الأرض كلها فعلا ، و تم دين الله بإشراق الأرض كلها بنور ربها إلا قليلا من الأشقياء ، و هذا ما لم يقع فعلا ، لا في الماضي و لا في الحاضر . و لكن بدأ النور بالإشراق حين بعث الله رسوله الأول عليه السلام . و هو في صعود منذ ذلك الحين و لم يزل . و بالتالي الحركه من النقطه السفلى إلى العليا للزمان لم تزل ، فإن كانت النقطه التي انطلقت منها بعثه النبي في الأرض هي القاع الظلماتي ، فيكون " آخر الزمان " بالنسبه لهذه النقطه هو القمه النورانيه . و بالتالي لا يمكن أن يستوي كون المهدي يقوم في آخر الزمان بما قام به النبي في أول الزمان . إذ سيكون " آخر الزمان " بالنسبه للمهدي ، هو قاع الظلمات ، مره أخرى ، مما يعني أن النبي قد وصل فعلا على مستوى الأرض إلى قمه النورانيه ، ثم بدأ الأمر بالسقوط بعده ، حتى عادت الكره إلى القاع ، فيخرج المهدي ليعيد الإشراق كما أعاده النبي . نعم هذا الاعتبار حق و لكن ليس على المستوى الظاهري ، و لكن الباطني . فيكون كشف المهدي عن العلم و معاني القرءآن هو السر الأساسي الذي يستوي فيه عمل النبي في أول الزمان مع عمل المهدي في آخر الزمان .

فيكون عندنا اعتبارين كلاهما حق . الاعتبار الأول هو أن النبي بعث في قاع الظلمات و أشرق الزمان و استدار حتى بلغ قمه النور ، ثم بدأ بالانحدار بعده حتى يأتي المهدي فيعيد الكره . و هذا الاعتبار ذكرناه سابقا و بنينا عليه فلا نعيد هنا . الاعتبار الثاني هو أن النبي بعث في قاع الظلمات، و بدأ الزمان بالإشراق و لم يزل كذلك حتى يومنا هذا حتى يبلغ نور النبي و القرءآن إلى الأرض كلها " زويت لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها " أو كما قال عليه السلام . فالاعتبار الأول هو بالنسبه للمسلمين . و الاعتبار الثاني هو بالنسبه للكافرين و الضالين الذي لم يعرفوا الإسلام و القرءآن بعد . فبالنسبه للمسلمين و علماء أمتنا فإن الزمان قد تمت نورانيته ، و " اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم و نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا " ، فالمهدي ليس للمسلمين بهذا الاعتبار . إذ لا يوجد في علم الوحده الإلهيه و التوحيد ، الذي هو العلم الأعلى و كعبه الدين كله و منتهى آمال أهل الله و خلص عباده ، لا يوجد في هذا العلم ما يمكن أن يضيفه لنا أي مهدي أو حتى جبرائيل نفسه عليه السلام . فكل ما يوجد في هذا العلم قد بسطه لنا القرءآن بما لا يمكن حتى أن نتصور و لا يمكن لأحد أن يتصور أصلا وجود مزيد عليه بأي ناحيه من النواحي الحقيقيه و الاعتبارات المتعاليه . فضلا عما هو دون ذلك من علوم الدين ، نعم فضل الله دائما خير و نحن فقراء إليه على الدوام ، بل فقراء في نفس عقلنا للقرءآن الذي بأيدينا . و لكن كلامنا هو عن أصل الأمر . إلا أنه بالنسبه للمسلمين يوجد علم التأويل و الإحاطه العلميه بالقرءآن و يوجد بناء الحضاره كلها على أساس الرؤيه الوجوديه للقرءآن ، و علو الإمامه على السياسه بل

اندكاك السياسه في الإمامه ، و الفصل في الأمور الخلافيه الممزقه بين المسلمين . بهذا الاعتبار المهدي سيكون للمسلمين أيضا . فالمهدي للمسلمين لزياده العلم و الجمع و تنوير ما هو بأيديهم مما غفلوا عنه أو تنازعوا فيه . و المهدي للكافرين و الضالين بنشر الإسلام و تأسيس الملك الأرضي على أساس ذلك . فيوجد في المهدويه جانب علمي و جانب ملكي . الجانب العلمي هو المحور و الأساس و له الأولويه ، الجانب الملكي ثانوي و فرعي . و مجمل الجانب الملكي هو أن الأرض ملك لله و لرسوله و لأولي القربى . و لهذا كان الله هو باعث الملوك ، و الأنبياء هم الذين يعينون من الذي ملكه الله على الأرض ، " إذ قالوا لنبي لهم : ابعث لنا ملكا " فهو الباعث في الصوره ، و لكن الله هو الذي يحدد له من يبعث ، إذ يقول " و قال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا " . فالله يبعث الملك ، و النبي يعلن للناس من هو هذا الملك . و من هنا قال النبي عليه السلام في أول الزمان " من كنت مولاه فعلي مولاه " و المولى هنا هو الملك و السيد ، و في مقابله المملوك و العبد . و من هنا قال علي عليه السلام " أنا عبد من عبيد محمد " . و الطاعه من العباده ، و الله أمرنا أن نطيع الرسول " أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم " . و معنى الملك أن مقابله مملوك له . و إلا فملك ماذا إذن ! لقد علم كفار الجاهليه معنى أن يقال " محمد رسول الله " و قبل ذلك أن يقال "لا إله إلا الله " ، و هي أنهم سينسلكوا في سلك عبيد و مماليك محمد رسول الله عليه السلام في الظاهر. و كما قال النبي عليه السلام لليهود " اعلموا أن الأرض لله و رسوله " . و هذا من القرءآن " اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء " . و داود أوتي الملك من قبل طالوت في الصوره ، و من الله في المعنى ، ثم سليمان ورث داود في الصوره ، و الله آتاه الملك في الحقيقه . و بدأت سلسله الملوك هذه ، أي طالوت و داود و سليمان ، و هي القصص الهاديه في هذا الأمر في القرءآن ، بدأت من نبي عين الملك الأول . " و قال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ". و إن كان المعلوم أن النبي قد قال " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فإنه لم يعلم و لم يدعي أحدا أن علي قال " من كنت مولاه فالحسن مولاه " و لا أن الحسن قال " من كنت مولاه فالحسين مولاه " و لا أن الحسين قال " من كنت مولاه فعلي زين العابدين مولاه " و لا شئ من هذا كله يدعيه أحد فضلا عن أن يثبت أصلا . فالملك الظاهري توقف عند حضره علي عليه السلام ، إذ حين جحده من جحده و وقع ما وقع ، عاد الأمر إلى الباطني مره أخرى ، و ما قام به الحسن و الحسين من شؤون الملك الظاهري كان بسبب نور الكساء الشامل للظاهر و الباطن . إذ هما " سيدا " و هما " إمامان قاما أو قعدا " . فالأمر شامل . و لكن من بعدهما انتقل النور الباطني في آل محمد عليهم السلام ، في علي و فاطمه و الحسن و الحسين فمن بعدهما على العموم . و لهذا فضل كبار الورثه ، كالأئمه الثمانيه مثلا عند الشيعه الاثنا عشريه ، أن يفرغوا للملك الباطني و الذي هو مدار الملك الأبدي و دخول الجنه ، أي ملك العلم . فتركزت الإمامه في الباطن ، أي في العقل و العلم و فقه القرءآن و ما ورثه النبي لأمه من العلم . " أنا مدينه العلم و علي بابها " . و أما بدايه عهد ملكي جديد للمسلمين فسيكون في عهد ظهور المهدي و بعثته الإلهيه ، و هو المعنى الصوري لقوله عليه السلام " يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان " . ففي أول الزمان قام النبي بالدين ظاهرا و باطنا ، فقام بالعلم " أنا مدينه العلم " و قام بالحكم " الأرض لله و رسوله " . فكان الشمس و القمر مجتمعان في أول الزمان . و لكن حين وقع ما وقع من قبل حزب عمر بعد وفاه النبي الأول عليه السلام ، أي من تفريقهم للعلم عن الحكم ، و جعلهم الحكم مسأله دنيويه في أيدي البشر ، و حتى هذه لم يقوموا بها فعلا إذ إنهم كانوا لا " يشاورون " إلا قله قليله جدا منهم ، فهي حجه ظاهريه استعملت من أجل نقض استمراريه حكم النبي في علي ، و لا عجب بعد ذلك من قول شخص مثل أبو جعفر العباسي الدوانيقي الملقب من قبل شيعته بالمنصور ، " لو وجدت ألفا من آل عمر كلهم مسئ ، و فيهم محسن

واحد لأعفيتهم جميعا " ، في حين أنه كان يذبح في آل علي و كأنه لا يعرف أنه سيقف للحساب غدا، و قد عد له صاحب مقاتل الطالبيين من علماء و صفوه آل علي نحو تسعه عشر قتلوا في زمانه ، هذا غيرما يروى من غير هؤلاء . و ذلك لأن عمر خصوصا هو الذين سن ما سار عليه من جاء بعده ، و به استقام لهم ما استقام لهم من الأمر ، و ليس بأبي بكر الذي لم يكن بتلك القوه باعترافه هو أن عمر أقوى منه على الأمر فضلا عن الشواهد الأخرى القائمه على ذلك ، و ليس أيضا بعثمان الذي كان فيه من اللين - و هي عباره ملطفه - ما فيه فتم قتله ، و بالتأكيد ليس بعلي الذي كان يدعي الولايه الكامله في نفس الأمر و أنه على الناس أن يسلموا له الأمر طوعا و إلا فالوزر عليهم ، و ليس عجبا بعد أن ذلك أن يسمى أبي بكر و عمر ب " العمران " و ليس : الأبو بكران أو نحو ذلك . فمدار الأمر في إبعاد الأمر و استمراريته الطبيعيه على يد علي كان بسبب عمر ، و الذي هو بنص ابن عباس " الرزيه كل الرزيه " و ان لم يصرح تماما بالنسبه و لكن روايته و تعليقه عليها تنص على ذلك . فحين قال النبي في مرضه الذي توفاه الله فيه " ائتوني بدواه و كتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " ، قال عمر ثم تبعه من تبعه :" إن الرجل ليهجر" و الهجر هو الهذيان و التخريف و التي لطفها من لطفها بقول "النبي غلبه الوجع ، و عندكم القرءآن ، فحسبنا كتاب الله " فوقع التنازع ، فريق يقول " قربوا للنبي يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " ، و فريق " يقول ما قال عمر". ثم قال ابن عباس " الرزيه كل الرزيه ما حال بين رسول لله و كتابه " أو نحو ذلك . فما هو الذي " حال " بين رسول الله و أن يكتب لهم ذلك الكتاب ؟ الجواب : عمر و من قال بمثل قوله . و لا نحتاج إلى تخمين لمعرفه ماذا كان رسول الله يريد أن يكتب لهم . إذ عمر بنفسه ، بمقولته الرزيه هذه كشف لنا عن جانب مهم . و مقدمه لذلك نذكر بآيه " لا أسألكم عليه أجرا إلا الموده في القربى" ، كل نبي قال لقومه " لا أسألكم عليه أجرا " و لم يستثني . و لكن النبي الأول وحده قال " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا الموده في القربى ". و " أجرا " ليس ثمنا . إذ الثمن يدفع مره واحده فقط . و أما الأجر فكلما وجود الشئ وجد أجره . و بالتالي الله تعالى ضمن وجود القرءآن و وجود " القربى " معه كلما كان موجودا . و هذا قول النبي عليه السلام "تركت فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، و إنهما لن يفترقنا حتى يردا علي الحوض " . و حيث إن الغايه الأساسيه من القرءآن هي عقله " إنا أنزلناه قرءآنا عربيا لعلكم تعقلون " ، و العلم هو مدار الأمر و معيار منزله الإنسان ، و حيث أن القرءآن فيه تبيان و تفصيل كل شئ ، فهذا يعني أن الغايه الأساسيه من القربي هنا ليست كلاما معينا صادرا منهم إذ إن كلام الله هو الأول و الآخر و هو مرجع القربى أصلا ، " علي مع القرءآن و القرءآن مع علي يدور معه حيثما دار " . و لكن نفس ذوات القربى هي الغايه . فهو النور الذي به يستنير قلب الناظر في القرءآن كظهور الشمس التي تبين ما في الأرض ، و هم الشمس و القرءآن هو الأرض المقدسه التي كتبها الله لنا - هذا باعتبار من لم يكن شمسا في ذاته ، و حتى إن نور القربى هو نور على نور بالنسبه لمن كان الله قد نوره بالنور القرءآني الأعلى . و القربى هم من بعد ذلك ميزان ادراك الإنسان أنه على الطريق المستقيم في عقل القرءآن . فمن وافقهم في العقل فقد وافق الحق الذي ضمن الله سبحانه أنه الحق . و حيث أن النبي هو الأول ، " و أنا أول المسلمين " و ما الأنبياء إلا مظاهره من بعد ذلك ، فإنه مع بعثه الخاتم عليه الصلاه و السلام ، فإن هذه الدوره قد بدأت من جديد ، و أهل بيت النبي هم النفوس الطاهره التي تمثل الأنبياء الذين ذكرهم القرءآن خصوصا بعد ذلك . " علماء أمتي كأنبياء بني اسرئيل" . فلا يوجد نبي في القرءآن إلا و يوجد عالم من علماء الأمه وارث له في مقاماته و أحواله و أذكاره و أفكاره و مسالكه و طرقه . و الأمثال أي المظاهر لا حد لها في نفسها إذ المثل أي الجواهر فياضه على الدوام. " و لن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا " . فقول النبي في حديث الثقلين

الذي إن لم يصح فلا يوجد حديث صحيح على وجه الأرض ، " تركت فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدي أبدا " قد أثبت عدم الضلال بالتمسك بإثنين في الصوره ، كتاب الله و عترته أهل بيته . ثم قال في حديث الرزيه الصحيح أيضا و لم يختلف أحد في أصل صحته و إن لف و دار من تشيع للرجال و ليس للحق ، " أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " . و لاحظ أن كلام النبي هو فيض من كلام القرءآن ، و هو أنه حيث يذكر نفس العباره في أكثر من موضع يدل على وجود علاقه بين هذه المواضع . فالكتاب الذي أراد النبي أن يكتبه هو أيضا متعلق بما هو " بعده " . فإن كان قد أثبت القرءآن أنه علينا أن نتمسك بالقرءآن و أولي القربى . ثم قال النبي " كتاب الله و عترتي أهل بيتي "و نفي الضلال من بعده على ممن تمسك بهما . ثم قال في حديث الرزيه أنه أراد أن يكتب كتابا لن يضلوا بعده ، فحيث أن القرءآن كما قال عمر بحق " عندكم القرءآن " فهذا يعني أن النبي - بالطبع و بالبداهه لم يكن يريد أن يكتب القرءآن . و بديهي أيضا أنه لم يكن سيكتب لهم حكم شرب الخمر أو بأي رجل على المسلم أن يدخل إلى الحمام . إذ ليس هذا مما ينطبق عليه " لن تضلوا بعده أبدا " . فإن عقل الإنسان قليلا عرف أن المقصود بذلك الكتاب متعلق بعترته أهل بيته . و لكن ما هو المضمون بالتحديد لا نستطيع أن نرجم بالغيب . إلا أن النبي قد قال و فرغ من القول بأنه " من كنت مولاه فعلي مولاه " . و لكن الذي يبدو هو أنه عليه السلام أراد أن يثبت ذلك في كتاب ، بدل أن يكون شفهيا . و لكن وقعت الرزيه العمريه فكان ما كان مما تعرفه و أعرفه ، فلا تظن خيرا و اسأل عن الخبر . و اللطيف أن أبي بكر عقل هذا المعنى ، و عمر كذلك ، فلما جاءت الدوله إلى أبي بكر لم يقل للناس " عمر خليفتي " و كفى ، و لكنه ثبت ذلك بالكتابه ! فكان عمر و شيعته يظهرون كتاب أبي بكر له و أنه خليفته حقا . فالحاصل أن هذا الذي وقع جعل الحق الظاهري في الملك للعتره أهل بيت النبي كالقمر المخسوف . و لكن ملكهم الباطني في الملك العلمي ثابت لم يزل ، و حتى يأتي المهدي آخر الزمان سوف لن يجتمع العلم و الحكم في آل محمد جمعا كاملا . " و اجعل لنا من لدنك وليا و اجعل لنا من لدنك نصيرا " . و الحمد لله رب العالمين .

.....

١٥ - قال النبي صلى الله عليه و آله " من آمن بالله و رسوله ، و أقام الصلاه ، و صام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنه ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها " .
قالوا : يا رسول الله ، أفلا ننبئ الناس بذلك ؟
قال " إن في الجنه مائه درجه ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء و الأرض ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنه ، و أعلى الجنه ، و فوقه عرش الرحمن ، و منه تفجر أنهار الجنه " .

أول ما يؤخذ من هذه الروايه الشريفه هي أنه من أجل استحقاق دخول الجنه ليس من الشرط القيام بما اشتهر بمسمى " الأركان الخمسه " . و التي ما هي إلا روايه في عرض روايات بل و آيات قرءانيه كثيره لها مضمون مخالف من حيث الترتيب و الأولويات بل و في نفس مضمون الأمر. و هذه الروايه تحدد أربعه شروط : الإيمان بالله و الإيمان برسوله ، إقامه الصلاه ، صيام رمضان . فهي لا تذكر الحج البدني المقيد و لا الزكاه الماليه المعينه . و من ينظر إلى الآيات القرءآنيه المتعلقه بهذا المجال ، بالنص ، سيجد أن الشروط الإلهيه لدخول الجنه لها طابع آخر . فبينما كل روايات الأركان يغلب عليها الطابع الذي يمكن أن يسمى بناءا على المشهور بالصبغه " العباديه " أو الشعائريه البدنيه ، و تبدو و كأنها شئ يمكن أن يقوم به الجميع من سهولته إن شاء الله ، و ليس فيه مجاهده استثناءيه على العموم ، من قبيل قوله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنه و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين " ، فإن الآيات المباركه كالعشر الأوائل من سوره المؤمنون ، لها طابع آخر ، يجمع بين العلويات و السفليات ، و الباطنيات و الظاهريات ، و الذكر و الفكر ، و السر و الجهر. بل و بعض الآيات تنص بشكل قاطع على أن الإخلاد إلى الدنيا هو من الكفر الذي يضمن لصاحبه ولوج جهنم ، فإننا لا نرى شيئا من ذلك في روايات الأركان عند عامه الناس ، بل أصبح الحديث عن ترك الإخلاد إلى الدنيا من " الزهد " المتعلق ب " التصوف " بل لعله " بدعه " أيضا و في جميع الأحيان " أمر يتعلق بالصفوه و القله فقط " . و يوجد روايه ، و هي حق قطعا بحسب الموازين القرءآنيه و العرفانيه ، يقول فيها النبي عليه السلام " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " . و هذه تضمن الفلاح حتى بدون الشهاده لرسول برساله ، و لا لكتاب بتنزل ، و لا أي عمل آخر إضافي . و لكن كما أنها لا تشترط القيام بأي عمل آخر ، فإنها لا تفترض أن قائلها سيقوم بأي عمل مضاد أيضا. أي إن كان لن يؤمن برسول ، فإنه لن يكفر برسول أيضا ، لأن الكفر عمل كما أن الإيمان عمل . و هذه الأعمال لها موازينها الأخرى . فإن افترضنا إنسانا يحيا منعزلا أو مجانبا لكل الناس باستثناء أخذ قوت يومه و ليس له علاقه مباشره بإنسان ما ، و مع ذلك قال بالتوحيد ، فعندها ينطبق عليه حكم الروايه الشريفه . فعدم فرض عمل صالح ، يقترن بفرض عدم ارتكاب عمل طالح . قال الشيخ الجنيد - قدس الله نفسه " النقصان في الأحوال ، هي فروع لا تضر ، و إنما يضر التخلف مثقال ذره في حال الأصول . فإذا أحكمت الأصول لم يضر نقص في الفروع " . فالشاهد هو قوله "إنما يضر التخلف مثقال ذره في حال الأصول " . و ما هو أصل الأصول ؟ هو العلم بالوحده الإلهيه . " إن الله لا يغفر أن يشرك به ، و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء " . فإن تم العلم بالوحده ، "فاعلم أنه لا إله إلا الله " . كان " ما دون ذلك " تحت المشيئه و المغفره الإلهيه . مما يقتضي أن ما

سوى ذلك هو مما هو دون ذلك . فكل ما عدى " لا إله إلا الله " هو دونها ، و المطلوب الأكبر هو هذه الكلمه العظيمه المتعلقه بأعظم حقيقه في الوجود ، بل هي حقيقه الوجود .

فالحاصل أن هذه الروايه الشريفه في شقها الأول تتحدث مثلها مثل بقيه الروايات في هذا المجال عن أنحاء و أنواع من الأسباب التي تؤدى إلى دخول الجنه . فهي من هذه الحيثيه لا تهمنا في هذا الباب . ما يهمنا أكثر هو الشق الثاني منها . فإنه حين سمع من سمع من أصحاب النبي عليه السلام و عليهم الرضوان ، الشق الأول ، قالوا " يا رسول الله ، أفلا ننبئ الناس بذلك ؟ " . لأن علماء الأمه هم الأنبياء في حدود الأمه ، " علماء أمتي كأنبياء بني اسرئيل " ، إلا أنهم يأخذون العلم من النبي و بواسطه النبي و ما أوتيه من ربه ، فكما أن الله علم آدم و آدم أنبأ الملائكه ، فكذلك النبي يعلم ورثته و الورثه ينبؤون الأمه . فلما سألوا النبي ما سألوه ، لم يجبهم بنعم أو لا مختصره . بل في كل ما أجابهم به ، لا يوجد تصريح نصي بنعم أو لا . و لكن فحوى الجواب تدل على الجواب . قال صلى الله عليه و آله و سلم " إن في الجنه مائه درجه " . و هنا مفتاح كل الآيات القرءآنيه و الأحاديث النبويه و البيانات العلويه التي تعدد أعمالا و تذكر أهميتها و فضائلها الوجوديه . و هي أن كل عمل منها أو مجموعه منها ، تتناسب مع درجات في الجنه . إذ ليست الجنه درجه سطحيه واحده . فيوجد تدرجيه فيها . و إنما يقع الخبط بالنسبه لمن لا يرى في أي شئ إلا شيئا واحدا على مستوى التفصيل و الظهور . و لكن بالنسبه لمن يرى حقيقه تراتبيه الكون ، فإن مثل هذا لا يعتبر عقبه له بل هو مقتضى الحقيقه الوجوديه . فلننظر نظره في وصف الجنه في هذه الروايه .

" إن في الجنه مائه درجه ... كل درجتين ما بينهما كما بين السماء و الأرض..الفردوس : أوسط الجنه و أعلى الجنه ، و فوقه عرش الرحمن ، و منه تفجر أنهار الجنه " . لاحظ تعبير " أوسط " و "أعلى " بالنسبه للفردوس . و هو تعبير قد يبدو متناقضا ، إلا أنه ليس كذلك في نفس الأمر ، لأن "أوسط " مأخوذه بحسب التمثيل الدائري للجنه ، و " أعلى " مأخوذه بحسب التمثيل الطولي للجنه . و كلاهما حق . فإن النظر إلى الكون عموما ، و إلى الجنه و النار خصوصا ، يمكن أن ينظر إليه بمثال دائرى أو طولي . المثال الدائري ، يمكن أن ينظر إليه على أنه كلما تم الاقتراب من المركز كان الأمر أضيق و بالتالي أسفل ، " ألقوا منها مكانا ضيقا " بتعبير القرءآن عن جهنم ، و يكون المحيط الأوسع هو الأكبر و الأرفع و ال " فوق " ، فيكون الله تعالى هو المحيط المطلق إذ " و الله بكل شئ محيط " . و يمكن أيضا أن ينظر إلى المثال الدائري على أن النقطه الوسط هي الأكبر و الأوسع بمعنى أنها مركز صدور الكون و العطايا و الإفاضات ، و بالتالي كلما كان الموجود و المخلوق أقرب إلى الوسط كلما كان أعظم و أوسع و أكثف من حيث السمات و القوه الوجوديه . و بهذا الاعتبار الثاني جاءت هذه الروايه الشريفه حين ذكرت أن الفردوس هو " أوسط الجنه " و أنه لا يوجد فوقه إلا " عرش الرحمن " مباشره . و لكن تمثل " أعلى الجنه " مبني على التصور الطولي، و هو رمزيه البناء ، فما كان أعلى كان أقرب لله تعالى و عرشه ، إذ هو سبحانه "الأعلى" بإطلاق . و بالتالي يكون الأسفل هو الأبعد ، " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ". و الفردوس هو بهذا الاعتبار " أعلى الجنه " .

إلا أن قوله عليه السلام " و منه تفجر أنهار الجنه " قد يحتمل أن " منه " تعود على عرش الرحمن. و لكن هذا لا يصح هنا ، و إن كان كل شئ يعود إلى العرش الرحماني بالطبع ، إلا أنه لو أراد ذلك عليه السلام لقال : و فوقه عرش الرحمن الذي تفجر منه أنهار الجنه . و لكن كان عليه السلام بسبيل تبيان حقيقه الفردوس ، فقال " و الفردوس " ثم عدد ثلاثه أمور كلها ابتدأت بذكر ضمير الهاء و إرجاعه إلى الفردوس ، فقال " فإنه أوسط الجنه و أعلى الجنه " (و لاحظ أنه جمع بين هذين الوصفين في عباره واحده لأنها يدلان على حقيقه واحده من حيثيتين مختلفتين ، فسبحان الله على دقه الكلام النبوي) ، ثم قال "و فوقه عرش الرحمن " ، ثم قال " و منه تفجر أنهار الجنه " . فضمائر "فإنه" و "فوقه" و "منه" ترجع كلها إلى الفردوس . و هنا ملاحظه فاصله في نظريه وساطه الفيض و استمراريتها حتى في الجنه ، إذ يقول النبي أنه من الفردوس " تفجر أنهار الجنه " . خصوصا الأنهار الأربعه المذكور في القرءآن ، الماء و اللبن و الخمر و العسل ، و تأويل ذلك عند أهله . فأولا يفيض من عرش الرحمن على الفردوس ، و لكن الإفاضه تكون بحيثيه جمعيه ، و لذلك قال أنه " منه تفجر أنهار " فذكر كلمه التفجير ، مما يدل على التوسع و البسط و الانتشار لما كان كامنا في الشئ قبل أن يتم تفجيره . فالتفجير إطلاق لقوه كامنه مجموعه في شئ . فلا يخرج بعد التفجير إلا ما كان محتملا كامنا قبل التفجير . و هذا هو العطاء الجمعي الذي من العرش للفردوس . ثم العطاء التفصيلي يبرز من الفردوس إلى بقيه درجات الجنه المائه بحسب اعتبار هذه الروايه .

مع ملاحظه أن روايه " اقرأ و ارق فإن منزلتك عند آخر آيه تقرأوها " بالنسبه لصاحب القرءآن ، لا تقول أن عدد " درجات " الجنه على عدد آي القرءآن ، و لكنها تقول أن عدد " منازل " الجنه على عدد آي القرءان . فالدرجه تعبر عن طبقه تكوينيه معينه ، و هو ما دل عليه قول النبي " كل درجتين بينهما كما بين السماء و الأرض " . فالكلام هنا ليس فقط عن مسافه كميه ، و إن كان رمز المسافه الكميه يدل على المسافه الكيفيه . فالفرق بين " السماء " و بين " الأرض " هو فرق كيفي نوعي . فالسماء لها خصائص تكوينيه معينه ، و لها سمات وجوديه معينه ، تختلف عن الخصائص التكوينيه و السمات الوجوديه للأرض . ليس فقط في كون السماء " أعلى " و الأرض " أسفل " بالمعنى الساذج الذي يخطر لعوام من ينظر من هذه الأرض إلى هذه السماء فيظن أن الفرق هكذا. لأنه قد علمنا أن " هذه " السماء التي فوق رؤوس أبداننا ما هي إلا رمز على " تلك " السماء التي هي طبقه وجوديه تكوينيه أخرى فوق هذا العالم البدني كله ، بكل مجراته و ذراته ، فكل ما تراه ببدنك هو من العالم البدني السفلي ، أو العالم الأرضي ، سواء كان مجره تبعد مليار سنه ضوئيه ، أو ذره تبعد بمقادير كميه الله أعلم بها . لا فرق ، كل هذا هو العالم الأرضي و البدني السفلي . و أما التعبير عن حقائق السماء بما هو في هذه السماء فهو من باب اللسان الرمزي ، و ليس التحقيقي . و من السفه أن يظن أحد - كما يظن الكثير خصوصا من أهل الديانات الأخرى - أن السماء المقصوده في كلام الوحي هي هذه التي فوق رؤوس أبداننا ، و كأن " العالم الروحاني " يبدأ بتجاوز هذا السقف الهوائي . و هذا الاعتقاد ما هو إلا من آثار انحطاط الرموز الحقانيه إلى تماثيل وثنيه لا يفقه أهلها ما ورائها و ما قصد بها . حتى يظن الظان منهم بأن ربه قد " صعد " إلى هذه السماء و اختفى هناك و سيأتي في " السحاب " بعد حين ! و هيهات هيهات لما توعدون . ليس أسوأ ممن لا يعقل

الأمثال إلا من يصنمها و يعتقد بظاهرها بعد تسفيل ظاهرها . على أيه حال ، فإن التفريق بين درجات الجنه هو تفريق تكويني وجودي ، و ليس مجرد تفريق ساذج بين شخص يسكن في بناء متجانس الطبيعه اللهم إن بعضه في الدور السابع فوق و بعضه يسكن في الدور الأرضي ، مع عدم الفارق الطبيعي الذاتي بين الدور الألف و الدور الأول في هذا البناء الواحد المتجانس من حيث الخصائص و إن اختلف في مستوى العلو السطحي . ليس الأمر كذلك . فالنبي يقول " كل درجتين ما بينهما كما بين السماء و الأرض " . فكل درجه تعبر كالسماء بالنسبه لما دونها ، و كالأرض بالنسبه لما فوقها . هكذا ارتفاعا حتى الفردوس ، الذي هو سماء كل درجات الجنه من حيث الشموليه و البسط ، فهو أوسطها ، أي محورها و مركزها ، و هو أعلاها أى الذي يظللها و يفيض عليها ، و الفردوس بدوره يعتبر الأرض المقدسه بالنسبه لسماء العرش الرحماني الذي ليس فوقه في الرتبه الوجوديه و السعه الملكيه و الملكوتيه إلا الحقيقه الإلهيه المحيطه بكل شئ . فالجنه عوالم بعضها فوق بعض . كما أن النار عوالم بعضها تحت بعض . و بينهما سور له باب ، باطنه فيه الرحمه و ظهره من قبله العذاب ، و هذا مثل عكسي ، أي أن الرحمه باطن من حيث التمثيل ، و لكن هي الظاهر أي الأعلى و الفوق من حيث التأويل ، إذ المؤمنين " فوق " الكفار و المنافقين يوم القيامه . و هذا كمثل الشجره الطيبه التي في التمثيل أصلها في الأرض ، و لكن في التأويل أصلها الثابت في الحقيقه الإلهيه التي لا ثابت على التحقيقه غيرها . فالتمثيل صور عكس حقائق التأويل ، في الكثير جدا من الأحيان ، فتنبه لهذا أيها العاقل .

فإذن " مائه درجه " تعني مائه عالم . مائه طبقه كونيه . بين كل اثنين منها اختلافات في الخصائص و السمات . و التساؤل هو : ما الذي يجعل هذه الدرجه " فوق " تلك ؟ و الجواب : قربها من عرش الرحمن . فهي كالدوائر التي تبعد عن الوسط ، و كلما ازداد البعد ضعف الفيض الواصل بتكاثر الوسائط . فالأمر يشبه الفرق بين صاحب المزرعه ، و بين أهل المدينه . فصاحب المزرعه يكون محصوله هو الأكثر و الأوفر ، ثم يأخذ حظه منه و يرسل الباقي إلى أهل قريته مثلا ، ثم أهل القريه يأخذوه حظهم منه و يرسلوه الباقي إلى أهل المصر ، ثم أهل المصر يأخذوه حظهم منه و يرسلون الباقي إلى أهل المدينه ، الذي لا يصلهم الثمر إلا بعد أن يمر بوسائط متعدده ، طبعا هذا مجرد تشبيه فإن واقع البشر هو على العموم اضطهاد أهل الزراعه و الصناعه و أخذ معظم ما عندهم لإعطائه لطواغيت المدن الذين لا ينتجون بل يدمرون و يعبثون و هم في سكرتهم يعمهون . فإذن ، الحقيقه العليا هي " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " و يتلوها " الرحمن على العرش استوى " ، فإن كانت الأولى تعبر عن الحق الغني عن العالمين ، فإن الثانيه تعبر عن الحق الذي هو رب العالمين . فقال القرءآن عن أقرب مقام للعرش ، " عند سدره المنتهى " أي منتهى حد العالمين ، و حد الخلق ، "عندها جنه المأوى " و هي الجنه التي هي موطن الإنسان حقا . و لذلك كان المفارق لها يعتبر يتيما، " ووجدك يتيما فآوى " أي أواك إلى هذه الجنه التي هي موطنك ، فقطع يتمك بذلك . و لكن حين يأتي " يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات " سيكون الكون كله بين جنه و نار في المحصله . و الروايه الشريفه تتحدث بالأخص عن هذه الحال القادمه إن شاء الله تعالى . و إن كان كل ما هو قادم له أساس في ما هو قائم ، إذ " الدنيا مزرعه الآخره " . فإن كان في الآخره الثمر ،

ففي الدنيا الشجر . فقوله " سدره المنتهى " يقابله في الحق " و أن إلى ربك المنتهى " ، و بالأدق السدره و جنتها تقابل رب النبي الأعلى . فمنتهى الخلق عند السدره من حيث الكون ، و لكنه عند ربك من حيث أنه المكون و هو الحق لا إله إلا هو .

الأعمال التي تقرب الإنسان من ذلك المقام كثيره بحمد الله ، و لكن من أهمها ما ورد في قوله تعالى "و اسجد و اقترب " ، و التي عكسها النبي عليه السلام حين سأله ربيعه - رضوان الله عليه - مرافقته في الجنه ، و من المتيقن إن شاء الله أن الله برحمته سيعطي نبيه الفردوس بل الوسيله التي هي عين مقام وساطه الفيض على بقيه الخلق ، فقال النبي له " أعني على نفسك بكثره السجود " . إلا أن هذه الروايه الشريفه تذكر جانب من قوله تعالى " اسجد و اقترب " . و الآيه لم تقل : اسجد لتقترب . فالأمر بالسجود شئ ، و الأمر بالاقتراب فيها شئ آخر . و قول النبي يكشف عن هذا المعنى ، إذ هو أمر ربيعه - رضوان الله عليه - بأن يسجد و جعل محور حديثه عن النفس . " أعني على نفسك بكثره السجود " . و العقل فوق النفس . فالأمر بالسجود للنفس ، و الأمر بالاقتراب للعقل. أي في قوله تعالى " اسجد و اقترب " . العقل هو مظهر الاقتراب ، و لا نقول " سببه " إلا من حيث أن العمل من العبد من آداب الربوبيه و القيام بحقوقها ، و لكن في واقع الأمر ينطبق قول الحكيم السكندري - قدس الله نفسه " جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل " و قوله " كيف يكون عملك اللاحق سببا في عطائه السابق " . فلولا أنه أراد أن يعطيك الشئ لما عملت العمل الذي به تعطى الشئ ، " ادخلوا الجنه بما كنتم تعملون " . فالحكيم نظر من حيث أصل الأمر ، و القرءآن و إن كان كشف عن أصل الأمر في الحق و مقتضى تراتبيه الوجود و أنه لا يظهر في الأدنى إلا ما كان في الأعلى ، فإن القرءآن أيضا ذكر جانب العبد و التشريع له . فقال " ادعوني استجب لكم " مما يعني أنه لن يدعوه إلا إن كان قد سبق أن أعطاه ما يدعوه ، عرف حقيقه العطاء أم غفل عنه . و من هنا لما أمرنا النبي عليه السلام أن ندعوا له بالوسيله ، التي هي مقام فرد واحد ، علمنا يقينا أن حقيقه النبي هي الآن في مقام الوسيله كما كانت من يوم خلقها الله تعالى . فالنبي هو الوسيله بين الحق و الخلق ، و عندما أرشد المؤمنين بأن يدعوا له بها ، كان من قبيل " أنا أول المسلمين " و "أمرت لأن أكون أول من أسلم " . فالعباره الأولى ناجزه و مفروغ منها ، و هي مقام فوق الخلق أي السموات و الأرض ، و لكن الثانيه متعلقه بالظهور و المرور في الأطوار و العروج إلى الحق و التقلب في الساجدين . و لولا الحقيقه القائمه لما سعى سعيا أصلا . فالحقيقه القائمه هي التي تجذب النفس إلى كمالها الذي هو عين هذه الحقيقه القائمه . فالسجود هو توجه النفس إلى الأعلى ، بدل أن تهوي إلى الأسفل ، و لذلك يقال في السجود البدني الذي هو مثال السجود النفسي " سبحان ربي الأعلى " . و أما من يسجد بدنيا ، و يسبح بهذا التسبيح ، و هو لا يزال مخلدا إلى الأرض و منغمسا في أصنام الدنيا الخمسه ، و لم يجعل محور حياته مقوله " من أحب العلم و العلماء " و لا جعل مظهر حياته العليا هذه في الدينا مقوله " حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب و النساء و جعلت قره عيني في الصلاه " ، بل راح يلهو و يلعب مع سفله البشريه الذين لا عرفوا آخره عليا و لا عرفوا انبساط في دنيا حق الانبساط ، فإنه إنما يعبث بنفسه و بحياته و يعرض نفسه لمقت " لم تقولون ما لا تفعلون " . فالسجود هو توجه النفس إلى الأعلى ، و الاقتراب هو عقل الحق و الحقائق العليا . و أما قوله عليه

السلام " كثره السجود " فإن الكثره مثل على الشده في الشئ ، و ضرب الأمثال الكميه هو من الأمور الشائعه بالنسبه لمن لم تبرح أنفسهم من التعلق بالكميات السفليه ، و لكن الواقع هو أن تأويل هذه الأمثال هو دائما أمور كيفيه ، و من الناحيه الكميه المظهريه تعبر " بسيطه " . فسجده واحده من النبي تساوي ألف ألف سجده من غيره من عوام البشر . فالكميات لا اعتبار مستقل لها ، بل و لا المظهريات من حيث ذاتها ، و إنما اعتبارها بحسب كيفيه قلب و مستوى عقل صاحبها . و لذلك قد يعمل ثلاثه عمل واحد من حيث المظهر ، كصلاه الظهر مثلا ، و لكن بعضهم ترتفع إلى السماء ، و بعضهم تلف و يضرب بها وجه صاحبها . و القرءآن يذكر أن بعض الناس حسنتهم بعشره ، و بعضهم أكثر من ذلك إلى سبعين إلى سبعمائه و بعضهم " الله واسع عليم " فالعطاء بغير حساب أصلا . فإن كان أصل ذلك يرجع إلى العمل و ظاهر الحسنه نفسها ، فكيف يعقل أن تكون حسنه هذا و ذاك التي لها نفس الصوره ، أصبح بينها هذا الفرق الشاسع بين حسنه بعشره حسنات ، و حسنه بما لا حد له من الحسنات " بغير حساب " . فواضح أن هذا يرجع إلى أمر فوق نفس العمل الحسن. و ليس إلا " من أتى الله بقلب سليم " و " يرفع الله الذين ءآمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات " . فالإيمان و العلم ، هنا " سبب " الارتفاع في الدرجات . " و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " ، و يقول مرجعا الإيمان إلى حقيقه العلم ، " و ليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به " . فمرجع الإيمان الحق إلى العلم . و مرجع العلم إلى العقل . "و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون " . فمرجع كل شئ إلى العقل ، و منه تتفجر باقي الأمور .
فالعقل هو فردوس الدين ، أي فردوس الحياه و سبب الارتفاع في الجنه و التقرب من الله تعالى. و إنما أمر سجود النفس أولا ، لأن النفس إذا انجذبت و أسرها العالم السفلي الذي هو ظل بل ظل لظل، لا تعد قابله لأن تأخذ من نور العقل و فيوضاته ، كما أنه أهل جهنم لن يأخذوا من أنهار الفردوس و فيوضاته . " و نادى أصحاب النار أصحاب الجنه : أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله . قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين " . ما هو الماء ؟ نذكر الجواب من عقل قرءآني فيه مبدأ يمكن أن يستعمله أهل القرءآن كمفتاح لمباحث أخرى . يقول تعالى في الآيه ٤٨من سوره الفرقان المباركه " و أنزلنا من السماء ماءا طهورا " ثم يذكر عن بركات هذا الماء و أعماله ، فيقول مثلا " لنحيي به" و يقول " نسقيه ممن خلقنا " ، و يقول " صرفناه بينهم ليذكروا " ثم يقول " و لو شئنا لبعثنا في كل قريه نذيرا . فلا تطع الكافرين و جاهدهم به جهادا كبيرا " . فالسؤال الآن : ما علاقه ذكر الماء الطهور المنزل بهذا التعقيب " و لو شئنا لبعثنا " و الواو تدل على استمراريه الكلام و صلته بما قبله. و الأهم من ذلك هو قوله " فلا تطع الكافرين ، و جاهدهم به جهادا كبيرا " ما هو المقصود من "به " في هذه الآيه ؟ مما يقوله الكثير من علماء الظاهر و الباطن بل لا أعرف مخالفا لذلك هو أن هذا ال " به " هو القرءآن . و لكن العجيب أنه في ظاهر النص القرءآني لا يوجد أي ذكر للقرءآن في هذا السياق كله . بل آخر ذكر نصي للقرءآن هو في الآيه ٣٢ . و ذكر مواضيع كثيره جدا بين الايه ٣٢ و الايه ٥٢ التي هي " جاهدهم به " . فأنى يكون ضمير " به " عائدا على القرءآن بهذا الاعتبار ! الجواب : إن " به " تعود على هذا الماء الطهور المنزل ، و هذا الماء هو القرءآن . فالسياق مستمر ، و المعنى بين . فالماء الطهور هو مثل على القرءآن ، بل حقيقته العليا هو القرءآن. و أي حياه العقول من حياه الأبدان حتى يكون ماء الأبدان مصداق لقوله " و جعلنا من الماء كل شئ

حي " و لا يكون القرءآن الذي هو ماء العقول و القلوب ليس مصداقا لها ، بل هو المصداق الأعلى لها . فقوله تعالى " و أنزلنا من السماء ماءا طهورا " تدل على القرءآن ، و لهذا قال من قال من علماء التحقيق - و هي روايه عن ابن عباس رحمه الله تعالى - أن " جاهدهم به " تعني بالقرءآن . فهم موتى ، و بالتالي يحتاجون إلى الحياه ، و سبب الحياه هو القرءآن ، فكان وسيله الجهاد الكبير. و سمي جهاد الكفار بالقرءآن " جهادا كبيرا " و ليس الجهاد الأكبر ، لأن مجاهده الآخرين جهاد كبير، و أما الجهاد الأكبر فهو مجاهده النفس بالقرءآن . " أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم " . و القرءآن نزل من أجل أن يتم عقله ، " إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " ، و ليس عقله فقط، بل العقل مطلقا ، إذ لم يقل : لعلكم تعقلونه . بل " لعلكم تعقلون " . فالعقل قيمه مطلقه . و القرءآن أبرز مظاهره ، أي عقل القرءآن . و بالتالي يكون قول أصحاب النار " أفيضوا علينا من الماء " يدل على العقل مطلقا و العقل القرءآني خصوصا . و أما قولهم " أو مما رزقكم الله " فله اعتبار آخر . إذ بناءآ على ذلك الاعتبار يكون الماء هو الذكر ، و الرزق هو الفكر . إذ يقول " أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس " . و قال في سوره يس " إنما تنذر من اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب " و الآيه المكمله لها في البيان في نفس سوره يس " لتنذر من كان حيا " . فالحي هو الذي يتبع الذكر و يخشى الرحمن بالغيب . و أصل ذلك الذكر ، كما قال عن أولي الألباب "الذين يذكرون الله" أولا . فالماء هو الذكر ، و لا يخفى أن القرءآن هو الذكر الأعلى و سمي بالذكر، " و قد أتيناك من لدنا ذكرا " و من هنا الربط بين الاعتبار الأول و هذا الاعتبار . فالماء هو الذكر، و أعلى الذكر هو القرءآن . و الرزق هو الفكر ، " يتفكرون في خلق السموات و الأرض " ، و لذلك ذكروا الماء مطلقا ، " أفيضوا علينا من الماء " و لم يقولوا : ماؤكم . لأن الذكر مطلق متعلق بالله تعالى ، الواحد ، " يذكرون الله " . و لكن الرزق ذكروه مقيدا بالمرزوق ، " أو مما رزقكم الله " و ذكروا بلسان الكثره أي " رزقكم " ، و كذلك الفكر متعلق كثره " خلق السموات و الأرض " .

فالحاصل : من ازداد ذكره و فكره ، ازداد علوه و قربه .

و حقيقه الذكر و الفكر المعتبره هي التي تقرب الإنسان من الأوسط و الأعلى . أي تقربه من مركز الوجود و محوره المفيض على ما سواه . و الفردوس عباره عن القرب الذي لا قرب بعده بالنسبه للخلق . و أما مقام " الوسيله " فهو العقل بين عرش الرحمن و الفردوس . فالروايه تذكر أنه من الفردوس تتفجر أنهار الجنه ، و لكنها لا تذكر من أين ظهرت هذه الأنهار في الفردوس أصلا . و الجواب في آيات و روايات أخرى . و الوسيله "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب و يرجون رحمته " و قوله " يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيله " . فإنما ضل أهل الجاهليه في تعيين مصداق الوسيله ، و ليس في نفس مبدأ وجود الوسيله - كالعاده في البشر في قبول مبادئ عامه و الضلال في تعيين المصداق الأعلى لها أو المصداق الصحيح لها . كالذي يريد السعاده فيعبد الدنيا ، فهو محق من حيث طلب و إراده مبدأ السعاده ، و لكنه ضل بتعيين مصداق هذه السعاده في هذه الدنيا التي ما هي إلا كظل و سحابه صيف بل كشجره توشك أن تصير حطاما أو تنقلع من جذورها مع هبوب رياح التغيير و المنافسه و التوحش بين سفله البشر . فالله يأمر و

يقول " ابتغوا إليه الوسيله " . و هي بين الحق و الخلق ، " أولئك الذين يدعون " و الدعاء حق في هذه الدار كما في تلك الدار ، أما في هذه الدار فمعروف " ادعوني استجب لكم " ، و أما في تلك الدار " دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " .
"و يرجون رحمته " لأن الرحمه تتنزل من العرش على الوسيله ، و من الوسيله على الخلق بمراتبهم. فمن هي هذه الرحمه التي هي واسطه الفيض على العالمين ؟ الجواب " و ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين " . و أما الذي يظن أن " رحمه للعالمين " تعني بعثته الأرضيه ، فهيهات ، أنى أن تكون هذه بإطلاقها للعالمين ، و الله يقول " و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " فهي مقيده من حيث أمثالها ، و مقيده من حيث لسانها ، و مقيده من حيث محل البعثه ، و الرسول الأول عليه السلام لم يسافر إلى أفريقيا و لا إلى أمريكا و لا إلى أوروبا و لا إلى آسيا . فخذ الأمر من أي وجه تجد أنه ليس حيث يذهب القوم . بل الآيه نفسها تخالف ذلك ، إذ إنها عامه عالميه . فكما أن قوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " عالميه مطلقه ، إذ " رب العالمين " مطلقه ، كذلك قال " و ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين " . فحقيقه النبي أنه مرسول لنفس " العالمين " التي الله ربها . لأنه الوسيله في إفاضه الرحمه على العالمين . " أولئك الذين يدعون ، يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب و يرجون رحمته " . و من هنا تفهم لماذا يقرن القرءآن بين الله و رسوله في مواضع كثيره جدا بحيث تظهر للعين الجاهله بحقيقه الوجود أنها - و العياذ بالله - ضرب من الشرك و رفع النبي إلى مرتبه الألوهيه - و كأن هؤلاء يفقهون عن الألوهيه شيئا عاليا حتى ينزهوا الحق سبحانه " عما لا يليق بجنابه " . "أغناهم الله و رسوله من فضله " . حسبك أن تدرس هذه الآيه إن عقلت ، و الآيت فوق الحصر في هذا المجال المتعلق بالعلم العظيم . يقول النبي عليه السلام في أحاديث الوسيله المشهوره و لله الحمد ، حين علمنا كيف ندعوا إذا سمعنا النداء " آت محمدا الوسيله " ، و في روايه أخرى " سلوا لي الوسيله ، فإنها منزله في الجنه لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيله حلت له الشفاعه " ، و في ثالثه " إذا صليتم علي ، فاسألوا الله لي الوسيله . قيل : يا رسول الله ، و ما الوسيله ؟ ، قال : أعلى درجه في الجنه لا ينالها إلا رجل واحد ، و أرجو أن أكون أنا هو " . و في رابعه " الوسيله درجه عند الله ليس فوقها درجه " . في هذه الروايات حقائق ظاهره و أمور تحتاج إلى تعليق . أما الظاهره فهي وصف الوسيله بأنها : أعلى درجه عند الله ليس فوقها درجه . و أعلى درجه في الجنه لا ينالها إلا رجل واحد ، أنها منزله في الجنه لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، و وجود ارتباط بين الوسيله و الشفاعه . و كل هذا مما لا ريب فيه ، لا قرءانيا و لا عرفانيا ، و العرفان على كل حال من فيض القرءآن . فالوسيله مفرده ، و هي وسيله واحده ، و في حقيقتها العليا متعلقه بعبد واحد من عباد الله تعالى لا غير . و الشفاعه في حقيقتها تكوينيه ، و هي اجتماع شئ مع شئ لتحصيل شئ . فالذي يريد أن يستمد من اسم الله المحيي لبدنه مثلا ، فإنه يتشفع بهذا الماء ، فإن أذن الله تعالى شرب و روى عطشه و عاش بدنه إلى حين .
و الوسيله المطلقه ، التي هي " ما أرسلناك إلا رحمه للعالمين " ، هي الشافع المطلق لكل مخلوق، "يرجون رحمته " بهذه الشفاعه ، إذ لا يتنزل شئ إلى الخلق إلا بواسطتها ، كما أن هذا القرءآن لم ينزل إلى بيت كل بشر ، و لكنه جاء بواسطه عبد الله المطلق ، " و لما قام عبد الله يدعوه " و "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا" لا عوج في العبد و لا في الكتاب و لله الحمد .

و مما تشمئز منه عقول أهل القرءان أن يسمعوا أحدا يزعم بأنه " من الشرك أن تعتقد بأنه يوجد عبد أعلى منك في الدرجه عند الله " و نحن لا نفهم لما لا يصرح هؤلاء للمسلمين بأنهم يظنون أنفسهم أعلى من النبي ، بل لعل الملائكه أيضا كانوا من المشركين إذ قالوا " و ما منا إلا له مقام معلوم " و أقروا لآدم بعلو الدرجه عليهم فسجدوا له ، " سجود تكريم " على ما يزعم البعض ، و هم لما لم يعقلوا و لم تعجبهم الآيه التي أقرت بسجود كل الملائكه لآدم معلم الأسماء ، و لم يجدوا سبيلا إلى طمس هذه الايه أو محوها ، و لم يستفتحوا الله ليعلمهم حقيقتها ، قالوا " سجود تكريم " حتى يحرفوها بدون أن يحرفوها . أو إن أحسنا الظن ، و لا مجال لحسن الظن في من منهجه نفسه ضيق و متعامي عن حقائق القرءآن بالعناد ، و لكن إن أحسنا الظن لقلنا أن معنى " تكريم " هو أخذ لبعض معنى السجود و اختزاله ، و ليس كله ، فيكون قولهم " بعض " الحق و ليس كله . بل إن قول النبي عليه السلام ، و قول القرءآن من قبل ، أن في الجنه درجات ، و بالتالي سيكون بعض الناس في الدرجه الأخيره ، و بعض الناس في الفردوس ، هو أيضا يعتبر من " الشرك " عند القوم . و نذكر هذه كإشاره تذكيريه بما يمكن أن ينحط إليه الإنسان بسبب العجله في الحكم و العناد في المنهج . فيزعم البعض بإطلاق " ليس بين الله و بين الناس واسطه " . و اللازم الذاتي لهذا القول هو أنه بإمكان هؤلاء أن يأخذوا من الله مباشره . حسنا ، هذا ممكن باعتبار ما ، فليتركوا القرءآن و الأحاديث و لينخلعوا من هذه الأمه قالبا كما أنهم على ما يبدو ممن انخلع قلبا ، و ليذهبوا إلى ربهم و يأخذوا عنه "مباشره" و "بلا واسطه بينهم و بينه" إذ لا وساطه على الإطلاق كما يزعمون ، أي لا وسيله . و هم يقولون " الوسيله " و يقرأون الروايات ، و لكنهم لا يتدبرون في معنى الوسيله . و لما سميت أعلى درجه عند الله بالنسبه لعباد الله على الإطلاق باسم " الوسيله " . وسيله إلى ماذا و من ماذا و بماذا . و لا حياه لمن تنادي . فالخلاصه بالنسبه للإجابه عن أمثال هذه المقولات التي ما فتئنا نسمع عنها من قبل بعض علماء الإسلام شرقا و غربا ، و يزعمون أنهم يباهون الأديان الأخرى بأنه " ديننا ليس فيه واسطه بين الله و الناس " ، و لا أدري كيف يحسن هؤلاء أن يقولوا في نفس النفس و بلا فاصل: في الإسلام لا واسطه ، و لكن محمد رسول الله !! و يقولون : في الإسلام الله يفعل كل شئ مباشره ، و لكن الملائكه يتوفون الأنفس و يدبرون الأمر !! إن كانوا يضحكون من الذين يزعمون بأن الله ثالث ثلاثه ، و حق لهم أن يضحكوا ، و سبب ضحكهم أن يجمعون بين المتناقضات ، أي أن الحق سبحانه واحد و ثلاثه في آن واحد ، فليضحكوا من أنفسهم كيف يقولون : لا واسطه و لكن يوجد رسل و ملائكه . أما إن كانوا يقصدون ب " لا واسطه " أنهم لا يقولون " يا محمد .. يا علي.. يا جبرائيل " و لكن يقولون " يا الله .. يا رحمن " فقط . فإننا نكون قد استقلنا من محاورتهم ، لأنهم يتكلمون في واد غير وادينا . بل حتى " يا محمد .. يا علي " و ما أشبه من مناداه العباد ، ليس من "الشرك" الذي يزعمه هؤلاء ، و إلا لكان قول أي إنسان لإنسان آخر يعيش معه " يا فلان تعالي أنقذني " من الشرك أيضا ، لأنه يدعوه هو و لا يدعوا الله ! أي سخف نضطر يا الله أن نهبط إليه لنخاطب عبادك هؤلاء و نعلمهم . من شرب كأسا من الماء و هو يظن أن هذا الماء أصلا موجود و فاعليته موجوده ، و سببيته قائمه ، بدون أن يشهد وجه الحق سبحانه فيه و يده عليه ، فهو من المشركين . و لكن من سجد لآدم لأن الله أمر بالسجود له ، " اسجدوا لآدم " كما أمر بأن "اسجدوا للرحمن " و لا فرق في نفس الأمر ، و إنما الفرق في مرتبه السجود ، و إلا فليأتوا بنص قرءاني

يقول بوجود شئ أصلا اسمه " سجود تكريم " كما يزعمون ، فإن الذي يسجد لآدم و هو لا يشهد وجه الحق سبحانه و يسجد عن غير أمر الحق و عن غير شهود نعمته على آدم ، فهو من المشركين بالشرك الأصغر أو الأكبر أو ما بين ذلك . كل ما سوى الله عبد . عبد لا يملك لنفسه من حيث نفسه شيئا على الإطلاق . و لكن كل ما للعباد و العبيد هو من عطاء الله تعالى و إفاضته عليهم . و مرد كل شئ إلى أسماءه الحسنى ، و التي حقيقتها ذاته سبحانه . فالوسيله ، أي حقيقه النبي ، فمن دونه ، عباد و عبيد لله تعالى . و بالله يكون كل ما يكون ، و بالله كينونه كل ما هو كائن . الشرك أن تعتقد بوجود حقيقه ذاتيه كماليه لأي شئ بغير الله ، و بدون مدد الله ، و أن تعتقد بأنه يوجد شئ مستقل عن الله في الوجود كله . و أن تعتقد بأنه يوجد شئ يتحرك حركه أو يسكن سكنه بدون الله و باستقلال عنه. هذا هو الشرك ، سواء تم اعتقاده بالنسبه للوسيله المحمديه ، أو تم اعتقاده بالنسبه لبعوضه أكلت شيئا من طعامك . فلا يأتين أحد و يزايد علينا في التوحيد ، و علم التوحيد ، فنحن لا نجد قيمه لأنفاسنا إلا لأننا نقول " لا إله إلا الله " و نريد أن نحياها و نعرفها و نرى بها و نشم بها و نتحرك بها و نسكن بها و نقول بها و نكتب عنها و نعمل لها و نظهر آثارها و ننشر بركاتها . فلسنا بمخاطرين بأنفسنا و هلاكنا الأبدي ، و لا بمعرضين عقولنا للشتات و الجهل ، عن طريق افساد رؤيه الوحده الإلهيه المطلقه المنزهه ، و المقيده المشبهه . لا الواحد المتعالي و لا الواحد في تنزلاته الخلقيه . لا الحق في ذاته و لا الحق في تجلياته . " و توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " .

و لكن ما يمكن أن يتساؤل عنه في هذه الروايات هو قول النبي " أرجوا أن أكون أنا هو " ، مما قد يظهر بمظهر المتشكك ، أو لا أقل بأنه أمر غير ناجز - على الأقل هكذا يرى بعض من قرأ هذه الروايه . و جوابنا عن ذلك : إن هذا الفهم غير صحيح ، و لا وجه تام له . و ما قول النبي عليه السلام " أرجوا أن أكون " إلا كقوله في القرءآن " أمرت أن أكون أول من أسلم " في حين أنه من قبل ذلك الكون " أنا أول المسلمين " . فقوله " أكون " ليس إلا مظهرا للعبوديه ، و أما قوله "أنا" هو مظهر للحقيقه العاليه بعد إفاضه الكمال الأولي عليه من قبل ربه . " أول ما خلق الله نوري " . فحين ينظر العبد إلى نفسه لا يجد شيئا ، فيقول " أرجوا أن أكون " كذا و كذا . فهذا تعليم لحقائق العبوديه و آدابها . و لكن مع النظر إلى قوله سبحانه " ادعوني استجب لكم " يعلم أهل العلم بأن سؤال النبي للوسيله هو أمر ناجز من قبل أن يسأله أصلا ، في مرتبه وجوديه أعلى . و إنما السؤال بحسب المرتبه الأدنى . بل إن بقيه الآيات ، بل نفس وجود الكون و وجود الإفاضات الأسمائيه عليه ، دليل كاف على وجود الوسيله و قيامها . فالبعد الظاهري الذي يقتضيه الظهور في الأرض ، يعطي السؤال عن ما هو قائم و ناجز في ما هو فوق السموات و الأرض . " كيف يكون طلبك اللاحق سببا لعطائه السابق " . فقول النبي " أمرت أن أكون أول من أسلم " متعلق كما هو ظاهر بظهوره في هذا الكون ، " أن أكون " . و لكن قوله " أنا أول المسلمين " هو الكينونه ذاتها . هي الكينونه التي بسببها استطاع أن يسعى لأن يكون أول من أسلم من حيث ظهوره . فمن لم يعطى سابقا فوق ، لا يسعى لاحقا تحت . و أما قول البعض بأن الوسيله هي أمر شائع لكل الناس ، فهو يناقض كونها لعبد واحد فقط من عباد الله . و تحريف النص بأن كلمه " لي " أي " سلوا لي الوسيله " مدرجه في النص هو

من الكذب على الله و رسوله ، الذي عهدناه كثيرا من القوم في مواضع متعدده . فلا يستحق ردا أكثر من الإشاره إلى وجوده ، و إنا نشير إلى وجوده لأننا لا نطمس رأيا عرفناه كائنا ما كان ، فإن الحق لا يخشى الباطل كائنا ما كان ، " و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " .

فقول النبي " فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس " يدل على أن الفردوس يمكن أن تكون لأكثر من عبد من عباد الله . و هو عين قول القرءآن عن الفردوس " لا يبغون عنها حولا " بالجمع . و لكن بين عرش الرحمن ، أي الفرد ، و بين الفردوس ، أي الجمع ، و هو جمع من المؤمنين الكمل ، لابد و أن يوجد عقل رابط بينهما ، و ليس إلا الرسول . كما في قوله تعالى " أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " . فبين الله الفرد ، و " أولي الأمر " و "الذين ءامنوا " و كلاهما جمع ، يوجد وسيط فرد له وجه إلى الحق و وجه إلى الخلق ، و هو " الرسول " . فالله أولا و مطلقا، دونه الرسول ، دونه أولي الأمر ، دونهم الذين ءامنوا . فالرسول رسول الله ، و أولو الأمر هم أولو أمر الله ، و الذين ءآمنوا هم إنما ءآمنوا بالله . فالله متعال عن كل هؤلاء من حيث ذاته الغنيه عن العالمين ، و لكنه ظاهر فيهم كلهم من حيث ربوبيته للعالمين . ف " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم " . فالفردوس درجه الأئمه الكمل من أتباع الرسول و عباده ، كما قال حضره علي عليه السلام " أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه و اله " . لأن نعمه الرسول ، " إذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه " (فليتدبر هذه الآيه جيدا عبيد كلمه " ثم " بعد كل ما يذكرون الله ، فلعل هؤلاء يريدون الآيه : أنعم الله عليه ثم أنعمت عليه) نقول ، لأن نعمه الرسول جرت على الخلق كلهم ، على العالمين ، فهم عباد نعمته التي أنعمها الله عليه فأنعم هو بها عليهم ، و أبرز مظاهر هذه النعمه في هذا العالم هو هذا القرءآن ، الذي هو نعمت الله على النبي ، " ما أنت بنعمت ربك بمجنون " ، ثم بمشيئه الله و مشيئه النبي تلاه على الناس ، " قل لو شآء الله ما تلوته عليكم " و معلوم أن رجوع المشيئه كلها إلى الله لا ينفي مشيئه العبد ، إذ " و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين " ، و لكن هذا لا يعني أن قوله " من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر " أن هذا الاختيار باطل لا قيمه له . فالنبي ليس رجل آلي يحركه الله ، و ليس له إلا أن يتلوا و يعمل كآله ، و لكنه عليه السلام لا أقل كباقي عباد الله الذين لهم حريه المشيئه " من شاء فليؤمن و شاء فليكفر " ، فمشيئه النبي في أن يتلوا القرءآن على الناس و ينعم به وبعلمه الجليل على الناس يرجع أجره إلى النبي بغير منه ، " إن لك لأجرا غير ممنون " . فلا يسوى بالنبي من جرت نعمه النبي عليه .

...

فما هو السبب الذي يفصل بين أهل درجه و درجه ؟ يقول النبي عليه السلام " أعدها الله للمجاهدين في سبيله " . و هذه عباره مطلقه . و الجهاد يجمعها كلها . و بما أن الجنه مكونه من مائه درجه ، فهذا يعني أنه للجهاد أيضا مائه درجه . و الجهاد الذي يرفع الإنسان إلى الدرجه العاشره مثلا ، يفرق عن الجهاد الذي يرفع الإنسان إلى الدرجه التاسعه كما تفرق السماء عن الأرض . و بالتالي يوجد الجهاد الأكبر و هو الذي يرفع إلى الفردوس ، و الجهاد الأصغر و هو الذي يدخل الجنه في أدنى درجاتها ، و يوجد ما بين ذلك درجات كثيره .

و رمزيه الدرجات مهمه من أكثر من حيثيه ، منها أن صاحب الدرجه الأعلى لابد له أن يتجاوز الدرجه الأدنى ، و هذا التجاوز قد يوهم صاحبه بأنه قد نقض الدرجه الأدنى ، أو أنه ينبغي أن ينقض الأدنى ليصل إلى الأعلى . و هذا مرض المعراج . فمثلا ، إن عرفنا أن الذكر هو العمل الأكبر ، و لا جهاد فوق جهاد ذكر الله ، فإن هذا قد يسبب مرضا للبعض بأن يعتقد بأن الفكر كله أو بعضه ، أو العمل البدني كله أو بعضه ، أو العمل الاجتماعي كله أو بعضه ، أو العمل الدولي كله أو بعضه ، لا قيمه له البته و أن من يقوم به فهو ضال خاسر . و إن كان يوجد حق في هذا الحكم ، إذ الأدنى فاني بالنسبه للأعلى ، و هو مقتضى تجاوزه ، و لكن المرض هو في عدم اعتبار ما دون ذلك البته . و لو كان الله يريد لكل الناس أن يكونوا في درجه واحده في الجنه ، لما خلق " مائه درجه " أصلا . فالله يرضا للناس الجنه ، و لكنه لم يشأ سبحانه أن يكونوا كلهم في درجه واحده ، و لهذا قال " هم درجات عند الله " . و من ناحيه أخرى ، فإنه لا يعقل ارتقاء درجه إلا بعد ارتقائها . أي لا يعلو أحد على التاسعه إلا بعد أن يمر بالأولى و الثانيه حتى التاسعه ثم يصل العاشره . فلو لم يكن للتاسعه أي قيمه البته ، لما استطاع هو أن يصل للعاشره التي يفاخر بها من دونه بمرضه . و الجامع لكل درجات الجنه هو ما قاله الحق سبحانه " يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات " . فبالإيمان و العلم يتحدد كل شئ . و ما العمل إلا مظهر للإيمان و العلم في مستوى متدني من الوجود و هو المستوى الظلي . و بما أن الإيمان يرجع في المحصله إلى العلم ، " و ليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به " ، فإذن الأساس في كل درجات الجنه هو درجه العلم . فالمعرفه هي الجنه . و بحسبها يكون المستوى فيها . و العلم ذكر و فكر ، ذكر الله و الفكر في الخلق . و ذكر الله إما ذكر للهويه الأحديه أو للألوهيه الأسمائيه ، و الهويه أعلى في الرتبه . و الفكر في الخلق من حيث هو أو من حيث مظهريته السماويه أو البينيه أو الأرضيه أو ما تحت الثرى ، و الفكر في الحق من حيث هو هو الأعلى في الرتبه . فإذن أعلى ما في المعرفه هو ذكر الحق من حيث هو ، و التفكر في الخلق من حيث هو . " أعدها الله للمجاهدين في سبيله " ، و لهذا أرجع ضمير " سبيله " إلى الهو ، و لم يقل : أعدت للمجاهدين في سبيل الله . فإنه صلى الله عليه و آله قد كشف عن أعلى جهاد بعين كشفه عن قيمه الجهاد . و معرفه الهويه الأحديه و ماهيه الخلق ليست معرفه مختزله ، و لكنها المعرفه الجامعه ، إذ ما سوى ذلك ليس إلا تجلياتها و تعيناتها و ألوانها المختلفه و تفاصيلها . فمعرفه الهويه قرآن ، و معرفه ما سوى ذلك فرقان . و في الواقع ، من لا يقرأ قرآن الهويه لا يأتيه يقين فرقان الأسماء و الصور الخلقيه . كيف يملك يقينا من الأدنى و هو لم يشهد الأعلى الذي ليس للأدنى قياما بدونه و لا يجد سبب وجوده إلا به . فالجهاد الأكبر هو مجاهده النفس بأن تتخلص من كل ما سوى الهويه الأحديه ، و لا سواها إلا بالنسبه للنفس المسجونه المعميه " لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون " . فالخلق قيود و أغلال و سجون و سموم فقط بالنسبه لمن لم يعرف الحق . فإذا عرف الحق كان الخلق بالنسبه له كما قال النبي عليه السلام " جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا " . فهي مسجد من حيث أنه يسجد للحق فيه ، و هي طهور من حيث أنها تطهر قلبه من غيبه الحق عنه . فيتصل الأدنى بالأعلى ، و الباطن بالظاهر ، و الأول بالآخر ، و يتم التوحيد ، فيكون قلب العارف مخاطبا بقرءآن " لله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله".

و بعد أن يبلغ هذا المقام يكون قد رجع إلى وطنه الحق ، أي إلى مقامه الذاتي الذي فطره الله عليه أول مره . و في ذلك يقول النبي صلى الله عليه و آله " ما منكم من أحد إلا و سيكلمه ربه، ليس بينه و بينه ترجمان ، و لا حجاب يحجبه " . يقرأ الناس هذه الروايه و يعتبرونها مختصه بالمعاد . و هي كذلك . إلا أنهم نسوا آيه قرءانيه و لم يحكموا القرءآن على هذه الروايه فضلوا عن أهم حقيقه في الوجود الإنساني كله . و الآيه هي التالي " كما بدأكم تعودون" . فالمعاد هو عود إلى المبدأ . بالتالي يكون معاد " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه" يدل على مبدأ " ما منكم من أحد إلا " كلمه ربه . و هذا هو حقيقه مقام الإنسان . كل إنسان . و كل ما دون هذا المقام هو ظلم للنفس و تسفيه لها . و هذه الحقيقه القرءانيه الإسلاميه هي أكبر حقيقه تفرق بين دين الحق و الإسلام و بين كل دين آخر آيا كانت دعواه و مقولاته و دعائمه . إذ كل دين آخر تقريبا لا يرى هذا المقام العالي إلا ل "بعض " الناس . فهم يعتبرون أن احتجاب الإنسان و ضروره وجود ترجمان بينه و بين ربه ، هو الأمر الطبيعي المبدأي . و هم لا ينظرون إلى هذه الحاله على أنها شذوذ و مرض بسبب هبوط العقل و النفس إلى مستويات متدنيه في الوعي الوجودي و العلم بالحق . فالأصاله عندهم هي لسفاله البشر . و الاستثناء هو إفاضه النور عليهم ممن وصله الخبر . و الفاصل بين " الرسل " و "عموم الناس" عندهم تعتبر فاصله أزليه أبديه ، لا يمكن جبرها أبدا . فالنخبه نخبه دائما ، و العوام عوام دائما ، و لا طريق لجبر هذه الفاصله . لأن النخبه اختصهم الله برحمته أزلا ، و العوام بهائم مطلقا . و هذا هو الكفر الأكبر. و ما ملاحده الحداثه إلا بهائم ثارت على النخبه الحق ، من أجل أن تضع رؤيه وجوديه و فلسفه تبرر و تقول أن البهائميه هي الحاله الطبيعيه ! فبدل أن كانوا رعيه يرعاهم نخبه مستنيره - بدرجه أو بأخرى ، أصبحوا رعيه يرعاهم بهيمه من نفس طبقتهم . فمن قبل كان الأعور يقود العميان ، و الآن عندهم الأعمى يقود العميان لا لشئ إلا لأن عصاه أطول من عصيهم و كلابه تنبح بصوت أعلى من كلابهم . و مع الأسف و الغضب ، وقع مثل هذا الرجس على بعض هذه الأمه ، فاعتقدوا كذلك بوجود هذه الفاصله المطلقه بين الرسل و الناس . فليتدارك الحي نفسه ، و لا يسفهها بجهله و غفلته .

فالمعاد هو العوده إلى المبدأ بنص القرءان " كما بدأكم تعودون " ، و المعاد بنص النبي عليه السلام " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه و بينه ترجمان ، و لا حجاب يحجبه " ، فإذن المبدأ لكل إنسان كان تكليم ربه له مباشره . و حيث أن المباشره فوق الترجمه و الحجاب، فهذا يعني أن الحاجه إلى الترجمه و الحجاب عرضيه مؤقته ، و هي شفاء لمرض و كشف لعرض . فليس العجب ممن يرجع إلى أصله الذي هو المباشره ، و لكن العجب ممن يعكف كالميت على الترجمه و الحجب . مثلهم كمثل أمير نفاه الملك لمعصيه صدرت منه فأبعده عن العاصمه إلى مزبله و خرابه ، فأرسل الملك بعد التوبه عليه أخ للأمير و معه خيل له ، فلما وصل الأخ إلى أخيه الأمير و ذكره بالعاصمه مقر عرش الملك و خزائن السلطنه ، أخذ الأمير المنفي أخاه و قتله ، أو كذبه لطول منفاه و انشغاله بمزابل المنفى ، أو صدق الرسول و لكنه بقي في منفاه إلا أنه بدل أن يستعمل الخيل

للرجوع إلى موطنه الحق ، انشغل بإطعام الخيل و حراستها و خدمتها ، و بدل أن يرجع مع أخيه الذي يعرف طريق الرجوع ، انشغل بتعظيمه و ذكر اسمه ليل نهار و هو قابع في منفاه .

هذه الروايه الشريفه بمراتبها الثلاثه تعكس الآيه القرءآنيه القائله " و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ، إنه علي حكيم " . فالمرتبه الأعلى هي " وحيا " و هي التي سميناها مباشره . و الثانيه " من وراء حجاب " و هي التي ذكرتها الروايه في الفقره الثالثه ، و لعل الرواي قدم و أخر و المعنى صحيح على كل حال . و الثالثه " أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء " و هو الترجمان ، من حيث أنه يذكر الحقيقه بلسان قومه ، " و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " . و قد فصلنا كثيرا في هذه الآيه في كتبنا الأخرى فليراجعها من يشاء ، و نكتفي هنا بهذه الإشاره .

و التكليم المباشره ليس فقط معناه التكليم بمعنى المحادثه و المخاطبه . فهذا اختزال شديد للمعنى الحق . و لكن المعنى الأكبر هو الفيض الحقاني و الخلقي . فالتكليم من حيث أنه تمثل للذات المتكلمه في قلب السامع ، إذ بالكلام تتكون عندك صوره معنويه للمتكلم ، فإن الكلام يعتبر بهذا الاعتبار رمز على التجلي الذاتي ، أي " الفيض الحقاني " . و الكلام من حيث أنه سبب الخلق ، " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " ، " و كلمته ألقاها إلى مريم" ، " إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون " ، فالكلام بهذا الاعتبار يكون رمزا على الفيض الخلقي ، و مظاهر التكوين و العطاء الرباني . فقول النبي عن المعاد ، و بالتالي عن المبدأ ، أنه مقام من التكليم المباشر ، يعتبر رمزا على الفيض المباشر ، حقا و خلقا . و هذا يكون في مقام لا وساطه فيه بين العبد و ربه . فمثلا ، الآن إن أراد إنسان الحياه البدنيه ، فإنه لا يستطيع أن يستمدها مباشره من إسم الله الحي ، و لكنه يستمدها من مظهر من مظاهر هذا الإسم الكريم و هو الماء ، فيشرب الماء فيحيى بدنه ، فهو لا يريد الماء من حيث هي ماء ، و لكنه يريد الماء من حيث أنها حجاب يحجب عنه اسم الحي و برفعه عن طريق شربه يصل إلى قوه اسم الحي . فمقصوده هو الحي ، و لكنه يشفع إليه بالماء فإن شاء سبحانه شفعه فيه فيروي ظمأه . فهذا في حياه القالب . ففي حياه القلب الأمر كذلك ، فحياه القلب بالعلم ، " العلم حياه القلوب " كما قال النبي عليه السلام . فيأخذ العلم من الكتب مثلا أو من الرسل و الأنبياء و الأولياء و أولو العلم فهم شفعاؤه عند اسم العليم و هو ما يعبدهم أي يتوجه إليهم و يستمد منهم إلا ليقربوه إلى اسم العليم زلفى ، كما سافر موسى إلى العالم في سوره الكهف ليتعلم من علمه الذي علمه الله إياه ، و لم يقل : بل أجلس في بموضعي و يأتيني العلم من الله مباشره ، لأن موسى لم يكن قد بلغ هذه المرتبه بعد ، و حتى لو بلغها فإنه لا يستغني عن علم أنزله الله على غيره مما ليس عنده ، كما يملك حديقه فإنه قد يرغب في ثمار حديقه جاره التي ليس عنده مثلها " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا " فهو يريد اتباعه من أجل التعليم ، فهو يريد العلم بالأخص و ما يريد الرجل إلا كواسطه في هذا الفيض ، فهو قدر أن موسى يملك طريقا مباشرا إلى هذا العلم بدون حجاب الأمثال التي ضربها له العالم ، كالسفينه و الغلام ، و بدون الترجمان أي الرجل العالم ، لاستغنى بذلك عن هذه السفره كلها . كمثل من يملك بئر حيه في حديقته ، فإنه لو شاء

أن لا يذهب إلى ماء جاره و اكتفى بما عنده من ماء لكفاه ذلك . و هكذا في كل اسم و علاقته بمظاهره التي تشفع لمن يتوسل بها إلى الاسم فيعطيه من فيضه إن شفع فيه و أذن له بالشفاعه .

و موسى كليم الله الكامل لأن الله تعالى كلمه بالمراتب الثلاثه ، من الأدنى إلى الأعلى بحسب ترتيب القصه المثاليه . فأولا " يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء " و كان ذلك في قصه الشيخ الكبير حين كان موسى في مدين ، " و ما كنت ثاويا في مدين تتلوا عليهم ءاياتنا و لكنا كنا مرسلين " ، و هو الذي أغفله الكثير في قصه موسى و ظنوا أنه كان في مدين راعي غنم بالمعنى السائد لرعي الغنم ، و الحق أنه كان يتلوا ءايات الله على أشباه الغنم و يعلمهم بدل الشيخ الكبير . و كذلك في قصه الكهف أخذ موسى بواسطه رسول إلهي ، و ليس كل رسول إلهي يعني أنه رسول بالمعنى السائد ، فللرسل مراتب و أعمال مختلفه كذلك . و ثانيا " من وراء حجاب " حين كلمه من وراء حجاب النار . " أن بورك من في النار و من حولها و سبحان الله رب العالمين " . و ثالثا و أخيرا " وحيا " و هو حين كلمه في الميقات ، و لاحظ تعبير الآيه " فلما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه " . لاحظ " كلمه ربه " ، و لاحظ تعبير النبي عليه السلام في الروايه " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه " . فكان موسى مثال على القطب الأعلى للإنسانيه في المقامات عند الله من هذه الحيثيه .

" سيكلمه ربه " بالكلام الذاتي و الكلام التكويني . و هي الدرجه العليا في الجنه التي هي الفردوس ، التي قال عنها النبي عليها السلام " منه تتفجر أنهار الجنه " . و أما الوسيله بين العرش و الفردوس ، فإنها ليست بترجمان و لا حجاب يحجب ، بل هي أمر متعلق بذات الوجود و الموجود من ناحيه ، و هي فيض و تدفق دائم أي ليس " حجاب يحجبه " بأي نحو من الأنحاء ، إذ الحجب منع و الوسيله فيض مطلق لا يمنع بل يفيض بكل ما يلقى فيه ، "و ما هو على الغيب بضنين " . و في الواقع ، كل إنسان كامل هو من عين الإنسان الكامل . "فادخلي في عبدي. و ادخلي جنتي " . فالعبد واحد ، و هو الوسيله واسطه الفيض المطلق ، الذي عليه تتنزل العطايا و المواهب و الفوائد ، و منه تفيض على بقيه الخلق . و لهذا قال عن الخاتم أنه " رسول من أنفسكم " . هنا " أنفسكم " تعني الأنفس الكامله ، أي الأنفس في حقيقتها الكامله و مرتبها العاليه ، أي في مبدأها . فهو رسول النفس الكامله إلى النفوس الهابطه ، ليخرجها من ظلمات الهبوط إلى نور التمام و الكمال . " أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور " . فهم قومه لأنه هم و هم هو . " إذ قال لهم أخوهم " . فعين الإنسان هي الوسيله ، و صورته هي الفردوس . " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " ، و كذب من زعم أن هذا التراب هو أحسن تقويم ، بل هو " أسفل سافلين " . و " خلقنا " تعود على الأسماء الحسنى بجمعيتها . إذ يقول سبحانه " لما خلقت بيدي " ، فالملائكه لم توكل في خلق هذا الإنسان ، بل هو أمر إلهي محض . و لذلك قال " خلقت بيدي " أمر الملائكه كلهم أجمعون بالسجود له . و لولا أنه أعلى منهم في المرتبه لما أمرهم بالسجود له . و لم يقل سبحانه : خلقنا الناس في أحسن تقويم . فهو لم يجمع ، بل أفرد و أطلق ، " خلقنا الإنسان " ، و ذلك لأنه الحقيقه الكبرى، و المثال المطلق ، و ما الناس إلا تعينات جزئيه هابطه لذاك العبد المحض و الإنسان الكامل . و هو مخلوق و ليس بإله فلا

تضل و لا تردى . " لقد خلقنا " . و لكن روح الألوهيه فيه ، " و نفخت فيه من روحي " . و هي روح أي حقيقه و سر الأسماء الحسنى و جامعيتها فيه ، لأنه صدر من تلك الساحه القدسيه .

" يرثون الفردوس " الوراثه هي كسب ذاتي ، فالولد يرث مال والده ليس لأن الولد عمل شيئا خارجيا ، بل لمجرد أن ذاته لها اسم " الولد " ، فهو يكسب بحقيقه ذاتيه و يأتي إليه الموروث لها . و كذلك ، لولا أن حقيقه الإنسان فردوسيه ، لما ورث الفردوس .

و بما أن كل إنسان مقامه الأكبر و المبدأي في الفردوس ، فهذا يعني أنه في الآخره أيضا يوجد ارتقاء في الدرجات في الجنه . فالجنه ليست مقرا ثابتا إلا بالنسبه لمن بلغ أعلى درجه فيها . و لكن بالنسبه لمن لم توصلهم أعمالهم إلا إلى درجه متدنيه في الجنه ، فإن الله تعالى برحمته يجعل لهم طريقا للمعراج هناك أيضا . إذ لا تكون الجنه جنه كامله لإنسان إلا إن كانت ذاته كلها قد تحققت بكل إمكاناتها . و إذ عرفنا إن كل إنسان بدأ في مقام المباشره ، إي الإنسان الكامل ، فهذا يعني أنه المعاد الأكبر لكل إنسان هو الفردوس الأعلى . فكل ما دون الفردوس الأعلى ليس إلا مرحله في الطريقه . و لا يكتمل المعاد إلا بالتوحد مع المبدأ . و لهذا قال في روايه الدرجات أنه من الفردوس تتفجر أنهار الجنه ، مما يعني أن الدرجات المتدنيه في الجنه تأخذ بواسطه الدرجات الأعلى منها ، فإذن مصداق الحجاب و الترجمان لا يزال قائما . و قد ثبت المبدأ أنه مقام المباشره . فتكون الطريقه لا تزال قائمه حتى يبلغ الإنسان مبدأه أي مقام المباشره . و لذلك أيضا كما بينا في مواضع أخرى أن العباده لا تنقطع بدخول الجنه ، و إنما الجنه - عاليها و سافلها - عباده ، فما كان في المراتب المتدنيه هو عباده شكر و عروج ، و ما كان في الأعلى فهو عباده شكر محض . و كل مخلوق عابد ، هذا تعريف ذاتي للخلق . فدعوى ارتفاع العباده يعني ارتفاع المخلوقيه . و لهذا ذكر أن أهل الجنه يسبحونه و يدعونه و يحمدونه ، " دعواهم فيها " و الدعاء مخ العباده " سبحانك اللهم " و التسبيح وذكر الله أكبر صور العباده " و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " و هذا أحسن الدعاء و مظهر للعبوديه . فباليقين القرءآني القائل " كما بدأكم تعودون " نجزم بأنه سيأتي وقت لا يبقى من الجنه إلا الفردوس الأعلى ، و إن شاء الله الفعال لما يريد تغلق أبواب جهنم أيضا بعد مرور مصداق " لابثين فيها أحقابا " ، فلا يبقى من الخلق إلا الجنه الكبرى ، و يكون الناس فيها كما بدأهم الله إخوانا على سرر متقابلين ، و ما ذلك على الله بعزيز ، و " ترى الملائكه حافين من حول العرش ، يسبحون بحمد ربهم ، و قضي بينهم بالحق ، و قيل : الحمد لله رب العالمين " .

...

الفهرس